السقطريون

دراسات إثنوغرافية - تاريخية



تأليف : فيتالي ناؤمكين

ترجمة : د. علي صالح الخلاقي

السقطريون

دراسات إثنوغرافية- تاريخية

تأليف: فيتالي ناؤمكين

ترجمة: د.علي صالح الخلاقي

بسم الله الرحمن الرحيم

إصدارات جامعة عدن

WWW. Aden-univ.net
E-mail: adenuniversity@y.net.ye

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية – عدن 938 لعام 2014م.
حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى، 2014.
دار جامعة عدن للطباعة والنشر. 2014.

National Library Aden, No. 938, 2014.
Copyright.
Aden University Printing and Publishing House, 1st Edition, 2014.



الجمهورية اليمنية. عدن. مدينة الشعب . ص . ب . 11016 ☏ 360087 – 360135
Fax (+9672) 360701 E-mail: unipress@y.net.ye (+967 2) 360701:فاكس
R. O. YEMEN. ADEN. MADINAT AL – SHAAB P . O . BOX 11016 ☏ 360087-360135

الفهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المُترجِم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

يعود اهتمامي بجزيرة سقطرى إلى أواخر عام 1979م، حينما وطأتها قدماي لأول مرة، واتيحت لي فرصة التعرف عليها. وأتذكر أنني نشرت عنها موضوعاً في صحيفة "14أكتوبر" الصادر في 1 يناير 1980م بعنوان رئيسي "تعالوا نقرأ معاً صفحات جزيرة العطور والبخور والسمك" ثم عنوان فرعي آخر "سقطرى..من شجرة دم الأخوين إلى آمال الجزيرة السياحية". ثم تكررت زياراتي لها بعد ذلك عدة مرات أثناء عملي الإعلامي في إعداد وتقديم برنامج (جيش الشعب) الإذاعي والتلفزيوني حتى منتصف الثمانينات. وقد أسرتني منذ الوهلة الأولى بطبيعتها الساحرة ومناظرها الخلابة.. ونقاوة وصفاء سكانها ونبل أخلاقهم، وهو ما جعلني مشدوداً إليها ومتابعاً لما يُكتب أو يُنشر عنها.

وفي أثناء دراستي الجامعية في موسكو، وبعد تمكُّني من اللغة الروسية، كنت شغوفا بالتنقيب في المكتبات الروسية عن كل ما كُتب عن بلادي بدافع معرفة ما يقوله الآخرون عنها، فلفت انتباهي من بينها كتاب بعنوان "هناك حيث ولدت العنقاء"، لمؤلفه فيتالي ناؤمكين، وهو أول كتاب روسي عن سقطرى صدر عام 1973م وضَمّنه المؤلف انطباعاته ومشاهداته عن زيارته الأولى للجزيرة، فقرأت الكتاب بنهم، ثم تعرفت على مؤلفه شخصيا، وأبديت له رغبتي في ترجمته إلى العربية، فرحب بذلك، وأعطاني موافقة خطية بذلك.

وقبل أن أكمل دراستي العليا كنت قد استكملت ترجمته وعرضت الترجمة العربية على المؤلف فاستحسنها. وفي إجازتي

الشتوية فبراير 1994م سلمت النسخة المترجمة جاهزة للنشر للاستاذ.د.صالح علي باصرة وكان حينها نائب رئيس جامعة عدن لشئون البحث العلمي، ووعدني بنشره متزامنا مع انعقاد الندوة الدولية العلمية الأولى حول جزيرة سقطرى (الحاضر والمستقبل)..وحين جئت من موسكو للمشاركة بتلك الندوة التي عُقدت في جامعة عدن خلال الفترة من 24-28 مارس 1996م وشاركت فيها ببحثين عن الأول بعنوان "سقطرى في صفحات التاريخ" والثاني " الثقافة الروحية للسقطريين". فوجئت بعدم صدور الكتاب عن مركز جامعة عدن للطباعة والنشر، وعلمت من د. باصرة، رئيس الجامعة حينها أن النسخة التي سلمتها له قد فُقدت بسبب الحرب والنهب الذي تعرضت له مرافق الجامعة، وغيرها من مؤسسات الدولة في الجنوب بعد حرب صيف 94م التي ألقت بظلالها على كثير من مجاري الحياة..فتحسّرت كثيراً لأنني لم احتفظ بنسخة مصورة، لثقتي حينها أنها ستصدر بكتاب.. فما كان مني إلا أن شرعت فوراً بترجمة الكتاب مجدداً، وقبل تسليمه للطبع احتطت في هذه المرة بحفظ نسخة مصورة. وقد نُشر الكتاب لاحقاً عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام 1999م.

كما وقع في يدي كتاب آخر بعنوان "إثنوغرافيا حضرموت الغربية" لمؤلفه ميخائيل روديونوف. فراقني محتواه، وأقدمت على ترجمته هو الآخر، وصدر عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر عام 2002م باسم "عادات وتقاليد حضرموت الغربية" وكان الكتاب الثاني الذي أترجمه عن الروسية. كما شاركت ببحث عن (الزواج لدى السقطريين) في الندوة الدولية العلمية الثالثة حول (الاستراتيجية التنموية لأرخبيل سقطرى والجزر اليمنية) التي عقدت في رحاب جامعة عدن خلال الفترة من 14-16 ديسمبر2003م.فضلا عما نشرته قبل وبعد ذلك من الموضوعات المترجمة من الروسية عن سقطرى في عدد من الصحف المحلية.

أما هذا الكتاب لمؤلفه فيتالي ناؤمكين فقد صدر باللغة الروسية في موسكو عام 1988م بعنوان "السقطريون- دراسات إثنوغرافية-تاريخية". ويتميز في كونه حصيلة بحث علمي ميداني للبعثة اليمنية الروسية المشتركة خلال الأعوام 1983-1987م. وهذه البعثة كانت أول بعثة مشتركة للأبحاث الإنسانية في تاريخ العلاقات العلمية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية. قد صدرت ترجمته الإنجليزية في لندن عام 1993م باسم (Island of the phoenix)، أي "جزيرة الفينيكس[1]". وهذا ما حفزني أكثر لترجمته، فقد عزّ عليّ أن يُترجم إلى لغات أخرى ولا يستطيع القارئ العربي أن يحصل عليه بلغته الأم. فرأيت من الواجب أن أترجمه وأقدمه بصيغته العربية للقراء والمهتمين والمعنيين بهذه الجزيرة المدهشة.

وهذا هو الكتاب الثالث الذي أقوم بترجمته عن الروسية، والثاني عن سقطرى. واعترف أنه الأصعب في تجربتي المتواضعة مع الترجمة، لأنه أخذ مني وقتا وجهدا كبيرين، خاصة وأنني شرعت في ترجمته مع انشغالي في عملي الأكاديمي في جامعة عدن – كلية التربية – يافع. ومع ذلك لم تخُر عزيمتي أو تضعف همتي، وصبرت وصابرت على إكمال ترجمته. وللتدقيق بالترجمة تطلب مني الأمر السفر إلى سقطرى للتحقق من المسميات المحلية التي وردت كثيراً في فصول الكتاب بصيغتها الروسية، سواء أسماء المواضع أو البلدات والقرى والقبائل أو أسماء الحيوانات والأدوات والأثاث وغيرها مما ورد في فصول الكتاب. فمن غير المعقول أن أنشر مسميات سقطرية دون تحر وتدقيق وعلى غير ما ينطقها السقطريون الذين لا أعرف لغتهم فكان عليّ العودة إليهم لضبط هذه المسميات، خاصة حين تكون هناك عدة احتمالات لترجمة بعض الكلمات.. فعلى سبيل المثال تُنطق كلمة "دعرهُو" بالروسية "دئِرخُو" وهذا ما يبعدها كثيرا عن اسمها الحقيقي، وقس على ذلك كثيراً من الكلمات والمسميات

[1] الفينيكس: تعني العنقاء.

الأخرى. ذلك أن الحاء والخاء والهاء تُنطق جميعها بالروسية بحرف واحد هو الخاء فقط.

وقد مكثت أسبوعين في سقطرى لهذا الغرض اتنقل في عاصمتها حديبو بين حوانيتها وشوارعها، وذهبت إلى ضواحي حديبو وكذا إلى جبال دكسم وعدة بلدات في محيط حديبو والتقيت بكثير من السقطريين الذي كانوا يتجاوبون معي ويلتفون حولي يسمعون مني ويصححون ما التبس لدي من مسميات.. وكنت أدونها أولاً بأول كما أسمعها من شفاههم وأقوم بتشكيلها لتُقرأ بشكلها الصحيح.

كما حرصت أيضاً أن أعود إلى المصادر العربية التي أخذ عنها المؤلف، فمن غير المنطقي أن أترجم أنا العربي عن الروسية ما اقتبسه المؤلف من مصادر المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال: الهمداني، ياقوت الحموي، المسعودي...الخ. ولهذا عُدت إلى مظانها الأصلية واستقيت منها الاقتباسات كما وردت في الأصل العربي.

وها أنا أسعد بتقديم هذا الكتاب النفيس عن جزيرة سقطرى التي أحببتها ولا تبارح مخيلتي ليضاف إلى المكتبة العربية ويكون في متناول القراء والمهتمين. ولا شك أنهم سيجدون فيه الكثير من المفيد النافع عن أسرار وخفايا هذه الجزيرة المدهشة.

وختاماً استميح القارئ عن أي هفوات أو أخطاء قد يجدها في الترجمة بين سطور الكتاب، فما أنا سوى بشر يصيب ويخطئ وجلّ من لا يخطو.

د.علي صالح الخلاقي

مقدمة المؤلف

تستأثر الأقليات العرقية (الشعوب الصغيرة) باهتمام خاص من لدن المؤرخين واثنوغرافيين وعلماء الآثار وعلماء الاجتماع وعلماء النفس، وعلى الأخص تلك التي تقع في أطراف العالم، في الزوايا المنسية من الكرة الأرضية. وأنه لمن المثمر للغاية في الجانب العلمي أن يُكرس هذا الاهتمام لإقليم تعيش فيه هذه أو تلك الجماعة من الناس، التي دخلت في الماضي في قوام هذه الدولة أو تلك؛ وكان أسلاف هؤلاء الناس قد شهدوا حضارات قديمة.

وفي الشرق الأوسط - هذه المنطقة التي لعبت وما تزال تلعب دوراً عظيماً في تاريخ البشرية، تنتمي إلى أعداد تلك الجماعات مجموعات منعزلة قليلة العدد من سكان جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (ج.ي.د.ش)، وكذلك عُمَان، ممن يتحدثون بلغات غير مكتوبة، وهي ما يُطلق عليها المجوعة السامية الجنوبية: المهرية، السقطرية، والجبالية- الشحرية. ومن بين هذه المجموعات، فأن السقطريين (سكان جزيرة سقطرى وجزيرة عبد الكوري) يعتبرون الأقل بحثاً ودراسة في كثير من المجالات، بل وحتى الأكثر غموضاً.

ظلت سقطرى، الواقعة على تقاطع الطرق البحرية والحضارات القديمة، في خيال الباحثين منذ زمن بعيد. وقيض للمؤلف في النصف الأول من سبعينات القرن العشرين أن يكون واحداً من أوائل المواطنين الروس (السوفييت سابقاً) ممن تواجدوا في سقطرى، وقد دون انطباعاته الأولية عن الجزيرة في مؤلفه "سقطرى.. هناك حيث بُعثت العنقاء" [26]. وتعد الأبحاث الأكثر عمقاً عن نتائج الزيارات الميدانية للجزيرة هي تلك التي كتبها بصورة مشتركة مع ف.ي. برخوموفسكي " دراسات اثنوغرافية- لغوية عن سقطرى"[27].

وفي عام 1983م بدأت العمل البعثة العلمية السوفييتية- اليمنية المشتركة (المشرف العلمي ب.ب. بيتروفسكي، والرئيس ب.أ. غريازنيفتش)، وفي إطارها ترأس المؤلف واحدة من فرق عملها في الجزيرة على مدى ثلاثة مواسم ونصف، خلال أعوام: 1983م؛ 1984م؛ 1985؛ 1987م.

كان من مهام الفريق في الجزيرة القيام بأبحاث ودراسات اثنوغرافية، انثروبولوجية، ثقافية وتاريخية، لغوية، أركيولوجية، وبيولوجية – طبية، بهدف إظهار (اكتشاف) اثنو- جينس السقطريين، وابراز (إعادة إنشاء) ماضيهم

الحضاري، وارتباطاتهم التاريخية مع سكان الجزء القاري في الجنوب العربي، وتدوين ثقافتهم التقليدية، ونشاطهم الإقتصادي، ونماذج السكان، وتسجيل قواعد اللغة السقطرية، وتدوين الفلكلور السقطري. وفي مختلف المراحل عمل في قوام الفريق الطبيب- الإنتروبولوجي ف.س. شينكارينكو، عالم الاثار أ.ف.سيدوف، والجيو مورفولوجي أ.أ. لوكاشوف. وفي موسكو شارك في بحث المواد التي تم جمعها أثناء العمل الميداني الأنثروبولجيين: غ.ل.خيت، أ.أ.زوبوف، ي.ك. تشيستوف. والعالم اللغوي ف.ي. بروخوموفسكي.

وفي عداد فريق البعثة، وفي مختلف المراحل، عمل الباحثون والمتدربون اليمنيون، الذين لم يألوا جهداً لضمان تنفيذ البرامج العلمية. وهؤلاء هم الباحثان في المركز اليمني للأبحاث الثقافية محمد كلدي وفضل سلموني. كما يعبر المؤلف عن عظيم امتنانه للمساعدات التي قدمتها له السلطة المحلية في سقطرى.

ويعتبر هذا الكتاب حصيلة الأبحاث التي تمت. ويعطي فن الحديث التاريخي- الإثنوغرافي إمكانية واسعة إلى حد ما للباحث، تسمح بوضع الأسئلة ومحاولة الإجابة عن كثير من القضايا التي سبق الإشارة إليها آنفا.

وهذا العمل هو الأول في مسلسل أبحاث المؤلف وزملاؤه في نتيجة عمل فريق البعثة العلمية اليمنية - السوفيتية، ومن المفترض أن يلحق هذا العمل في المستقبل كتابان، هما: "الحضرميون" و"المهريون".

فصول أقسام الكتاب تم تأليفها بصورة مشتركة مع كل من الزملاء: أ.ف.سيدوف، الفصل الرابع "الحفريات الأثرية"؛ وجزء من الفصل السابع "الزواج لدى السقطريين" مع ف.ي. بروخوموفسكي. والفصل الأول "طبيعة سقطرى وعبد الكوري" كتب بالاشتراك مع أ.أ. لوكاشوف. ويبدي المؤلف إمتنانه للمساعدة والمؤازة التي قدمها كل من: غ.م. بايرو، ب.. غريازنيفتش، إ.م. دياكونوف، أ.غ. لوندين، أ.ي. ميليتاريف، م.ب. بيوتروفسكي، م.أ. روديونوف، إ.م. شيفمان.

ومثل أية بحث، فإن هذا العمل استند إلى إنجازات السابقين. وكل المؤلفات عن سقطرى قد تم الإشارة إليها في فصول هذا الكتاب.

الصور المنشورة التقطتها عدسة المؤلف، أما الرسوم والبيانات فهي للمؤلف ولعالم الآثار الإنجليزي د.دُو.

الفصل الأول

طبيعة سقطرى وعبد الكوري

الفصل الأول

طبيعة سقطرى وعبد الكوري[1]

سقطرى وعبد الكوري، أكبر جزيرتَين مأهولتَين في أرخبيل سقطرى غير الكبير، الواقع في البحر العربي على بعد 105 – 370 كم إلى الشرق من رأس جفارد فوي (رأس عيد) في الشمال الشرقي للصومال، ينتمي الأرخبيل جغرافياً في الوقت الراهن لتخوم القارة الأفريقية ويعتبر دليلاً في ذات الوقت على وجود مجموعة (فلقات) للرصيف القاري الواحد سابقاً لأفريقيا والجزيرة العربية، وتنعكس بشدة في التركيب الجيولوجي لتضاريس الجزر الأحداث التكتونية والجغرافية المرتبطة بانفصال الجزيرة العربية عن القرن الأفريقي وتكوّن خليج عدن العميق، و ما زالت في شكل سطح الأرض في سقطرى صفات مميزة للعصور المطيرة سابقاً لبعض مناطق شرق أفريقيا والجنوب العربي.

وتكثر في سقطرى (وجزئياً في عبد الكوري) النباتات وعالم الحيوانات المستوطنة التي لا وجود لها في الأماكن الأخرى، وبفضل عزلتها القديمة عن جيرانها في القارتين وطبيعتها الفريدة حافظت سقطرى كثيراً على خصوصية الوسط الجغرافي المدهش لحياة الناس، بدءاً من عصر القرن الحجري وحتى الوقت الراهن.

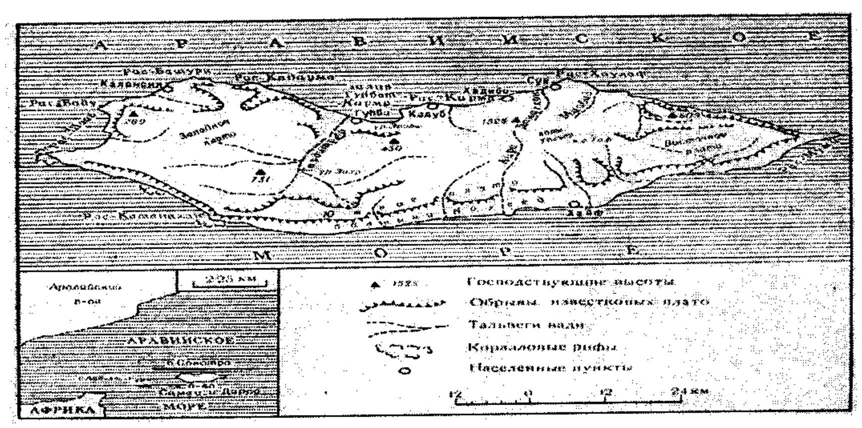
مساحة سقطرى حوالي 3650 كم2، وتمتد من الغرب إلى الشرق بنحو 135 كم، وعند العرض الأوسع 42 كم، وهي الجزيرة الأقصى شرق الأرخبيل الذي يحمل أسمها، يقع في طرفها الغربي رأس شعب، على بعد 235 كم من أقرب نقطة في الشاطئ الأفريقي، وتبلغ المسافة بين النتوء الشمالي الغربي للجزيرة (رأس با شوري) والشاطئ الجنوبي للجزيرة العربية (رأس فرتك) 345 كم.

أما جزيرة عبد الكوري فهي أصغر بكثير من سقطرى، يبلغ طولها 36 كم وعرضها 6 كم، ومساحة الجزيرة بحدود 150 كم^2، وتقع تقريباً في منتصف

---

[1] هذا الفصل كتبه المؤلف بمشاركة المرشح في العلوم الجغرافية أ.أ. لوكاشوف وترجمته بمشاركة المتخصص بالجيولوجيا الأستاذ أحمد يوسف حسين.

الطريق من سقطرى إلى ساحل الصومال، المسافة من الطرف الغربي لعبد الكوري أو رأس خيسة النوم إلى رأس جفارد فوي الصومالي تبلغ كلها فقط 105 كم، وهي تقريباً ذات المسافة من رأس انجرا في شمال الجزيرة إلى رأس شعب في سقطرى.



(رسم 1): خارطة سقطرى (مقاس 1:1200000).

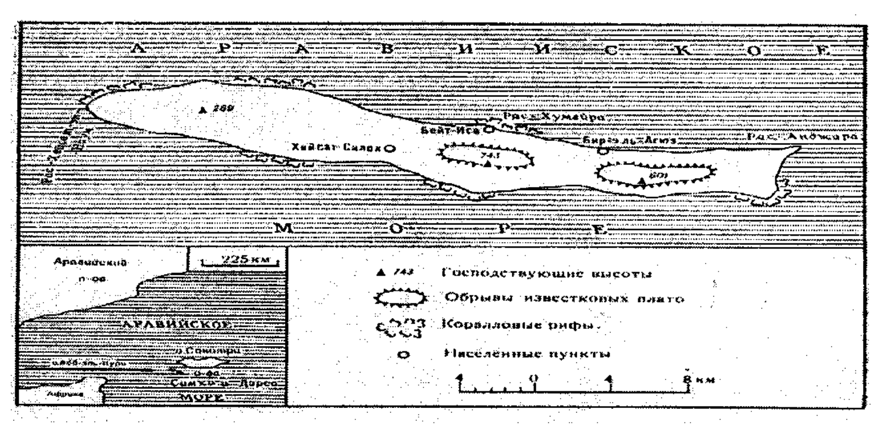
كلا الجزيرتان جبليتين، ولكن إذ كانت أعلى الأماكن في المجوعة الجبلية مجازاً في عبد الكوري، جبل صوملي وجبل صالح، يصل ارتفاعهما إلى 743، 601 متراً فوق مستوى سطح المحيط، فأن القمة الرئيسية في سقطرى في سلسلة جبال حجهر المجزأة بحدة ترتفع إلى مسافة 1525 متراً، وتسود في تضاريس سقطرى الوهاد والأودية المنحنية، ذات السطح التموجي مع مدى من الارتفاع التام من 300 – 900 متراً، وتمتد السهول المنخفضة (2- 8 كم) على طول الشاطئ الجنوبي وأجزاء من الشاطئ الشمالي، وكذلك قطع صغيرة في الغرب،

أكبر الأودية وادي تارديترير في الجزء الغربي من الجزيرة، وله تركيب معقداً أشبه ما يكون بالشجرة ويوجه المياه السطحية الموسمية لحوالي ثلث مساحة سقطرى في الاتجاه الشمالي الشرقي إلى ساحل خليج غبة كرمه، وفي جزيرة عبد الكوري فأن المجموعة الجبلية مجازاً ليست كبيرة من حيث الحجم، وتشغل الجبال المنخفضة الغليظة والمجزأة بشدة الجزء الكبير من السطح.

هناك علاقة واضحة بين الجزيرتين في تكوين السطح مع البناء الجيولوجي والتكتوني (الحركات الأرضية)، ففي الترابط الجيولوجي في كل من سقطرى وعبد الكوري تطورت تكوينات الصخور المتحولة والنارية التي تشكل صخور القاعدة مع غطاء رسوبي ضعيف التماسك يمثل غطاء القاعدة،

ويتطابق الوصف الجيولوجي لاحقاً مع وجهات نظر ز، بييدون، هـ. بيتشان بالنسبة لسقطرى [55] و ج. جريجوري بالنسبة لعبد الكوري [69].

تتكون الصخور المتحولة لقاعدتي الجزيرتين في الأساس من تكوينات الشست والنايس والأمفيبول، وكذلك الجرانيت والجابرو لعصور ما قبل الكمبري، وتحولت هذه التكوينات إلى طيّات معقدة ظهرت إلى السطح بشكل كبير في وديان الأطراف الغربية لسقطري، وتتجلى في رأس شعب ومدينة قلنسية، إلى الشرق من جبال حجهر، وتقريباً في جميع أنحاء عبد الكوري وفي أساس صخور جميع الجزر الأصغر في الأرخبيل، وفي سهل حديبو غير الكبير، شمال سقطرى، تراكمت تكوينات ضعيفة التحول من الصخور الطينية (الصلصال) والتوُف (ذات الأصل البركاني) أكثر تأخراً.



(رسم2): خارطة جزيرة عبدالكوري. (مقاس 1: 400000).

تكوّن الصخور النارية، التي تعود إلى الباليوزوي المبكر، عند ظهورها إلى السطح ما يشبه العقد الذي يشمل جبال حجهر في الجنوب، ويتركب التكوين المتعدد الطبقات للطفوح البركانية القديمة والطبقات الأقدم

لطبقات التوف في الأساس من انبعاثات بركانية متوسطة وحمضية التركيب، ولا وجود لآثار البراكين الحديثة المتزامنة مع براكين جنوب وغرب شبه الجزيرة العربية في أي من سقطرى أو عبد الكوري.

تخترق الصخور النارية العميقة تكوينات الصخور البركانية وحتى تكوينات الصخور المتحولة الأقدم عمراً، يلاحظ ذلك في تكوينات الجرانيت فوق القلوية لجبال حجهر التي تعتبر النواة المتبلرّه للنصف الشرقي لسقطرى، ولا يوجد الكثير من مثل هذه التراكيب الجبلية والصخور على سطح الأرض.

في عام 1881 م عُرف ولأول مرة اسم معدن الريبكيت القلوي المأخوذ من صخور سقطرى الجرانيتيه من قبل الجيولوجي الألماني إميل ريبك ونتيجة لذلك أصبحت صخور سقطرى وما شابهها من الصخور فوق القلوية الجرانيتية تُعرف باسم الجرانيت الريبكيتي، وفي بعض وديان سقطرى وعلى أجزاء من أطرافها الساحلية تبدو أجزاء صغيرة من الصخور الجرانيتية البيوتيتية المألوفة، وتتواجد بين الصخور النارية العميقة صخور الجابرو، منها حقل كبير تصل مساحته حتى 40 كم2 إلى الشمال الشرقي من كتلة تاف، وتتواجد التراكيب المتداخلة ذات التكوين المعدني المختلف بوفرة في صخور القاعدة الأساس لكل من سقطرى وعبد الكوري.

فوق السطح المستوي ترسبت بتنافر شديد صخور كبيرة السماكة من الصخور الرسوبية البحرية الضحلة، تمثلها في الأعلى الصخور الجيرية البيضاء وفي الأسفل الصخور الطينية الكربونية والصخور الرملية للعصر الطباشيري، وتظهر في الغالب في الأجزاء السفلية من مكاشف الصخور في أطراف هضبة سقطرى وكذلك على قمم شبه التلال لجزيرة عبد الكوري والأجزاء المأهولة مثل (سمحه و درسة)، وتبلغ طاقة السماكة الطباشيرية إلى الشرق من سقطرى 300 متراً، وتوجد في الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة عند رأس كدرمة وفي الصخور الجيرية المتبلرّة ويكثرة تراكيب كروية من الحديد والسيليكات.

يتكون الجزء العلوي لمقطع هضبة سقطرى، في الجزء الظاهر على السطح، من كتل من الصخور الجيرية الرمادية لأزمنة الباليوتسن والأيوتسن. وتبلغ سماكة هذه الصخور 400 متراً، وتلاحظ في بعض الأماكن طبقات سيليكاتية خاصة في الجزء الغربي للهضبة الشرقية.

في منخفضين غرب سقطرى، إلى الشمال والشمال الشرقي من جبال بيكسهام ومَطلّة، تبدو على شكل تلال منخفضة بقايا تكوينات قليلة السماكة من الصخور الجيرية شبه الطباشيرية والصخور الطينية الكلسية لزمن أوليجوتسن، ومن المحتمل لزمن الميوتسن السفلي، تبقى منها بسبب التعرية فقط حوالي 50 متراً.

أما تكوينات البليوتسن والرباعي في سقطرى وعبد الكوري فتتمثل بخليط، من حيث تركيبها وأصلها، من صخور قليلة السماكة تغطي بعض أجزاء منهما، وفي الأجزاء الوسطى من التضاريس توجد شبة طبقات من الكنجلوميرات والتراكيب الحصوية متماسكة بمواد من كربونات الكالسيوم، وكقاعدة فإن هذه الطبقات تستند على منحدرات هضاب الصخور الجيرية، وتبدأ أحياناً عند 100 – 150 متراً أسفل القمم (المنحدرات الشمالية لجبل مالي إلى الشرق من رأس بادو).

توجد في وديان سقطرى المنخفضة وفي أماكن مجرى السيول بين السلاسل الجبلية، وعلى نطاق واسع، تكوينات الرباعي من الحصى والجلاميد الصخرية، التي تعود في الأصل إلى ترسبات الوديان التي يتخللها الرمل، وهذه التكوينات في العادة لا تتعدى بضعة أمتار. على سبيل المثال، فأن طبقات الشرفات المترسبة في مدّرج وادي معابض (على بعد 13 كم إلى الشرق من حديبو) لا تزيد عن 4 أمتار.

تنتشر على أطراف الجزيرتين البحرية الساحلية وبشكل واسع ترسبات زمني البليتوسن والهولوسن مكونة شرفات بحرية من الدروع الحصوية والرملية البحرية تصل من 30 – 35 متراً تماسكت ببقايا المرجان والأصداف والرمل والصخور الجيرية للشرفات البحرية المنخفضة كما هو الحال في ساحل سقطرى وكذلك بفتات الصخور الجيرية والرمل للشرفات البحرية المنخفضة كما في عبد الكوري [28].

وعلى شواطئ سقطرى وعبد الكوري تتوضع الرسوبيات الرملية الريحية، وقد ميز أ.أ.سفيتوتش[30] نوعين من التكوينات: الأقدم (بليستوسن الأعلى) ويتألف من الرمل المثبت بالكربونات حتى غدا صخوراً رملية مختلفة الحبيبات، تراكمت منذ أكثر من 30 ألف سنة عندما كان مستوى سطح البحر منخفضاً. والأحدث (هولوسن والحديث) ويتكون من كثبان رملية

ساحلية وكذلك كثبان تغطي بعض المرتفعات الصخرية في الجزيرتين، وفي بعض الحالات (كما هو إلى الشرق من مصب وادي سوق) ترتفع الكثبان الرملية لتغطي الجبال الساحلية حتى ارتفاع 360 متراً فوق سطح البحر.

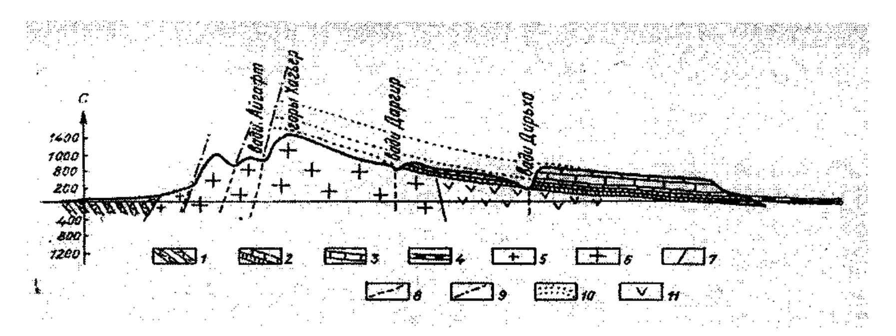
هناك طريقتان للربط بين التضاريس والتركيب الجيولوجي للجزيرتين، فمن جهة تُحدد خصوصية التضاريس بواسطة مجموعة من الصخور. هناك هضاب واسعة فوق توضعات الطباشيري الهادئة الانحدار في عبد الكوري وتوضعات البليوسن على جزيرة سقطرى من الأحجار الجيرية، والاندفاعات الجبلية المرتفعة من الجرانيت في جبال حجهر والنتوءات الجرانيتية الصغيرة البارزة إلى الجنوب من حديبو والى الشرق من قلنسية، وهناك غطاء صخري على الديوريت مغطى بكثافة ومختلط مع الدايك (القواطع) في الأجزاء الشمالية الساحلية لعبد الكوري وسطوح مختلفة من الشرفات النهرية والبحرية.

النموذج الآخر للترابط بين التضاريس والتركيب الجيولوجي للأرخبيل ينحصر في هذه الصورة أو تلك في تضاريس التراكيب التكتونية الصغيرة أو في عناصرها. ويعتبر تقسيم الأرخبيل والمياه المحيطه والمضايق والمصاطب إنعاكساً لتهدم الجرف القديم، وقد تحددت تراكيب وملامح سطح سقطرى بفعل ثلاثة تقوسات مرتفعة الأكبر منها يصل إلى 30 كم طولاً من الشرق إلى الغرب وأكثر من 18 كم عرضاً وتضم في مجموعها مرتفعات حجهر.

وعلى الرغم أن جبال حجهر ترتفع إلى 1500متراً، إلاّ أن تضاريس الجزيرة لا تتوافق مع مدى نهوضها التكتوني، وتهدّم وتعرّى الجرانيت الريبيكيتي وما كوّنه من تضاريس بارزه بعد أن جرُفت ما فوقه من طبقات رسوبية كربونية لعصري الطباشيري والباليوجن والتي تقدر سماكتها 600 متراً وهي التي كونت في الأساس مرتفعات حجهر، ولم يتبق منها سوى في الأطراف الخارجية. وتنتهي هضاب الصخور الجيرية التي تواجه وتحيط بهذه المرتفعات من الغرب والجنوب والشرق بحافات منقطعة بزاوية شبه قائمة وترتفع لعدة مئات من الأمتار.

إن ارتفاع جبال حجهر ليس متناسقاً، ففي جنوبها وشرقها وغربها ينحدر تدريجيا بأقل من خمس درجات، بينما ينحدر بشده من الناحية الشمالية حتى 15 درجة، ومن المحتمل أن الركام الصخري تشكل نتيجة لعدة انزلاقات

أرضية لكتل صغيرة في اتجاه سهل حديبو، وهذه الكتل الجرانيتية والحافات الحادة للأخاديد والوديان العميقة والنتوءات البارزة ترتبط بشكل وثيق بنظام التعرية المتصل بتشقق تكتوني حاد الزوايا في اتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي. والى الجنوب والجنوب الشرقي تحاط (نواة) الصخور الجرانيتية لمرتفعات حجهر بشريط يبلغ عرضه أكثر من 8 كم من تلال التعرية المنخفضة والتي تمثل صخور انبثاقات بركانية قديمة، ومثال ذلك حوض وادي حاصن والوديان المجاورة.



(رسم3): مخطط جيولووجي-جيومورفولوجي لسقطرى، على طول خط جبال حجهر

يوجد ارتفاعان آخران في الجزء الغربي لسقطرى، في منطقة رأس شعب ومدينة قلنسية. ولم يتبق من هذين الارتفاعين سوى انصفاهما الشرقية، بينما انخفضت الأجزاء الغربية بفعل التشققات تحت مستوى البحر.

نتج عن تعرية هذه الانحناءات أحزمة من السهول المنخفضة تُحاط بحافات تصل إلى 400- 700 متراً من هضاب الصخور الجيرية. وفي أطار هذه الهضاب تكون واديان يتجهان غربا وهذا ما يميزهما عن باقي وديان الجزيرة، و نتكشف على جانبي الواديين وفي قاعيهما الكثير من الصخور التي يصل رتفاعها بين 40 – 60 متراً تطابق أجسام من الصخور الجرانيتية في حقول من الصخور المتحولة.

القسم الأكبر من سقطرى، كما سبق الإشارة، عبارة عن هضاب متموجة تكون فوق صخور القاعدة سطحاً من الصخور الجيرية. وتتخذ في بعض المواقع تركيباً متدرجا بفعل الصدوع التكتونية، ويتضح ذلك جلياً بشكل خاص في

الجنوب الغربي من سقطرى، بالقرب من قمم بسكهمهام ومطلّه وبمحاذاة الساحل الشمالي، من قرية قاضب وحتى رأس هيج. وتنحدر بشدة حافات الهضاب على شكل هاوية بارتفاعات تقدر بمئات الأمتار. ويبدو واضحاً في أطار سطح الهضبة تأثير عمليات التعرية، وهذا يؤكد امتصاص كميات كبيرة من مياه الأمطار بواسطة الصخور الجيرية النفّاذة والقابلة للذوبان، ليس مألوفا تكون حفر الذوبان وتتمثل في بعض الأماكن بالكهوف والمغارات التي تكونت أفقيا في الحافات الخارجية للهضبة مثل الكهف الذي يقع على بعد 3,8 كم شمال غرب قرية حيف أو في أماكن أخرى بواسطة الانحدارات الصخرية في وديان التعرية مثل الانحدار الشمالي لوادي ديقلهم في الهضبة الشرقية، وكذلك أخدود الرافد السفلي الأيسر لوادي تارديترير في الهضبة الغربية وغير ذلك.

بمحاذاة الساحل الجنوبي لسقطرى، من رأس قطنهن وحتى القسم الواقع إلى الشرق من مدخل وادي حاصن بحوالي 10كم، يمتد السهل الساحلي (نوجد) الضيق نسبياً بطول 75 كم وعرض 6 كم، ويحد السهل من الشمال تقريباً هاوية على شكل حائط من الصخور الجيرية بارتفاع 300 – 400 متراً. وخدّت حوافه فقط من ستة أماكن بواسطة أخاديد الوديان العميقة التي تتجه جنوباً. وتوجد أكبر تلك الأخاديد في وادي عَيْرَهْ ووادي حاصن. وقد غمرت الطمى والحصى والمراوح النهرية لهذه الوديان، والتي مصدرها في الغالب الأجزاء الجنوبية لمرتفعات حجهر، غمرت برسوبيات بحرية من الصخور الجيرية الأحدث تكويناً للشرفات الساحلية تصل سماكتها بين 5 – 7 أمتار.

على معظم مساحة هذه الهضبة الساحلية الجنوبية، أو نوجد، التي تتكون من تسلسل من الشرفات البحرية بارتفاعات من 5 – 40 متراً، هناك غطاء خفيف من الطمي الشفاف مخلوطاً بالرسوبيات البحرية. وبمحاذاة الساحل تقريباً بـ50 متراً من حد المياه هناك كثبان رملية يصل ارتفاعها إلى 10 أمتار، وتحجب الرمال المتحركة التي تهب من الساحل جزئياً الشرفات البحرية والتجمعات الرسوبية الحديثة التي يكونها الإعصار. وتمتد النجود أيضاً إلى أن تصل المياه على طول الساحل الجنوبي لسقطرى، مثلاً في فتحة وادي عيره لا يصل عمق المياه إلى 40 متراً إلاّ على مسافة 14 كم من

اليابسة، ويعتبر زيادة تدريجية جداً في العمق. وبالفعل فأن عمق المياه وعلى طول كل النجود لا يزيد عن 50 متراً على مسافة 15 كم من الساحل.

في شمال سقطرى فأن الهاوية التي تشكلها الصخور الجيرية للهضبة المرتفعة تقترب من الساحل في أماكن مثل رأس كدرمة ورأس الأحمر ورأس دي حمري وغيرها، وأحياناً تتراجع إلى مسافة 3 – 8 كم، وإلى الجنوب والجنوب الشرقي من حديبو تختفي الهضاب الجيرية، ويرتفع فوق السهول الساحلية بحوالي واحد كيلومتر الجناح الشمالي لكتل جرانيت حجهر والمنحدر بشدة. ويفسر التركيب التضاريسي المماثل للجزء الشمالي من الجزيرة من خلال الانزلاق التكتوني والجاذبية لسلسلة من الكتل الصغيرة والتأثير اللاحق للتعرية على هذه الأجزاء المنزلقة. ويمكن تأكيد ذلك في سهل عريوش المنخفض الذي توضّعت فيه صخور جيرية شبه أفقية لزمن الأيوسن والتي تعلوها في بعض الأماكن رسوبيات الشرفات البحرية بسماكة 5- 7 أمتار، وفي أماكن أخرى، مثل محيط قرية غبّة، تقترب من الساحل بشكل مسطح صلب ينتهي بحافة مفاجئة تصل سماكة الصخور إلى 10 أمتار.

وعلى ما يبدو فأن أكبر السهول في الساحل الشمالي لسقطرى، والذي يضم عريوش وموري ومنطقة رأس كرمه يعود تكوينه إلى سطح مغمور لكتلة تكتونية. وإلى الشرق تقع عدة مساحات سهلية أصغر بما في ذلك سهل حديبو الذي يرجع تكوينه إلى فعل الجاذبية الأرضية ورواسب الجت. وتوجد هنا شبكة من رواسب الشرفات البحرية ورواسب شرفات الوديان التي تعود في الأصل إلى صخور القاعدة البلورية.

يعكس عمق البحر على سواحل سقطرى الشمالية التركيب المعقد للكتل الصخورية المغمورة بالمقارنة مع الجنوب. وفي الجزء الغربي للساحل الشمالي فأن عمق مياه البحر على بعد 4–5 كم تبلغ من1,5 – 2 كم بين رأس باشوري وراس كدرمة، وبالابتعاد شرقاً يقل العمق إلى ما دون 100 متر، وفي مقطع رأس كرمة يتراوح عمق المياه بين 35- 40 متراً، على بعد 14 كم من الساحل ويزداد فقط إلى 1600 متراً عند مسافة 22 كم من خط الساحل.

وفي مقطع حديبو فأن الرف يمتد إلى 16 كم وبعمق أقل من 100 متر، ومن الواضح أن سطوح الكتل المنزلقة بفعل الجاذبية الأرضية تتعمق تحت

حدود الساحل على امتداد الطريق من رأس الأحمر إلى رأس حولف، وعند السواحل الشمالية فأن الرف القاري يختفي تقريباً ومن جديد يصبح البحر أعمق كما في منطقة رأس دي حمري حيث يصل العمق 100 متراً، وأكثر من ذلك سجل على مسافة 4 – 5 كم من الساحل.

لاحظ ف.ن.كوسمينين انه على عمق 30 – 40 متراً على طول ساحل سقطرى تبدو مؤشرات تؤكد أن ازدهار مستعمرات الشعب المرجانية كانت أكبر بكثير مما هي عليه الآن، ومن المحتمل ان زيادة مستوى سطح البحر وما تحمله الوديان من فتات صخري إلى البحر وبكميات هائلة قد أعاق نمو المستعمرات المرجانية. وهذا ما يفسر نموها عند السواحل الجنوبية الغربية لسقطرى بين رأس شعب وراس قطنهان في الأماكن التي لا توجد فيها مصبات أودية على البحر[21]. ومن الطبيعي أن أكثر الشعاب المرجانية ازدهاراً وجدت على سواحل الجزر غير المائية تقريباً، درسة وعبد الكوري.

-المناخ-

يحدد مناخ سقطرى وعبد الكوري، قبل كل شيء، بتفاعل التيارات الهوائية لآسيا والمحيط الهندي. وتقع الجزيرتان في أطراف القسم الشمالي للحزام المداري عند حدوده مع الحزام شبه الاستوائي. والمناخ بشكل عام مداري، حار وجاف، ويتراوح متوسط حرارة الجو بين24 درجة مئوية في يناير إلى 28 درجة مئوية في يوليو، بينما يبلغ متوسط الإشعاع الشمسي 200 كيلوكالوري للسنتيمتر المربع (للمقارنة في موسكو 95 كيلوكالوري)، وبمفهوم التوازن الإشعاعي تشير الأرقام المسجلة إلى 140 كيلوكالوري في السنة، وهو ما يساوي الأرقام المسجلة عند السواحل الشمالية الغربية لأستراليا. وكمية الأمطار السنوية التي تسقط على سواحل سقطرى 193 ملم. بيد أنها تبدأ في المناطق الجبلية للجزيرتين بارتفاع 200 متراً فوق مستوى سطح المحيط، بحكم طبيعة الغطاء النباتي والمشاهدة المباشرة فأن كمية الأمطار تزيد بشكل

ملحوظ إلى حوالي 300 ملم سنوياً وترتفع في جبال حجهر أكثر من ذلك، ويتجاوز التبخر 2000 ملم.

تنتج الدورة الموسمية في جزيرة سقطرى تغيرات منتظمة على اتجاه الرياح السائدة. وفي فصل الشتاء تنتج الرياح الموسمية الشمالية الشرقية من تأثير الضغط العالي على قارة آسيا. ولذلك فأن الرياح السائدة من أواخر أكتوبر إلى إبريل تهب من السواحل الشمالية والشمالية الشرقية للبحر العربي وهي رياح معتدلة (4 – 5 عقدة). وفي نهاية أكتوبر إلى ديسمبر تتولد في وسط البحر العربي أحياناً أعاصير مدارية تهب من الشرق ويمكن أن تتأثر بها سقطرى.

في نهاية أبريل يحدث تغير مفاجئ في حالة المناخ: نتيجة للتغيرات الجذرية في مناطق الضغط فوق قارة آسيا والمحيط، يبدأ موسم الرياح الجنوبية الغربية. وتهب الرياح من سواحل الصومال بقوة تصل إلى 6 – 7 عقدة، من مايو وحتى مطلع أكتوبر. وفي يونيو ويوليو وعلى الأخص في أغسطس تهب رياح عاتية تزيد قوتها عن 7 عقد، تسجل في 20 – 40 ٪ من مراصد المراقبة. ومن نهاية ابريل إلى يونيو تتعرض سقطرى لأعاصير مدارية عنيفة. وفي الربيع والصيف، يصعب على القوارب والسفن الاقتراب أو الرسو عند سواحل الجزيرتين بسبب ارتفاع مياه البحر.

تترواح درجة حرارة سطح الماء عند شواطئ سقطرى وعبد الكوري من 23 – 24 درجة مئوية (يوليو- اغسطس)، و 25 درجة مئوية (ديسمبر – فبراير)، وحتى 29 درجة مئوية (مايو). وفي نهاية الصيف، من يوليو إلى سبتمبر فقط، فأن مياه البحر عند شواطئ سقطرى تكون أبرد إلى حد ما من حرارة الجو، وهذا مرتبط بصعود المياه الباردة العميقة على الأطراف الساحلية لتيار الصومال الصيفي الذي تبلغ سرعته عند شواطئ كينيا والصومال وسقطرى أكثر من 1,5 عقدة، ويضعف إلى الشرق من سقطرى، ويسخن وتقل سرعته إلى 0,5 عقدة ويدفع كتل المياه إلى شواطئ الهند ويسمى عند ذلك بالتيار الموسمي. في الصيف يمكن رصد تيار آخر إلى حد ما أضعف من التيار الصومالي آت من خليج عدن باتجاه الشواطئ الشمالية للبحر العربي. وفي مضايق الأرخبيل تتجه التيارات الصيفية من الجنوب إلى الشمال، وفي الشتاء

يسود التيار الدافئ في نفس المنطقة باتجاه الجنوب الغربي بسرعة 0,5 - 1 عقدة، وعلى الرغم من ذلك يتحرك الماء من الجنوب إلى الشمال في المضايق بين سقطرى ورأس جفارد فوي حتى في الشتاء، بسبب اختلاف سرعة التيارات إلى الجنوب والشمال من الأرخبيل.

- التربة والمياه -

إن المناخ الجاف والحار وتساقط الأمطار غير المنتظم يشكل مياه سطحية جارية مؤقتة في كل الأماكن تقريباً. وغالبية أودية سقطرى وعبد الكوري أودية جافة، تتدفق فيها السيول موسمياً، بينما قد لا تهطل الأمطار على البعض منها في بعض السنين.

والحالة مختلفة تماماً على حافات ومنحدرات جبال حجهر. هنا حيث الأمطار المنتظمة توجد عدة ينابيع تغذيها المياه الجوفية وتسيل لمسافة عدة كيلومترات في وديان مثل: وادي داناغهون، ووادي داساكيلو، ووادي شعب.

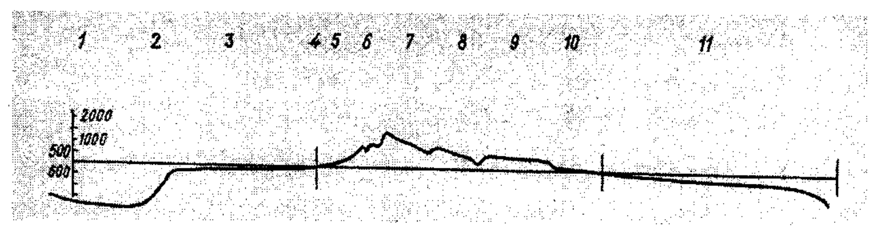
وخارج إطار مرتفعات حجهر يوجد أيضاً عدد قليل من الينابيع. وتقريباً لا وجود للينابيع في جزيرة عبد الكوري. وعلى مقربة من قرية قيسو جنوب مدينة قلنيسة يوجد مثال جيد للينابيع التشققية، ومع ذلك فأن حجم المياه المتدفقة من الشقوق لا يزيد في العادة عن 5 لتر في الثانية ويمكن لهذا الحجم أن يزيد لأضعاف عده بعد هطول الأمطار.

وفي الجنوب الغربي لسقطرى، هناك ينبوع اسطواني على واحدة من هضاب الصخور الجيرية

المتشققة، وآخر خارج حدود قرية غبه في الشاطئ الشمالي (سهل إريوش)، وهذا الأخير يكون بحيرة دائرية قطرها حوالي 30 متراً وبعمق عشرات الأمتار، وتبعد عن الشاطئ بحوالي 300 متراً ويتدفق الينبوع من مستوى منخفض عن مستوى سطح البحر وهذا ما يفسر ملوحة مياه البحيرة.

يوجد احتياطي من المياه الجوفية قليلة الملوحة في توضُّعات الشرفات التي تتراوح سماكتها من 5 – 7 أمتار في السهول المنخفضة للجزيرتين، ويستفاد منها بواسطة الآبار، ويتطابق مستوى سطح هذه المياه مع مستوى سطح مياه المستنقعات الصغيرة عند مصبات بعض الوديان على ساحل سقطرى مثل:

حانيفو على أطراف حديبو، داناغهون، سوق، قرية، مطوف، قلنسية ومجهولة الاسم جنوب رأس بادو، ويمكن أن توجد طبقات على عمق أكثر غنية نسبياً بالمياه، أسفل صخور الغطاء الرسوبي للهضاب الشاسعة في الأجزاء الشرقية و الوسطى والغربية لسقطرى.



رسم 4 هيسبومتر القطاع الجانبي لسقطرى.

إن شح الإمطار عموماً في سقطرى وبشكل خاص في عبد الكوري يترافق مع محدودية تكون التربة. و في الوقت نفسه فأن الطبيعة الجبلية للجزيرتين والتوزيع غير المتساوي لرطوبة الجو على مختلف المناطق والاختلاف الجيولوجي والصخري والمياه كل ذلك تسبب في التعقيدات في غطاء التربة والتباين في بعض الأماكن.

في الجبال ومرتفعات الهضاب تشغل المساحة الأكبر مكاشف صخور فقيرة التربة أو معدومة. وفي السهول الساحلية في كلا الجزيرتين هناك تربة ملحية. وفي أحزمة السهول وعلى أقدام المنحدرات الجبلية حيث الرطوبة الكافية تكونت تربة حمراء – بنية اللون تتميز بها المناطق شبه الجافة: ومثل هذا النوع من التربة تتميز به الأنصاف الجنوبية من أرتيريا والصومال اللذان يعتبران جزءاً من تربة الإقليم الإثيوبي الصومالي لتربة القطاع المداري الأفريقي للسافانا- سيروفيتني.

الطبقة العلوية الغنية بالمواد العضوية لهذه التربة الحمراء البنية رقيقة لا تزيد عن 20 سم ورمادية جزئياً ذات تركيب هش، وبالتعمق إلى الأسفل تتحول إلى رمادية حمراء، وفي حدود العمق 40 – 60 سم من السطح يصبح لونها برتقالياً.

الفصل الثاني

سقطرى: صفحات التاريخ

الفصل الثاني

سقطرى: صفحات التاريخ

عُرفت سقطرى منذ الأزمنة القديمة جدا، ومع ذلك يظل من غير المعروف متى ومن كان أول مستوطن لها. حتى الآن لم يجازف أحد من الباحثين في تحديد زمن فاصل للاستيطان الأول أبعد من عصر الدول اليمنية القديمة. أمثال هؤلاء الضليعون بالتاريخ القديم للمنطقة، مثل عالم الآثار الإنجليزي د. دو، ب. بوكسهول، يعتقدون ان الإنسان استوطن الجزيرة من أجل جمع البخور، حينما كان "ذهب الشرق "، ومع القرن الرابع الميلادي، حينما قل الإقبال على البخور، فأن سكان الجزيرة الذين انطبقت عليهم حتى ذلك الحين صفة الأصليين أصبحوا يعتمدون بالكامل على تربية الماشية وصيد الأسماك، الأمر الذي أدى إلى انحطاط درجة التطور الاجتماعي والاقتصادي[66].

ما يؤكد احتمال استيطان سقطرى من قبل سكان الجزيرة العربية، أن العرب القدماء كانوا بحارة ماهرين، ومع ذلك فان الإبحار في المنطقة كما تبين الدراسات الجديدة التي تتناول بالتحليل التفصيلي كل البراهين المتوفرة، كان على الأرجح أكثر قدما من حضارة الجنوب العربي.

ليس من مهمتنا الدراسة التفصيلية لهذه المسألة ونلفت انتباه القاري إلى دراسة ت.ا.شوموفسكي " العرب والبحر"[47]التي تؤكد الغزو المبكر جدا لحوض المحيط الهندي من قبل البحارة، ونذكر في هذا الصدد أنه ربما مع القرن الثالث قبل الميلاد وجدت صلات بحرية بين بلاد الرافدين من ناحية و دملون (البحرين)، مجان (عمان)، و ملوحة من ناحية أخرى[47ص20].

اضطلع الهنود والعرب والمصريون بنشاط في السيطرة على فضاءات المحيط، ومع منتصف القرن الأول قبل الميلاد كان العرب الجنوبيون، كما هو معروف جيدا، قد امتلكوا موانئهم على الساحل ومارسوا التجارة البحرية بيد أننا لا نعرف إلاّ القليل عن الأزمنة الأكثّر قدما. ويمكن التخمين فقط في مسألة الصلات الممكنة بين العرب (قبل نشؤ الحضارات اليمنية القديمة وكذا في

القرن الأول لوجودها) والهنود أو على سبيل المثال مع الملاويين والبولينيزيين[47ص 34 عن هجرات الأندونوسيين].

في القرن الأول قبل الميلاد كانت سقطرى خاضعة للتجار العرب الجنوبيين. وفي منتصف ذلك القرن كانت ذات أهمية قصوى في تجارة الترانزيت، وأطلق عليها الهنود "دوفية سكحدار" وتعني بالسنسكريتية (جزيرة النعيم).

لقد شكلت سقطرى مع الجنوب العربي المنطقة التي عرفت في العالم بـ "بلاد البخور" وذلك حينما كان البخور واحدة من أكثر البضائع النفيسة واستهلك بكميات كبيرة جدا، إذا أحرق الكهنة الكلدانيون من البخور كل عام أمام معبد بعل ما مقداره عشرة آلاف تالانت[1]، وفي أورشليم (القدس) شيدت عنابر ضخمة لحفظ هذه الهدايا - قرابين الآلهة، وفي اليونان أحرق البخور في كل مكان على شرف زيفيس[2]، وإلى روما جاءت بانتظام السفن المحملة بالبخور والطيوب من الجزيرة العربية.

ذكر هيرودوت[3] (القرن الخامس قبل الميلاد) :"أن بلاد العرب هي الموطن الوحيد للبخور والمر والقيصعة (خيار شنبر) والقرفة (الدارصين) واللادن، وكل هذه الطيوب، باستثناء المر، ينتجها العرب بصعوبة، فللحصول على اللبان الذي يصدر إلى بلاد الفينيقيين يحرقون تحت أشجاره صمغ (الميعة) وبإحراقه يحصلون على البخور، وتحرس الأشجار التي تعطي البخور أفاعي مجنحة صغيرة الحجم، متعددة الألوان، تتزاحم في كثير من الأماكن حول الشجرة". وللحصول على القصيعة، على سبيل المثال "يلبس العرب على أبدانهم ووجوههم جلود الثيران والماعز".. "وتنبت القصيعة في بحيرات قليلة العمق، تعيش بالقرب منها حيوانات ذات أجنحة كالخفافيش " وتشابه البشر، ويقوم العرب يطردها ويتقدمون لجني القصيعة.

ويجنون القرفة أيضا "بطريقة عجيبة حيث تجلب طيور كبيرة عيدان جافة يسميها الفينيقيون القرفة، والطريقة التي ابتدعها العرب للحصول على عيدان القرفة هي أنهم يقطعون جثث الثيران الميتة والحمير وسائر مطايا

---

1 - طالانت وحدة وزن كانت منتشرة لدى اليونانين والبابليين والفينقيين والواحدة منها في اليونان القديمة = 2,26 كغم (المترجم).

2 - زيفيس: رب الآلهة والناس لدى الاغريق "اليونانين القدماء" – (المترجم).

3 - هيرود وت:"بحدود 484 – 425 ق. م" مؤرخ اغريقي لقب بأب التاريخ. (المترجم)

الحمل الأخرى إلى قطع كبيرة نسبياً ويحملونها إلى الاماكن القريبة من الأعشاش ثم ينسحبون إلى مسافة بعيدة فتأتي الطيور وتحمل قطع اللحم إلى أعشاشها، لكن الأعشاش لا تتحمل ثقلها فتتداعى وتتدحرج منها عيدان القرفة فيجمعها العرب ويصدرونها إلى الخارج".

"كما يستخرج العرب اللادن الذي يسمونه (اللادنم) بطريقة مدهشة جدا، وهو ذو رائحة عطرة خلابة رغم انه يوجد في موضع كريه جدا، ذلك انه يلتصق كمادة غروية بلحى التيوس التي ترعى في الإحراج ويستعمل اللادن كمادة أساسية في عمل أصناف كثيرة من العطور وهو يحرق عند العرب كبخور"[9، ص 171 – 173].

اعتبر البخور مقدسا، وفيه، حسب الروايات، مات طائر العنقاء، كما استخدمه الناس للطهارة الدينية، وعلى سبيل المثال، تحدث المؤرخ الروماني الكبير عن الطبيعة المقدسة للبخور، فذكر أن موسم جمع البخور يبتدئ فقط بعد الحصول على فأل طيب كإشارة من عند الرب، وكان لزاما على أرباب مزارع البخور وقت الموسم تجنب الاقتراب من المرأة وزيارة الجنازات.

ولا يعرف إلاّ القليل عن استعمال البخور في الجزيرة العربية ما قبل الإسلام، لكن البخور وجد في بقايا هياكل الأصنام الوثنية التي عبدها العرب مثل اللات في الطائف. ونعرف من النقوش اليمنية القديمة أن البخور استخدم هنا لمعرفة رضا الآلهة وعدم اعتراضها على هذا العمل أو ذاك (مثلاً عند تشييد البيت) أو لحماية الموتى من الأرواح الشريرة (الشياطين) إذ كانوا يضعون المبخرة مع البخور بجانب القبر.

في كثير من الحكايات الشرقية اشتهر طائر العنقاء المقدس عند الفينيقيين، وحسب تصوراتهم فان هذا الطائر كان يعيش حوالي (500-600 سنة) وعند اقتراب الموت يطير إلى مدينة الشمس (هليبولس) في مصر وحسب اعتقادهم فانه طار من جزيرة سقطرى.

كتب بليني[1] عن طائر العنقاء:" هذا طائر عربي بحجم النسر، حول عنقه ريش في غاية الروعة، وجسمه بالكامل أرجواني اللون، عدا ذيله فأنه لازوردي اللون، وتتداخل مع الريش مسحات وردية، ويزدان العنق بعرف، والرأس بذؤابة

---

1 بليني: (23079م) عالم ومؤرخ روماني، كتب " التاريخ الطبيعي " وهي موسوعة في 37 كتاباً.(المترجم)

من الريش، وهو يكرس نفسه لعبادة الشمس، وعندما يتقدم به العمر يقوم ببناء عشه من أعواد القرفة وأغصان البخور ذات الروائح الزكية التي تملأه بالعبير وتمده بالشذى العطري، ثم يضطجع مستلقياً بجسده مستسلماً للموت. ومن عظامه ودماغه ونخاعه العظمي تنبت دودة صغيرة تنمو وتتحول بدورها إلى طائر صغير، وأول ما يقوم به هو تشييع جنازة سلفه فيحمل العش جميعه إلى مدينة الشمس...وهناك يضعه في المعبد المقدس، وتستكمل دورة السنة العظيمة من حياة هذا الطائر، وتأتي دورة جديدة مرة أخرى كسابقتها حسب المواسم وظهور النجوم"]76،×،3 - 5].

وعن العنقاء كتب المورخ هيرودوت، ويؤكد انه لم يشاهد العنقاء حية إذ أنها قلما تطير إلى مصر "يقال في مدينة شمس إن ذلك يتم مرة واحدة فقط كل 500 عام.. يطير طائر العنقاء فقط عند موت والده، وإن كانت صورته حقيقة فعلا، فأن الشكل الخارجي لهذا الطائر وحجمه يكونان هكذا: ريشه ذهبي اللون جزئيا، مع احمرار بعض الشيء، وهو بمظهره وحجمه قريب الشبه من النسر، وهاكم ما يروونه عنه (رغم أن هذه الحكاية كما يبدو لي غير محتملة الوقوع) فهم يزعمون أن طائر العنقاء يطير من الجزيرة العربية حاملا معه جسد الأب المدهون بالمر إلى معبد هيليوس[1] حيث يتم دفنه، أما طريقة حمله للأب، فيقوم في البداية بعمل بيضة كبيرة من المر يكون بمقدوره حملها ويجرب كيفية حملها وبعد أجراء الاختبار يثقب طائر العنقاء البيضة ويضع فيها جسد الأب ثم يسد الفتحة المثقوبة من حيث أدخل جسد الأب بالمر مرة أخرى وتغدو البيضة بذلك ثقيلة، وعندها يحمل الطائر البيضة معه إلى مصر، إلى معبد هيليوس، هذا هو ما يقوم به طائر العنقاء حسب الرواية"]9، ص 102].

ويمكن ان تنعكس التصورات عن سقطرى في الأساطير عن الجزيرة الغامضة واق الواق، التي تحمل مكانة كبيرة في الفلكلور العربي. وإذا قارنا ما كتبه ديودروس الصقلي[2] عن جزيرة بانتشيه حيث يمزج المعلومات الصحيحة بالأساطير، فيمكن أن تبرز بعض الصفات التي تقربها من سقطرى، فالجزيرة

1- هيليوس: آلهة الشمس في الأساطير الإغريقية القديمة. (المترجم)

2- ديودروس الصقلي: (بحدود 90-21ق.م) مؤرخ العصر الهيليني، مؤلف "المكتبة التاريخية ". (المترجم).

حسب كلمات ديودروس (كما قال شارحوه) زودت العالم القديم باللبان والبخور وغير ذلك من النباتات العطرية وقد باع سكانها للعرب في اليابسة البخور وهؤلاء بدورهم صدروه إلى مصر وسوريا وبلدان أخرى.

سكنت الجزيرة أربع جماعات من الناس: السكان الأصليون، الإغريق، الهنود والعرب، وكان بينهم الرعاة، المزارعون، المحاربون، الحرفيون والكهنة (ومن البديهي التجار أيضا الذين تاجروا بالبخور) هكذا كان حال الجزيرة في القرن الأول قبل الميلاد.

من الطبيعي الحدس أن السقطريين الذين تاجروا بالبخور النفيس كانوا أغنياء، وهذا يتوافق تماما مع البراهين التي تفيد أن المصريين استوردوا الذهب وغيره من الأخشاب الثمينة من سقطرى ومثل هذه البضائع كان يمكن استيرادها إلى هنا قبل ذلك من اليمن مبادلة بالبخور (مع ذلك فهذا مشكوك فيه، لأنه كان في اليمن ما يكفي من الطيوب). ويذكر ديودروس معلومات عن معبد يوبيتر[1] الذي كان في الجزيرة والمزدان بمجوعات الأعمدة والتماثيل الجميلة.

كتب يوهيمرس من مسينا (نهاية القرن الرابع – مطلع القرن الثالث ق – م)، مؤلف الطوباوية الفلسفية "التاريخ المقدس " الذي وصل إلينا من خلال اقتباسات ديودروس، كتب أنه أثناء سفره وجد نفسه في جزيرة بانتشه، الواقعة غير بعيد عن شاطئ الهند، وكانت تسود فيها المساواة وتنعدم الملكية الخاصة، ويزعمون انه كان يوجد في واحدة من الجزر الواقعة هناك معبد زيفيس تريفيلي مكتوباً عليه:" ديانيا أورانا، كرونوسا وزيفيس [7،ص28، 30].

في القرن الأول قبل الميلاد، كتب عن سقطرى تاجر إغريقي من مصر، مجهول الاسم، مؤلف الإرشاد الملاحي المسمى "الطواف حول البحر الارتيري" تحدث فيه عن خليط التجار، الذين استوطنوا الشاطئ الشمالي للجزيرة فقط، لكنه لم يتحدث بشيء عن السكان الأصليين، وفي الحقيقة، طالما أن مؤلف "الطواف" قد أطلق على هؤلاء المستوطنين "الغرباء" فيمكننا الاستنتاج أنه قد كان في الجزيرة أيضاً سكان أصليون. ومن الجائز تماما أن السكان الأصليين قبل ألفي سنة قد عاشوا في جبال سقطرى كما هو عليه الحال الآن

1- يوبيتر: رب الآلهة والناس عند الرومان، يقابله زيفيس عند الإغريق. (المترجم)

في الكهوف والمساكن المؤلفة من الحجارة ومارسوا بصورة رئيسية الرعي، ولم يعرف عن وجودهم المستوطنون من الإغريق والتجار الهنود، وهذا ما نجد أثباتا جزئيا له فيما ذكره ديودروس الصقلي: عدا التجار المستوطنين الغرباء عاش في الجزيرة (السكان الأصليون لهذه البلاد).

في حدود مائة عام قبل الميلاد اكتشف اليوناني الكرمي هيبال، كما هو معروف، سر الرياح الموسمية، التي تهب في المحيط الهندي وتغير اتجاهها حسب المواسم[1]، وقد استطاع أن يستخدم ملاحظاته في الملاحة. أبحر هيبال صيفا من ميناء على الساحل في شرق أفريقيا، تسوقه الرياح ووصل إلى الهند سالما. وفي الشتاء حين هبت الرياح في الاتجاه المعاكس أبحر عائدا. وفيما بعد أصبحت السفن الشراعية الإغريقية – الرومانية تجتاز المسافة من مصر إلى الهند خلال شهرين. نقلت هذه السفن الشحن التجاري والركاب معا، واتجهت بعض السفن ناحية الجنوب، إلى شواطئ شرق أفريقيا، حيث أنشئت أولى المستوطنات التجارية الرومانية ومرت في سقطرى الكثير من السفن التجارية.

يعطي "الطواف حول البحر الأرتيري" وصفا تفصيليا لجزيرة ديوسقوريطيس:"ديوسقوريطيس كبيرة جدا، لكنها قفراء رغم غنائها بالمياه، وفيها توجد الأنهار والتماسيح وكثير من الأفاعي والحراذين الكبيرة التي يأكلون لحمها أما الشحم فيذيبونه ويستخدمونه عوضا عن الزيت، ولا تنتج الجزيرة لا الفاكهة ولا النبيذ ولا الحبوب، وسكانها قليلون، وهم يقطنون الشاطئ الشمالي وحده - هناك حيث الوجهة إلى اليابسة، وهؤلاء السكان غرباء وخليط من العرب والهنود وحتى الإغريق الذين جاءوا إلى هنا لممارسة التجارة. وفي الجزيرة يصطادون سلاحف أصلية، وسلاحف كبيرة جدا وتعد مفضلة لأصدافها الكبيرة، وكذا سلاحف جبلية...وفي الجزيرة أيضا يحصلون على دهان الزنجفر ويسمى الهندي، يجمعونه على شكل قطرات من الأشجار...وتخضع هذه الجزيرة لحكم ملك بلاد البخور. وفي السابق مارس التجارة فيها الزوار الوافدون مصادفة من دميريك وبرغازي (ميناءان قديمان في مصب نهر الهند – المؤلف) وهم يجلبون الرز، القمح، القطن الهندي والنساء الجواري، ويصدرون أعدادا كبيرة من أصداف السلاحف" [37×3، -3 5].

1- في الواقع أنهم عرفوا عن الرياح على الأرجح، قبل ذلك بكثير.

إن من غير المعروف درجة صحة هذه المعلومات، والسلاحف البحرية تصطاد في الجزيرة كثيرا إلى حد ما حتى الآن، ويمكن التسليم بحقيقة أن سقطرى صدرت للعالم القديم الإغريقي- الروماني أصداف السلاحف. ولم يتبق حتى الأثر من التماسيح والحراذين الكبيرة والسلاحف البرية الكثيرة. ومن المشكوك فيه أن تكون قد وجدت في زمان ما، ولعل الأقرب إلى الصحيح أن الحديث عن السلاحف البيضاء الضخمة هو ثمرة خيال المؤلف. وعلى أية حال يمكن الاستنتاج أن دروع السلاحف كانت في الزمن القديم بضاعة نفيسة جدا، طالما أن المؤلف اتخذها سببا لزيارته الجزيرة.

فيما يخص الملاحة إلى سقطرى فمن المهم الأخذ بعين الاعتبار إشارة المؤرخ العربي الهمداني، في القرن العاشر الميلادي، أن الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عمان وجزيرة سقطرى تماشيه عن يمينه حتى ينقطع ثم التوى بها من ناحية بحر الزنج.

وحسب ملاحظة شبرينجر المنصفة كان هذا الطريق يتوقف على سيطرة الرياح الجنوبية في شاطئ شرق أفريقيا [87، ص 78].

عند الإبحار إيابا إلى عدن من بلاد الزنج، حسب شهادات الجغرافيين العرب في القرون الوسطى: الإدريسي، ابن بطوطة، ياقوت الحموي والمقدسي، فأن سقطرى تبقى إلى ناحية اليسار.

وعلى هذا النحو فان البحارة في الطريق بين عدن وساحل شرق أفريقيا، حسب المعطيات التي بين أيدينا، كانوا يلفون حول الشواطئ الجنوبية لسقطرى، وعندما أبحروا إلى سقطرى من عدن اتخذت السفن وجهتها إلى رأس فرتك، بمحاذاة شاطئ الجزيرة العربية.

ومن المحتمل انه في الزمن القديم حدد موقع الجزيرة، لهذا السبب، ارتباطا برأس فرتك. ويورد مؤلف "تاج العروس" تقديرا من الجلي انه ينطلق من الخط المباشر، الذي بموجبه تبعد سقطرى عن المخا بإبحار ثلاثة أيام بلياليها، وحسب الإدريسي فأن الإبحار من ساحل الجنوب العربي وحتى سقطرى يستغرق يومين في حالة الرياح المواتية.

تعزو الرواية التقليدية إلى المستوطنين الإغريق نصرنة الجزيرة، أي نشر المسيحية فيها، في القرن الرابع للميلاد، مع انه من الممكن أن تكون قد وصلت قبل ذلك[1].

كتب المؤرخ العربي الشهير الهمداني:"مما يجاور سواحل اليمن من الجزاير جزيرة سقطرى، واليها ينسب الصبر السقطري، وهي جزيرة برير مما يقطع بين عدن وبلد الزنج فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كأنه يريد عمان وجزيرة سقطرى تماشيه عن يمينه حتى ينقطع ثم التوى بها من ناحية الزنج وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخا وفيها من جميع قبائل مهرة وبها نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى، ويذكرون أن قوما من بلد الروم طرحهم بها كسرى ثم نزلت بهم قبائل من مهرة فساكنوهم وتنصر معهم بعضهم، وبها نخل كثير، ويسقط إليها العنبر وبها دم الأخوين وهو الأَيْدَع والصبر الكثير، وأما أهل عدن فيقولون أنه لم يدخلها من الروم أحد، ولكن أهلها الرهابنة، ثم فنوا وسكنها مهرة وقوم من الشراة، وظهرت فيها دعوة الإسلام، ثم كثر بها الشراة[2] فعَدَوْا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشر أناسية وبها مسجد بموضع يقال له السوق"[94، ص93- 94].

الجغرافي العربي الشهير في القرون الوسطى ياقوت الحموي(1178-1229م) كتب يقول:"سقطرى، اسم جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن تناوح عَدَنُ جنوبيها عنها، وهي إلى بر العرب اقرب منها إلى بر الهند، والسالك إلى بلاد الزنج يمر عليها، وأكثر أهلها نصارى عربٌ، يجلب منها الصبر و دم الأخوين وهو صمغ شجر لا يوجد إلاّ في هذه الجزيرة ويسمونه القاطر، وهو صنفان، خالص يكون شبيها بالصمغ في الخلقه إلاّ أن لونه كأحمر شيء خلقه الله تعالى، والصنف الأخر مصنوع من ذلك؛ وكان

---

1 - تنسب التقاليد المسيحية إدخال النصرانية إلى المنطقة إلى توما (" وحسب الرواية المسيحية فأن القديس توما أسس الكنائس المسيحية في فلسطين وبلاد الرافدين وبارفيا وإثيوبيا والهند") ويزعمون أنه قتل على يد حاكم المدينة الهندية ميليبور، ولذلك أطلقت تسمية التوميين على المسيحيين المحليين الذين سادت في أوساطهم في القرون الوسطى المبكرة المونفستية (وهي إحدى التعاليم المسيحية التي ظهرت في القرن الخامس للميلاد تعترف بالطبيعة الإلهية للمسيح وتنفي التصور عن المسيح الإنسان." المترجم").

2- الشُراة: جمعُ شار وهم فرقة من الخوارج جاوزا الحد في المغالاة بالدين، سموا بذلك لأنهم على زعمهم شروا أنفسهم من الله (المترجم).

أرسطاطاليس كتب إلى الأسكندر (المقدوني) حين سار إلى الشام في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها وأرسل إليه جماعة من اليونانيين ليسكنهم بها لأجل الصبر القاطر الذي يقع في الأرياجات فسير الأسكندر إلى هذه الجزيرة جماعة من اليونانيين وأكثرهم من مدينة ارسطاطاليس وهي مدينة اسطاغرا في المراكب بأهلهم وسيرهم في بحر القلزم (البحر الأحمر) فلما حصلوا بها غلبوا من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها، وكان للهند صنم عظيم فنقل ذلك الصنم إلى بلاد الهند في أخبار يطول شرحها، فلما مات الأسكندر وظهر المسيح بن مريم عليه السلام تنصر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك إلى هذا الوقت فليس في الدنيا موضع والله اعلم فيه قوم من اليونانيين يحفظون أنسابهم ولم يداخلهم فيها غيرهم غير أهل جزيرة سقطرى، وكان يأوي إليها بوارج الهند الذين يقطعون على المسافرين من التجار فأما الآن فلا "[95، م5، ص 93].

حاولت بعثة أكسفورد (عام 1965م) الحصول على أية اثر لتواجد الإغريقيين في الجزيرة، فلم تعثر على شيء، عدا بقايا بعض البنايات في بلدة تسمى سوق، كانت في الماضي كما يعتقد عاصمة لسقطرى. وحاليا فأن سوق قرية صغيرة، معظم سكانها من أصول أفريقية، يعيشون في أكواخ من القش أو في بيوت صغيرة مشيدة من شظايا الشعب المرجانية، وتقع سوق على شاطئ الهور، حيث من الجائز أن السفن عرجت هنا في الزمن القديم، وهنا أيضا ينبغي أن يكون قد عاش الإغريق الأيونيون، الذين كتب عنهم المؤرخون الإغريق والعرب.

وجد الباحث الإنجليزي ن.أور في جبال سقطرى أطلال بناية شيدها دون شك شعب أكثر تطورا من سكان الكهوف الحاليين، ومع ذلك لا يمكن القطع نهائيا في أن هذه أطلال مبانٍ مسيحية على وجه الدقة، ويعتقد أور انه كان يقع هنا مصلى حجري.

يبدو لنا أن وجود مستعمره إغريقية في الجزيرة حقيقة مسلم بها، ومن الجائز أن الإغريقيين بشكل خاص دفعوا السكان الأصليين لاعتناق النصرانية. إن التاريخ الذي رواه ياقوت وكأن الإغريق لم يرغبوا في الزواج من النساء المحليات ولهذا انقرضوا، لا يتفق مع الحقيقة وبشكل عام يظل السؤال عن مصير المستعمرة الإغريقية كما عن غيرها في انتظار البت.

عُثر أيضا على منشآت أخرى، تدل على مستوى التطور الرفيع للسكان الأصليين القدماء في الجزيرة، ففي منطقة فيراجي وجدت بقايا طريق قديمة مرصوفة، وكذا طرق مبلطة بالأحجار وجدت في الجزء الأوسط من الجزيرة تؤدي إلى حديبو، وهي الآن مهملة ومجهولة، كما أكتشف في قشن عدة مدرجات شيُدت من الحجارة بدقة بالغة وتشابه بعضها البعض.

أما اللّقية الهامة فقد عثر عليها بالقرب من الطريق المؤدية من غبة إلى قلنسية، على بعد ثمانية كيلومترات تقريبا من المرتفعات الجبلية المعروفة باسم جبال عبلان، فهي تجويف طبيعي عميق في الأرض (في سلسلة جبال جيرية) على شكل دائرة، قطرها بحدود ثلاثين متراً. وإلى الأعلى وجدت أطلال بناء حجري شغلت مكانا دائريا متحد مع المركز، وحسب رأي مدير مصلحة الآثار في مستعمرة عدن د.دو أن هذه بقايا منشآت السقي أو خزان للمياه. ومن على الطائرة شاهد دو أيضا على المنحدرات الجبلية إلى الغرب من قلنسية مساحة حجرية مربعة محاطة بجدار حجري منخفض.

بعد القرن الرابع الميلادي لا نجد أية معلومات تقريبا عن سقطرى، والمؤرخون والجغرافيون العرب الذين تحدثوا عن الجزيرة، كرروا غالبا روايات الرومان والإغريق. ومع ذلك فان لمعطيات ذلك الوقت أهميتها.

في عام 528م في عهد يوستينيان[1] زار سقطرى الراهب الإغريقي كوسما انديكوبلوف من مصر حينما قام برحلة إلى الهند، وقد ترك في مؤلفه " الطبوغرافية المسيحية " وصفا تفصيليا للجزيرة، وحسب رواية كوسما فان سكان سقطرى تحدثوا أيضاً باللغة اليونانية، وكانوا جميعهم مسيحيين تحت أشراف الكاثوليك النسطوري[2] في بابل وهو الذي عزا الغزو الإغريقي إلى عهد البطالسة[3].

في القرن العاشر الميلادي كتب الجغرافي العربي المسعودي أن سقطرى كانت قاعدة للقراصنة. وفي القرن الثالث عشر الميلادي أكد هذا الخبر الرحالة الإيطالي ماركو بولو إذ قال عن الجزيرة:"يعيش هناك نصارى

1 - يوستنيان: إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الشرقية من عام 527 – 565 م (المترجم).

2- النسطورية: مذهب في المسيحية انفصل عن الكنيسة الأم عام 431م وأعتبره المسيحيون هرطقة.(المترجم)

3- البطالسة: سلالة مقدونية حكمت مصر من عام 323 ق.م وحتى عام 30 م. (المترجم).

معمدون ويوجد لديهم رئيس أساقفة وهناك كثير من العنابر وعندهم أقمشة قطنية وكثير من البضائع وتكثر هنا الأسماك الكبيرة المالحة والجيدة، وهم يقتاتون الرز مع اللحم وكذلك اللبن، أما الغلال الأخرى فلا وجود لها لديهم، ويمشون عراة على نمط وعادات الهنود الوثنيين. وتجيء إلى هنا الكثير من السفن المحملة بالبضائع المختلفة، ويبيع التجار بضائعهم في الجزيرة ومن هنا يحملون الأشياء المحلية، وهم يبيعون بفوائد كبيرة، وترسو جميع السفن المتجهة إلى عدن وكذا الركاب في الجزيرة، ولا صلة لهم ببابا روما ويخضعون لرئيس الأساقفة في بوداك (بغداد). ويعين رئيس الأساقفة البوداكي أسقف الجزيرة وفي غيرها من بلدان المعمورة، تماما كما يفعل ذلك البابا الرومي. وكل هؤلاء الزعماء الدينيين وأحبار الكنيسة لا يعترفون بالكنيسة الرومية، و إنما يخضعون للحبر الأعظم (رئيس الأساقفة) في بوداك ويحل لديهم محل البابا، ويأتي إلى هنا كثير من القراصنة على سفنهم ويبقون هنا، بعد الغارات التي يقومون بها، ويبيعون المنهوبات في معسكرهم، و بجرأة أقول لكم إنهم يتاجرون: يشترى النصارى المحليون البضائع لقناعتهم ومعرفتهم أنها نهبت من الوثنيين، وليس من المسيحيين. وعند موت رئيس الأساقفة المحلي فمن بوداك حتما يأتي آخر غيره، ويدون ذلك لما وجد هنا رئيس الأساقفة" [19،ص 201].

يتضح من نبأ صاحب فينيسيا (البندقية) أنه ساد في ذلك الوقت في الجزيرة المذهب النسطوري للمسيحية، وخضع السقطريون للكاثوليكوس النسطوري الذي كان في بوداك (بغداد) ربما لأن النسطورية هنا قد تغلبت على اليعقوبيين الذين كانوا يسيطرون في العصور الوسطى المبكرة على الطائفة المسيحية في بعض نواحي المنطقة بما في ذلك سقطرى.

أشار ماركو بولو أن السَّحرة السقطريين استطاعوا إرغام السفن على أن "تُلقي نفسها على الساحل" حينما يودون نهبها، ولعل ذلك صدى لإشاعة سيئة عن سكان الجزيرة الذين كانوا ينهبون السفن التي تعرضت غالبا لحوادث تحطم في الشعاب الخطرة عند رأس مومي، وقد اشتهرت الجزيرة بالقرصنة على امتداد القرون الوسطى، فقد أشار الرحالة العربي ابن بطوطة (القرن 14م) أن الجزيرة استخدمت كقاعدة للقراصنة وأكد هذا الإدريسي و المقدسي. بعد ذلك وحتى نهاية القرن الخامس العشر للميلاد لم يذكر شيء

محدد ودقيق عن الجزيرة، ويمكن التأكيد أن أخلاف المستوطنين الإغريق والعرب والهنود، خلال هذا الزمن لم يعودوا "غرباء"، بل تحولوا إلى سقطريين بعد أن اقتبسوا لغة السكان المحليين وتخلقوا بعاداتهم وكونوا معهم سوية جماعة سكانية واحدة.

في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي أسس حلف الكثيري القبلي القوي سلطنة فرتك وعاصمتها الشحر (حضرموت) وخضعت لها كذلك سقطرى.
في البداية اعترف الكثيريون بتبعيتهم لحكم السلالة اليمنية الطاهرية، وفي عام 1465م قاموا بوضع حد لهذه التبعية، لكنهم منيوا بهزيمة ساحقة، وانتقلت الأراضي التي كانت تحت سيطرتهم إلى إشراف الطاهريين. وفي عام 1482م انتزع الطاهريون من الكثيري سقطرى [81، ص 7، 52، ص 28- 29].
يورد الملاح العربي من عُمان احمد بن ماجد، في نهاية القرن الخامس عشر - مطلع السادس عشر الميلادي معلومات هامة، وكان قد قاد فيما بعد سفن فاسكو دي جاما، من الميناء الصومالي ماليندي إلى ساحل الهند، كتب يقول:" الجزيرة العاشرة هي سقطرى وهي جزيرة عامرة قريبة التدوير طولها وعرضها قريب خمسين فرسخا بل أزيد وفيها الماء من كل مكان، وهي على مشارف بر الصومال تسكنها اهماج النصارى وقيل بقية اليونان ذكرها عمر بن أيوب شهنشاه مصنف كتاب تقويم البلدان وفيها خلق كثير قريب عشرين ألف آدمي وقد ملكوها من قديم الزمان خلق كثير فلم تتم إلاّ لأهلها وقد ملكوها في عصرنا محمد بن علي ابن عمر بن عفرار وبني عبدالنبي السليماني الحميري وكلاهما من مشايخ المهرة وبنوا فيها حصنا وحكموا بعض أهلها وسخروهم يأخذون من الرجل من سمن ومن المرأة شملة من نسيج بلدهم وكان قد ملكها في زمان العباسية رجل من العجم فاحتالوا عليه أهلها وأسكروه هو وأصحابه وقتلوهم وقد قتلوا أحمد بن محمد بن عفرار الذي تولى عليهم بعد موت أبيه فجاءوا أعمامه وقبيلته وسخروهم وولوا عليهم بن عبد النبي فمن ذلك قالوا أنها شؤم على من ملكها وهم قوم وطيين الجانب إذا دخل عليهم الغريب يعرضون عليه الماء والزاد ويعرضون عليه ثيابهم وحاكمة عليهم امرأة وإما تزويجهم بيد قسيس النصارى الذي يسكنون الكنايس ويقيمون بها بمشورة تلك المرأة فانقضى ملكها في عصرنا وضعف وما ملكوها المهرة إلاّ أنهم يريدونها لعاقبة أمرهم يجتمعون فيها عند خوفهم وضعفهم من

سلاطين حضرموت وغيرهم، وكان محمد بن علي بن عمر وقد استشارني فيها سنين فلم أطعه في ذلك فلما تولى على المهرة صرف المال وملكها فلما مات وأقامت قبيلته مكثوا فيها سنين و تعاون ملوك أهل الشحر مخرجين منها مدة ثلاثين سنة فعاونهم أخوالهم المهرة على الشحر وأخذوها وتولى عليهم سعد بن مبارك بن فارس بعد ان حاصرها ثلاثة أشهر كاملة و جاءوا فأخرجوهم من حصار الشحر إلى بلدهم حضرموت وكان عليها حينئذ بدر بن محمد الكثيري فخرجوا فأجاروه ومن عنده في عام أربعة وتسعين و ثمانمائة وفي هذا التاريخ جزيرة سقطرى للمهرة مشتركين فيها بني سليمان وبني عفرار وهم بطن من بطون المهرة بن زياد."[2، م1،ص 368- 369].

ومن ملاحظات هذا الملاح الشهير، يتضح أن سقطرى كانت في العام 1489م قد وقعت في قبضة المهريين، ولعلهم لم يتمكنوا من فرض أشرافهم المباشر على كامل الجزيرة (عن هذا يكتب ابن ماجد وتؤكده كثير من الأحداث اللاحقة فيما بعد أثناء الاحتلال البرتغالي) ولذا اكتفوا فقط بفرض ضريبة عينية على السكان، وقد وجدت بين المهريين والسكان المحليين عداوة معينة يؤكدها مقتل الشيخ المهري على أيدي السكان الأصليين.

انطلقت للسيطرة على سقطرى قبيلة "بني عفرار" التي عاشت في منطقة مدينة قشن الحالية، الواقعة في المهرة على شاطئ الجزيرة العربية. كتب البرتغالي باروش أنه حتى الاحتلال البرتغالي أي حتى 1507م، كانت سقطرى قد خضعت لحكم سلطان قشن ستة وعشرين عاماً، وعلى هذا الأساس تكون السيطرة المهرية قد تمت في عام 1481م، وكان الحصن العسكري المهري سوق مركز سقطرى آنذاك، ويقع إلى الشرق من العاصمة الحالية للجزيرة حديبو، وقد شيد قبل عام 1481م وأعيد بناؤه بعد الاحتلال البرتغالي، وكان الحصن يقع على بعد 350- 400 مترا من المرفأ في الرأس الذي أطلق عليه البرتغاليون تارة سوكو، وتارة سوتو، أو سوكو (يبدو ان الصيغة الأسبانية والبرتغالية مأخوذة من عن الكلمة العربية "سوق").

استنادا إلى البرتغاليين وإلى حقيقة أن المؤرخين العرب أيضا قد اسموا هذا المكان سوق، فأن جميع الباحثين (بما في ذلك العالم الإنجليزي سيرجنت، المتخصص في دراسة المدونات التاريخية الحضرمية التي تعود إلى القرون الوسطى) يعتبرون أن هذه التسمية أصلية. وفي اللغة السقطرية فان كلمة

سوق اقتبست حقيقة من اللفظة العربية، وربما كان هناك سوق بالقرب من المرفأ، لكن السقطريين أنفسهم يسمون هذا المكان "شيوك" وهو ما لا صلة به بالسوق بحال من الأحوال، وكما يبدو لنا يماثل الكلمة السقطرية (شكو) أي المسلح، أو (شيكو) أي كن قريبا- اقترب (وفي هذه الحالة من البحر).

أشار المؤرخون العرب في القرون الوسطى، على سبيل المثال ابن المجاور والهمداني، ليس فقط إلى المرفأ و أنما إلى وجود مدينة باسم "سوق" ويقدم الأول وصفا لهذه المدينة. وأورد ذكر الحصن في سوق الواقع إلى الشرق من حديبو البرتغالي جوان دي كاسترو في عام 1541م، حتى انه نشر رسوما له، كما حدد ت. بينت أيضا أن سوق في الشرق من حديبو.

لم يتبق من الحصن الآن سوى كومة من الحجارة وجزءا من بناء قرميدي فقط، لكنه كان في القرن الخامس عشر للميلاد منشأة دفاعية ضخمة بمقياس ذلك الزمن، وكما لاحظ كثير من المتخصصين في الهندسة المعمارية في اليمن فان الأطلال المتبقية تشابه طراز الحصون "اليافعية" التي ما تزال باقية حتى الآن في يافع وفي حضرموت، ويعتبر قصر السلطان الكثيري سابقا في سيئون إلى الشمال من عاصمة حضرموت نموذجا رائعا لهذا الطراز المعماري. والحصون اليافعية مربعة الشكل أو مستطيلة وفي زوايا جدرانها المستقيمة شيدت أبراج محصنة اسطوانية الشكل، تعلوها فتحات صغيرة ويسميها اليافعيون بناة هذه القلاع "حصن بمعاصيره" أي "حصن ذو أبراج".

إن أول من اكتشف حصن سوق، حسب معطيات علماء بعثة أكسفورد هو د.ب. دو مدير مصلحة الآثار القديمة في مستعمرة عدن، كان طول الحصن حوالي 25 متراً وعرضه 20 متراً.

على بعد مئة متر إلى الجنوب الشرقي من الحصن الرئيسي كان يوجد مبنى آخر على نفس الطراز، بقي منه كما هو حال الحصن جزء من البناء فقط. كان البناء مثبتا بمحاليل كلسية (جيرية) ويبلغ قطر البرج في الزاوية الشمالية الشرقية للمبنى 6و3 مترا، ويعتقد دو أن هذا ربما كان مسجدا حسب اتجاه الحائط الشرقي للمبنى المستطيل كليا أيضا. وإلى الشمال من خرائب المسجد المفترض، تقع بقايا الكنيسة، التي بناها البرتغاليون في الحصن المعروف الذي احتلوه. شُيدت هذه الكنيسة في موقع آخر لمبنى أكثر قدما ربما كان كنيسة أو مسجدا (مع انه كمسجد غير

صحيح التوجيه) ويؤكد هذا بقايا أرضية كنيسة صغيرة قديمة وجدها علماء الآثار تحت الأولى. ولم يتبق من الأعمدة التسعة التي بنيت في البدء إلاّ المدماك المشيد من الحجارة المثبتة بمحاليل كلسية، والعجيب أنها كانت تمتلك مقاطع مختلفة (أي أن الأعمدة كانت مختلفة الأشكال)، على سبيل المثال أحدها مربع الشكل والآخر بثمان زوايا وثالث على شكل نجمة ورابع دائري الشكل، ولقد بقيت صورة هذه البناية في الرسومات التي وضعها جوان دي كاسترو في عام 1541م، وهي رسوم تفصيلية جدا، رغم أنها تتبع القواعد المعاصرة من حيث المنظر والأبعاد، ويمكن حتى التعرف على قمم جبال حجهر، ولا تتبين فقط القلعة في جبل حواري، المرتفع فوق سوق. (الصورة رقم 5).

كتب ت. بينت في عام 1897م عن بقايا قلعة أخرى في وادي فيراجي، إلى الجنوب من حجهر، وعلى مقربة من هذه القلعة خرائب واضحة لمدينة قديمة. يتكون حائط القلعة من صخور ضخمة، تبلغ 30 متراً طولاً، وارتفاعها متراً ونصف المتر، ويبلغ سمكها إلى ثلاثة أمتار، ومن الجائز أن البناة قد عرفوا كيفية رفع ونقل الأحجار الثقيلة، ومن المتوقع أن فيراجي كانت في القديم أشبه بمركز هام: فإما أنها وجدت هناك مزارع الأشجار التي يستخرج منها الصمغ، وإما أن نباتات عطرية الرائحة كانت تزرع هناك.

في عام 1956م وصل إلى تلك الأطلال التي وصفها بينت، كل من ج.ويكلي، ب.شيني، وحسب معطياتهما فأن القلعة كانت تقع في نفس المكان الذي يضيق فيه الوادي، وشيدت البنايات من قطع الصخور غير السوية، والقلعة مثلثة الشكل وارتفاع مجموعة الأسوار 6و3- 5و4متراً، و هي من الصخور الجرانيتية الضخمة، ذات اللون الأحمر، ويوصِّل بين البرجين برجٌ ثالث كأنما يقع على قمة المثلث. وبالقرب منها تم العثور على أطلال غرف صغيرة وفناء داخلي وجزء من حائط السور، وتحت أحد الأسوار كان يقع حوض اصطناعي، استخدم كما يبدو كأخدود وعندما كانت المياه في الوادي فأنه يمتلئ منها.

توصل أحد الرحالة إلى أن هذه الأطلال بقايا قلعة برتغالية، لكن شيني أكد في استنتاجه أنه لا وجود لشيء من الخصوصية البرتغالية في هذه الخرائب. ومع ذلك يمكن القول وبثقة وفقاً لهندسة البناء وموقعه، إن قلعة حصينة كانت هنا، لعل المهريين استخدموها في زمن سيادتهم في الجزيرة

خلال القرنين 15- 16الميلاديين، كنقطة إسناد، وتشرف القلعة بالكامل على الطرق الرئيسية من شمال الجزيرة إلى جنوبها، وكانت تقع في قلب أراضي السكان الأصليين ولذلك كانت قاعدة نموذجية لتغلغل المهريين إلى العمق أو للقيام بالحملات التأديبية المفاجئة، ولا نعرف حقيقة مدى فعالية مقاومة السكان ضد المهريين الذين ظهروا في الجزيرة، ويمكن التوقع أن سيطرتهم قد تمت بسلام تقريبا، والأهم من ذلك أن السقطريين لم يكونوا متعصبين للمسيحية كي يقاوموا بشده انتشار الإسلام.

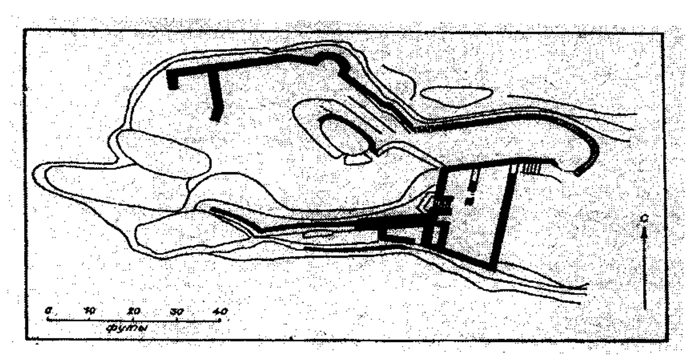
لكن سرعان ما قدر للشيخ المهري ان يعيش أوقات عصيبة وها هي "المدونات التاريخية لشانبل" تذكر الأحداث الرئيسية لعام 1507م : في هذا العام استولى الكفار الفرنج على سقطرى وقتلوا هناك ابن الطوعري الزويدي مع خمسين من المسلمين وشيدوا هناك القلعة.[81، ص153]، وكما هو معروف لنا جرت هذه الأحداث في ابريل 1507م وبعد ستة وعشرين عاما من سيطرتهم انقطع حكم شيوخ آل عفرار لبضع سنوات.

كشف مطلع القرن السادس عشر الميلادي عن مرحلة في تاريخ الجزيرة، عرف عنها ربما أكثر مما عن غيرها من المراحل. كان ذلك زمن التوسع البرتغالي في بلدان حوض المحيط الهندي، وفي تلك الأعوام بالضبط أنشأ البرتغاليون إمبراطوريتهم الاستعمارية الواسعة، لكنها قصيرة الأجل، في الهند وأفريقيا والخليج الفارسي (العربي).

بحثت البرتغال، التي كانت في القرنين 15- 16م إلى جانب أسبانيا القوة البحرية العظمى في العالم ولزمن طويل، بحثت عن طريق يوصل أوروبا بالهند، وطوال القرن الخامس عشر مخرت السفن البرتغالية عباب المحيط ووصلت إلى أقصى الجنوب على طول الشاطئ الغربي لأفريقيا، وفي آخر الأمر اصبح بارتو لوميود ياش في فبراير عام 1488م أول برتغالي يدور حول الطرف الجنوبي لأفريقيا وولج المحيط ألهندي.

في يوليو 1497م جهز البرتغاليون حملة فاسكو دي جاما ومن لشبونة أبحرت سفنه الثلاث "سان- جبريل"،"سان- رفائيل"، و"بيريو" وسفينة نقل صغيرة، وعبرت على طول الشاطئ الغربي لأفريقيا، ووصلت إلى الميناء الصومالي مالندى في عام 1498م وهكذا كان البرتغاليون أوائل الأوروبيين

الذين اكتشفوا الشواطئ الجنوبية الشرقية لأفريقيا، وزاروا بعض المراكز الساحلية في تلك الشواطئ (حتى ماليندى).



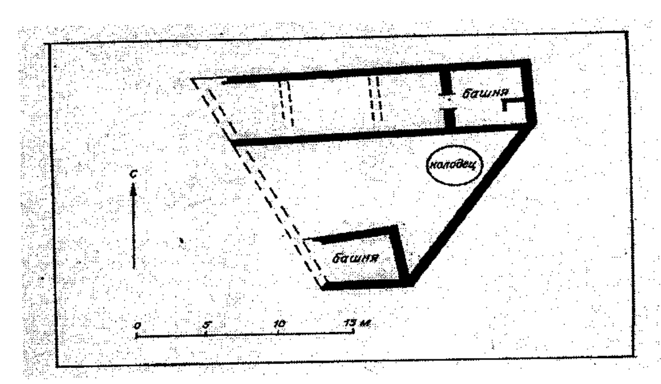
(رسم5): حصن في جبل حفاري.

ومع ذلك فإن شرف المأثرة العظمى في تاريخ الملاحة العالمية - عبور المحيط الهندي - لا يعود لفاسكو دي جاما، بل لأحمد بن ماجد الذي أخذ موقعه على سفينة القيادة البرتغالية في ماليندي، وبإرشاداته الملاحية قاد السفن البرتغالية إلى الميناء الهندي كالكتا. وفي نهاية أغسطس 1498 م أقام فاسكو دي جاما اتصالات مع حاكم كلكتا وأستلم على متن السفينة شحنة توابل ثم رحل في طريق العودة.

اكتسب اكتشاف الطريق البحرية المنتظمة إلى شواطئ مالابار الهندية أهمية تاريخية كبرى للعالم أجمع ومكنت البرتغاليين من استعمار الكثير من دول آسيا، وفي عام 1502م اتجه فاسكو دي جاما من جديد إلى الهند، على رأس أسطول بحري يضم عشرين سفينة، وقام بوضع حجر الأساس لعدد من الحصون على شاطئ ماليبار ونهب الكثير من المدن، واخضع بفظاظة وقسوة مقاومة السكان المحليين، ثم عاد إلى لشبونة بالغنائم النفيسة الكثيرة، ومع ذلك لم يكتشف البرتغاليون سقطرى لأنفسهم إلاّ في العام 1503م فقط، على يد القبطان فرنانديش بيريو.

في عام 1505 غادر ميناء لشبونة أسطول برتغالي آخر تحت قيادة فرانسيسكو دي الميدى. كان على متن السفينة ألف وخمسمائة جنديا. وفي هذه المرة كان على الميدى القيام بحملة استعمارية أكثر اتساعا في شرق

أفريقيا، وقد تسلم الأمر بإنشاء ست قواعد إسناد عسكرية – تجارية، وفي الطريق بين شرق أفريقيا والهند، وحقق الميدى السيادة الكاملة للبرتغاليين في المناطق الساحلية في شرق أفريقيا.



(رسم6) مخطط الحصن في وادي فيراغي.

استهل البرتغاليون علاقاتهم مع الدول الواقعة في هذه المنطقة من خلال التجارة أولا وانتهاءً باحتلالها فيما بعد. وفي 5 إبريل 1506م وحسب أمر ملك البرتغال مانويل، أبحر الأدميرال البرتغالي المعروف تريستان دي كونيا من لشبونة على رأس أسطول مكون من 14 سفينة، في اتجاه الهند. وفي اليوم التالي رفع مساعده الفونسو دي البوكيركي العلم ولحق به مع ست سفن أيضا، لكن ما أن وصلا إلى ماليندي حتى أدركا أن الوقت قد أصبح متأخرا في هذا الموسم لاجتياز المحيط والإبحار إلى الهند، وكلفت قيادة الأسطول البرتغالي جواسيسها لجمع المعلومات عن الأماكن المناسبة للتوقف في موسم العواصف، وبعد مشاورات قصيرة قرروا الاتجاه إلى سقطرى والانتظار هناك بضعة أشهر حتى تتحسن حالة الطقس، إلى جانب ذلك فأن البرتغالين قد اعتبروا سكان الجزيرة مسيحيين، وقرروا أنشاء قلعة عسكرية هناك لحماية الطريق إلى الهند. وها هو ما حدث في يناير 1507 م، بعد انقضاء عشرة أشهر على أبحار الحملة من البرتغال [44].

" تم الإبحار دون المرور في أية بلاد، ورست السفن في سوكو (سوق)الذي كان الميناء الرئيسي في الجزيرة، وحيث يقطن السكان الأصليون، وفي يوم بهيج

والرايات تخفق على كل السفن، حيوا الجزيرة بالمدفعية طالما أن سكانها مسيحيون. لكن ما أن شاهد تيريستان دي كونيا القلعة التي بناها العرب هناك، محاطة بسور وأبراج محصنة، مع برج مرتفع في الوسط، وهو ما يختلف كثيرا مع المعلومات التي تم الحصول عليها من الملك، حتى أرسل في طلب الفونسو دي بوكيرك وجميع قباطنة الأسطول وأخبرهم أن سيده الملك قد أمره بإنشاء قلعة في هذه الجزيرة، ويكون قائدها الفونسو بورونيو لحماية المسيحيين الذين استوطنوا الجزيرة منذ عهد القديس فوما، وقد أمرهم الملك بنشر اسم الرب في جميع الأراضي التي سيطروا عليها".

كانت القلعة العربية في الجزيرة مفاجأة غير سارة للبرتغاليين، وباءت بالفشل كل محاولات التفاهم مع الشيخ قائد القلعة، ولم يرفض العرب مغادرة القلعة فحسب، بل ورفضوا بشكل عام التفاهم مع البرتغاليين الذين لا معرفة لهم من أين جاءوا. عند ذلك قرر الأدميرال تريتسان دي كونيا مهاجمة القلعة، اعتماداً على الحامية قليلة العدد (وعلى الرب كذلك) وقد كان الإنزال صعبا، والبحر عاصفا، ولا وجود لأية حماية من الشاطئ، ولذا قام الفونسو دي البوكيركي باستطلاع الشاطئ بنفسه على زورق وقد "وجد خورا بجانب دغل نخيل حيث البحر أكثر هدوءا، رغم بعده نسبيا، فقرروا النزول هناك ".

"أمر الفونسو دي البوكيرك الأكبر ابن أخيه الفونسو دينوروني أن يجعل زورقه على أهبة الاستعداد مع أربعين مقاتلا من حملت المسكيت، وأن يأخذ معه مدفعية وباروداً لها وقذائف واثنين من رماة المدفعية وكذا آلة رافعة واثنين سلالم من الحبال لاقتحام القلعة عند الضرورة، وأعد نفسه للإبحار ورائهم على متن زورق مع انطونيو دي نوروني ودون جوان ليما وأخيه دون جيرونيم دي ليما وغيرهم من الفرسان الصغار".

وما أن طال الصباح حتى أبحر المهاجمون نحو الجزيرة وكان ترستان دي كونيا في المقدمة، والفونسو دي البوكيرك في المؤخرة، وقد لاحظ دي البوكيرك عند إبحاره على امتداد الشاطئ أن البحر هادئ تقريبا وأنه يمكن النزول هنالك، ورأى كيف خرج من القلعة شيخ عربي مع مئات من رجاله، متجهين ناحية حاجز مصنوع من الأخشاب المدببة الأطراف كانوا قد نصبوه ليلاً لعرقلة البرتغاليين من النزول في الخور، وعند ذلك أعطى البوكيرك

أمراً لنوروني لبدء الإنزال وعلى وجه السرعة، لكن الشيخ لاحظهم قبل أن يتمكن البحارة من القيام بذلك، فأعاد ثمانين شخصاً من رجاله إلى داخل القلعة وبقي هو ومن معه لاعتراض سبيل العدو.

"عندما التقى الجمعان نشبت معركة استخدمت فيها خطاطيف السفن والحراب، وأصيب عدد من بين الثمانين شخصاً وخاض الفونسو نوروني معركة فردية مع القائد العربي، وكادت ضربات الخطاطيف أن تصرعه، ولما ظهر الفونسو دي البوكيرك مع رجاله الآخرين تخلص من الشيخ".

وما ان رأى المقاتلون العرب مقتل زعيمهم حتى أسرعوا إلى القلعة. كتب مؤرخ برتغالي:"ما أن وصلوا إلى القلعة حتى قتل رجالنا ثمانية منهم ولاذ الباقون هربا، متجاوزين القلعة واختفوا في الجبال، أما العرب الذين كانوا يتابعون اقتراب رجالنا من برج القلعة فقد أخذوا يقذفون بالحجارة من الأعلى، حتى أعياهم التعب، وقد قذفوا في حلكة الظلام الفونسو دي البوكيرك بحجرة مع الأفريز وسقط في تلك الأثناء على الأرض في حالة مخيفة، لكنه مع ذلك لم يفقد وعيه، فأمر الناس أن يحيطوا بالقلعة مباشرة، وبعث نونوفاج كاستيلوبرانك للحصول على القذائف وعلى آله رافعة وسلالم وفؤوس وكبوش لكسر بوابة القلعة، وعند ما جاء نونوفاج بالسلم أمر الفونسو دي البوكيرك بإسناده على الحائط، وأخذ رجالنا بالصعود عليه وكان جشبار دياش ديكاسيري دي سال، أول من رفع رايته، وكذا نونوفاج مع راية جون كيمادو، ثم حذا الآخرون حذوهم".

وفي المعركة العنيفة عند أسوار وأبراج القلعة فقد الكثير من المحتلين حياتهم، لكن نهاية المعركة كانت حتمية، لأن القوة لم تكن متكافئة، وقد لجأ العرب بعد أن تكبدوا خسائر جسيمة إلى البرج الرئيسي، وشق البرتغاليون طريقهم إلى داخل القلعة باستخدام الفؤوس والكبوش، وحاصروا البوابة المؤدية إلى البرج في انتظار وصول تريستان ديكوني، وعند سياج الخوازيق واجهوا مقاومة ضعيفة من قبل العرب الذين قتل منهم الكثير ولجاء الباقون إلى الجبال، ثم انظم إليهم دي البوكيرك ودخل القلعة. ومن بين مائة وخمسين من المقاتلين العرب لم يبق على قيد الحياة سوى خمسة وعشرين كانوا في مأمن في البرج المغلق بإحكام، وحاول البرتغاليون السيطرة على البرج من خلال الاقتحام وصعدوا على السلم المتحرك إلى الأعلى لكنهم

سرعان ما أدركوا أنهم بذلك سيكونون هدفاً رائعاً للسهام التي ستنهال عليهم من الأعلى، وكاد العرب أن يصيبوا رأس انطونيو دي نوروني لولا أن دي البوكيرك قد صد الضربة بدرعه في الوقت المناسب، وعند ذلك قرر تريستان دي كونيا أن يبدأ المفاوضات مع من تبقى من العرب لكنهم رفضوا الاستسلام فاستمرت المعركة.

ورغم كل شيء تم احتلال القلعة لكن القتال كان عنيفا بصورة غير متوقعة.

" في صباح اليوم التالي اتجه تريستان دي كونيا مع رجاله إلى مسجد العرب الذي تم تحويله إلى كنيسة رئيسية وأطلقوا عليها اسم (كنيسة سيدتنا التي منحتنا النصر) وخدم القداس الأب انطونيو دي لوريرو من الأخوية الفرنسيسكاوية".

بعد القداس الديني تحدث تريستان دي كونيا مع المسيحيين من السكان الأصليين، مشيرا إلى أن الملك الفاضل بعثه مع المقاتلين لحماية السكان من استبداد العرب، وأن عليهم أن لا يخشوا شيئا بعد اليوم، وطلب من سكان الجزيرة مقابل الحماية التي منحت لهم، المحافظة على الأمن وعلى الصداقة مع الحامية البرتغالية وأن يقدموا لها المؤن الغذائية وأن يتعلموا أسس وطقوس العقيدة المسيحية التي نسوها منذ زمن بعيد. لكن سكان سقطرى المسيحيين كانوا منجذبين أكثر إلى المهريين- المسلمين مما إلى البرتغاليين المسيحيين، واظهروا عداء واضحا نحوهم.

قام البرتغاليون بترميم القلعة وأطلقوا عليها حصن القديس ميخائيل. وتم الإبقاء هناك على حامية من مائة شخص تحت قيادة قريب دي البوكيرك، دون الفونسو دي نوروني، وفي الأول من أغسطس 1507 م أبحر أسطول تريستان دي كونيا إلى الهند.

عندما عاد الفونسو دي البوكيرك إلى سقطرى بعد سبعة اشهر، وجد ابن أخيه قائد الحامية الفونسو دي نوروني مريضاً في حالة خطرة، وقد توفي أربعة من رجاله، فيما كان الباقون في حالة سيئة جدا يرثى لها. كما تمكن العرب الذين لاذوا بالجبال من إقناع السكان المحليين أن الفرنج (هكذا يسمون كل الأوروبيين) جاءوا من أجل استعبادهم وتحويلهم إلى عبيد فثار سكان الجزيرة ضد البرتغاليين ونهبوا القلعة وقتلوا عدة أشخاص، وكفوا عن تمويل

الحامية بالمواد الغذائية ونتيجة لذلك كابد البرتغاليون صنوف الفاقة والحرمان واضطروا أن يأكلوا لحاء أشجار النخيل والثمار البرية، ونخرت زوارقهم وأصابها العطب واحتاجت سفنهم للصيانة، وقد قام دي البوكيرك بتقسيم كامل المواد الغذائية التي كانت لديه بالتساوي، ودفع للحامية أيضا راتب كل الأشهر.

وفي مايو اجتمعت كل سفن الأسطول البرتغالي للراحة خلال فصل الرياح الموسمية في سقطرى.

"عندئذ شن الفونسو دي البوكيرك الحرب ضد السكان المحليين وألحق بهم هزيمة منكرة وفرض عليهم غرامة تأديبية لقتلهم رجالنا، وطلبوا الأمان، ولم يقبل طلبهم إلا بعد أن اشترط عليهم أن يدفعوا سنوياً لرجالنا في القلعة تعويضات قدرها 600رأس من الأغنام و 20 رأس من الأبقار و40 كيساً من التمر".

بانتهاء الحملة التأديبية، أبحر الفونسو دي البوكيرك من سقطرى. وفي نوفمبر 1509م أصبح نائباً للملك في الممتلكات البرتغالية في الهند، ولم يعد بعد ذلك إلى سقطرى. بعد ذلك الشتاء الأول بالكاد حملت الرياح الموسمية الأسطول البرتغالي في البحر ولم يعد البرتغاليون يستخدمون مرسى سقطرى للتوقف الشتوي، رغم أن سفنهم قد مرت في الأعوام اللاحقة للتزود بالمياه في الجزيرة.

في الأعوام اللاحقة قامت الأساطيل البرتغالية بغارات قرب سقطرى، ووردت أنباء عن تضائل الحامية العسكرية السريع في الجزيرة، وفي عام 1516م أشار الفلورينتسي اندريه كورسالي الذي رحل مع أسطول لوبو سواريس، إلى أن القلعة قد وقعت مرة أخرى في قبضة العرب [65، 334- 335].

وينبغي القول إن المهريين الذين هزمهم البرتغاليون لم يقرروا وداع سقطرى إلى الأبد. أشار المؤرخ الحضرمي شنبل، أنه في عام 915هـ/ 1509م مات في قشن "شيخ آل الطوعري الزويدي" ويعتقد ر.سيرجنت أن الحديث يمكن أن يكون على ابن ذلك الشيخ من جماعة آل الطوعري، الذي قتله الغزاة البرتغاليون في عام 1507م (يسميه المؤرخون البرتغاليون الذين وصفوا الاستيلاء على القلعة "الخواجة إبراهيم")، وقد قام أبناء ذلك الشيخ في عام 916هـ/1510م بغارة على سقطرى وألحقوا بالقلعة البرتغالية ضربات عديدة

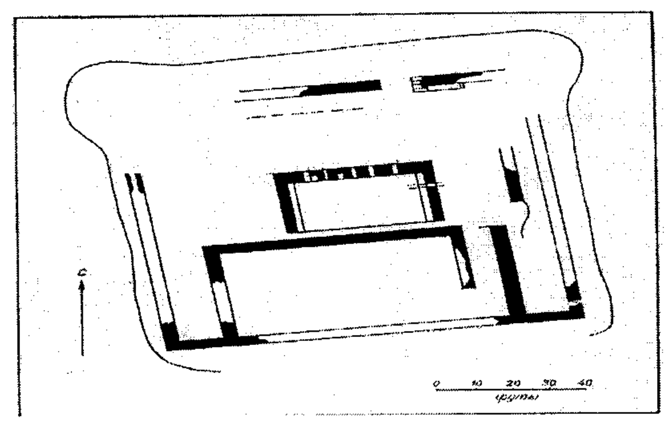
وفي "تاريخ شنبل" نقرأ أيضا:" في ذلك العام شن خميس وعامر أبناء سعد بن الزويدي غارة على سقطرى التي كانت آنذاك في قبضة الأفرنج وقد دخلوا البلاد وعقدوا معهم اتفاقية (ربما مع السقطريين– المؤلف) لكن الفرنجيين وقفوا ضد المسلمين فاقتتلوا معهم، وقتل ما يقارب العشرة من الكفار، وتغلب المسلمون عليهم وسيطروا على جزء من ممتلكاتهم.." [81،ص 155].

ارتباطا بهذا النبأ يذكر سيرجنت، وفقا لما قاله المؤلف البرتغالي كستنيدا، أن البرتغاليين تركوا القلعة بحجة أن "سكان البلاد بشكل عام تعاملوا بمودة مع العرب أكثر مما معنا.. وغالبا ما انتفضوا ضد البرتغاليين عندما اندفع العرب للقتال". ويحتمل أن جلاء البرتغاليين لم ينحصر في ذلك السبب فقط، وإنما لم يستن لهم بطريقة أو بأخرى إيجاد لغة مشتركة مع السكان المحليين، وكان دارتي باربوزا الذي زار الجزيرة في ذلك الوقت تقريباً قد "تحدث عنهم بدون حماس".

وهكذا اضطر البرتغاليون في عام 1511م إلى مغادرة سقطرى، ومنذ ذلك الوقت أصبح المهريون الأسياد الرئيسيين في الجزيرة، وقد أسسوا سلالة السلاطين التي حكمت في الجزيرة حتى عشية الاستقلال عام 1967م، ولقد أعادوا بناء القلعة من جديد، وهدموا كنيسة سيدتنا سيدة النصر ولا يعرف بالضبط أين شيد المهريون قلعتهم الجديدة، ويفترض بينن أنها كانت في منطقة تل حسون، في الوادي بالقرب من حديبو، زار الجزيرة أيضا توماس روفي عام 1516م، وكتب أنه رأى في هذا الموقع قلعة، لكنهم لم يسمحوا له بالاقتراب من أسوارها، وحسب كلمات رويدت فأن الأسوار سميكة جداً وتقع القلعة نفسها على مرتفع يطل على الوادي، وكانت بالفعل قلعة منيعة. وفي عام 1956 م حاول ب.شيني تصوير بقايا الأسوار وقياسها، لكن أعاقته عن ذلك الرياح القوية الاندفاع التي هبت على الرابية، و كما يقول بلغت سرعتها في الساعة 96 كم.

في عام 1541م زار سقطرى الأدميرال البرتغالي دون جوان دي كاسترو وأرست سفينته في نفس المكان الذي رسى فيه من قبل دي البوكيرك بالقرب من سوق، وكتب عن الجزيرة يقول:" يعترف سكان سقطرى بالإنجيل وحسب شهاداتهم بأنفسهم، فقد عرفهم على الإنجيل القديس البابوي فوما، الذي يعود إليه الفضل في تدينهم بديانتنا، وتوجد في الجزيرة الكنائس في كل

مكان، وتتوج كل واحدة منها الرب، ولا يعرف السكان الكثير من الديانة، لكنهم شغوفون بمعرفة ذلك، ويطلبون بإلحاح التحدث إليهم عن اعتقادات وعادات الكنيسة الرومانية، التي يعتبرونها الوحيدة الصحيحة، ويرغبون بشكل خاص بإتباع تعاليم هذه الكنيسة.



(رسم7) قلعة على تل حسون إلى الجنوب الشرقي من حديبو.

ولدى السقطريين نفس الأسماء التي لدينا: بيير، جان، أندريه، وتسمى النساء غالبا لديهم ماريا. ولسكان الجزيرة أسلوب الحياة الخاص بهم، فليس لهم ملك ولا محافظ ولا حبر (مدبر الكنيسة)، وبشكل عام ليس لهم أحد يخضعون له، أو يستلمون منه الأوامر وهم يعيشون كالحيوانات المتوحشة ولا وجود لديهم للنظم القانونية والحياة السياسية، و في الجزيرة لا وجود للمدن والقرى الكبيرة، وهم يعيشون في الكهوف وأحيانا في الأكواخ، ويمارسون تربية الماشية والحرفة الحراجية (أي في الغابات، الإحراج) ويقتاتون اللحوم والتمور ويشربون الحليب، وفي الغالب المياه العادية، ويحمل الجميع تقريبا الصليب، ومن الصعب أن تجد احد السكان بدون صليب يحمله على الصدر.

يمتلك هذا الجنس (العرق) الوسيم هيئة ذات جاذبية أو فتنة أكثر بين سكان هذه المنطقة. وسكان سقطرى ذو بنية مستقيمة، طوال القامة ويتناسق، وللرجال وجوه لوحتها الشمس وللنساء وجوه ناصعة وذات جمال بما فيه الكفاية، ولا وجود للأسلحة الدفاعية ولا الهجومية في الجزيرة، باستثناء

سيوف حديدية صدئة. ويلبس الرجال للحشمة أشرطة صغيرة على الخصر يسمونها (كَمْبُلِيس) يصنعونها بأنفسهم.

وأراضي الجزيرة قفراء، لا يمكن العثور فيها على شيء، عدا الصبر وشجر دم التنين (دم الأخوين) وهي تنبت هنا بوفرة وتصدر بكميات كبيرة، وتحاط الجزيرة من كل الجهات بالجبال، وتقتات فيها أسراب الطيور التي توجد هنا بكثرة. ولا يزرع في الجزيرة لا الرز ولا القمح ولا أية نباتات غذائية أخرى، وفي تقديري أن هذا لا يعني أن التربة فقيرة، وإنما يتوقف ذلك على انعدام الهمة وعلى أسلوب حياة السكان في الجزيرة. المناخ في الجزء الداخلي مائل للبرودة، ولا يعمل السكان بالملاحة ولا بصيد الأسماك رغم وجود الأماكن الغنية جداً بالأسماك، وتندر في الجزيرة أشجار الفواكه، باستثناء النخيل، وتُعطي لزراعة النخيل عناية كبيرة جدا، وتقدم النخلة المواد الرئيسية للتغذية، كما تنمو هنا مختلف النباتات البستانية والأعشاب التي تستخدم كعلاج، وتتدثر الجبال بالرياحين والنباتات العطرية الأخرى [79، ص38- 39].

في منتصف القرن الخامس عشر، لم يجد الرحالة الأوربيون هنا لا أساقفة ولا قديسين أو رهبان، رغم أن الخدمة الدينية جرت علينا أربع مرات في اليوم، وكانت مواقع المسيحية قد ضعفت للغاية، وحافظ سكان الجزيرة فقط على احترام إشارة الصليب. وحين مكث هنا مؤسس أخوية اليسوعيين اغناتين لويول عاتب السقطريين على ضعف إيمانهم.

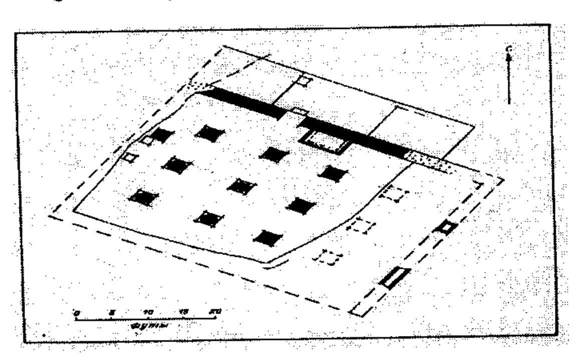
ووفقاً لما رواه الراهب الكرملي فينشينتس فأن آثار النصرانية (المسيحية) بقيت في الجزيرة على أقل تقدير حتى أواسط القرن السابع عشر الميلادي، وقد أورد هذا موظف شركة الهند الشرقية صموئيل بيرتشاس [77].

وفي ذلك الوقت كانوا ما زالوا يتذكرون جيدا البرتغاليين. ونورد شهادات الرحالة هنري اجينز، الذي أبحر إلى سقطرى في عام 1633م:" على شاطئ النهر تقف ثلاث مدافع فولاذية على عربات مدفعية قديمة، وهنا يمكن أيضا مشاهدة الأسلحة البرتغالية، وهم (السقطريون - المؤلف) ينتشلون حطام السفن التي منيت بحوادث تحطم، كما أنهم يعادون البرتغاليين [78، ص 294].

لم يعد الآن إلاّ القليل الذي يُذكّر بالبرتغاليين في سقطرى، فمن تلك العهود تبقى المسجد الذي حولوه إلى كنيسة سيدتنا سيدة النصر وأطلال

القلعة (وحسب المصادر العربية فان المهريين هدموا القلعة بعد أن غادرها البرتغاليون، وبنوا قلعة أخرى في مكان آخر)، وكذا أشجار البرتقال التي جاءوا بها من البرتغال (تسمى بالسقطرية "تينجي" وهي من البرتغالية "لارينجا") ومن الممكن بعض الأسماء أيضاً.

ترى هل بقي في ذاكرة السقطريين شيء ما من تلك العصور الغابرة ؟ كلا، إن السكان المحليين لا يتذكرون شيئاً عن ماضيهم، وتوصل جميع الباحثين إلى استنتاج مفاده أن الغزو البرتغالي كان مجرد "حادثة عابرة" في تاريخ الجزيرة، لكنني سمعت من شيوخ القبائل الجبلية حين سألتهم عن الأغاني القديمة أنه في زمن غير بعيد عُرفت في بعض مناطق الجزيرة أغانٍ تتحدث عن الجبليين الذين عاشوا في زمن ما في أقاليم أخرى، حيث كانوا هناك أحرارا، أغنياء وسعداء، لكنهم أبعدوا من تلك البلاد السعيدة "لذنوب اقترفوها" فجيء بهم إلى الجزيرة حيث يعيشون منذ أمد طويل، تُرى من أين أتت هذه الموضوعات في الفلكلور السقطري ؟! ألا يحتمل أن البرتغاليين حسب ما كان شائعا من ممارسات في القرون الوسطى، قد نفوا إلى الجزيرة رعايا الملك من المغضوب عليهم والقراصنة الذين وقعوا في الأسر؟.



(رسم 8) مخطط عام للكنيسة- المسجد في قرية (سُوق).

بعد مغادرة البرتغاليين للجزيرة سرعان ما اهتزت سيطرت البرتغال في منطقة الخليج العربي وخمد مجدها كأول دولة بحرية أزاحت من هذه المنطقة البحارة العرب والفرس والهنود. وأول ضربة موجعة ضد البرتغاليين هنا وجهها جيش سلطان عمان ناصر بن مرشد بن سلطان (حكم عُمان على

مدى أربعة وعشرون عاماً)، وأرغم السلطان ناصر البرتغاليين الذين ظلوا في هذه المنطقة على دفع الجزية له (وهي ضريبة يفرضها الحكام المسلمون على غير المسلمين) وطردهم من عدة مراكز وقيَّد تجارتهم.

السلطة في سلطنة المهرة وسقطرى (أو قشن و سقطرى كما أسمى الدولة كذلك السلاطين المهريون) كانت تنتقل بالتناوب من أحد فروع القبيلة المهرية "بنو زياد" إلى الأخرى، وكانت عاصمة السلطنة مدينة قشن في المهرة (محافظة المهرة حالياً). وفي المهرة كانت تقع أيضا كبرى مدن السلطنة الغيضة (عاصمة المهرة حالياً)، ومنذ زمن غير محدد عاش السلطان بصورة دائمة في جزيرة سقطرى، وناب عنه في قشن أقرباؤه، ونادراً ما غادر السلطان الجزيرة، ربما لزيارة الأماكن المقدسة في مكة، وكان يتم اقتناء العبيد من بلدان أفريقيا واستخدامهم في الخدمة العسكرية، وكذلك الإماء (الجواري) وقد خُصصن كخليلات وللعمل المنزلي.

في عام 1800م نزل الجزيرة أتباع المذهب الوهابي، الذين أسسوا فيما بعد المملكة العربية السعودية، وهدموا جميع الأضرحة والكنائس على الشاطئ القريب من حديبو، وفرضوا رقابة على أداء السكان للفرائض والواجبات الدينية المفروضة على المسلمين. ومن غير المعروف لنا تفاصيل هذا النزول، وفيما إذا كان له أية تأثير على مصير الجزيرة وسكانها، رغم أنه من المحتمل أن تكون المؤلفات الوهابية قد حفظت أية معلومات وشواهد عن هذه الحملة وتأثيرها على السكان المحليين، وما نعرفه فقط هو أن هؤلاء الفاتحين الجدد لم يبقوا في الجزيرة إلاّ لمدة قصيرة جداً.

في عامي 1834 - 1835 م قام الكابتن هينس، بتكليف من شركة الهند الشرقية بإجراء القياسات عند ساحل سقطرى لوضع إرشادات ملاحية، وقد أبحر إلى هنا من سواحل الجنوب العربي على متن سفينة البحث "بالينيوروس". أشار هينس:"تظهر الفئات الدنيا لا مبالاة كاملة إزاء الدين، وكثيرون لا قدرة لديهم حتى على نطق الفروض الضرورية للصلاة التي يقرها الإسلام " [49، ص 111].

وفي العام 1834 م قام الملازمان في أسطول المستعمرة الإنجليزية الهندية، ويلستد وكراتينديين بإجراء مسح لسقطرى، وفي تقريرهما تحدثا عن الجزيرة بشكل مشجع، ولذلك قررت الحكومة البريطانية إنشاء قاعدة هناك لتزويد

السفن المتجهة إلى الهند بالفحم، وأُقترح على السلطان بيع الجزيرة للتاج البريطاني، لكنه رفض، وبعدها تم احتلال الجزيرة من قبل القوات الاستعمارية البريطانية، ولكن بعد مدة قصيرة لم تعد محطة التزويد بالوقود ضرورية، لاسيما بعد احتلال الإنجليز لعدن عام 1839م، وبعد فترة من الزمن عانت الحامية الأنجلو – هندية من مرض الملاريا فغادرت الجزيرة.

في رأي الملازم كراتيتدين، بلغ دخل الجزيرة في عام 1847 م مبلغ 320 دولاراً، وفي عام 1877م قدره النقيب الإنجليزي هنتر أكثر بمرتين.

في يناير 1876 م وصل من عدن إلى سقطرى المندوب السياسي الإنجليزي (رئيس الإدارة الاستعمارية) ووقع مع سلطان قشن وسقطرى على معاهدة، دفع له الإنجليز بموجبها ثلاثة آلاف دولاراً، والتزموا بأن يدفعوا له كل عام ثلاثمائة وستون دولاراً، ومقابل ذلك فأن السلطان وكذلك خلفه وورثته، لا يحق لهم بيع أو رهن أرخبيل سقطرى ولا السماح بأي أسلوب آخر لأي كان باحتلاله، عد الحكومة الإنجليزية، وإلى جانب ذلك يضمنون حماية بضائع وركاب السفن البريطانية في سقطرى.

في عام 1886م أصبحت سقطرى مستعمرة تابعة لبريطانيا العظمى، وتم مضاعفة معاش السلطان، الذي اختار سقطرى مكاناً لإقامته الدائمة.

كتب المؤلفون الإنجليز المدافعون عن المصالح الاستعمارية أنه "من المشكوك فيه أن تتمكن سقطرى من الحفاظ على استقلاليتها " وأن قدرها قد كتب عليها مصير الدولة التابعة "تحت الحماية" لأن السلطان لا يملك الجيش الخاص ولا الحلفاء ولا الأموال ولديه القليل من السكان، الذين لا يستطيعون بأي حال من الأحول الوقوف لوحدهم لمواجهة أي خطر من قبل أية دولة أخرى. ولقد أحتفظ الإنجليز بسقطرى كقاعدة إستراتيجية احتياطية في الحرب أو غيرها من حالات الخطر الاستثنائية، وتمثلت كل "مساعدة" بريطانيا العظمى للسقطريين "تحت الحماية" بهبات نادرة لسكان الجزيرة في حالات المجاعة والأوبئة بإرسال كمية من الأدوية أو الأغذية.

في نهاية القرن التاسع عشر اشتهرت سقطرى كواحدة من الأماكن الخطرة على السفن المارة، وكان الإبحار قرب رأس مومي في غاية الخطورة حيث سرعة التيار وقوة الريح الكبيرة جداً وبصورة غير عادية، ولهذا السبب تم خصيصاً إنذار السفن التي تبحر من السويس إلى الهند، كي تبتعد قدر

الإمكان فور اقترابها من الطرف الشرقي للجزيرة لأن اقتران التيار بالريح قد يؤدي إلى ارتطام السفن وبقوة بالشاطئ الصخري، المغطى بصورة دائمة بالضباب والسحب. كما تختفي تحت الماء صخور بحرية كبيرة، تمتد تضاريسها من الرأس إلى البحر وقد غرقت الكثير من السفن التي اصطدمت بهذه الصخور.

وقعت في نهاية القرن الماضي اثنتان من أكبر حوادث تحطم السفن. ففي عام 1887م، وفي ليلة حالكة الظلام، اصطدمت الباخرة الألمانية "إدلر" بالصخور البحرية عند رأس مومي. وبعد عشرة أعوام، و في نفس الموقع أيضا حدثت كارثة أكبر، فقد خرجت السفينة الإنجليزية، ذات الدرجة الأولى "عدن" من كولمبو في مطلع شهر يونيو، و في ذروة الرياح الموسمية الجنوبية - الغربية القوية إلى حد ما، وكان على متنها حمولة 3925 طنا، وتقل 138 راكبا، وطاقمها وبضاعة ثمينة (شاي، قصدير، حرير) والبريد، وفي منطقة رأس مومي تعرضت "عدن " لحادثة تحطم، ومات في الحادث ثلاثة وتسعون شخصا.

إثناء الحرب العالمية الثانية كانت في سقطرى قاعدة جوية حربية إنجليزية، وبعد مغادرتهم مع نهاية الحرب، أخذ الإنجليز معهم كل ما كان لديهم في الجزيرة، ولم يتركوا سوى حطام الطائرات، وكذلك الثكنات المهدمة التي شيدت من الحجارة الخام.

لقد زارت الجزيرة أثناء السيطرة البريطانية، عدة بعثات علمية.

في عام 1880م أجرى ج.بلفور دراسات نباتية وحيوانية وجيولوجية هامة، وتمت دراسة مجموعة الصخور التي جمعها خلال زيارته من قبل ج.بوني [58]. وفي عام 1881م قامت بعثة ريبيك التي شارك فيها غ.شفينفورت، ولأكثر من شهر بدراسة ضواحي حديبو والتلال القريبة منها [83]. وفي عام 1882م عمل مع شفينفورت عالم الطبيعة الفرنسي ش.منيويل [49، ص 114]. وفي عام 1888م نشر زاوير دراسة في عالم المعادن عن سقطرى.

في عام 1897م وعلى مدى شهرين ترحل ت. بينت وقرينته في أنحاء الجزيرة، وشغلت اهتمامهما بشكل خاص المواضيع الأثرية، وصدرت دراسة بينت بعد موته من قبل زوجته، وشملت خارطة تفصيلية لسقطرى، وقد رافق بينت وزوجته الاختصاصي بعلم الحيوانات بينيت الذي كان أول أوروبي يصعد إلى قمة حجهر. وفي عام 1899 م قام بذلك الأستراليان أ.سيموني، و ف.كسمت.

في نوفمبر 1898م وبتكليف من أكاديمية فينا للعلوم أُرسلت بعثة علمية إلى الجنوب العربي، على متن الباخرة السويدية "جوتفريد"، وقامت بأبحاث أثرية اثنوغرافية، وفي التاريخ الطبيعي، وضمت البعثة في قوامها، ك.لندبرغ، د.ميولير، أ.سيموني، ف.كسمط، يان وباولي. وأنظم إليهم في عدن أ.بيرن، ثم ج.فوريس و أ.غرانت، وكان هدفهم جمع عينات حيوانية ونباتية لمتحف لندن ومتحف ليفربول.

و في يناير 1899م وبعد التوقف المفاجئ للدراسات في اليابسة، في الجنوب العربي، اتجه جزء من البعثة إلى سقطرى، وعمل العلماء هنا على مدى شهرين، درسوا في المقام الأول المناطق غير المعروفة كثيراً في جنوب وغرب الجزيرة، وقاموا فيما بعد برحلة إلى عبد الكوري وسمحة. وكان عملهم مثمرا، ونتيجة لذلك ظهرت الكثير من المطبوعات، بما في ذلك العمل المشار إليه لفوريس[68]، والنصوص السقطرية لميولر مع ترجمته وشرحه [75].

ويكتسب أهميه علمية معينة وصف محاكمات الساحرات الذي أورده الرائد الإنجليزي ي.سنيل في عام 1955م، وفي عام 1956م زارت الجزيرة بعثة أكسفورد برئاسة د.بوتينج، الذي ألف كتاب "موطن دم التنين" وكذلك المشارك السابق ذكره ب.شيني الذي نشر دراسة أثرية مختصره.

في عام 1966م أجرى الرائد البريطاني ج.براون بتكليف من السلطات الاستعمارية دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في سقطرى، للوقف أمام آفاق التطور الاقتصادي لصالح اتجاهات المستعمرين، وقد أصبح فيما بعد خبيرا متخصصا، وحصل على أمكانية كبيرة للتنقل والتجول في الجزيرة، وتمكن براون من جمع مواد قيمة عرضها في تقريره الرسمي عن الرحالة.[61].

وأخيراً، في عام 1967 م عملت في سقطرى بعثة متكاملة من العلماء الإنجليز، شارك فيها: ر.بتشن (عالم أحياء، جامعة ليدس)، د.دو (عالم آثار، مدير مصلحة عدن للآثار)، ك.كويتشارد (عالم متخصص بالحشرات. المتحف البريطاني)، ت.جونستون (عالم لغة، جامعة لندن)، م.تومكينسون (عالم لغة واختصاصي في عالم الأثنوغرافيا)، ر.سيرجينت (مؤرخ، مستعرب، جامعة كيمبردج)، م.سيرجينت (طبيب، جمعية إغاثة الأطفال) أ.سميت (عالم نباتات، حديقة النباتات في كيو)، ج.لفرانوس (عالم نباتات). كما توخت البعثة الأهداف العسكرية، وأدخل في قوامها ممثلو وزارة الدفاع البريطانية.

وكنتيجة لعمل البعثة، تم إصدار جملة من الدراسات، ونُشر العمل الأكثر أهمية في عام 1967م من قبل روتبرينت في الولايات المتحدة الأمريكية (ميامي، فلوريدا) وهي الدراسة العلمية من تأليف د. دو بعنوان "سقطرى - دراسة أثرية 1967م" [66]. وللأسف الشديد فقد توفي البروفيسور ت.جونسون، قبل أن يتمكن من تحرير ونشر الموضوعات السقطرية التي تم جمعها من قبله.

في 30 نوفمبر 1967م، نزلت في الجزيرة فرقة من الجبهة القومية، التي قادت الكفاح المسلح من أجل تحرير جنوب اليمن من المستعمرين الإنجليز وصنائعهم، وألغيت سلطنة المهرة وسقطرى، ودخلت الجزيرة في قوام الدولة التي أعلن قيامها في ذلك اليوم، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية (من عام 1970م جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية).

الفصل الثالث

الخصائص البدنية للسقطريين

الفصل الثالث

الخصائص البدنية للسقطريين[1]

- معطيات علم الأسنان -

يتميز سكان جزيرة سقطرى بتعقيدات عرقية يصعب معرفتها أو تحليلها وفقاً للطرق الأنثروبولوجية المعيارية. ولتحديد التكوين الأنثروبولوجي للسقطريين المعاصرين يمكن الأخذ بعين الاعتبار ثلاثة عوامل:

أولاً: وجود فئة يمكن القول إن أصولها معروفة وترتبط بجنوب الجزيرة العربية، وهي الفئة الأكثر تميزاً ووضوحاً بين سكان المناطق الجبلية من الجزيرة.

ثانياً: ظهور المهاجرين الجدد ممن استوطنوا بشكل رئيسي في المناطق الساحلية وامتزجوا مع السكان المحليين.

ثالثاً: تأثير العزلة والزواج الداخلي بين الأقارب وهو ما كوّن الظروف اللازمة لتطور المميزات أو السمات الخاصة. وأي بحث انثروبولوجي عن السقطريين لا بد أن يتناول ترابط أو تفاعل هذه العوامل الثلاثة.

إن انعدام أو شحة مادة المقارنة من الدول العربية، وخصوصاً من الجزيرة العربية، يقيد أو يحد من أي تحليل أودونتولوجي لسكان جزيرة سقطرى والمناطق المجاورة. ومن المحتمل أن تغدو تلك المادة متوفرة، ولكن بالنسبة للوقت الراهن فإن بيانات المقارنة يجب أن تؤخذ من مناطق أبعد، مثل الهند. ففي الهند يعتبر البارسيون والبراهميون ممثلين للسكان الأوروبيين، بينما الكاثكاريون والسنتاليون هم من مجموعات الفيدودرافيين. وفي هذه الحالة فأن اختيار هذه المجموعة للمقارنة مفيد للغاية. فسكان الهند وخاصة القبائل الأصليين المعروفون بنوعهم العرقي الفيدودرافودي (الأسترالي)، وربما تكوّن بطريقة مشابهة وبنفس المكونات للقبائل العربية القريبة من سقطرى.

[1] هذا الفصل كتبه المؤلف بمشاركة كل من: استاذ التاريخ أ.أ. زوبوف؛ والمرشح في العلوم الطبية ف.س. شينكارينكو.

ومن المعروف في هذا الصدد عمل الباحث كون[63] الذي يشير فيه إلى أن بدو حضرموت يمتلكون هيئة فيدودية. وفي رأينا فأن مصطلح "فيدودرافودي" يكون أكثر دقة في حال الأخذ بعين الاعتبار عناصر السلالة الأوروبية الجنوبية. إن مقارنة سكان سقطرى مع القبائل الهندية التي تشمل المجموعات المتحدثة باللغة الدرافيدية أمر ممتع للغاية، لأنه يمكن افتراض وجود روابط قديمة بين المهاجرين إلى سقطرى والشعوب الدرافيدية[1].

كما أن المكون الزنجي الأفريقي في التكوين العرقي لسكان الجزيرة ممتع أيضاً وذو أهمية. وترتبط المميزات الزنجية بشكل رئيسي بسكان الشريط الساحلي، أي أولئك الذين هاجروا في وقت متأخر، على الرغم من وجودهم أثناء الاختلاط أو الامتزاج العرقي في مناطق سقطرى الجبلية. ولا تظهر الطرق الأنثروبولوجية تلك المميزات بشكل مناسب. فعلى سبيل المثال يشير البحث الأولي إلى أن البيانات المتعلقة بدراسة البشرة والخطوط التي تكونها تشير إلى عدم وجود سمات أفريقية واضحة أو مرئية على السقطريين. ومن ناحية أخرى فأن البيانات المتعلقة بدراسة الأسنان تشير إلى وجود بعض الروابط الخاصة مع القارة الأفريقية وعلى وجه الخصوص مع شرق أفريقيا[45]. وأي بحث جديد عن السقطريين لا بد أن يأخذ بعين الاعتبار هذه البيانات الأولية وشرح هذه النتائج المتناقضة بعض الشيء.

تعد البيانات المتعلقة بدراسة الأسنان ذات استخدام محدود في تمييز السلالات الأوروبية (خصوصاً الجنوبية) من السلالات الزنجية، بسبب التشابه الكبير في السمات الخاصة بالأسنان. الاً أنه يمكن استخدام دراسة الأسنان للتمييز بين عدد من سمات المجموعات الفيدودية والمجموعات الأفريقية والتي تكتسب أهمية خاصة في هذه الدراسة. كما تم استخدام معلومات من المجموعات الهندية ومعلومات حول الشعوب المالية والأثيوبية لأغراض المقارنة.

بعد الزيارة الميدانية عام 1984م قام ف.إ.شينكارينكو بتوسيع حجم معطيات دراسة الأسنان المتعلقة بالسقطريين، ومكنت من تجميع المزيد من العينات الخاصة بكل سكان المناطق الجبلية والساحلية، وكذلك مكنت من

[1] الدرافيديون: إحدى الجماعات السكانية التي ظهرت في هندستان قبل الآف السنين وكوّنت مع غيرها من الجماعات الهندوآرية والأوستراسيوية وغيرهم التشكيلة التي تُعرف بالحضارة أو الثقافة الهندية القديمة. (المترجم).

التعرف على عينة الأفراد الذين أظهروا سيماء الوجه الزنجي الواضح. وهذا بدوره أدى إلى مزيد من التحليل التفصيلي عن سمة وأصل المكون الاستوائي على جزيرة سقطرى. وقسمت العينات إلى: سكان الجبال، سكان الساحل، الزنوج، وسكان الجبل والساحل معا، والسكان السقطريون بشكل عام (انظر على سبيل المثال، الجدول رقم 1 في نهاية الفصل).

اتبع بحثنا طرق دراسة معطيات علم الأسنان المستخدمة في الإتحاد السوفيتي [14؛ 15] والتي تم استخدامها لعدة سنوات في جمع وتحليل المواد المتصلة بكل من الإتحاد السوفيتي وعدد من البلدان الأخرى (الهند، منغوليا، فيتنام، بيرو، أثيوبيا، مالي، فنلندا،بغاريا وبولندا). والنتائج التي تم التوصل إليها باستخدام هذه الطريقة متوافقة مع المواد أو البيانات المجمعة حول مجموعات عرقية متنوعة من كل أنحاء العالم. وتدخل مجموعة الخواص المستخدمة في هذه الدراسة في إطار المقاييس المتعارف عليها لوضع خصائص تصنيفية على مستوى التقسيمات العرقية الكبيرة والصغيرة للجنس البشري.

في هذا العمل ندرس شكل الانطباق والافتراق بين القواطع العليا والأسنان المحتشدة حول القواطع العليا الجانبية (حيث أن التبديل اللساني يُظهر نفسه على مستويين ثنائي وأحادي)، وندرس شكل المجرفة للقواطع العليا، و(قمة كارا بيلي)تعرجات الأخاديد الموجودة على الضرس العلوي الأول التي تساعد على طحن الطعام، وتناقص الدرنات على الضرس العلوي الثاني، وعدد الدرنات ونوع الالتقاء بين تشقق الدرنات الداخلي على الضرس الطاحن السفلي، والقشرة المضلعة القصوى(قمة الترايجوند)، والتجعد الإنحرافي للميتاكوند، وموقع الشق الثاني للميتاكوند في الضرس السفلي الأول وشكل الشق في الضرس العلوي الأول.

إن مبدأ تدوين المميزات قد تم وصفه في عدة مؤلفات سوفيتية [انظر على سبيل المثال14؛ 15؛ 17]. وعند القيام بالمقارنات تم استخدام عدة معايير تمييزية منفصلة، وعلى مستوى المقارنة فأن العناصر وصفت المميزات المورفولوجية الخاصة الأكثر أهمية والأكثر تصنيفاً. وتم الحصول على بعضها من خلال إضافة بعض درجات منفردة من الخصائص من أجل تكوين دلائل أكثر تعبيراً. مثلاً العنصر الذي يعكس تطور قمة (كارابيلي) يتم تحديده بإضافة النقاط (3) و (+3)، وعنصر تشكيل المجرفة(شكل الملعقة)

بإضافة النقاط (2) و(3) على القاطع العلوي الأوسط. ويتم استخدام المميزات الأخرى بشكل مباشر كعناصر مثل قمة (الترايجوند) القصوى، والتجعد المنحرف.

فيما يخص سقطرى تم اقتصار معطيات علم الأسنان على عينة الذكور، وينبغي أخذ ذلك بعين الاعتبار عند المقارنات لأن معظم المعلومات العالمية يشار إليها على شكل أرقام تتوسط بين الرجال والنساء، فيما مادة المقارنة هنا (الهند وأثيوبيا) مقصورة على عينات الذكور في هذا الخصوص.

في التحليل المقارن استخدم منهج متوسط المسافات التصنيفية، وهذه طريقة تم تطبيقها مسبقاً في الأبحاث الأودونتولوجية[17]. وتم الحصول على قيمة متوسط الأبعاد التصنيفية من خلال إضافة الفروق في كل خاصية، ويتم التعبير عنها بـ(الراديان) أي وحدة قياس الزاوية، مقسومة على المعيار الأنبوبي لمعيار فيشر لسكان المجموعات المعطى، والقسمة المتتابعة للمجموع الكلي الذي تم الحصول عليه من خلال عدد من الخصائص.

تم تحقيق أهمية إحصائية بقيمة 5 ٪ عندما يكون متوسط المسافات التصنيفية = 1. على الرغم من أنه عملياً يمكن اعتبار المجموعات متميزة بوضوح كافٍ، حينما يساوي متوسط المسافات التصنيفية (0.7)، وباستخدام تلك المادة تم تجميع عينات خدميه أودونتولوجية عامة على سقطرى، وتم عرضها في صيغة جداول(انظر الجداول من 1- 8 في نهاية الفصل).

وبصورة عامة تمتلك العينات الثلاث للسقطريين انسداداً طبيعياً بشكل المقص، وتمثل نسبة متزايدة - بالمقاييس العالمية- لاحتشاد القاطع الجانبي العلوي وتكرار عالي بشكل فردي للمسافة بين الأسنان لا يوجد في مكان آخر في العالم(الجدول رقم1).

المسافات بين الأسنان لها اتصال قليل مع التقسيمات العرقية الرئيسية للجنس البشري، وحدوثها المتكرر في هذه الحالة الخاصة عباره عن ظاهرة محلية صرفة ناتجة عن العزلة، بينما الانتشار المتساوي في المجموعات الثلاث لهذه الظاهرة السقطرية خصيصا تدل على عملية التمازج الكثيفة بين كل سكان الجزيرة الذي يزيد من تجانسها. وفيما يخص معدل تكرار تجمع سكان المناطق الجبلية فإنه يقترب من البارسيين، ويقترب سكان الساحل الزنوج إلى الأثيوبيين.

إن معدل تكرار حدوث الخاصة التشريحية للعرق الشرقي (وهو شكل المجرفة للقواطع العليا) يزيد قليلاً لدى سكان سقطرى بالمقارنة مع المقاييس الأوروبية. ويتطابق بدقة مع القيم المماثلة للهند. ويعتبر التنوع داخل المجموعة في إطار سقطرى قليلاً، وهذا يدل على عمليات التساوي بين سكان الجزيرة.

إن درنة كاريبلي تظهر بالتساوي، رغم أنها غير متكررة، بين زنوج المناطق الساحلية والجبلية، إذ أن نسبتها مماثلة للأوروبيين الجنوبيين، وترتفع بدرجة كبيرة بين عدد كبير من سكان الساحل(الجدول رقم4).

توجد هناك اختلافات حادة بين المناطق الجبلية والساحلية (بما في ذلك الزنوج) فيما يخص درجة تناقص الهايبوسين على الضرس العلوي الثاني (جدول رقم5). وتمتلك المناطق الجبلية وبشكل واضح نسبة مئوية عالية لهذه الخاصية، بينما ينخفض معدل حدوثها على المناطق الساحلية وفقا للمقاييس العالمية. وهذا يعكس مرحلة معينة من التكوين العرقي عندما عاشت المجموعات في عزلة بعضها عن بعض. أما الاختلافات الناتجة التي ظهرت في هذه الخاصية، والتي تبين تغيراً عالياً، فأنها لم تمتلك الوقت لتسود.

إن نسبة الستة الضروس السفلية الأولى مستدقة الطرف مرتفعة في سقطرى في كل من الساحل والجبال (انظر الجدول رقم6). لكن توجد هناك مجموعة خاصة من الزنوج يتكرر لديها حدوث الدرنة أكثر من أية مجموعة أخرى، واستخدمت لأغراض المقارنة (من ضمنها الأثيوبيين والسنتاليين).

وطالما تم استبعاد التركيبة المغولية القوية، فيمكن الافتراض أن خواص المكون الفيدودي كبيرة، على الرغم من تدني العينات الفيدودرافية التي استخدمت للمقارنة فأن معدل الدرنة السادسة أدنى في الساحل السقطري. ويمكن أن يحدث تركيز هذه الخاصية بشكل منعزل، ويستلزم استقرار طويل للمجموعة السكانية في الجزيرة، حيث يعتبر تأثير المكون الأفريقي محتملا، ومن الصعوبة تقديم أي حكم محدد، والمعلومات المتوفرة توضح أن تكرار حدوث الدرنة السادسة ليس مرتفعاً في أفريقيا [18؛ 53؛ 62؛ 67]. ويبدو من خلال هذا المثال المحدد وجود ظاهرة سقطرية أخرى.

هناك اختلافات محلية واضحة في سقطرى تتضح من خلال تكرار حدوث التعرجات على الدرنات الأربع السفلية الأولى والثانية، وهذه الخاصية توجد بشكل متكرر أكثر في المناطق الجبلية، وبشكل أقل في الساحل، وغير متكررة بين الزنوج. إن تركيز الضروس السفلية ذات الدرنات الأربع المنخفضة بين سكان جبال سقطرى قريب الشبه إلى الفرع الجنوبي للأوروبيين من حملة ما يسمى نموذج معطيات الأسنان الرشيقة. وقد تشير هذه النسبة المنخفضة لهذه الخاصية في الساحل إلى تأثير العنصر الأفريقي أو الفيدودي.

وأحد أهم علامات الأسنان الشرقية هي القمة القصوى الترايجونودية، وتتوزع بشكل غير متساوي بين السقطريين (الجدول رقم7). ويحدث بشكل أقل بين الزنوج وغالباً في المناطق الجبلية، ويشير هذا الانحدار الجغرافي بشكل واضح إلى وجود علاقة بين سكان الجبال والأصناف العرقية الأوروبية الجنوبية والفيدودرافيدية، وكذلك وجود روابط محتملة بين سكان المناطق الساحلية والزنوج الأفارقة ممن يُعرف بأن تركيز قمة الترايجوند القصوى لديهم قليل جدا.

إن وجود العنصر الأفريقي كأنما يبرهن النسبة العالية وفقا للمعايير الدولية للدرنة المتوسطة المضاعفة الداخلة في المجموعات التي تمت دراستها في الجزيرة(الجدول7). ولوحظ غالبا أكثر من 20 ٪ حتى الوقت الحاضر فقط لدى زنوج مالي والولايات المتحدة الأمريكية واثيوبيا.

ويشير الانحدار الجغرافي إلى انتشار الزنوج في المناطق الجبلية بما يتعارض مع فرضية اختراق العنصر الأفريقي للجزيرة وحدودها باتجاه الساحل بصورة رئيسية. ويمكن تفسير ذلك من خلال حجم نموذج العنصر الأفريقي الصغير في الجزيرة أو من خلال التوزيع السُّلالي للعناصر العرقية في الجزيرة والذي يفترض وجود وحدة سلالية نتجت تقريباً من التوغل الثابت والعبور المستمر لكل العناصر السلالية على مدى أزمنة طويلة. يدعم هذا وجود متكرر لعناصر أو مميزات محددة في كل أنحاء الجزيرة. ويوجد نموذج متشابه في عنصر شرقي آخر وهو الثنية المعوجة (الجدول7) وهو ما يوضح وجود نسبة عالية منتظمة في كل النماذج الثلاثة.

إن المتغيرات في موضع الشق الثاني والثالث في الضرس السفلي الأول تتوزع بشكل متساوٍ تماماً في جزيرة سقطرى (جدول رقم8). وربما يشير التكرار السفلي بمتغير(2) إلى وجود كلا العنصرين الدرافودي والأفريقي.

تشير النسبة العالية للشكل (3) من الشق الأول على الضرس العلوي الأول في تلك الحالة المحدودة إلى وجود عناصر أفريقية لأن تلك الميزة تحدث بشكل متكرر في النموذج الأفريقي (جدول رقم8)، على الرغم من وجودها في الجبال والتي ربما نشأت من اندماج العنصر الأفريقي مع الفيدورافيدي. إن تفسير الوجود الضئيل لهذه الخاصية أو العلامة الشرقية (وجزئياً الأفريقية) لدى سكان المناطق الساحلية أمر بالغ الصعوبة، وربما يكون سبب ذلك التوزيع المتنوع للمكونات العرقية في كل أنحاء الجزيرة.

وبمقارنة المجموعات يمكن وضع النسب التصنيفية للأنواع العرقية قيد الاهتمام، وعلى الأقل وجود خلاصة عامة. ويعرض الجدول (9) نتائج تحليل مقارن للمجموعات المدروسة مع البيانات حول المناطق المجاورة باستخدام طريقة متوسط المسافات التصنيفية. وتتطابق قيمها المنخفضة مع المجموعات المتقاربة.

وعلى أساس المعطيات السالفة يمكننا وضع الاستنتاجات التالية:

1- إذا أخذنا سكان سقطرى بصورة عامة فأنهم يبدون قريباً إلى المجموعات الأوروبية والفيدودرافودية الآتية من الهند، وبدرجة ثانية إلى الأثيوبيين.

2- توضح المجموعات السقطرية الثلاث وجود تشابه كبير فيما بينها مع المسافات التصنيفية بين كل زوج من النماذج المتطابقة، وهذا يشير إلى وجود درجة كبيرة من التجانس بين السكان، وتماثل المميزات الأنثروبولوجية بينها، ولكن مع إمكانية تتبع المتغيرات المحلية.

3- يقترب ساكنو الجبال بصورة عامة من مجموعة (كاثكاري) القبلية في غرب الهند وهي فيدو- درافيدية، حسب التصنيف العرقي. كما أن السقطريين متجانسين مع الأوروبيين في الهند وكذا البراهميين والبارسيين. ويبتعد الأثيوبيون قليلاً، على الرغم من وضوح الاختلافات. وتختلف المجموعات ذات المكون الشرقي القوي وكذلك الأفارقة الماليين اختلافاً واضحاً عن المجموعات السقطرية التي تسكن الجبال.

4- إن سكان الساحل السقطري يقتربون أكثر من حيث الشبه إلى الأثيوبيين ويليهم البارسيون الهنود وكذلك الكاثكاريون، ومن ثم وعلى مساحة ما يأتي البراهميون، وهذا يشير إلى انحدار في نسبة المكون الأوربي الصافي باتجاه الساحل بالمقارنة مع المناطق الجنوبية. لكن على الرغم من التركيز الكبير لعنصر الفيدويد أو الأفريقي فأن العنصر الأخير ليس كافيا، حتى في الساحل، كما أكدته المسافات التصنيفية بين نموذج من الساحل السقطري من ناحية وبين السنتاليين الماليين والزنوج من ناحية أخرى.

5- إن عينة الأفارقة السقطريين ليست زنجية خالصة، على الرغم أنها أقرب بعض الشيء من العينات الأخرى منها إلى الزنوج الماليين، ولهذا فأن العينتين متباعدتان كثيرا. فالزنوج يبدون مشابهين وبشكل كبير للعنصر الفيدودرافيدي الهندي وهم الكاثكاريون والسنتاليون. كما أن المكون الاستوائي وتحديدا بين الزنوج السقطريين يمثل نسبة عالية بعض الشيء من عينات سكان الجبال والساحل. لكن المميزات الاستوائية ليست مقصورة على أفريقيا فقط، كما يتضح من الاختلاف الكبير بين الزنوج والأثيوبيين مقارنة مع سكان الساحل.

وتشير معطيات علم الأسنان إلى أن سكان سقطرى لم يكونوا نتاج موجتين أو ثلاث من الهجرات المعزولة، وإنما حصيلة تراكمات فترة زمنية طويلة من خلال عملية تجانس مستمر أدى إلى توزيع مختلف مميزات معطيات علم الأسنان بين سكان سقطرى.

وبصورة عامة فأن الجزيرة يغلب عليها المكون الأوروبي الجنوبي مع المكون الفيدودي القوي الذي يشبه الدرافيدويين أو الفيدودرافيدية ذات المجموعات الهندية الغربية الأصلية، لأن سلالة الأقلية الدرافودية (أو الهنود الجنوبيين) تشغل الموقع المتوسط بين الفيدويد والسلالات الهندو متوسطة. يُشار إلى أن نفس المجموعة من المكونات موجود بين السكان الحضارمة. وخلاصة الأمر أن العنصر العرقي الأصلي لسكان سقطرى له جذور عربية جنوبية على وجه التحديد. وبالطبع لا بد من ضرورة الأخذ بمعطيات علم الأسنان من الجزيرة العربية لإثبات تلك الفرضية.

وتشير بعض التعزيزات المحلية المحددة للعنصر الاستوائي ربما إلى تدفق الجينات الوراثية من الخارج في أزمنة مختلفة. ووفقا لميزات خاصة يبدو السكان السقطريون متأثرين بأفريقيا وبالتحديد اثيوبيا. لكن، ينبغي معالجة تلك الخلاصة بحذر.

لم يثبت الظهور المتكرر لميزة محددة في المناطق الجبلية وجود تبادل للجينات في إطار الجزيرة فقط، ولكن أيضاً وجود تلك الجينات بين سكان سقطرى الأصليين (كما أن نقص المعلومات حول حضرموت يمثل مشكلة أخرى).

إن سقطرى، ومن المحتمل كل العربية الجنوبية، يمكن أن تكون تلك الحلقة المفقودة للرابط الوسيط في ميل (الغرب- الشرق) الجيني السلالي الذي يبحث حوله الأنثروبولوجيون من أجل ملء الفجوة بين أنواع الزنوج الأفريقيين والماليين من أصل استرالي- فيدو- مالي في منطقة السلالة الاستوائية.

وفي المقاس الجغرافي الأكبر، يمكننا بحث الحلقة الانتقالية بين السلالة الدرافيدية في الهند والسلالة الأثيوبية في أفريقيا. وهذا التشابه بين هاتين السلالتين يدل على وجود انحدار جيني مستمر بينهما منذ أزمنة قديمة. وبما أن السلالة الدرافيدية هي سلالة متوسطة بين سلالة الفيدود والسلالة الأوربية الجنوبية، فأن المرحلة القادمة ما بعد الدرافيدوس وباتجاه أفريقيا، وعلى هذا الانحدار المفترض، ينبغي أن يوضح التشابه المتزايد قليلا مع السلالة الأثيوبية.

وهذا يمكن أن يكون ما يصفه الباحثون حين يلاحظون وجود مكون أفريقي في سقطرى، مع وجود عناصر أوروبية جنوبية وفيدودية. وربما يصادف الباحثون مجموعة مميزات طبيعية متوقعة نظريا ولكنها معروفة قليلاً من سابق للأنثروبولوجيين، وتشكل تلك المجموعة جسراً بين الفروع الشرقية والغربية للسلالة الاستوائية.

هذا المنحى لا يعني أن الباحثين مضطرين لضبط العناصر أو المكونات الأفريقية للنوع السقطري الأودونتاولوجي مع الهجرات الإضافية من أفريقيا، لأن تلك المكونات ربما تكون مكونة من السلالة الجينية الأصلية المتأصلة في العربية الجنوبية. لكن هذا التفسير يستلزم الإقرار بالوحدة الجينية بين

الجزئين (الشرقي والغربي) للسلالة الاستوائية الكبيرة، والتي لم يقبلها جميع الأنثروبولوجيين. وبشكل خاص فإن أحد مؤلفي هذا الفصل له وجهة نظر مختلفة مبنية على أساس الموقع ثنائي المركز الذي صاغه ويدن ريتش[14؛ 16]. ووفقا لوجهة النظر هذه يفترض أن الفرع الزنجي الأفريقي- الفيدو مالينزي- الاسترالي ذا الجوهر الاستوائي يمثل جينيا أصول عرقية كبيئة مختلفة.

وفقاً لذلك لا يمكن اعتبار سقطرى رابطاً وسيطاً أو متوسطاً في سلسلة فردية، ولكن تعتبر كمنطقة أو نطاق اتصال بين زنوج مختلفين جينياً (شرقيين وغربيين)، والسكان الناتج هو حصيلة التشابك والاختلاط السلالي. وفي هذه الحالة يمكن اعتبار العنصر أو المكون الأفريقي لسقطرى نتيجة للتدفق الجيني من أفريقيا، على الرغم من أن مسألة الوحدة الجينية الكبيرة أو التشابه المتقاطع لكلا الفرعين الاستوائيين ينبغي حلها. ومن ناحية أخرى فأن المادة المتوفرة من سقطرى ينبغي تدعيمها بمعلومات من المناطق المجاورة وبالتحديد من الجزيرة العربية و(ميسوبوتاميا) والصومال، والتي ربما تساعد على حل المشكلة النظرية العلمية حول تركيب السلالات.

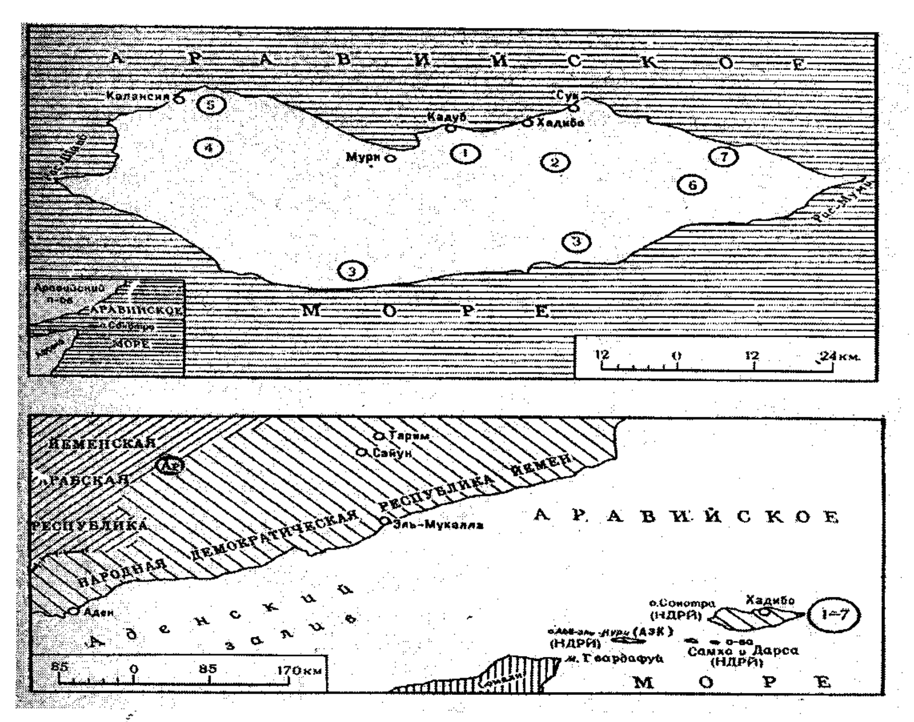
- أنماط الأصابع وراحة الكف لدى السقطريين -

أظهرت النتائج الأولية لدراسة مميزات بشرة سكان جزيرة سقطرى التي أجريت خلال عام 1983م تعقيد تكوين النوع البدني السقطري [45]. وخلال الزيارات الميدانية في عامي 1984، 1985م، جمعنا معلومات جديدة من سكان الساحل الشمالي من المنطقة الجبلية الكثيفة في شرق الجزيرة توضح تضاعف الأشخاص الذين تم إجراء الدراسة عليهم ثلاث مرات. وتم إجراء دراسات موازية أو مماثلة في عبد الكوري وبين زنوج سقطرى وعرب اليمن في القارة. مكنتنا هذه المادة الإضافية من الوصول إلى خلاصة أولية حول تركيب أنماط الجلد لليد بين سكان مساحة واسعة تشكل جزءاً مما يعرف بالحضارة القديمة للعربية الجنوبية الواقعة بالقرب من أفريقيا.

وعلى أساس المعلومات الأولية، تم تقسيم جميع سكان سقطرى إلى سبع مجموعات إقليمية، وهذا يمكن من تعقب التغيير الجغرافي لصنوف المميزات في

أجـزاء متعـددة مـن الجزيـرة. تم تحليـل 436 سـقطرياً مـن الـذكور، حـسب المجموعات التالية:

- 167 شخصاً من الساحل الشمالي.
- 70 شخصاً من المنطقة الوسطى (سلسلة جبال حَجْهَر).
- 46 شخصاً من الساحل الجنوبي (نوجد).
- 28 شخصاً من الجبال الغربية.
- 25 شخصاً من الساحل الغربي.



(رسم9) خارطة مواضع مجموعات الدراسات البحثية في سقطرى واليمن القارية:1- الساحل الشمالي. 2- المناطق الجبلية الوسطى. 3- الساحل الجنوبي. 4- المناطق الجبلية الغربية. 5- الساحل الغربي. 6-المناطق الجبلية الشرقية. 7-الساحل الشرقي. (Ap) عرب اليمن القارية. (AEK) جزيرة عبدالكوري.

- 78 شخصاً من الجبال الشرقية.
- 22 شخصاً من الساحل الشرقي.
- 20 من الذكور من عبدالكوري.
- 84 من الذكور من اليمن القارية (من شمال اليمن وعدن وحضرموت).
- عدا ذلك تم استخدام 54 شخصاً من زنوج سقطرى من أجل المقارنة (ينحدر هؤلاء من العبيد الأوائل وكذلك المهاجرين الآخرين من غرب أفريقيا).

جرت معالجة بصمات الأصابع وراحة الكف وفقا لطريقة "كومينس" و"ميدلو" وتم تحديد ثلاثة أنصاف أقطار راحة اليد المحورية بموجب مخطط "شارما" [64؛ 84- أ]. وفي التحليل السلالي تم استخدام خمس مميزات وتم تحويل قيمها المطلقة إلى نسب مئوية. وباستخدام تلك القيم الجديدة نشأت مضلعات من صور الأشخاص وجرى حساب المسافة الجلدية العامة لمجموع متوسط اختلافات خمس متغيرات رئيسية: دليل كثافة نمط الأصبع؛ الخط الرئيسي؛ دليل كومينس؛ ونصف القطر الثلاثي لراحة اليد المحوري القريب المفرد، ونسبة أنماط (70) الهيبوثنار الحقيقي وكذلك النسبة المختصرة لنصف القطر الثلاثي الرقمي الإضافي.

وجرى تحديد العلاقة المتبادلة بين السكان باستخدام العمومية بواسطة طريقة تحليل اتحاد المجموعة المتزاوجة مع الوزن.

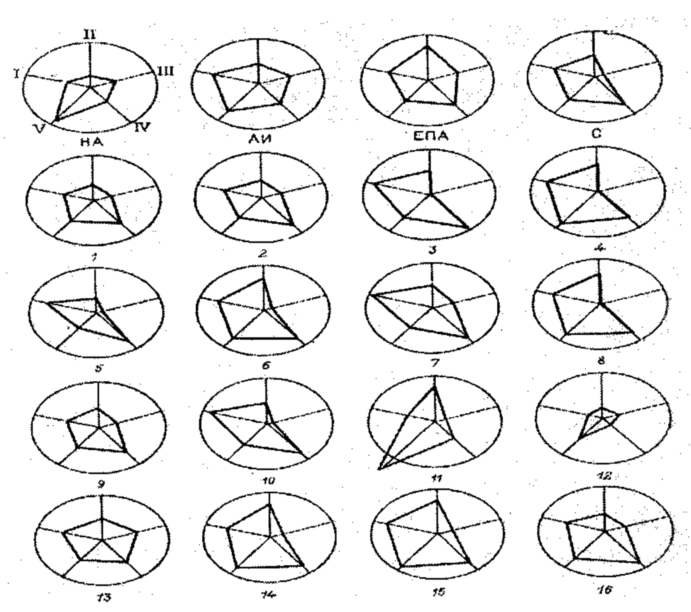
وبغية الحصول على تقييم إجمالي جرى التعبير عن الخصائص العرقية باستخدام قيم ما يسمى بالعُقد العرقية أو الوحدات العرقية (مجموع متوسط القيم المتحولة لخمس مميزات أساسية مع الأخذ بعين الاعتبار المنحنيات العرقية). وتم حساب كل واحدة بافتراض وجود مكونين عرقين للسكان: الجنوب أوروبي والهندواسترالي (العنصر الاسترالي)، والجنوب أوروبي الأفريقي الزنجي (العنصر الاستوائي). ويرتبط مقدار العُقدة مباشرة بمقدار المكون المناسب (الأسترالي أو الاستوائي) وبالعكس مع مقدار أو حصة المكون الأوربي الجنوبي. على الرغم أنه لا يمكن تحديد المحتوى المضبوط للمكونات العرقية على هذا الأساس، فإن مقارنة قيم العقد يمكن من مقارنة المجموعات مع بعضها البعض باستخدام التعبيرات التقليدية للتمييز العرقي. وبسبب ترابط

الأساس الطرائقي لحساب العقد، فأن قيمها قابلة للمقارنة مع بعضها البعض ومع المسافة العمومية للبشرة.

تم وصف كل تلك الأدوات وإثباتها بالتفصيل [41؛44]. ويوضح الجدول (رقم 10) منحنيات الاختلافات بين المجموعات العرقية.

وعلى الرغم من الحجم المتزايد للمادة، توضح الخلاصة حول التخطيط البشري الموقع التصنيفي للسقطريين، وبصورة عامة فإن الحدود الأساسية للسلسلة السقطرية قليلاً ما تغيرت. فهي عبارة عن مجموعة ذات خصوصية مميزة تكون بصورة مألوفة دليل كثافة ذات نموذج عالي مع دليل (كومنسن) المنخفض، والتكرار الضئيل لظهور نصف القطر الثلاثي الكفي المحوري القريب، وظهور نسبة عالية لنموذج (هايبوثنار) وكذلك تكرار عالي لظهور أنصاف الأقطار الثلاثية ما بين الأصابع الإضافية (الجدول 11، والشكل 10). علاوة على ذلك وجد لدى السقطريين تكرار منخفض لظهور النمط الأول، وظهور نسبة ضئيلة من الفروقات (5.9٪) وغياب الخط 2 بنسبة 8٪.

النوع لفريد لبشرة السقطريين تم التعبير عنه بغياب التشابهات مع المجاميع العرقية العالمية الأساسية. كما أن ميزة مزيج المكون السقطري واضحة، ويسود بينها المكون الأوربي الجنوبي، أي المكون الآسيوي الغربي. وهذا ينبع من مجموعة من المميزات، تحليل المسافات البشرية وقيمة المكونات الاسترالية والاستوائية (الأفارقة الزنوج). (انظرالشكل10، والجدول11 و12). وهكذا ووفقا للمعايير البشرية العمومية فأن السقطريين يقتربون من عينة الأوربيين من أصل آسيوي غربي ويبعدون قليلاً من استراليي الهند، وأبعد مرتين من الزنوج الأفارقة.



(رسم10): المميزات الجلدية للمجموعات الذكورية: 1- مركز المحيط يتوافق مع الحد الأدنى، ونهاية نصف القطر يتوافق مع الحد الأقصى لمتوسطات قياس السكان الأوروبي-آسيوي. NA=زنوج أفريقيا. AI=استراليو الهند. WAE=أوربيو غرب آسيا. C=سقطرى إجمالاً: 1-الساحل الشمالي. 2-الجبال الوسطى. 3-الساحل الجنوبي. 4-الجبال الغربية. 5-الساحل الغربي. 6-الجبال الشرقية. 7-الساحل الشرقي. 8-الجبال الشرقية والغربية. 9-الساحل الجنوبي والجبال الوسطى. 10-السواحل الشرقية والغربية والجنوبية. 11-سكان عبدالكوري. 12-زنوج سقطرى. 13-عرب اليمن. 14-الفرس. 15-البلوجيين. 16-الكاثكاريون.

ظهر المكون الاسترالي بين السقطريين أقوى بقليل من العينة الأوربية من غرب آسيا، وأقل وضوحا بكثير من الأستراليين الهنود. وبأخذ المكون الأسترالي بعين الاعتبار لا يمكن تمييز السقطريين عملياً عن الأستراليين ويظهر الاختلاف واضحا مع الافارقة الزنوج. ومن خلال تتبع العلاقة بين المكونين المعقدين، فأن المكون الاسترالي يسود إلى حد ما على المكون الزنجي.

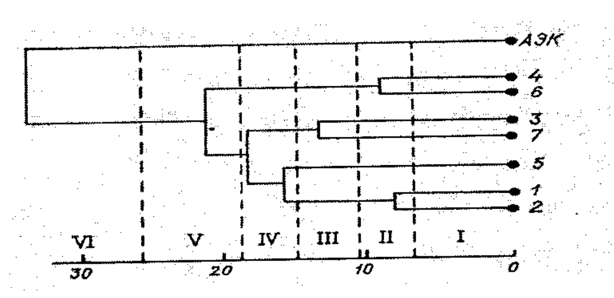
من الممتع ملاحظة أنه بالمقارنة مع السقطريين،فإن كلا المكونين يتطوران بشكل أفضل بين عرب اليمن في القارة وقاطني جزيرة عبد الكوري. وعلى الرغم من ذلك فأن العرب بصورة عامة متشابهون مع السقطريين في مقدار المميزات (من ضمنها أنصاف أقطار راحة اليد القريبة والمحورية الثلاثية التي تظهر بشكل متكرر لدى العرب) ونسبة المكونات المعقدة. أما سكان جزيرة عبدالكوري فعلى العكس من السقطريين فأن الاختلاف بينهم ينحصر في الخصائص الفردية ومقدارهم الكلي. وبالنسبة لمقدار المكونين المعقدين حسب النسبة (مكون الزنوج أكبر من المكون الاسترالي) فأن المنتمين إلى عبد الكوري متشابهون مع الزنوج السقطريين. هذا يمكن تحديده بشكل دقيق كسكان خليط، وفي داخله، بالإضافة إلى سيادة الأساس الأفريقي الزنجي، توجد هناك نسبة كبيرة من المادة الاسترالية الهندية وكذلك المكون الأسيوي الغربي الجنوب أوروبي الواضح.

إن الزنوج السقطريين هم مثال لمجموعة مختلطة محددة، أي تتحد فيها مميزات عرقية مثالية مع مميزات غير مثالية، ويعزى هذا بسهولة إلى وجود مادة سقطرية (يوجد هناك نقص حاد في تكرار حدوث أنصاف الأقطار الثلاثية الكفية المحورية المتقاربة) وكذلك حدوث نقص محسوس في عدد أنصاف الأقطار الثلاثية ما بين الأصابع. لكن يشير التركيب العرقي المحدد إلى أن الأصل الأفريقي الزنجي من هؤلاء السكان، هو الأقرب إلى الزنوج إذا تم استخدام قيمة المكون الاستوائي.

- الاختلافات الإقليمية -

إلى أي مدى يتجانس سكان سقطرى؟

العينات السبع التي تم فحصها بدقة للتأكد فيما إذا كانت هناك أي درجة من التجانس فيما بين سكان سقطرى بيَّنت وجود اختلافات كبيرة بينهم في القيم وفي مجموع المميزات (انظر الجدول11,13،والشكل10). وهذا التغاير والاختلاف أكده تحليل منحنى توزيع المسافات الجلدية بينهم، ولها قيمتين. متوسط المسافة داخل المجموعة هو 19,5 و هو يتفوق على المستوى العادي. لكن متوسط انحراف مربع جذر المتوسط يتجاوز قليلاً الرقم (5.72). يوجد هناك أيضاً فرق قوي بين قيم مكونات العنصر الاسترالي والاستوائي (39- 40 و 23- 47على التوالي).

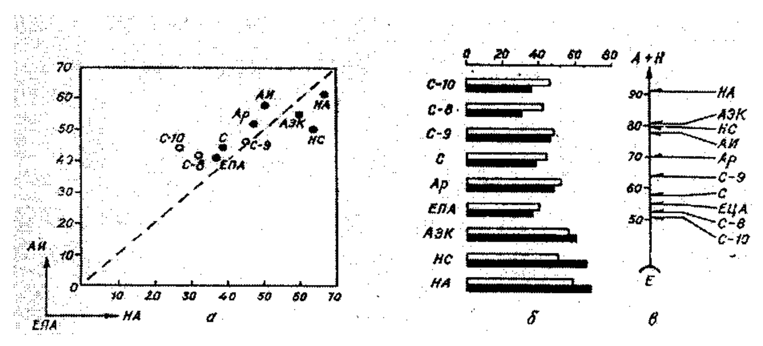


(رسم11) تحليل مستوى المسافات الجلدية للسقطريين . (الذكور):
7-1 المجموعات التي تم دراستها AK سكان عبدالكوري: I=قصير جداً.
II=قصير. III=متوسط. 1V=طويل. V=طويل جدا. VIفائق الطول.

يتواجد المكون الاسترالي الكبير على السواحل الشرقية (49,5) وفي السواحل الشمالية (47,2). والأقل يوجد على الساحل الجنوبي (38,9)، وفي بقية أجزاء الجزيرة يتوزع المكون بشكل متساوٍ، يتأرجح بين41- 44. ونذكر أنه لدى العرب اليمنيين يساوي (51,6)، ويبلغ بين سكان عبدالكوري (54,5). وعلى هذا يحتوي العنصر الاسترالي على توزيع متطابق تقريبا، وتكون نسبته كبيرة على الساحل الشمالي وفي الوسط(47,3، و 39,9 على

التوالي)، والأقل على الساحل الجنوبي (22,9). وفي بقية مناطق سقطرى، بما في ذلك الساحل الشرقي، تتذبذب بين مدى صغير يتراوح بين(31- 32).

وعلى خلفية التغيرات الواسعة للمميزات الشخصية (الفردية) فأن تجانس السقطريين وفقا للنماذج (4 إلى10 ٪) هو مدهش. ويظهر هذا العنصر مدى الاختلاف الكبير بين إطار المجموعة وفي إطار السلالة بالمقارنة مع المميزات الأخرى. فأن متوسط تكرار الظهور بين السقطريين يساوى حوالي 6 ٪، ويميزهم بوضوح من سكان النطاق المداري بنمطهم الأكثر كثافة. من المحتمل أن مقدار الخاصية المنخفض الدائم في البشرة السقطرية يقدم واحدا من دلائل حفظ بعض مميزات سكان الجزيرة في القديم قبل أن تتعرض للتأثير الاسترالي –الزنجي.



(رسم 12) مقارنة السقطريين مع الجماعات المماثلة بالعلاقات المميزة (رجال)

إن تقارب السقطريين وسكان عبدالكوري وفقا لمنحنى المسافات الجلدية يؤكد قبل كل شيء عزلة المجموعة الأخيرة (انظر الشكل 11). بيد أن السقطريين أنفسهم ليسوا متجانسين. وتظهر الخصوصية الكبيرة بين سكان الجبال الشرقية والغربية الذي يظهرون تشابها كبيرا بين بعضهم البعض، ولكنهم مختلفون بشكل واضح مع المجاميع الأخرى. إن مجموعات السواحل الجنوبية والشرقية متشابهون بدرجة معتدلة مع بعضهم البعض، لكنهم يختلفون أيضا عن الثلاث المجموعات الأخرى. وبين تلك الأخيرة فأن قاطني الساحل الشمالي والجبال الوسطى يشبهون بعضهم البعض إلى درجة كبيرة.

وباستخدام مجموعة من مميزات عدة (أي من شكل المضلعات) قمنا بترتيب عينات السقطريين إلى ثلاث مجموعات محلية كبرى، ومرقمة بـ"سقطرى8"

(وهم سكان الجبال الغربية والشرقية) و"سقطرى9" (سكان الجبال الشمالية والوسطى) و"سقطرى10" (سكان السواحل الشمالية الغربية والشرقية).وتبين هذه التقسيمات اختلافات مميزة. فسقطريو الجبال الشرقية والغربية هم متغير متطور بإفراط من أوروبيي الشرق الأوسط، ومشابهون لليهود والفرس ويظهرون قيما عالية من المميزات الرئيسية، ما عدا التكرار المنخفض لظهور أنصاف الأقطار الثلاثية الكفية المحورية.

التشابه القريب (وفقاً للصنف العرقي) لنصف القطر الثلاثي المحوري للكف لسقطريي الشمال والوسط هو في المجموعة الاسترالية للساحل الهندي الغربي الكاثكار. ولكن السقطريين يمتلكون عددا منخفضا مما يشبه حرف الدلتا على أصابعهم (تأثير زنجي) وكذلك في نمط (إتش واي). فالمسافة بين المجموعتين (سقطرى8) و(سقطرى9) كبيرة للغاية (23,8). أما فيما يخص سقطريي الشريط الساحلي في الغرب والشرق والجنوب فأنهم يقتربون قليلا من سكان الجبال، إلا أنهم يشكلون نوعا انتقاليا بين المجموعتين الأخريين (بمسافة 16,7 و 18,1 على التوالي).

وهذا لا يعني أنه لا توجد تشابهات بين الثلاث المجموعات للسقطريين. على العكس يتضح تماما العنصر أو المكون السقطري في كل من المضلعات وفي نتائج المقارنات التي أجريت في المجموعات العرقية التي ساهمت في تكوينها (انظر الجدول 14). وفي الحالة الأخيرة فأن المقصود ليس فقط في المقادير الكمية للاختلافات ولكن في العوامل المحددة لها.



(الصورة 13) المؤلف فيتالي ناؤمكين مع أحد السقطريين

من الواضح بعد ذلك، أن مميزات المجموعات تقترب إلى الأوروبيين من أصل آسيوي غربي، ثم إلى الأستراليين الهنود، وأبعد من الأفارقة الزنوج. هذا يوضح السمة المشتركة للأساس البنائي بين السقطريين ونسبة المكونات العرقية المناسبة، والتي يعد المكون الأوربي الأكبر فيها فيما يشكل العنصر الزنجي النسبة الأصغر. لكن ليس كل السقطريين متجانسون في نسبة تلك المكونات وفي الاختلاف الكلي مع المجموعات العرقية. مثلا، يقترب سكان الشمال والوسط إلى المجموعات العرقية المقارنة وبالتالي تمثل، من ناحية عرقية، صنف الجزريين (نسبة إلى الجزيرة) الأكثر اندماجا.

من الممتع ملاحظة أن هذه المجموعة (أي سقطريي - 9) تمتلك ارتباطا أكثر مع عرب اليمن في القارة، والمسافة العامة (11,2) وهي تطابق الحدود الدنيا للقيم المتوسطة، أي باختلاف صغير نسبيا. كما أن سقطريي الجبال الشرقية والغربية أكثر ارتباطا مع الأوروبيين مما مع الأستراليين، لكن القيمة المطلقة لكل الاختلافات لديهم أكبر، أما الاختلاف مع عرب اليمن فهو كبير جدا.



(الصورة 14) جدة وحفيدة

يمكن أن نقول أن السقطريين الساحليين يقفون على مسافة متساوية من كل من الأستراليين الهنود والأوروبيين، لكنهم يبتعدون أكثر عن كل من

المجموعتين العرقيتين، ولكن باختلاف أكبر أيضا مع الزنوج الأفارقة. وتفصلهم عن عرب السواحل السقطرية مسافة كبيرة جدا.

في ظل ذلك اهتم النقاش بقياس الاختلافات العامة التي تم التعبير عنها في المسافة الجلدية وتم تحديدها بالمجموع الكلي للعوامل المتعددة مشتملة على التكوين العرقي. ويصبح من السهولة البالغة تفسير النتائج من خلال الأخذ بعين الاعتبار الانحراف الذي تسببه بشكل خاص الفروق الخاصة في التكوين العرقي. ومن خلال نظام النظائر أو الاحداثيات، يوضح الشكل (12- أ) النسب بين المجموعات وفقا لقيمة المكونات الاسترالية والاستوائية. وتعني المسافة من نقطة التقاطع على المحور الاحداثي السيني زيادة الاختلافات بخصوص الأوروبيين في الاتجاه الزنجي، وعلى المحور الرأسي من خلال ارتباط قيم المكونين، بمساحة القيم السائدة للمكون الاستوائي على اليمين والآخر المكون الاسترالي على اليسار.

كل الثلاث المجموعات السقطرية تقع على يسار الحقل سوية مع الأوروبيين الأسيويين والعرب اليمنيين والاستراليين الهنود. لكن سكان الجبال الشرقية والغربية لهم الحصة الأصغر من المكون الاسترالي، وتقريباً الأصغر من المكونات الزنجية. أما بين السكان الساحليين فأن التكوين الاسترالي أقل تماماً مما لدى سكان الجبال. وبخصوص سكان الساحل الشمالي والجبال الوسطى فتزيد نسبة كل من المكونين المتوازنة، وتنتج أطول مسافة من نقطة الحساب الأوروبية.

وبصورة عامة فأن السقطريين يقتربون من عينة مجموعة الأوروبيين الآسيوية، زد على ذلك زيادة عنصرهم الاسترالي، أما المجموعة الاستوائية فإن الاختلاف مع الأوروبيين تقريبا غير محسوس. ويمتلك العرب اليمنيين النصيب الأكبر لكلا المكونين بالمقارنة مع أي مجموعة سقطرية أو مع السقطريين بصورة عامة.

المجموعة العرقية الاستوائية لدى سكان عبدالكوري أرفع بعض الشيء من الاستراليين وكذلك الزنوج الأفارقة والسقطريين. وبالنسبة للزنوج السقطريين فأن الخصائص الاستوائية لديهم أكثر وضوحاً مما هي عليه في جزيرة عبد الكوري ولكنها أقل مما لدى الأفارقة الزنوج. ويتجلى ذلك بوضوح في الشكل (12- أ).

في هذه النقطة جرى الحديث عن ملامح المكونين والتناسب بينهما، بينما ترك جانباً العنصر الأوروبي.

يمكن الآن إنشاء الموقع الخطي للمجموعات بالنسبة للعنصر الأوروبي، نقطة تقاطع المحاور باستخلاص الجذر التربيعي من مجموع مربعات العنصرين. لهذا فأن القيمة المتحصل عليها – والتي ترتبط بشكل متعاكس مع درجة قرابة المجموعات إلى نقطة الصفر، أي مع درجة تعبير العنصر الأوروبي- يمكن أن تساعد على الحكم على موقع المجموعة على المحور الأوروبي "الاسترالي + الزنجي" (انظر الشكل 306).

وكما نرى فأن المكون الأوروبي الجنوبي في المجموعة السقطرية ينعكس بشكل أقل مما في آسيا الغربية كلياً. ومن الملاحظ أن سكان الساحل وسكان الجبال هم الأقرب إلى الأوروبيين بينما يتناقص هذا العنصر في المجموعة الوسطى الشمالية بشكل ملموس.

يُظهر قاطنو عبدالكوري اختلافاً واضحاً في كل المجموعات السقطرية من خلال تناقضهم الحاد في أوروبيتهم، وبهذا الخصوص فأنهم متطابقون عمليا مع الزنوج السقطريين. ويقترب العرب اليمنيون من السقطريين الشماليين ولكن مميزاتهم الأوروبية أقل.

باختصار يظهر سكان سقطرى الأصليين خصوصية بنائية قصوى في جلد اليد. وهي مجموعة ذات أصل مختلط، يسود فيها المكون الغرب آسيوي الجنوب الأوروبي.

إن المكون العرقي الهام الثاني، بشكل متناسب، هو الاسترالي الهندي، بينما يُلاحظ المكون الثالث من اصل أفريقي زنجي على مستوى المجموعات السقطرية المحلية.

التنوع الأقليمي للمميزات بين السقطريين كبير بدرجة قصوى. بيد أن الأنواع الثلاثة الأساسية، التي تضم السبع المجموعات الاقليمية المتميزة بعضها عن بعض، لها أساس مشترك. ويبدو أن الاختلافات بين المتغيرات مرتبطة مع الحصص المختلفة للمادة العرقية الأجنبية (غير الأوروبية).

ينعدم بين سقطريي الجبال الوسطى والشمالية العنصر الجنوب أوروبي بشكل حاد، وكذلك العنصر الاسترالي، وتزيد خصوصاً المكونات الزنجية بشكل ملحوظ بالمقارنة مع أوروبيي آسيا الغربية. وهذه هي المجموعة

السقطرية الوحيدة التي يتوازى فيها المكونان الأخيران مع سيادة قليلة للعنصر الاسترالي. ويسود في المجموعتين الأخيرتين العنصر الاسترالي على الزنجي.

يوجد في الجبال الغربية والشرقية متغير محلي يقترب بدرجة قصوى من العينة الاسترالية الآسيوية الغربية فيما يخص نسبة المكونات الأوروبية والاسترالية. لكنها تتميز باحتوائها على مادة زنجية أقل.

وبين سقطريي الساحل (باستثناء الساحل الشمالي) فأن المكونات الأوروبية والاسترالية تنعكس بشكل أكثر وضوحا مما لدى سكان الجبال، فيما يقل العنصر الزنجي بشكل ملموس.



(الصورة 15) كهل سقطري

وعلى هذا النحو فأن انتشار المكونات الاسترالية والزنجية في كل أنحاء سقطرى جاءت على الأغلب من الساحل الشمالي للجزيره، وتاثير تلك العناصر يضعف بالتدريج عندما تبعد المسافة عن الساحل الشمالي (فيما يخص العنصر الاسترالي- وكذا الشرقي) وتتضاءل إلى الحد الأدنى على الساحل الجنوبي.

من المؤكد أن سكان جزيرة عبدالكوري (الواقعة على الطريق إلى سقطرى من جهة القارة الأفريقية) هم أول من يظهر لديهم الامتزاج السلالي، ونتيجة لذلك فأن معظمهم يشبهون الزنوج السقطريين وبدرجة كبيرة من حيث مكونهم الزنجي، ويشبهون الاستراليين الهنود فيما يخص حصتهم من المكون الاسترالي. وتظهر مميزاتهم الزنجية الأفريقية بوضوح في تكويناتهم الجلدية. ويقترب عرب ليمن القاريين بدرجة أكبر من المجموعة الشمالية للسقطريين.

(جدول1)

انطباق الأسنان

المجموعة	العدد٪	P^3 ٪	Ib %
سكان الجبال	62	96.8	3,2
سكان الساحل	108	94.4	5,6
الزنوج	29	93.1	6,9
سكان الجبال والساحل معاً	170	95.3	4,7
سكان سقطرى جميعا	199	95.0	5,0

(جدول2)

معدلات حدوث الاحتشاد والفرجَة بين الأسنان المتجاورة

المجموعة	الحيز بين السنين المتجاورين		الاحتشاد	
	العدد	٪	العدد	٪
سكان الجبال	61	31,1	62	22,6
سكان الساحل	107	31,8	107	15,0
الزنوج	28	35,7	30	16,7
سكان الجبال والساحل معاً	168	31,5	169	17,7
سكان سقطرى جميعا	196	32,1	199	17,6

(جدول 3)

السطح اللساني للقواطع العليا (معدل تكرار حدوث درجات شكل المجرفة)

المجموعة	العدد	0	1	2	4	3و2
القاطع المتوسط						
سكان الجبال	58	32,8	55,2	12,0	0	12,0
سكان الساحل	100	37,0	53,0	10,0	0	10,0
الزنوج	30	23,3	63,4	13,3	0	13,3
سكان الجبال والساحل معاً	158	35,4	53,8	10,8	0	10,8
سكان سقطرى جميعا	188	33,5	55,3	11,2	0	11,2
القاطع الجانبي						
سكان الجبال	59	37,3	54,2	8,5	0	8,5
سكان الساحل	105	46,7	43,8	8,6	0,9	9,5
الزنوج	30	30,0	56,7	13,3	0	13,3
سكان الجبال والساحل معاً	164	43,3	47,6	8,5	0,6	9,1
سكان سقطرى جميعا	194	41,2	49,0	9,3	0,5	9,8

(جدول 4)

حَدبة كارابيلي بواسطة m1(معدل حدوث الخاصية ٪)

المجموعة	العدد	0	1	2	3	4	5	2- 5
سكان الجبال	56	50,0	23,2	10,7	14,3	1,8	0	26,8
سكان الساحل	97	31,0	24,7	23,7	10,3	9,3	1,0	44,3
الزنوج	26	50,0	23,1	11,5	11,5	0	3,9	26,9
سكان الجبال والساحل معاً	153	37,8	24,2	11,8	11,8	6,5	0,7	38,0
سكان سقطرى جميعا	179	39,7	24,0	11,7	11,7	5,6	1,1	36,3

(جدول5)

شكل الأسنان الطاحنة العلوية، ٪

	M1			M2					
المجموعة	العدد	4	4 -	العدد	4	4 -	3+	3	3و3+
سكان الجبال	54	85,2	14,8	33	18,2	9,1	30,3	42,4	72,7
سكان الساحل	94	81,9	18,1	59	27,1	30,5	10,2	32,2	42,4
الزنوج	25	84,0	16,0	19	21,0	26,3	15,8	36,9	52,7
سكان الجبال والساحل معاً	148	83,1	16,9	92	23,9	22,8	17,4	35,9	53,3
سكان سقطرى جميعا	173	83,2	18,8	111	23,4	23,4	17,1	36,1	53,2

(جدول 6)

شكل الأسنان الطاحنة السفلية، ٪

السن الطاحنة السفلية الأولى(m1)												
المجموعة	العدد	7+	U6	6+	X6	6	U5	5+	X5	5´	U4	4
سكان الجبال	50	0	6,0	2,0	2,0	10,0	66,0	12,0	2,0	80,0	10,0	10,0
سكان الساحل	78	1,3	10,2	2,6	0	12,8	53,8	28,2	1,3	83,3	2,6	2,6
الزنوج	26	0	11,5	7,7	0	19,2	57,7	23,1	0	80,8	0	0
سكان الجبال والساحل معاً	128	0,8	8,6	2,3	0,8	11,7	58,5	21,9	1,6	82,0	5,5	5,5
سكان سقطرى جميعا	154	0,65	9,2	3,2	0,65	13,03	58,5	22,1	1,2	81,8	4,5	4,5

السن الطاحنة السفلية الثانية(m2)										
المجموعة	العدد	6+	5+	X5	5	U4	+4	X4	4	U3
سكان الجبال	35	0	11,4	5,7	17,1	8,6	60,0	14,3	82,9	0
سكان الساحل	57	1,7	17,5	5,1	22,8	10,5	52,6	10,5	73,8	1,8
الزنوج	16	0	31,3	6,2	37,5	6,2	56,3	0	62,5	0
سكان الجبال والساحل معاً	92	1,1	15,2	5,4	20,6	9,8	55,4	12,0	77,2	1,1
سكان سقطرى جميعا	108	0,9	17,6	5,5	23,1	9,3	55,5	10,2	75,0	0,9

(جدول7)العُرف الأقصى للثلاثية (1)؛ التجعيد المنحرف للشكل الرباعي(2)

	(1)		(2)		t.a.m.i	
المجموعة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
سكان الجبال	49	8,2	49	20,4	54	24,1
سكان الساحل	81	6,2	80	25,0	83	20,5
الزنوج	26	0	24	25,0	26	15,4
سكان الجبال والساحل معاً	130	6,9	129	23,3	107	21,4
سكان سقطرى جميعا	156	5,8	153	23,5	163	20,9

(جدول8)

طريق الشق الثاني لميتاكوند سكان الجبال ٪

المجموعة	الشق2				الشق1				
	العدد	II	fe	III	العدد	0	1	2	3
سكان الجبال	44	11,4	15,9	72,6	46	0	13,0	54,4	32,6
سكان الساحل	76	10,5	14,5	75,0	80	1,3	12,5	62,5	23,7
الزنوج	25	8,0	20,0	72,0	21	0	9,5	47,6	42,9
سكان الجبال والساحل معاً	120	10,8	15,0	74,2	126	0,8	12,7	59,5	27,0
سكان سقطرى جميعا	145	10,3	15,9	73,8	147	0,7	12,2	57,8	29,3

(جدول9)

متوسط المسافة القصوى بين نماذج عدة لسكان سقطرى ومجموعات أخرى

المجموعة	سكان الساحل السقطري	زنوج سقطرى	الأثيوبيون	باراسيو الهند	البراهمان في غرب الهند	كاتكاريو غرب الهند	سانتاليو الهند	زنوج مالي
سكان سقطرى جميعا	-	-	0,66	0,48	0,81	0,57	1,03	1,34
سكان الجبال	0,58	0,59	0,64	0,58	0,50	0,46	0,92	1,08
سكان الساحل	-	0,58	0,42	0,53	0,85	0,59	0,99	1,34
الزنوج	-	-	0,68	0,65	0,73	0,54	0,57	0,82

(جدول10)

الميول السلالية للخصائص بمقارنة الأوروبيين من الأصل الآسيوي الغربي(أ.غ.آ) مع الاستراليين الهنود(أ.ه) والزنوج الأفارقة(ز.ف) ومثال لحساب المميزات السلالية

المميزات	أ.غ.آ- أ.ه		أ.غ.آ- ز.ف		السقطريون عامة			
	الميل	0	الميل	0	X	I	2	3
DI10	→	أدنى	←	أقصى	14,18	64,8	64,8	35,2
Ic	:–	أقصى	←	أقصى	8,04	51,3	51,3	51,3
t	→	أدنى	→	أدنى	52,0	15,9	15,9	15,9
Hy	←	أقصى	←	أقصى	35,9	25,5	25,5	25,5
T	→	أدنى	→	أدنى	30,0	62,4	62,4	62,4
AC	–	–	–	–	–	–	44,0	–
EC	–	–	→	–	–	–	–	38,1

مفتاح الجدول: 0= حد تغير مدى المجموعة الأورو- آسيوية المترابطة أُستخدم كصفر في حساب النوع الاسترالي(AC) وكذلك المميزات الاستوائية (EC). والقيم المتغيرة للميزات في سقطرى (X)= المطلق. و 1= تحول مباشر (في النسبة المئوية من مدى تردد الأوروآسيوي)، و 2 و3= متعاكس لحساب قيم AC وEC .

(جدول 11)

مميزات علامات الجلد السطحية لسكان سقطرى ومجموعات أخرى (ذكور)

المجموعة	العدد	DI10	Ic	t	Hy	DMT	Th/1	AC	EC
سقطرى									
الساحل الشمالي(c1)	167	13,42	7,60	57,08	31,7	27,8	6,6	47,2	47,3
الجبال الوسطى (c2)	70	13,65	8,02	58,8	37,9	25,7	7,1	41,7	39,9
الساحل الجنوبي (c3)	46	15,47	8,14	35,9	42,4	30,4	9,8	38,9	22,9
الجبال الغربية (c4)	28	14,86	8,64	37,5	35,7	42,9	7,1	43,2	32,0
الساحل الغربي (c5)	25	15,08	7,52	50,0	38,0	20,0	4,0	44,4	31,4
الجبال الشرقية (c6)	78	14,53	8,86	46,2	37,2	37,8	5,1	40,8	32,2
الساحل الشرقي (c7)	22	15,82	8,16	61,4	40,9	27,3	4,5	49,5	30,7
المجموعات C1إلى C7	436	14,18	8,04	52,0	35,9	30,0	6,5	44,0	38,1
C4وC6	106	14,62	8,80	43,9	36,8	39,1	5,6	41,5	32,1
C1وC2	237	13,49	7,72	58,1	33,5	27,2	6,7	45,7	45,1
C3، C5وC7	93	15,46	7,98	45,8	40,8	26,9	7,0	42,9	27,0
عبد الكوري	20	12,85	8,82	52,5	25,0	62,5	22,5	54,5	59,0
الزنوج السقطريين	54	11,79	7,30	56,5	15,7	25,9	19,4	49,7	62,5
عرب اليمن القارية	84	14,01	8,03	71,5	30,9	25,6	6,6	51,6	47,0

ملحوظة: Th/1 هو تكرار ظهور الانماط الحقيقية على سجل الأرقام المشتركة اعتماداً على شنكارينكو وآخرين [42؛43؛45].

(جدول 12)

الفرق الجلدي بين السقطريين عامة ومجموعات المقارنة الأخرى من آسيا وافريقيا (ذكور)

المجموعة	I	II	III
أوروبيو غرب آسيا	13,8	3,7	1,1
استراليو الهند	15,2	-15,2	-12,9
زنوج افريقيا	29,1	-16,7	-29,0
زنوج سقطرى	[4]28,1	-5,7	-14,4
عرب اليمن القارية	[3]12,9	-7,6	-8,9
سكان عبد الكوري	[5]30,7	-10,5	-20,9
الفُرس	[2]10,1	0,2	0,1
الكاثكاريون	[2]8,5	-4,8	-7,1
الأثيوبيون	[5]29,4	-8,9	-14,7
البلوشيون	[3]15,6	-1,6	-2,6
يهود آسيا الوسطى	[2]9,5	5,1	9,5

ملاحظة: I= الفرق بدون اعتبار الميول السلالية(أبعاد علامات الجلد السطحية لعامة). II= الفرق في قيم العناصر الاسترالية. و III= الفرق في قيم العناصر الاستوائية.

تقييم أبعاد علامات الجلد السطحية العامة للمستوى الاثنوغرافي: (2)قليل. (3) متوسط. (4)كبير. (5)كبير جداً.

(جدول 13)

قيم أبعاد علامات الجلد السطحية بين المجموعات السقطرية المحلية (ذكور)

المجموعة	س-1	س-2	س-3	س-4	س-5	س-6	س-7	عبدالكوري
سقطرى1	-	8,1	26,7	28,9	16,8	24,1	19,3	31,1
سقطرى2	2	-	21,3	25,8	14,8	19,4	12,7	34,0
سقطرى3	6	5	-	15,3	17,9	18,3	13,6	44,6
سقطرى4	6	6	4	-	24,3	9,2	25,8	29,3
سقطرى5	4	3	4	5	-	20,5	16,1	43,8
سقطرى6	5	5	4	2	5	-	22,0	26,8
سقطرى7	5	3	3	6	4	5	-	43,4
عبدالكوري	6	6	6	6	4	5	6	-

ملاحظة:تصميمات المجموعة هي كما في الجدول (رقم11). يمين الخط المائل:المسافة بوحدة القياس. يسار الخط المائل: مقدار قيم أبعاد علامات الجلد السطحية. 2: صغير(6,5-10,3). 3: متوسط(10,4- 14,8). 4:كبير(14,9- 18,8). 5:واسع جداً(18,9-25,5). مرتفع جدا(فوق 25,5).

(جدول 14)

قيم أبعاد علامات الجلد السطحية بين المجموعات المحلية السقطرية والمجموعات المقارنة الأخرى (ذكور)

المجموعة	c-8	الوسط+الشمال c-9	c-10
أوربيو الغرب الآسيوي	18,5	12,6	22,7
استراليو الهند	21,4	15,4	23,9
زنوج أفريقيا	35,0	21,9	40,0
عرب أرض اليمن	27,1	11,2	21,8

ملاحظة: الإشارات هي أيضاً نفس ما في (جدول11).

الفصل الرابع

الحفريات الأثرية

الفصل الرابع

الحفريات الأثرية [1]

جرت التنقيبات الأثرية في سقطرى لأول مرة عام 1897 م من قبل ت.بنت الذي تحدث عن وجود آثار قديمة في الجزيرة. وفيما بعد لا بد أن نذكر عضو بعثة أكسفورد (1956م) ب.شيني الذي أشرنا إلى بعض نتائج عمله في الفصل الثاني. أما المساهمة الأكثر أهمية في دراسة الأماكن الأثرية فتعود إلى د. دُو الذي تواجد هنا عام 1967م. (أنظر خارطة المواقع الأثرية).

توصل ب.شيني إلى الاستنتاج التالي:" لم تعط نتائج البحث في سقطرى الآمال في إمكانية العثور على آثار الحضارة الكلاسيكية اليونانية والرومانية القديمة. رغم أنه من غير المستبعد العثور عليها في الأبحاث اللاحقة. ومن الواضح أن هذا لن يتم في الهضبة الجيرية العارية في الشمال، حيث لا وجود لتراكم التربة. ومن المحتمل تماماً أن التجار القدماء، الذين استمد منهم مؤلف (الطواف حول البحر الارتيري) الأخبار قد مكثوا في الجزيرة فترة قصيرة، ويمكننا الافتراض أنهم كما هو شأن التجار المعاصرين من اليمن والهند، قد وصلوا بحراً في حالات نادرة فقط، وجنحوا بسفنهم في الساحل لعدة أيام لتزويدها بالإحتياطات من المواد الغذائية والمياه، ثم تابعوا إبحارهم إلى الهند أو إلى البحر الأحمر، ومن المشكوك فيه أن يكونوا قد تركوا شيئاً ما بعدهم" [85، ص 108].

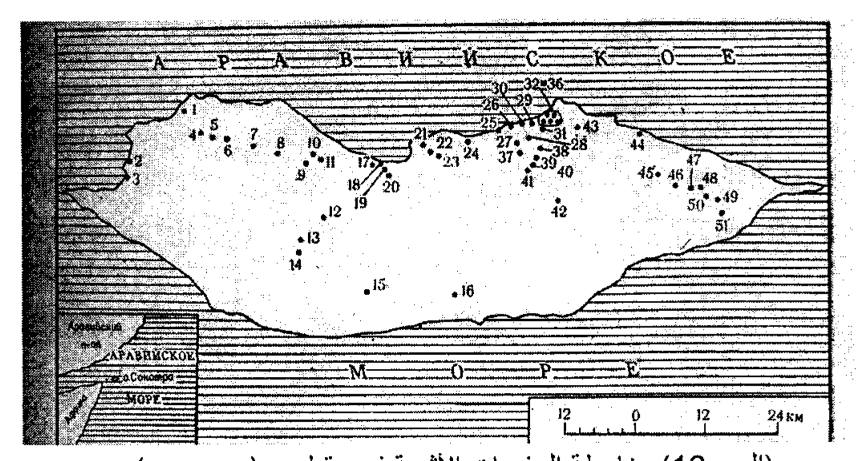
ومن الجلي لنا الآن، أن بعثة أكسفورد قد مرت بالمواقع الأكثر أهمية، وأن ب.شيني كان عملياً رائد الدراسات الأثرية في الجزيرة.

أعطت البعثة اهتماماً خاصاً لدراسة بقايا الكنائس والمنشآت الدفاعية والمساكن. وهكذا تمت دراسة الحصن في وادي فيراجي بالتفصيل. وقد كتبت عنه ب.شيني:" الحصن الذي يقع في نفس الجزء الضيق من الوادي ويمتد من هنا إلى الجنوب حتى الشاطئ، كان قد شاهده بنت.(وقد تحدث عنه، ولكن لم يصفه كاملاً ولم ينشر صوراً له) ويقع الحصن في الجزء الغربي للوادي، بالقرب من الحوض. وكما يبدو فأن الحوض قد وسّع وعُمّق بصورة مصطنعة،

---

[1] هذا الفصل كُتب بمشاركة المرشح في علم التاريخ أ.ف.سِيدوف.

بحيث يماثل الأخدود مع انه يحيط فقط بالسور الأساسي للحصن. وقد بني الحصن بأحجار الجرانيت الحمراء على أساسات من الأحجار الصخرية... وشُيد السور الرئيسي للحصن من الجلاميد الصخرية الكبيرة، وأخرى من كتل تم تصنعيها بما لا يتشابه مطلقاً مع نمط البناء المحلي، مع انتظام ودقة وضع الزوايا وقد تضرر الجزء الخلفي للبناء بشدة إذا أفسدته ملاجئ الماعز والجدران المستديرة الصغيرة. والحصن مثلث الشكل مع أبراج في طريق السور الذي يمثل جدار إعاقة فقط ويرتفع قليلاً عن مستوى الأرض في داخل الحصن ذاته".



(الرسم16): خارطة الحفريات الأثرية في سقطرى (حسب دوو):

1- قلنسية. 2-3قرية سيمر-قار. 4-قرية مربوم. 5-بئر. 6-هرم من الاحجار. 7-أساس أو قاعدة عند طريق. 8-سد، وأرضية مبلطة وقبور. 9-كتلة نصف دائرية من الحجارة. 10-سد في سفح جبل عبلهون. 11-ضيعة. 12-مجمع سكني. 13-جسر. 14- مرقاة(درج). 15-قرية ديهوب. 16-قرية ستيرا. 17-18قرية غبة. 19-قرية عريوش. 20-بقايا مبنى إلى الجنوب من عريوش. 21-رأس كرمة(قاعدة). 22-جدار دائري في سرداب رابية. 23-بقايا جدار في جانب وادي. 24-قرية قاضوب(جدار من حجارة مسواة). 25-أساسات بيت عند الطريق. 26-قبور. 27-قرية دِسِنِفِرهْ. 28-حصن على جبل حسون. 29-قرية عرهنه. 30-قرية سرهن. 31-عِلِها(موضع في النهاية الجنوبية للقرية). 32-قرية سوق. 33-سوق(حصن على التل). 34-سوق(المدينة القديمة). 35-سوق(الكنيسة –المسجد). 36-سوق(حصن يافعي الطراز). 37-ثلاثة مباني. 38-قرية ديغدوب. 39-قرية عدونه. 40-قرى طروب الدجال وأكار ريغينهين. 41-قرية ديغام دلال وشمس الوادي دناكهين. 42-قرية حاصن. 43-قرية فيراغي. 44-حصن صغير في قرية. 45-قرية ديشص. 46- حيطان عند معبر مآتي. 47- ضيعة صغيرة وقبور. 48-طريق مبلطة معروفة. 49-قرية روشي. 50-قرية حوحبي شيزين. 51-قرية كليسان.

وفي وسط الفناء تقع البئر بمحاذاة إحدى جهات الحصن، وبقايا بعض الأماكن:" ولا توجد أية معطيات يمكن أن تدل على زمن إنشاء القلعة: لا مصنوعات فخارية ولا غيرها من المواد الأخرى التي لم يعثر على شيء منها في الحصن أو الأماكن المحيطة به. وقد أستنتج الباحثون السابقون لنا أن من بناه هم البرتغاليون، ولكن لم أعثر على شيء يؤكد هذا الافتراض، واعتقد أنه من المحتمل جداً أن يكون العرب المهريون هم من شيده للأشراف على البدو السقطريين، وربما أن ذلك تم في القرن السادس عشر عندما استعادوا إشرافهم على الجزيرة بعد رحيل البرتغاليين منها" [85 ص 107].

في أثناء رحلات الدكتور ن.أور في الجبال لأخذ عينات من الدم عند البدويين صادف مجموعة مساكن كان يطلق عليها السكان "القدماء" أو "الفرنج" وقد أشار شيني بشكل خاص إلى ما يلي:

1- بيت حجري يطل على كِشْن مع ملحقات كبيرة جداً.

الحجرة الرئيسية دائرية الشكل، وقطرها: 4,5 - 6 أمتار، والجدران مبنية بالأحجار المثبتة بمحلول إسمنتي. وأربعة أعمدة من الحجارة مثبتة بالأسمنت الخشن تسند عارضة متفرعة من سيقان شجرة الطلح، وتمتد السيقان من عمود إلى عمود ومن العمود إلى الجدار، ومن فوقها سقف من الحجارة والتراب، سماكته من 60- 90 سم.

2- في مَحْدُوم جنوب غرب حجهر، عدد من البيوت (الفرنجية) بجدران مجصصة من الحجارة و أحواش مع سطيحة مبلطة.

3- في الهضبة الجيرية بجانب زيرج، مبنى (إفرنجي) قديم. الأرضية من الجير الطبيعي، والجدران مبنية بصفين من الحجارة المثبتة جيداً. وفناء واحد كبير، طوله 9 أمتار. وفي البيت ثلاث غرف، واحده شبه مظلمة، نمت فيها الأعشاب، ويليها أيضاً حوشان بمستويين مختلفين، وقد تهدما بشدة، وفي أحدهما أحجار مهملة.

4- عدة بيوت قديمة في أدهِيِيْني وتحت جبل شِلال. الجزء الأكبر أعيد بناؤه.. وأعمدة حجرية على الأرض وبجانب البيوت. وإحجام البيوت مختلفة، واحد منها طوله 9 أمتار وعرضه 3,6متراً.

إن للبيوت البدوية المعاصرة عوارض خشبية، أما في البيوت القديمة فأن السقف يستند على قطع حجرية مستوية كبيرة الحجم، يصل طول بعضها إلى 1,8 متراً، وتجاور البيت حظيرة أغنام، تستخدم الآن للأبقار.

5- في الهضبة ذات النباتات العشبية والحشائش فوق مُلْسِيْ، تحت جبل شِلال، توجد شلالات مياه ومزارع وجدران منخفضة للحماية. القرية مؤلفة من منزلين. ويبقي من المبنى المستطيل (10,8×3,6 م) كتلة من الحجارة فقط تفصله من الوسط إلى جزئين.

وعلى بعد عشرات الأمتار يوجد بناء مماثل لذلك المبنى (18×3,6 م).

وعلى مسافة 50 متراً هناك أطلال ثلاث مباني، ذات جدران مجصصة ومزدوجة البناء ولها أركان مستقيمة، وفي أحدها موقد غير عادي الحجم. وجدران ذات مدخن تمتد إلى الخارج ولا يرتفع السور عن 1,5 متر، وبني جيدا من الطوب وحالته جيدة. مساحة أثنين من البيوت 9×3,6متراً، (والثالث أيضا 2,7×2,7م) [85 ص 106 – 109].

عندما قام د.دو بدراسة الجزيرة، استند على المعطيات التي توصل إليها شيني. وأهم ما قام به أنه دون ووصف كل ما شاهد من الأماكن، رغم انه لم يعثر على الكثير.

درس دو بعناية منطقة سوق. وكتب أن أفضل المراسي في الجزيرة، تؤكد كما يبدو وجود أماكن استوطنها الناس قديما في الجزيرة في قلنسية (غبة قلنسية) وفي سوق (غبة حديبو وبندر ديليش). وتنحصر أفضلية سوق في المرسى الواقع في ناحيتي رأس حولاف. وهو ما يوفر له الحماية من الرياح الشرقية والغربية. كما أن سوق تقع في الوسط مما يسهل الاتصالات الداخلية.

"إذا استثنينا أطلال المدينة القديمة في دِسِنِفِرهْ، حيث كان هناك،كما يبدو، مبنى مخصص للعبادة، فإن جميع مواضيع الدراسة تعود إلى مرحلة القرن الخامس عشر- السابع عشر. ففي منتصف القرن السادس عشر كانت سوق لا تزال هي العاصمة، على الرغم أن حديبو (تماريدا) قد تحولت إلى مدينة، وسرعان ما احتلت فيما بعد مكانة سوق كنتيجة لاستئناف فاعلية المهريين، كما مهد لذلك الوجود القصير للحامية البرتغالية". وفي عام 1615م كانت الكنيسة البرتغالية في سوق مهملة، أما في حديبو فقد بني المسجد، مع أن سقفه كان مستويا كما يرى دو، أما القبة فبنيت في وقت متأخر بعض الشيء، في ذات الوقت الذي تم فيه بناء مسجد القبة في قلنسية [66 ص 41، 151].

إن تنظيف مساحة الكنيسة في سوق قد أكد احتمال وجود بناية أكثر قدما هنا (مطلع القرن 16م). وفي ذات الوقت فأن المدخل الشمالي وبقايا

السور الشرقي تشير إلى تشابه الأحجام الأولية لهذه البناية،وبفضل الكشف عن أحجار القلعة، الخارجة عن المدينة التي وجدت، تم أيضا إيضاح بعض خصائص التحصينات في سوق [66، ص 151].

بعد مشاهدتنا لمنطقة سوق، توصلنا إلى افتراض فحواه أن السفن في الزمن القديم أمكنها الدخول إلى هور وادي سوق [27، ص 43]، على الشاطئ الذي وجدت فيه أطلال المباني. هذه التخمينات تأكدت جزئيا في عام 1985م عندما تم اكتشاف بقايا حُجْرَهْ (انظر لاحقاً).

وعلى أراضي قرية سوق، بالقرب من الهور، عثر دو على قطع فخارية، شبيهة بذلك الفخار الذي تم العثور عليه في سواحل شرق أفريقيا، ويرجع تاريخها إلى القرن 10 - 12 م.

أقدم قطعة - حطام لطرف آنية مع المقبض، بطلاء زجاجي بلون القش الأخضر، مشابهة للفخار الساساني المتأخر، أو للعصر الإسلامي المبكر، وربما جُلبت من بلدان الخليج. ومثل ذلك الفخار تم العثور عليه في ساحل شرق أفريقيا سوية مع مواد القرن 10م، كما يوجد أيضا في سيراف. وقد قارنها بمواد شرق أفريقيا ن. تشيتك [انظر 66، ص 152].

يعود تاريخ إحدى القطع - شظية خزف مخططه - إلى القرون 11 - 13م.

وجدت قطع حجرية صينية تعود إلى القرنين 14 و 17م. وقطعة ذات طلية زجاجية من الفخار البني اللون - لعلها جزء من وعاء للزنجبيل تعود إلى القرنيين 17- 18م.

القطعة الوحيدة أصلاً من الفخار الصيني - باستثناء شظايا الآنية الحجرية - كانت قاعدة ثقيلة لكأس أخضر كالح اللون تعود إلى القرنين 15 - 16م، والطريف أنه لم يتم العثور في سقطرى على آنية صينية ذات لون أبيض - أزرق، كتلك التي تنتشر بكثرة في ساحل شرق أفريقيا وفي الجنوب العربي.

العدد الأكبر من شَقَفِ الأواني الخزفية الإسلامية ذات اللون الواحد، التي وجدت في سوق، تعود إلى القرنين 16 - 17م. وغالباً هناك أواني فخارية مماثلة في سواحل شرق أفريقيا وجنوب الجزيرة العربية [66 ص152].

عاين د، دو منطقة إريوش بدقة حيث تم العثور، حسب شهادات ت.بنت و ب.شيني، على نقوش كتابات قديمة. وأشار إلى أن إريوش عبارة عن ثلاث مساحات بيضاوية مقعرة إلى حد ما، مطلة على مسطح كلسي بطول

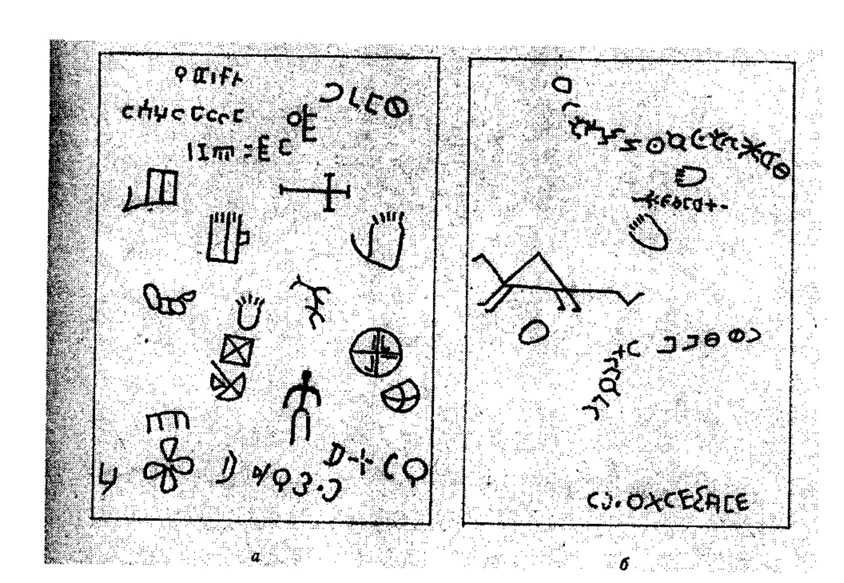
90متراً. وهي تشكل مستوى أفقي واحد يمتد من الشرق إلى الغرب. وتوجد النقوش الكتابية في الساحة الوسطى فقط، من الناحية الشمالية حيث اكتشفت بقايا سور غير مرتفع، "كثير من النقوش والرسوم على سطح حجر مستوية، بما في ذلك رسوم تصور خطوط القدم، وفي الغالب أشكال هندسية وهيئات حيوانات وبشر. وهناك أيضاً بعض النقوش (الصورة رقم 17، أ- د) تشابه أحرف النقوش اليمنية القديمة التي وجدت إلى الشمال من ظفار والتي كان قد وصفها بيرتران توماس [89]. ومن الصعب تصوير النقوش لأن حافاتها صغيرة ولا تعطي ظلاً تقريباً. وكان سطح الموضع بكامله قد غطي بطبقة سميكة من الطين والوحل، بعد المطر الشديد في أبريل. وكان لا بد من تنظيفه. وقسم منه كان تحت طبقة من الماء بـ 15 سنتيمتراً. وهنا كانت تشرب الإبل والماعز، وهو ما يجيز الإشارة إلى استغلال هذه المساحة من قبل رعاة قطعان الماعز في الزمن القديم، عندما تم وضع هذه النقوش " [66، ص 5 – 6].

وعلى بعد 180 متراً إلى الجنوب الغربي من منطقة النقوش تقع خرائب مباني كان قد شاهدها دو كذلك، ولم يتسن له العثور على أي شيء يساعده، حتى لتحديد زمن تقريبي لها. وقد أشار عالم الآثار إلى أن البناء أكثر تكاملاً مما في البيوت المعاصرة. وأن هذه المباني ذات زوايا مستقيمة. وقد اعتبر ت. بنت في عام 1897 م هذه المباني أقرب إلى الكنائس.

وإلى وقت زيارتنا لهذه المنطقة كانت الخرائب لا تزال باقية، ولكن أقل مما كانت عليه في عام 1967م. ولهذا السبب يكتسب الوصف الذي وضعه د. دو أهمية كبيرة. ونقدمه هنا باختصار.

طول مجموعة المباني جميعها يبلغ حوالي 270 متراً. وقد أشار علماء الآثار الإنجليز بشكل خاص إلى حقيقة هامة، هي أن معظم المباني موجهة إلى الوادي في المحور الشمالي- الجنوبي. أما زاوية السمت لهذه المجموعة من المباني إلى منطقة النقوش على الحجر الجيري فهي 315درجة. وهي أكبر مجموعة بناء في وادي إريوش، ولكن لم يعثر هنا على الصناعات الفخارية ولا غيرها من المواد.

الموقع التالي يقع على مسافة 1,2 كم إلى الجنوب من إريوش، وهو يضم خمس بنايات مهدمة، تظل هويتها غير واضحة حتى الآن، مع أنها - حسب رأي دو- يمكن أن تكون مساكن، لأنها تقع في أراضي مأهولة من قبل. غير انه لم يعثر على أي لقايا تؤكد هذا الافتراض.





(الرسم17-أ،ب،ج): خطوط ورسوم من عريوش.

امتـداد الموقـع حـوالي 180 مـتراً، ومـن الـشرق إلى الغـرب 63 مـتراً، وأحجـام ووضع المباني هي:

(1) القطر 4,5 م، الارتفاع 90 سم.

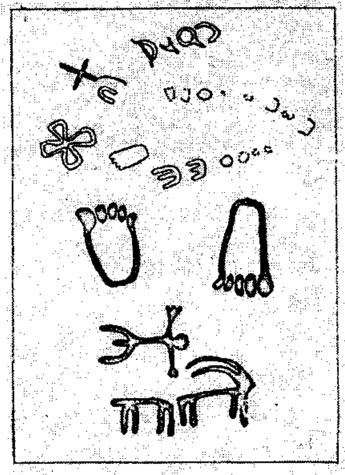
(2) 6,3×3,6م، علـى 230° وعلـى بعـد 27 م من الرقم (1).

(3) الطول 2,7م، 230°من الرقم (1).

(4) القطر 1,2، 235°من الرقم (3).

(5) القطـر 1,35 م، 265°وعلـى بعـد 108 م من الرقم (1).

ومـن المهـم، إن للبنـايتين 4 و 5 آثـار خلايـا حجريـة صـغيرة، وربمـا أنهمـا استخدمتا كملاجئ للماعز. وعلى هذا النحو فأن مجموعة هذه المباني يمكن أن تكون قرية مهجورة.



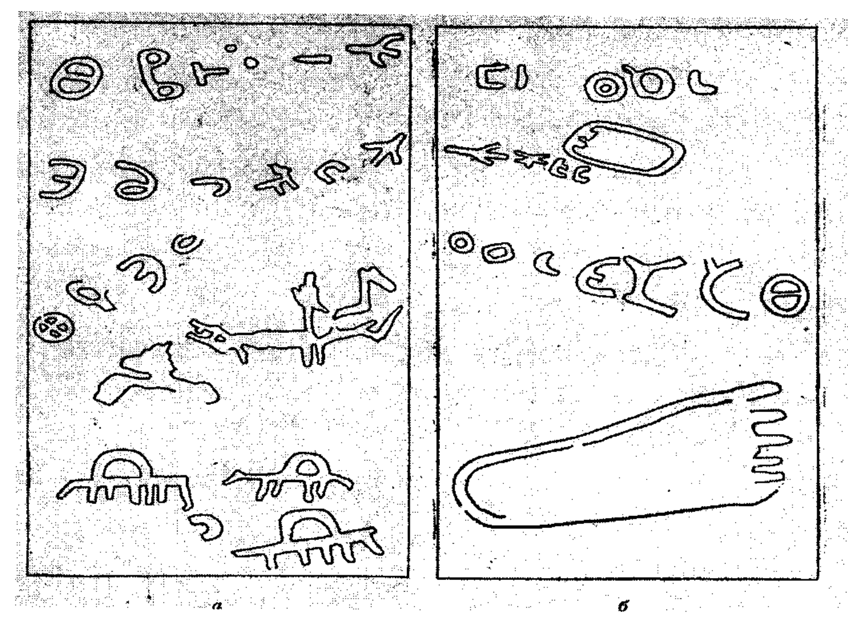
(الرسم17-د): رسوم من عريوش.

في الوادي، خاصة باتجاه التلال السفحية إلى الجنوب، توجد مجموعات أخرى كثيرة لخرائب مباني غير كبيرة، بعض منها سجلته البعثة العلمية الإنجليزية. وهي في العادة أكواخ دائرية الشكل متهدمة، لا يمكن تحديد تاريخها. وفي أعلى التل في رأس كرمة عثر على أحجار القاعدة الدائرية بقطر 4,5 م مع حجرة كبيرة في الوسط تقف عليها الدعامة التي تسند العارضة. وبين هذا التل والساحل توجد كذلك خرائب بقيت من قدماء الناس،كما يعتقد ذلك السكان المحليون [66، ص 6].

وعلى هذا النحو فأن دراسة المنطقة بالقرب من إريوش لم تساعد حتى في تخمين تاريخ لهذه النقوش وخرائب القرى الواقعة بالقرب منها.

ما يخص النقوش والرسوم فقد قمنا بدراستها تفصيلياً (في الرسم 18، أ، ب). ويمكن القول بثقة أنها نُقشت بطريقة التجويف على الحجر. ولم تؤد محاولات مماثلة الإشارة المشابهة لكتابات الجنوب العربي إلى أية نتيجة. ومن المحتمل أن واضعيها قلدوا هذه الكتابة لأنهم رأوها، لكنهم لم يكونوا يجيدونها، وهم الناطقين فيما بعد باللغة السقطرية وليس اليمنية القديمة. وربما كان

للنقوش طابع سحري. ويمكن قول هذا تحديداً عن رسوم الأقدام الإنسانية. كما أن تصوير الماعز أو الضان، التي كانت مقدسة في الجنوب العربي، يحمل أيضاً طابعاً تقديسياً. ومن بين الأشكال التي قمنا بتدوينها لا بد من الإشارة إلى تلك التي تعكس صورة جمل ورجل يصطاده، ويوجد الجمل مرسوماً كموضوع للصيد في عدة رسوم عثر عليها العلماء الأمريكان في المملكة العربية السعودية [50، ص 1961].

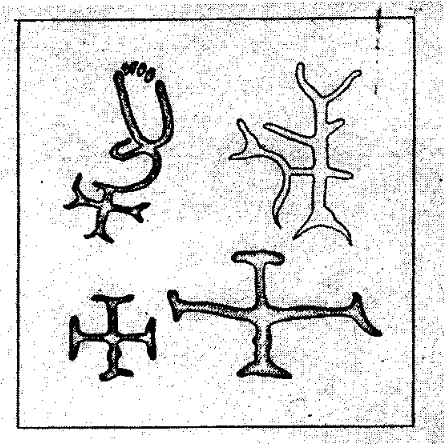


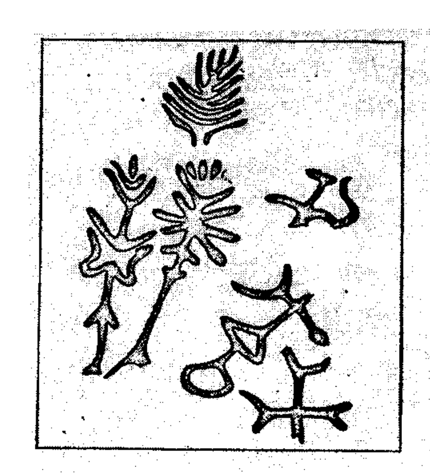
(الرسم18): رسوم وخطوط من عريوش.

هناك أيضاً عدة نقوش بالقرب من سوق. وفي الرسم (رقم 19 – أ، ب) صورٌ للصليب وجدها علماء الآثار الإنجليز، وفي حصيلة التنقيبات الأثرية في الجزيرة نشر دو المعطيات عن جميع المباني التي تعود إلى مرحلة القرن 17م، وقد حدد النماذج التالية للمباني :

(1) مباني دائرية الشكل، مشيدة بحجارة كبيرة وصخور.

(2) كهوف سكنية لها جدران واقية من الخارج، تغطي المدخل، وهذا التطبيق كما يبدو يتواصل حتى الوقت الحاضر، مع أن الكهوف كانت تستخدم منذ الأزمنة القديمة.





(الرسم19): رسوم عثر عليها د.دو في الصفائح المشهورة على مسافة 180 مترا إلى الجنوب من قرية سوق.

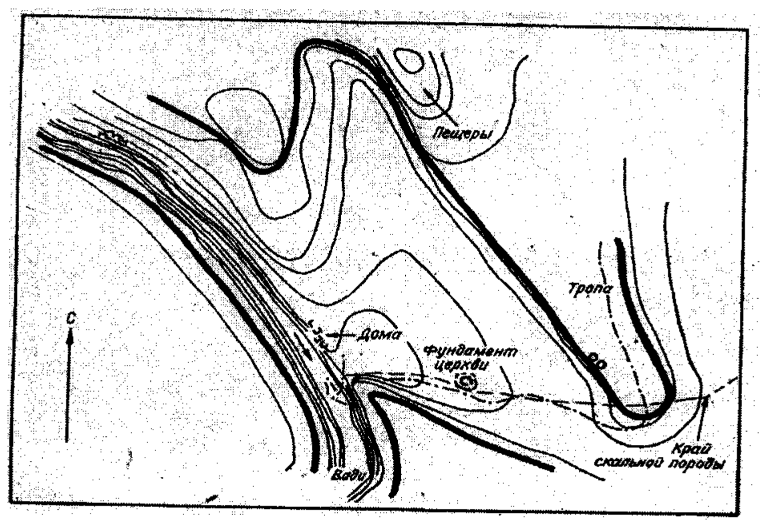
(3) شرفات مع أسوار من الصخور وجدران منخفضة على التخوم الدفاعية في الطرق الجبلية الضيقة.

(4) مجموعة مباني لأغراض خاصة، بتخطيط غير منتظم، شُيدت جدرانها بالحجارة ووثقت الأبواب بقوائم حجرية عمودية بدون إتقان، والأرضيات مرصوفة وحظائر اعتيادية غير كبيرة للماشية ملاصقة للبيت.

(5) مجموعة المباني الخاصة بالتدابير المنزلية، بجدران مرصوفة بدون عناية وبدون محاليل مثبتة. شيدت بتخطيط مسبق وبزوايا مستقيمة. ووضعت الأعمدة بتماثل من أربعة أو ستة. وشيدت قوائم الأبواب عمودياً من الحجارة، ورصفت الأرضية بأحجار مستوية.

(6) جدران حدودية من الصخور وهي بمثابة حدود فاصلة بين الملكيات الخاصة.

(7) أسوار المباني وأسوار الحماية " للأراضي التي يقطنها الناس "، ولا صلة بها بمباني التدابير المنزلية أو الجدران الفاصلة بين الممتلكات. وربما أنها كانت خاصة بمربيي الماشية في الجبال والصيادين وغواصي اللؤلؤ في الساحل. ويمكن العثور عليها قرب الشاطئ في الخرائب مثل سيماركارا وبين مباني سوق، وشيدت الأسوار من أحجار مستوية تقف عمودياً. كما توجد الأحجار المستوية في زوايا السور الرئيسي والمجاور.



(الرسم20): قرية كليسان.

(8) أسوار مبنية من أحجار منتقاة بغير عناية وغير مهيأة ولكنها مثبتة بالنورة. وقد تم العثور عليها بالقرب من هذه الأسوار على آنية إسلامية خضراء وزرقاء.

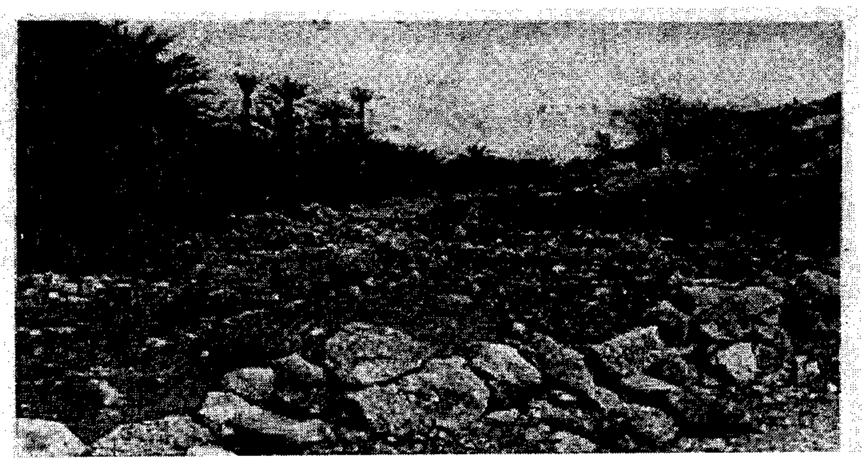
(9) أرضية مجصصة بالنورة، توجد بشكل رئيسي في بيوت سوق.

(10) أسوار مبنية بحجارة غير مرتبة ومثبتة بالنورة، وفضلاً عن ذلك مجصصة من الخارج بنفس طراز مسجد حديبو و قلنسية وأيضا المباني في وقتنا الحاضر [66 ص151– 52].

يمكن الموافقة على استنتاجات دو، ولكن ستضاف إليها دون شك مواد مكملة عند انتهاء عمل بعثتنا العلمية.

في حقيقة الأمر، إن الدراسة العلمية المنهجية للمواقع الأثرية في سقطرى بدأها فريقنا، ومع ذلك فأن نتائج دراسة ب.شيني و د. دو قدمت لنا مساعدات لا تقدر. في المرحلة الأولى أعطي الاهتمام الرئيسي للمنطقة الشرقية من الجزيرة لأنه وفقاً لرصدنا الأولي كانت تقع هنا بشكل خاص بقايا المباني الأكثر قدماً، التي مر بها العلماء الإنجليز.

يكفي التذكير بالألواح الحجرية المستطيلة التي عثرنا عليها من قبل ودوّن أثناء زيارتنا الأولى للجزيرة عام 1974م، والتي تعتبر كما اشرنا هياكل مقابر، وهو ما تأكد أثناء التنقيب الذي قام به أ.ف.سيدوف في مواسم البحث الميداني في عام 1985م وفي عام 1987م.



(الصورة21): فواصل حجرية.

في موقع بهي الجمال، يسمى كَلِسَنْ، الواقع في وادٍ يحمل نفس الاسم، حيث ينبع من الصخرة أفضل ينبوع ماء في الجزيرة، وجدنا في عام 1983م خرائب كنيسة غير كبيرة (الرسم رقم 20) مبنية من أحجار ممهدة وغير ممهدة، وموجهه بدقة في الجهات الأربع. يقع المدخل جهة الغرب والمحراب في الجزء

الشرقي. ومساحة المكان في الجزء الضيق (5 أمتار)، وفي الجزء الواسع (7 أمتار).

تم العثور أيضاً على كثير من المنشآت ذات الحجارة الكبيرة (قرب قلنسية على سبيل المثال) لم يذكرها دو، ولكنها تشابه تلك التي كان قد عثر عليها. وفي المنطقة الشرقية تم رصد الكثير من الحدود الممتدة عدة كيلومترات وكانت تفضل، كما يبدو، بين مزارع البخور في القديم (الصورة رقم 21).

وها هي أهم ما توصلنا إليها من اكتشافات أثناء تجوال المؤلف مع ف.س. شينكارينكو في المنطقة الشرقية، حيث تم في مواسم البحث الميداني عام 1984م اكتشاف احد نماذج المقابر السقطرية، هي مقابر جماعية في مغارات طبيعية.

صعدنا في المعبر الجبلي شِلْهِنْ، ولم نذهب يساراً في اتجاه الشرق، حيث تؤدي الطريق إلى رأس مومي، بل تحركنا جنوباً، وبعد قليل وجدنا أنفسنا في قرية شعب (هناك قرى كثيرة تحمل هذا الاسم في مختلف نواحي الجزيرة). وهناك استقبلنا سعيد إلفان من قبيلة بنو مشرِة القاطنة هناك. قادنا سعيد لمشاهدة القبور الكهفية "للناس القدماء" التي سبق أن حدثونا عنها عندما كنا لا نزال في حديبو.



(الصورة22): أحجار مستطيلة على ضريح.

على مسافة 2 كم تقريباً إلى الجنوب الشرقي من قرية شعب، فوق الوادي، وعلى الجبل الصخري بجبج، على ارتفاع 100 متر من السطح، رأينا كهفا كبيرا مقببا، طبيعي المنشأ، بارتفاع 2,5- 3 أمتار، وبقطر حوالي 4 أمتار.

المدخل المؤدي إليه بيضاوي الشكل، ويقع إلى جهة المنحدر الجنوبي الغربي من الجبال الصخرية. وفي زمن ما سُدَّ بالأحجار المثبتة بالنورة. وفي زمن قريب مضى هُدم الجدار من قبل أطفال كانوا يلعبون هنا. وفي الداخل كانت توجد أجزاء لهياكل عظمية مكدسة بغير ترتيب لعشرات الناس تقريبا وعظام أغنام.

وعلى مسافة أبعد بـ 30 متراً إلى الجنوب الشرقي على الجبل، عثرنا أيضاً على عدد من القبور. تقع المداخل إلى ثلاثة كهوف صغيرة إلى الناحية الشمالية الشرقية للجبل، وكان البناء الحجري الواقي مهدما أيضا. وللأسف لم يتيسر لنا أن نشاهد مقابر غير مهدمة. ومع ذلك أخذنا معنا نماذج من عظام المقابر لعرضها للتحليل.

وفي موسكو سلمت العظام إلى المختبر في المعهد الجيولوجي التابع لأكاديمية العلوم الروسية حيث قام ل.د.سولرجيتسكي بتحليلها. وحدد عمرها بـ 1300 عاما. وعلى هذا النحو تعود القبور في جبل بجبج إلى عام 685م.

هناك قبور جماعية مماثلة في الكهوف، جرت دراستها في المعبر الجبلي الضيق حيبق بالقرب من قرية قاضب، في الجزء الأوسط للساحل الشمالي من الجزيرة، والى الجنوب من قرية قلنسية، إلى الساحل الغربي للجزيرة، عند رأس بادو.

ويغض النظر على نتائج التحليل فأن التاريخ المحدد لا يعتبر نهائياً، وحسب المعلومات التي حصلنا عليها فأن سكان المناطق الجبلية حتى في الوقت المعاصر كانوا يدفنون الموتى من حين لآخر في الكهوف الطبيعية وإغلاق فتحاتها بالحجارة. وكانوا يقومون بذلك، كقاعدة، في أوقات الجفاف والأوبئة، حين لا يكون بمقدور الناس حفر القبور. وفي الوقت نفسه توجد شهادات مؤرخي القرون الوسطى التي تؤكد أن السقطريين قد دفنوا موتاهم في الكهوف.

وكما يبدو، فأن أحد أقدم المواقع الأثرية في الجزيرة يقع بالقرب من قرية رَاجُوفْ المعاصرة. وهنا سُجلت آثار ورشة (؟) لصناعة الأدوات الصوانية، وقد وجدت منتوجات من الصوان على مساحة 400×400 متر تقريبا وجمعت كمية كبيرة إلى حد ما، من بينها قطع وشظايا مع الرتوش وصفائح و آلات (سكينة كبيرة، شفرة، أدوات قشاطة). وتعود هذه المجوعة، على الأرجح، إلى

"المرحلة التاريخية". وربما تعطي تصورات عن الثقافة المادية لسكان الجزيرة القدماء.

وهناك أيضاً بالقرب من قرية راجوف تقع المقبرة غير الكبيرة التي أشرنا إليها بصفائح حجرية كبيرة فوق القبور ذات الطراز الفريد بالنسبة لسقطرى، تتألف المقبرة من عشرة قبور تقريباً، ولكن تبقى منها فقط قبر واحد غير مهدم (الصورة رقم 22)، وهو مستطيل الشكل، ممدود باتجاه الشمال الغربي، ومساحته 1,92×2,64م، وارتفاعه: 0,7 – 1,0 م. شُيد جانباه المستطيلان الشرقي والغربي وكذا القطاع الشمالي العرضي للجدار من ثلاثة إلى أربعة صفوف من الحجارة المسوّاة، ووضعت بصورة أفقية وسُدَّت الفراغات بينها بأحجار صغيرة، أما الجدار العرضي الجنوبي فشيد من قطعتين حجريتين غرزتا عمودياً في الأرض، وتوجد بينهما فتحة مستطيلة 0,54×0,8 م، مغطاة بقطعة حجرية كبيرة بمساحة 1,92×2,64م وسماكتها 0,17-0,22م وهي ممهدة بعناية في المستوى الأفقي. أما بقية المقابر فمهدمة، ومع ذلك وفي ضوء مشاهداتنا للبقايا فأنها تبدو قريبة مما رأيناه من حيث تركيبة البناء، وتختلف من حيث الحجم. والاختلاف الوحيد ربما كان في جدرانها الجانبية التي لم تكن من حجارة منبسطة وأنما مغروزة عمودياً.

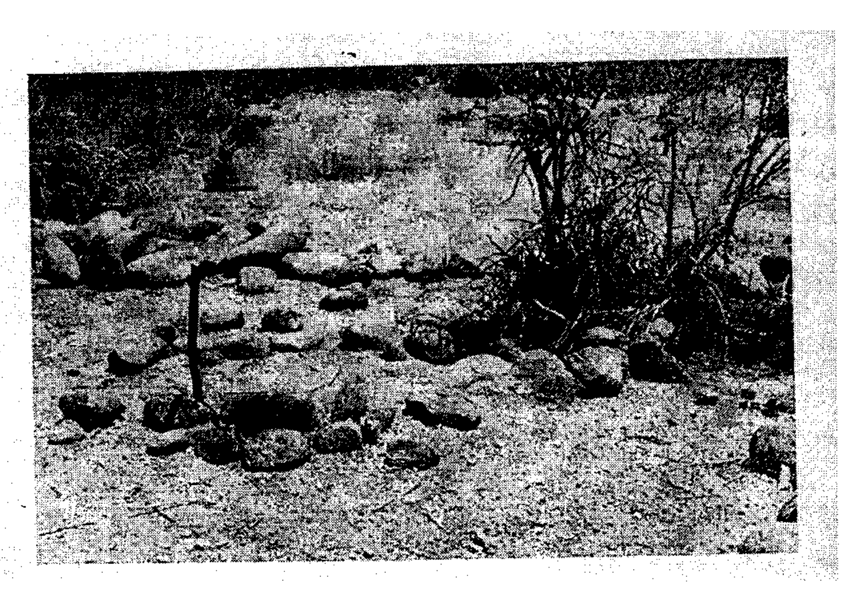
وأظهرت التنقيبات التجريبية في المباني الأرضية وفي حفر جوفية على عمق حوالي متر واحد من الحجارة غير المسوّاة مدافن مبنية بصورة مستطيلة على شكل "الصندوق الحجري" ولها أغطية من الحجارة المهيئة بدقة. أربعة منها كانت قد نهبت بالكامل، وأحدها يضم قبر جماعي لهياكل تسعة أشخاص على الأرجح، إذ وجدت تسع جماجم وكمية كبيرة من عظام القصبة وعظام الحوض مكدسة بدون ترتيب، ومع ذلك لم توجد الفقرات والأضلاع والسلاميات وأصابع الأيدي والأرجل..الخ. وبين عظام المدفونين وجد مقبضان من العظام ربما لسكينة كما يبدو وشظايا سكاكين حديدية ودبابيس برونزية. كما وجدت في الجزء الشرقي للمدفن فوق العظام آنية فخارية ضيقة العنق ومستديرة الشكل يدوية الصنع.

للأسف أن المادة التي حصلنا عليها لا تسمح لنا تحديد تاريخ معين للقبور التي تم حفرها، كما أن العظام التي وصلت إلى موسكو كانت غير مجدية للتحليل. إن الاختلاف الشديد بين مدافن المقبرة في راجوف والمدافن في مناطق سقطرى الأخرى، والتشابه القريب للمدافن ذات الألواح الحجرية الكبيرة التي تغطيها مع مدافن الجزء الجنوبي للجزيرة العربية كأنما يعزز

من تقديراتنا في أن تاريخ المقبرة ربما يعود إلى النصف الثاني للقرن الأول قبل الميلاد، ولكن هذا يظل مجرد تخمين افتراضي حتى الحصول على معلومات مشجعة.

في كثير من مناطق الجزء الشرقي للجزيرة دُوِّنت ودُرست بصورة تمهيدية بقايا المستوطنين القدماء والضيعات (العُزَب) وكذلك القبور التي تقع على مقربة مباشرة منهم، وربما أنها ذات صلة بهم. ومن تلك المواقع هناك بقايا عزبة ومقبرة بالقرب من قرية حاصن.

تتألف المقبرة من ثلاث مجموعات منعزلة، تشغل رأس غير كبير تكون من امتزاج واديين هما: حاصن ومقالهم. المساحة التقريبية للمقبرة 80×100 مترا. تتكون مجموعة حاصن رقم (1) من تسعة قبور، ثلاثة منها تشكل سلسلة ممتدة على خط الشمال الشرقي - جنوب غرب. والستة القبور الأخرى عبارة عن ركام متراص. وتقع مجموعة حاصن رقم (2) على بعد 30مترا إلى الغرب وتضم ستة قبور: تؤلف جميعها سلسلتين متتاليتين في كل منها ثلاثة قبور وتمتد في اتجاه شمال - جنوب. وهناك قبر واحد في حاصن رقم (3) لوحظ على بعد 15 مترا إلى الجنوب الشرقي من المجموعة رقم (1).



(الصورة 23): بقايا دفن في قرية حاصن

على مسافة 80 - 100 متراً إلى الشمال الغربي من المقبرة تقع خرائب مبنى ما، يحتمل انها عزبة، بقيت منها أجزاء غير كبيرة من أحجار السور الرئيسي، وقد تضررت الخرائب بشدة، فقد شيد عليها بيت حديث مع محلقاته من المباني، فضلاً عن كون مواد وأحجار المباني الأكثر قدماً قد استخدمت في بنائه. ولم يكن ممكناً قبل الدراسات المتخصصة البث في غاية وطابع البناء الأولي، ويمكن الافتراض سلفاً عن وجود عزبة قديمة وربما مقبرة أيضاً في هذا الموقع.

أجريت الحفريات في المقبرة على سبعة قبور: ثلاثة في كل من المجوعتين رقم (1) ورقم (2) وبصورة منفردة في القبر الكبير في حاصن رقم (3). وجميع المقابر التي بقيت ذات طراز واحد وهي عبارة عن أسوار مستطيلة في الأساس (0.9 - 1.0×1.8 - 2و1م) محاطة بتبليط بيضاوي الشكل من الحجارة (2 - 2,3×2,6- 2,8م) واتجاه السياج والتبليط في خط شمال شرق- جنوب غرب (حاصن 1، 2) او غرب – شرق (حاصن 2) (الصورة رقم 23).

السياجات المستقيمة البارزة على السطح الحالي بـ 0,1- 0,2 م، شيدت من صف واحد من الأحجار المغروزة بمحيط غير عميق (حتى 1,0 متر) من حفرة القبر، وفي الداخل شيدت غرفة القبر من أحجار غير مستوية، وغطيت بصفائح حجرية كبيرة، رصفت جدران القبر بدقة كبيرة، وسُدت الفتحات بين الأحجار الكبيرة بأحجار صغيرة، وطريقة رصف الحجارة جعلت الفضاء الداخلي في تصميمه يقترب من الشكل البيضاوي. وحجم غرفة الدفن 0,7- 0,8×1,7- 1,9م، وارتفاعها 0,6- 0,7م.

في قاع تجويف المدفن مقابر منفردة بوضع ممدود على الظهر كقاعدة، واتجاه الرأس إلى الغرب أو إلى الجنوب الغربي، بحسب اتجاه حفرة القبر. والمدافن محدودة الأدوات في داخلها أو فقيرة جدا، وجدت فقط آنية فخارية مع الأرجل، وفي حالة واحدة في مجموعة حاصن (رقم 1) تم العثور على قطع من عظام الفك والأسنان لهيكل طفل، وفي ذلك القبر وجدت أيضاً عظام ماعز(؟).

المدفن الثاني في هذه المجموعة حاصن (1) احتوى على قبر جماعي، وجدت فيه عظام وجماجم تالفة لهياكل مختلفة حسب وضعيتها الأولى، واستنادا

إلى تلك البقايا كان أحد المدفونين ممدوداً على الظهر ورأسه إلى ناحية الشرق.



(الصورة24): غرفة دفن.

الأدوات المتعددة وجدت في غرفة دفن كبيرة تقع بمفردها في مجموعة حاصن (رقم 3). الحجم الداخلي لغرفة الدفن الممتدة في اتجاه الشرق - الغرب 1,6×4,0م، وارتفاعها 1,4م (الصورة رقم 24). وجدت في بقاياها جمجمة وعظام هيكل، وتم العثور هنا على ست من الأواني الفخارية، اثنتان منهما كانتا بجانب الجمجمة إلى ناحية الجدار.

جرت دراسة مواقع إلى الشمال الشرقي من قرية شبْهُنْ قريبة بطابعها إلى الأضرحة وطقوس الدفن، وعملياً لم تكتشف هنا الأضرحة، ولكن استناداً إلى بقاياها فأنها كانت ذات جدران مستقيمة من الحجارة المغروزة في محيط تجويفة القبر وبدون تبليط من الخارج.

في المقبرة جرت الحفريات في أربعة قبور. كانت تحتوي جميعها على مدافن من الحجارة مع عوارض مستوية، وقاع الحفرة مرصوص بحصى صغيرة، والأضرحة عادة أحادية والجثث ممددة على الظهر في وضعيتها والرأس إلى الغرب. أحد القبور كان فردياً، والآخر جماعياً.

وعلى خلاف مقبرة حاصن ففي مقبرة شِبْهُنْ تم العثور على أدوات كثيرة إلى حد ما في القبور. من ضمنها أواني فخارية وبرونزية وشظايا أواني زجاجية وسكاكين معدنية وقلائد من الحجارة والخرز الزجاجي وأقراط برونزية وأساور معدنية، وفي أحد القبور عثر على قرص من قطران شجر دم الأخوين.

وفي موقعين آخرين في الجزء الشرقي للجزيرة، عند قريتي مَعابض، ودميرْهِمْ الحاليتين تم العثور أيضاً على خرائب قرية وعزية كبيرة ومقبرة بجانبهما.

أطلال هذه العزية القديمة تشكل الجزء المربع الذي تهدم بقوة من المكان، إذ بقي فقط الجدار الأساسي حول فناء المربع بمساحة 15×15م. وهذا ربما كان يتكون من مكانين منفصلين (7×7م و 5×7م) ملاصقين بعضهما لبعض، مع مداخل من الحوش. وقد تهدمت العزية بالكامل في الوقت الراهن بفعل البيوت الحديثة المشيدة في الجزء الجنوبي للخرائب، وكذا المباني الخاصة بالماشية التي استخدمت في بنائها مواد بناء من بقايا الأماكن القديمة.

تلتصق بالعزية من الشمال الشرقي مقبرة بمساحة 15×25 م وكانت أرضيتها في القديم مسيجة، وتتبين قاعدة السياج في طرف الجهة الشرقية والجنوبية وجزئياً الشمالية مرصوفة بالحجارة من صف واحد. وتتألف المقبرة ذاتها من عدة مجموعات من القبور، تتجاور كل خمسة منها في تسلسل على خط الشمال والجنوب، والى جانب ذلك تتجاور مجموعات صغيرة من القبور من اثنين إلى أربعة قبور في الناحيتين الشمالية والجنوبية لأرضية المقبرة المسورة. وعلى هذا النحو يصل عدد ما تحتويه المقبرة ما بين 35 - 40 قبراً. والسياج مستطيل الشكل ويمتد في اتجاه غرب - شرق مع انحناءات صغيرة أحياناً إلى الشمال. وشير من هذه القبور لها بناء بيضاوي حول السياج.

وأخيراً مقبرة ماثْهِيْبُو الواقعة على جانبي مجرى وادي مَحْزولالي. بقي منها الأساسات لحوالي عشرة مباني حجرية، تقع بشكلٍ غير منتظم، وتشغل على الضفة الشرقية للوادي مساحة 40×50 م تقريباً، والى الجهة الغربية 15×20 م. ووفقا لما تبقى من الخرائب فأن البناء المنفرد كان يمثل منزلاً صغيراً يتكون من حجرة إلى حجرتين بحجم 6×8 و 8×12م، يحيط به سياج

من الحجارة، والأسوار مبنية من أحجار غير مستوية وبدون محاليل مثبتة لها، وبعض الأطلال يصل ارتفاعها إلى 1- 5و1 م.

وفي ما يتعلق بالمقبرة غير الكبيرة، التي تحتوي حوالي أربعين قبراً، وضعت في ثلاث مجموعات متلاحقة بنحو 15 – 20 م إلى الشمال من القرية. وتتألف أكبر مجموعة من 25 – 30 قبراً. وإلى الجنوب منها على مقربة مباشرة من أطلال المباني تقع مجموعة صغيرة من 3 – 4 قبور. وهناك أيضاً مجموعة قبور في الضفة المقابلة للوادي إلى الجنوب الشرقي من المجموعة الأولى وهي تتألف من 5 - 6 قبور منحوتة في قطع صخرية بمجرى الوادي. ومدافن المجموعة الأولى، وهي الأكبر في المقبرة، وضعت متسلسلة من ثلاثة إلى أربعة قبور، وهناك سلسلة من ثمانية قبور، تتمدد باتجاه الشمال الغربي وهي محاطة بحجارة مغروزة في الأرض وارتفاعها 0,25- 0,3م. ومساحة الأسيجة: 1,5- 1,8 ×2,2 - 2,7م، واتجاهها على خط الغرب – الشرق، مع انحناء صغير أحياناً إلى الشمال، ويوجد في النادر تبليط دائري من الحجارة حول السياج بقطر يصل إلى 2,8م. وتلتصق بالسياج الكبير في بعض الحالات أسيجة صغيرة مستقيمة (0,8×1,4) في نفس الاتجاه.

أظهرت التنقيبات الاستكشافية التي جرت في المقبرتين التشابه القريب في منظومة بناء القبور وطقوس الدفن مع مقبرة حاصن وشبهن، فكما في هاتين الأخيرتين يوجد هناك أيضاً تجويف عميق للقبر في الأرض من حجارة غير مسوّاة مع عارضة مستقيمة. والمدافن منفردة وممدودة على الظهر والرأس إلى الغرب أو الجنوب الغربي، وبدون أدوات.

أحد أهم الاكتشافات التي توصل إليها فريق البعثة الروسية – اليمنية المشتركة في عام 1985م، هو العثور على أطلال كبيرة على مسافة اثنين كيلومتر جنوب قرية سوق الحالية، إلى الضفة اليمنى (الشرقية) لوادي حِجْرَهْ، الذي يمتد إلى الساحل ويصب في البحر عند الطرف الشرقي للقرية. الأطلال من حيث الشكل عبارة عن مربعات غير منتظمة (100×130 م) موجهة في الجهات الأربع، ومحاطة بسور واقٍ عرضه بحدود مترين، مشيد من حجارة غير مسوّاة ومثبت بالطين. الارتفاع المتبقي غير كبير بحدود 0,2- 0,3م، وإلى ما قبل بضعة سنوات مضت، كما يقول الذين تحدثوا إلينا، كان ارتفاع السور في بعض أجزائه يصل إلى 0,7- 1,0م.

الممر في السور الدفاعي غير واضح بسبب حالته الرديئة التي بقي عليها، وربما أنه كان يقع في الركن الشمالي الغربي. وهنا، في ركن الأطلال القديمة كانت تقع بناية ما، دائرية الشكل، بقي منها أساس الجدار الحجري، قطرها 5 أمتار، ويحتمل أنها كانت عبارة عن برج دفاعي في الركن. والأسوار الغربية والجنوبية للأطلال مستقيمة، أما الأسوار الشرقية والشمالية فغير منتظمة مع نتوءات وانحناءات.

تنقسم الأطلال القديمة إلى جزئين: الجزء الغربي وتشغله المباني السكنية، والجزء الشرقي ويتكون من المقبرة الواسعة في تخوم المدينة.

في الركن الجنوبي الغربي للأطلال تقع بناية كبيرة مربعة الشكل بمساحة 15×30 متراً. وبقي من ارتفاع السور حوالي مترين. البناية منعزلة ومنفردة عن غيرها من بنايات "الشارع"، وبعرض 10 – 12 متراً. وجدرانها التي يبلغ عرضها 1,0- 1,3متراً مبنية من أحجار سُوِّيت بغير إتقان ومثبتة من الخارج بسمك 5 – 7 سم، وبقيت مواضع على الجدار الغربي الخارجي. التخطيط الداخلي للبناية عبارة عن مساكن مربعة، ربما يزيد عددها عن سبعة، ترتبط بعضها ببعض بممرات.

الركن الشمالي الغربي للأطلال تشغله مجموعة مباني من الحجارة. وهو ما يجاور مباشرة القسم الغربي للسور الدفاعي، المساحة العامة للمجموعة تساوي 60×70 متراً، وهناك زقاقان عرضهما 5 – 7 متراً ويوصلان في اتجاه الغرب – الشرق، وأزقة عمودية بعرض1,0 - 1,5أمتار. وتنقسم هذه المجموعة إلى عشرة واثنى عشر منزلاً كبيراً (10 – 15×30 – 40 متراً). يتألف المخطط الداخلي الشبيه بالمجمع السكني من عدة مساكن مربعة بحجم 6×8 متراً و8×10 متراً، وتبقى من ارتفاع جدار البناء حوالي 0,5- 0,7متراً وُشيد من حجارة سوِّيت بغير إتقان وثُبتت بالطين. البناء متراص ويلاصق بعضه بعضاً في صف واحد من المساكن المستطيلة (5×6 و 4×7 م) ويمتد على طول السور الدفاعي الجنوبي وجزء من السور الغربيز

الجزء الشرقي للأطلال تشغله مقبرة واسعة، ومع ذلك فأن المدافن الغربية ذاتها قريبة جداً من المساكن. والبناء فوق القبور عبارة عن أحجار مستطيلة على شكل أسيجة (1,0- 1,1×2,2- 2,4متراً) موجهة في خط غرب شرق، مع انحناء أحياناً إلى الشمال. وكالعادة تمثل سلاسل من ثلاثة إلى أربعة

قبور، وتصل أحياناً إلى ثمانية وحتى أثنى عشر قبراً، ممتدة على خط شمال - جنوب. ويدت في حالات منفردة أسيجة تلاصق بعضها بعضاً أو أسيجة مزدوجة مستطيلة التبليط أو دائرية. ومن النادر وجود سياجات منعزلة، فضلاً عن أن لبعضها بناء خارجي من الحجارة دائري الشكل. وتتميز القبور التي تشغل الجزء الشرقي من المقبرة بمظهر البناء فوق القبر وهو عبارة عن أسوار غير كبيرة (1,3 - 1,6×0,4 - 0,7 متراً) قريبة من الشكل الدائري، وتتجه عادة على خط الشمال الشرق- الجنوب الغربي، ونادرا باتجاه غرب- شرق. ووضعت كقاعدة بغير نظام، كما وجد عدد منها في سلسة مكونة من اثنين إلى ثلاثة قبور.

اتضح أن القبور المنعزلة التي حفرت في الجنوب الغربي وفي الجزء الشرقي من مدينة الموتى (المدافن الكبيرة) عبارة عن قبور متشابهة لتلك التي تم حفرها في مقبرة حاصن، شبهُن، ميرهِمْ و مِتْهُوبه من حيث بناء المدافن (غرفة من الحجارة مع عارضة مستقيمة) وطقوس الدفن (الدفن المنفرد على الظهر وبدون أواني وبوضعية ممدودة والرأس إلى جهة الغرب).

الجزء الأوسط من مساحة الأطلال تشغله مقبرة خالية من المدافن. وتوجد هنا أربع تكوينات من الحجارة، موضوعة كدوائر ذات أقطار مختلفة من 2 إلى 7 أمتار، ويحتمل أنها بقايا آبار مطمورة أو جابية.

إن المادة التي تم العثور عليها في الأطلال القديمة في عام 1985م وفي عام 1987م تسمح بتكوين استنتاج تقريبي عن زمن وجودها. من بين البقايا هناك قطع من أواني فخارية مستوردة يعود تاريخها إلى ما بين القرن الثاني والرابع الميلادي، وربما إلى القرن الخامس الميلادي، وهذه هي حطام مقبض آنية رومانية ضخمة وقطع صحاف وكؤوس بطلاء أحمر اللون. وبعض القطع الفخارية تتشابه في مادتها مع أطلال مدينة قنا، التي ترجع إلى القرون الثالث – الرابع والخامس – السادس الميلادي، ويقع الميناء الحضرمي القديم قنا في بلدة بئر علي الحالية حيث تقوم بالحفريات فيه البعثة الروسية اليمنية المشتركة منذ عام 1985 م. وقد تم العثور على كثير من قطع الفخار المستورد والمروي بطلية زجاجية ذات لون أخضر غامق وفخار مصقول باللون الأحمر عالي الجودة (مزهرية أو أواني جدارية).

وهـذه الأوانـي صـنعت في محـيط فخـاري، ووجـدت إلى جانبهـا بـين الأطـلال حطامـات أوعيـة فخاريـة محليـة، سـقطرية المظهـر، هـي عبـارة عـن قطـع قـدور مصنوعة مـن مـادة لينـة دائريـة أو مـسطحة مـع نقـوش وزخـارف دقيقـة، شبيهة بتلـك التي وجدت في حفريات مدافن مقبرة حاصن ومقبرة شبهُن. وقد صنعت الأوانـي وكـشطت مـستوياتها بالـصدّف بدقـة. أمـا مـن حيـث الـشكل وأسـلوب الزخرفـة وطريقـة الـصنع فـأن هـذه الأوانـي جميعهـا شـبيهة بالأوعيـة والأوانـي التقليدية الحالية للسقطريين.

على هذا النحو، يجيز لنا التحليل الأولي للمواد التي تم العثور عليها في الأطـلال القديمـة في حُجْرَه أن نرجعهـا إلى مـا بـين القـرون الثـاني والـسادس الميلادي. ومـن المحتمـل أن تكـون هـي ذاتهـا "آثـار الإغريـق والرومـان" الـتي لم يتمكن ب.شيني من العثور عليها [85، ص 108].

وتعـود المـدافن الـتي جـرى التنقيـب فيهـا ودراسـتها في سـقطرى في المقـابر الجوفية في حاصن وشبهُن ومتهُوبه ومِبْرهِمْ وفي الأطـلال القديمـة في حجـر إلى عـصور مـا قبـل الإسـلام مـن تـاريخ الجزيـرة. وتـدل علـى ذلـك طقـوس الـدفن (وصيغة واتجاه المدفونين والمدافن الجماعية ووجود عظام الحيوانات في القبور) وتكوين البنـاء (غرفـة مـن الحجـارة مـع تغطيتهـا بعارضـة مـستوية) وكـذلك وجـود الأدوات في المقـابر. ولا نـستطيع بعـد تحديـد الإطـار التـاريخي الـدقيق لوجود هذه أو تلك من المقابر، ومع ذلك نضع تقديرات محفزة.

فـالقبور الـتي تم حفرهـا في مقـبرة الأطـلال القديمـة في حجُره، والـتي ربمـا وجدت في الفترة ما بـين القـرنين الثـاني والـسادس الميلاديين، قريبـة في طقـوس الدفن وفي ترتيبات بنـاء المقبرة مـن تلـك الـتي تم حفرهـا في المقـابر الأخـرى في حاصن وشـبهُن ومتهُوبه ومـبرهم وغيرهـا، وبالتـالي يمكننـا الحـديث عـن تقـارب الفترة التاريخية لهذا المقابر.

كما أن التحليل الكولاجيني لعظام من مقبرة شبهُن قد أعطـى مـدى أوسـع للعُمر المباشر للمدفونين يمتد من 790 إلى 1110 سنة، بمعنى أن دفن الموتى يمكن أن يكون قد تم ما بين عام 875 م وحتى عام 1197 م.

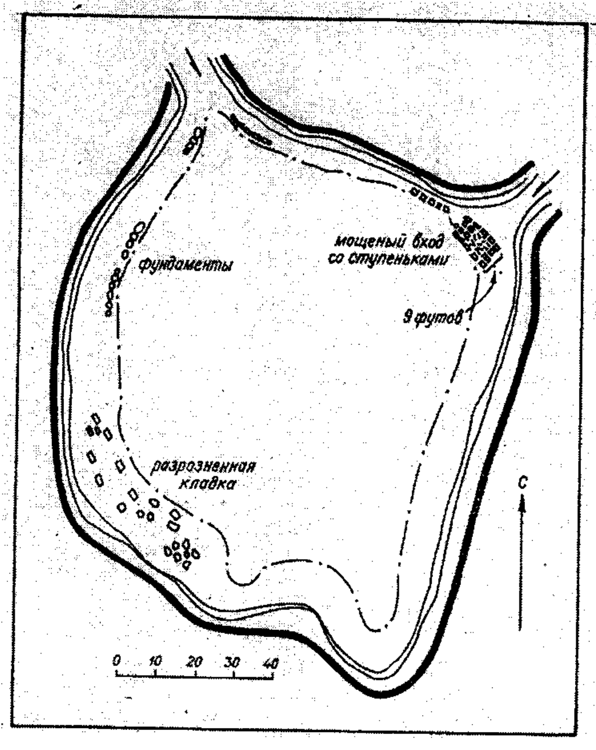
وهكذا، يمكننا أن نؤرخ لجميع المقابر التي تمت دراستها في الفترة بين القرن 2- 12الميلادي (كحـد تـاريخي أقـصى لإمكانيـة وجـود المقـابر) ولم يكـن الإسلام قد انتشر هنا، وظهرت معه فيما بعد القبور على الطريقة الإسلامية.

إلى الشمال الشرقي من المقبرة القديمة في مبرهم تقع بجوارها المقبرة الإسلامية الحديثة، التي تتألف من 80 - 100 مترا، والبناء فوق القبور عبارة عن أسوار شبه مستطيلة أو ممدودة بيضاوية الشكل، ويحجم 1,2- 1,6×0,4- 0,6 متراً. وتتجه الأسوار على الجوانب طولياً في اتجاه الخطوط: الشمال الشرقي - الجنوب الغربي، شمال - شمال شرق - جنوب - جنوب غرب، وفي النادر شمال - جنوب. وداخل الأسوار وضعت في المحور الأوسط حَجَرَتان أو ثلاث مغروزات عموديا. وحسب أقوال الرواة لا يدفن في هذه المقبرة سكان القرى المجاورة، وتستخدم فقط كمكان لدفن البدو من الجبال أو من الأماكن الأخرى، ممن يأتون إلى هنا حيث مزارع النخيل في الأودية المجاورة. وفي الظاهر تتشابه المقبرة الإسلامية كثيراً مع المقبرة القديمة، ومع ذلك تتميز في سراديب القبو تحت الأرض وبسورها الأقرب إلى البيضاوي، كما أن حجمها أصغر بكثير أحياناً، أما التوجيه فلها نفس توجيه القبور القديمة في خط الغرب - الشرق مع انحناءات قليلة إلى الشمال، كما توجد أحجار مغروزة داخل السور وتبليط خارجي إضافي.

إن دراسة موضوعات الثقافة المادية، التي تم العثور عليها أثناء الحفريات في المقابر تحت الأرض، ومقارنة تلك القبور تسمح لنا بوضع بعض الاستخلاصات التمهيدية ذات الطابع الثقافي التاريخي. وتبين نماذج القبور المتقاربة التي جرت دراستها، بما في ذلك تلك المتباعدة أحياناً عن بعضها البعض، أن لديها قاعدة واحدة لتنظيم المقبرة ونموذج واحد لبناء القبر وطقوس واحدة لدفن الموتى، مع تميز بعضها بخصائص محلية غير كبيرة، وهو ما يدل على الوحدة الثقافية والعرقية لسكان سقطرى القدماء الذين وضعوا هذه المقابر، ومنهم على أي حال سكان ذلك الجزء من الجزيرة حيث تلك المقابر المعروفة والمدروسة.

بين المواد المدفونة التي تم العثور عليها، إلى جانب المصنوعات المستوردة الواضحة، الخرز الزجاجي، والأوعية والأواني والأقراط البرونزية والأواني الفخارية ذات الطلية الزجاجية، هناك أيضاً مواد مصنعة محلياً، هي قبل كل شي أواني فخارية مستديرة مصنوعة من مادة لينة ومقابض سكاكين معدنية مع نصال عريضة، عثر عليها في مدافن المقابر في شبهُن وحاصن ومبرهم، وما زالت مصنوعات مماثلة تنتج حتى الآن في الجزيرة وتستخدم في حياة

السقطريين، ومن غير المستبعد انه حدث في هذه الحالة استخلاف ثقافي محدود بين سكان الجزيرة القدماء والمعاصرين.



(الرسم25) سد في جنوب سفح جبل عبلهن.

ومن الطريف جداً في هذا الصدد، تعليقات السكان المحليين المشاركين في الحفريات بخصوص المواد الموجودة في المدافن، فحسب معلومات الرواة أن القدور الفخارية غير الكبيرة من نفس الطراز الذي عثر عليه في مدافن مقبرة حاصن، قد اعتاد السقطريون المعاصرون إعدادها على شرف عيد الأضحى، خصيصاً كوليمة تأبين للأولاد المتوفين، بمعدل قدر واحد لكل متوفَى. وفي أول يوم العيد يملئون القدور بالماء ثم يشربونه، ثم يقومون بتهشيم القدور ورميها. قال محمد مبارك علي من قرية حاصن:"يمكن أنهم كانوا في الماضي

يضعونها في القبور مع المتوفين من الأطفال أو مع الكبار الذين توفى أطفالهم، أما الآن فلم يتبق من هذه العادة سوى الذكرى". ومن غير المتبع لدى السقطريين المعاصرين إيداع شيء ما من الأدوات في القبر. لكن في حالة موت الشخص الوحيد الذي ليس له من يرثه في القبيلة فأن أمتعته تؤخذ وتدفن معه باستثناء الماشية.

كانت السكاكين التي عثر عليها في المدافن بدون مقابض، ربما لأنها صنعت من المواد التي تتفتت وتتحلل في التربة، أو لأنها كانت ذات قيمة لدى أقرباء المتوفي فكانوا لذلك يخلعونها عن السكين. ويعمل السقطريون المعاصرون مقابض مشابهة من قرون الماعز يتم تليينها تحت نيران الموقد.

أحد السكاكين التي عثر عليها، له نصله مثلثة، قارنها المشارك معنا في الحفريات بالسكينة الحالية المستخدمة لقطع التمور والتي يتم بواسطتها أجراء الختان. وفي الواقع فأن السقطريين في الوقت الحاضر يستخدمون لهذه العملية سكينة قريبة الشكل من الشفرات المشحوذة بحدة من أحد الأطراف مع مقبض من قرن الماعز.

المعلومات الطريفة ما رواه المتحدثون عن دلالات القلائد والخرز المنفرد، فقد كانوا يعلقون على الرقبة الخرز من الأحجار الكبيرة ذات اللون الأبيض. ونادراً ما يحملونها الآن وعلى الأخص لدى كبار السن، بهدف تجفيف القرحة في الرأس. وهم يعتقدون أن القرحة الصديدية ستزول بفضل الخرز، وهذا الوباء يحدث غالبا لدى السقطريين. وقد حملوا القلائد ذات الألوان المختلفة بمثابة حروز وطلاسم تقيهم من ذبابة (ذي عسر) التي يعتقد السقطريون أن لدغها يسبب المرض وقد يؤدي إلى الوفاة.

وحسب روايات المتحدثين فأن أولاد الجبليين كانوا يلبسون على اليد في أعلى المرفق فتائل من الأسوار مع الخرز الصغير. كما كانوا يلبسون الفتائل مع الخرز البيضاوي الكبير حول الخصر، وكانوا يضعون الخرز في الظهر (كمنقذ) من الأمراض في منطقة الحقو.

إن وجود الناس مدفونين في القبور مع عظام الحيوانات الأليفة (الماعز) هو في نظر السقطريين المعاصرين غير ممكن التصديق تقريباً. وعلى أية حال، ففي الوقت الحاضر، وفي الماضي القريب لم تعرف حالات مشابهة.

الفصل الخامس

أشكال الاقتصاد

الفصل الخامس

أشكال الاقتصاد

إن التعرف السطحي على الجزيرة يعطي إمكانية وضع استنتاج عن وجود نموذجين من الأشكال الاقتصادية – الزراعية كحد أدنى هنا: مربيو الماشية والصيادون (سكان المناطق الداخلية وسكان المناطق الساحلية)، وتؤكد الأبحاث الميدانية هذا الاستنتاج، وهي تسمح كذلك بالحديث عن وجود شكل اقتصادي زراعي – مختلط.

– الجبليون مربيو الماشية في سقطرى –

المنطقة الوسطى:

قبل الولوج في تصنيف اقتصاد مربيي الماشية السقطريين، نعود إلى الكتاب الرئيسي الذي صدر مؤخراً عن سكان العالم لمؤلفه ب.ف اندريانوف، الذي يحلل عملياً جميع منظومات التصنيف ويعالج مجمل المقاييس المماثلة.

ونلفت الاهتمام، بشكل خاص، إلى واحد من الأشكال، يدخل في منظومة تصنيف خبراء الفاو [أنظر: 1 ص 77 – 79]، أنه تربية الماشية الرعوية، غير المرتبطة بالزراعة.

وكما يبدو فأن هذا الشكل يطابق توصيف اقتصاد الجبليين في سقطرى، على الرغم أن جميع مربيي الماشية في الجزيرة يشتغلون أيضاً بزراعة النخيل. ولكن هل يمكن أن ينسب اقتصاد الجبليين إلى شكل آخر من ذلك التصنيف، على الأخص إلى "تربية الماشية الرعوية، المرتبطة بالزراعة"، أو "تربية الماشية مع أشكال سوق الغنم للرعي موسمياً المقترن بالزراعة" ؟.

يظهر أن غرس الجبليين للنخل، ولأسباب عدة، لا يعطي أساساً لوصفهم بمزارعين. فأولاً، أن هذا يتطلب القليل جداً من الوقت لفلاحة الأرض والاعتناء بالأشجار وجمع المحصول..الخ، مقارنة بالوقت الذي يستغرقه الاعتناء بالقطيع والرعي وتحضير المنتوجات الحيوانية..الخ. وثانيا، فأن أعداد

النخيل التي تدخل في ملكية أسرة واحدة، في المتوسط، ليست كبيرة. وثالثاً، أن الجبليين مربي الماشية لا يعرفون أية أشكال أخرى للزراعة، عدا زراعة النخيل، وهم بطبيعتهم غرباء على الزراعة، ويعتبرون فلاحة الأرض عملاً غير لائق بالرجل، أي أنهم أقرب بطبعهم إلى البدو الرحل. ومع ذلك نجد أن الجبليين ينجذبون ويتعلقون ليس بملكية الأرض التي تزرع فيها غرسات النخيل، وإنما بملكيتهم للمراعي.

وإذا استخدمنا التوصيف الذي وصفه ب.ف.إندريانوف، فأن هذا هو ربما نمط الحياة الذي يميز الحضر ارتباطاً بموسم نزوح جميع السكان، أي موسم قابلية الحركة. وللاشتغال بزراعة النخيل طابع خاص في النموذج السقطري للاقتصاد. بيد أنه لا ينطبق عليه الوصف الذي مفاده أن "زمن مكوث مربيي الماشية - شبه البدو في البلدات الدائمة يفوق زمن موسم التنقل ويقوم مربيو الماشية بالاعتناء بالنخيل" لذلك لا يجوز أن نطلق على أسلوب حياتهم الحضري- المتنقل. كما لا يمكن تحديده على أكمل وجه كنمط مساوٍ للشبه البدوي وتربية الماشية الرعوي وجمع القطران، الذي تكون فيه لدى مربيي الماشية مساكن ثابتة، وهو ما يفصح عن نمط الحياة الحضري المتبدل (يرجع ب.ف.اندريانوف هذه الصفة إلى سكان المناطق الجبلية في التبت)، ولا تنطبق هذه الصفة على السقطريين.

وعلى هذا النحو، فأن اقتران تربية الماشية مع زراعة النخيل، في ظل هيمنة الأولى، يمثل نمطاً خاصاً لاقتصاد الجبليين في سقطرى، أما بالنسبة لسكان الأودية في بعض المناطق فتهيمن زراعة النخيل المقترنة بتربية الماشية، التي لا ارتباط لها بالبدو الرحل (على سبيل المثال في منطقة رأس مومي). وانطلاقاً من هذه المؤشرات، نصنف اقتصاد القبائل السقطرية. مع الأخذ بعين الاعتبار مقياساً واحداً هو غلبة هذا النوع من الحيوان أو ذاك (بقر، ضان، ماعز).

لم نرد في هذه الدراسة إيضاح كل التفاصيل وأن نفرق بصرامة بين الأشكال المختلفة للوظائف الاقتصادية الزراعية لمربيي الماشية السقطريين بهذه الدرجة أو تلك من علم التصنيف المتبع لدى الأثنوغرافين: النمط الاقتصادي الزراعي، الطبقة، الصنف، النوع. ويكون ذلك ممكنا عند الانتهاء من الأبحاث الميدانية المماثلة في اليمن (في حضرموت والمهرة). وفي هذه المرحلة تبرز مسألة الوصف المماثلة للاقتصاد السقطري. وبشكل خاص تخضع هذه المسألة

لتصنيف مربيي الماشية إلى مجموعات وفروع. ويمكن الحديث هنا، حسب رأينا، عن وجود نموذجين اقتصاديين على أقل تقدير: نموذج تربية الماشية "الصرف" وكذا المختلط. وينظر إلى النموذجين المشار اليهما كفروع في إطار كل واحد من هذه النماذج.



(الصورة 26): أبقار سقطرية

يشتغل سكان مختلف مناطق سقطرى بتربية الماشية بصفتها العمل الرئيسي أو أحد الأعمال الرئيسية، وهم ينقسمون إلى عدة مجموعات، يتميزون بفرادتهم الاقتصادية -- الثقافية، رغم أنه لا وجود لحدود واضحة بين المجموعات المتجاورة، وتوجد في كل مكان أشكال انتقالية وفاصلة تقع في الوسط. وتسمح المواد التي جمعناها بإعطاء وصف مختصر للمجوعات الرئيسية، رغم أن الكثير من مناحي نشاطهم الاقتصادي والتقاليد الثقافية ونمط الحياة ما تزال بدون دراسة. ومن الصعوبة جداً الوقوف حتى على العدد التقريبي لعدد السكان، الذي يعود إلى هذه أو تلك من المجموعات. لهذا فأن النظام الذي تتبعه جماعات السكان لا يعتبر مؤشراً على مستوى كثرتهم.

يعتبر مربيو الماشية في مناطق حجهر الجبلية، الذين يمارسون نمط الحياة الحضري- المتنقل، واحدة من أكثر المجموعات وزنا. وهذه الجماعة تضم بدورها مجموعتين: سكان نجد حجهر وسكان الأودية الجبلية. وتوجد بين

هاتين المجموعتين اختلافات غير كبيرة. ويقوم أفراد المجموعتين بتربية الأبقار والشياه والضان. ومع ذلك فأن سكان النجد يعتبرون مربيي ماشية "صرف" أكثر من سكان الأودية، لأن الأخيرين يعملون أكثر في زراعة النخيل.

وفي مناطق حجهر يوجد القسيم الرئيسي من تعداد رؤوس الماشية، ووفقاً لتقديرات ج.براون، فمن أجمالي 1800 رأس (عام 1966م) كان منها في حجهر 1650 رأس [61 ص 261]، أي أكثر من 90 ٪، وتظل الماشية طليقة في المراعي، وفي حالات استثنائية فقط توضع الأبقار في حظائر، وهي ترعى تقريباً طوال الوقت بحرية.

والأبقار السقطرية قصيرة القامة للغاية: ولا يزيد ارتفاعها عن متر واحد، وتبدو في هيئتها أصغر من الحمار. وهذا الصنف قنوع وصبور ويتحمل الحرارة جيدا، ولا يحتاج للكثير من الماء، ويقتنع بالأعلاف الخشنة (الصورة رقم 26). وهناك صنف مماثل يوجد في المناطق الجبلية في المهرة وظفار لدى رعاة الماشية، أقرباء السقطريين الذين يعيشون نمطاً مشابهاً للحياة. ويحتمل أنها تمثل صنف الماشية المنحل، المتكيف مع ظروف المناخ القاسي للجنوب العربي، وكان يُربى في هذه المنطقة في الأزمنة القديمة، ومن ثم اختفى في كل مكان، مع جفاف المناخ، عدا هذه المناطق الثلاث.

تعطي البقرة السقطرية، كما تحققنا، كمية قليلة من الحليب. لا تزيد عن صاعْ ونصف الصّاج في المتوسط باليوم (صاجْ - مكيال سقطري للسوائل يساوي 10 فناجين). ووجدنا أن الصاجْ الواحد من السوائل يزن خمسة أرطال، أو 2,25 كجم. وتبعا لذلك فإن الكمية القصوى للحليب المستدر تساوي 3,4كجم. وخلال فترة 280 يوماً تعطي البقرة الواحدة حوالي واحد طن من الحليب، وهذا هو المعدل السنوي للحليب المستدر. وفي الحقيقة وجدنا في النصوص أن الرقم يصل إلى ثلاثة صاجْ في اليوم، أي6,8 كجم، ولكن كما يقول المواطنون، حتى البقرة ذات الرقم القياسي لا يمكن أن تعطي كمية كهذه من الحليب.

من جانب آخر وجد براون أن الحليب المستدر من بقرة واحدة خلال يوم كامل كان فقط 2,85 كجم، ولكن الحيوانات التي تتبّعها في دراسته كانت تقع جميعها أما في وسط مرحلة الحلابة أو في نهايتها عند ما يكون الحليب قد نضب، ولذلك افترض أن البقرة يمكن أن تعطي في بداية الحلابة وعند إطعامها جيداً كمية أكثر مرتين من الحليب [61 ص 15].

وفي كل الأحوال فأن تقديراتنا تعتبر مقبولة. ويذهب حوالي نصف معدل الحليب السنوي للعجول والنصف الآخر للناس.

والثيران هنا قليلة للغاية. ولم نصادفها إلا نادراً جداً، وهو ما يتوافق، ربما، مع التقاليد المتراكمة من الماضي. وهو ما لاحظه براون. ففي منطقة واحدة قام بدراستها كان يوجد في قطيع أبقار مؤلف من 343 رأس ثلاثة ثيران فقط، من بينها اثنان بعمر أربع سنوات وواحد ثلاث سنوات. وأشار براون إلى أن الإبقاء على الثيران في سن أكثر من أربع إلى خمس سنوات أمر "غير متبع" حيث يتم ذبحها. وفي الحقيقة أن 343 بقرة هناك مقابل ثلاثة ثيران فقط بلغت سن النضج، كانت، كما يرى براون، سبباً واضحاً في أن نصف الأبقار وحتى أقل من ذلك كانت تضع عجلاً في كل موسم. وفي الواقع يتم نسيان الثيران مباشرة فور بلوغها سن النضج، ولهذا انعدم كما يرى براون "انتشار الأبقار الجيدة" وبالطبع تحسين الصنف. ومن الجلي أن السقطريين لم يقدروا آنذاك ولا اليوم الثيران. وهكذا فأن مالك الأبقار لا يدفع شيئاً لصاحب الثيران النادرة عندما تقوم تلك الثيران بسفد الأبقار. والثيران هنا نادرة حتى أنهم يسوقون إليها الأبقار لتنز عليها وليس العكس.

في بعض أجزاء حجهر يكون نصيب كل حيوان 1,6هكتار من الأراضي. وفي حجهر هناك نوعان من الغطاء النباتي: أعشاب المدرجات والبوشمنت (حرفياً "غطاء من الشجيرات") وهو غطاء كثيف ومتشابك من الشجيرات الخشنة الواطئة. هكذا سمّى براون هذه النبات، تمييزاً لها عن شجيرات المناطق المنخفضة.

لا ترتفع البوشمنت أكثر من 1,8متراً، وأقل من ذلك غالباً. وليس لهذا النبات شوكاً، لكنه يجرح الأرجل والأيدي، وترعاه الماشية أساساً حين تشق طريقها باتجاه الماء. ويمكن أن تتوى الأماكن المخضرة بالأعشاب في الوقت الراهن على استيعاب حيوان واحد لكل1,2- 1,6 هكتار تقريباً. أما الأراضي المغطاة بالبوشمنت فحيوان واحد في المتوسط لكل 32,5 هكتاراً. ويصمد البوشمنت أمام الحرائق، ويقول السكان المحليون، أن الحرائق تظهر بغتة في الأعشاب أو النباتات الطفيلية في السفوح المنخفضة، لكنها لا تشمل البوشمنت على الإطلاق.

لا ينمو البوشمنت على شكل مستعمرات. ويذكر المسنون أن هذه الأراضي كانت مأهولة في زمن ما حيث وجدت الأشجار. ولا يبدو أن الغابات كانت

معروفة هنا. وإن كانت قد وجدت في الماضي فأنه من الممكن توقع بقاء أي قطع لعضو من الأعضاء، لكن لم يعثر براون ولا نحن على مثل تلك الآثار. وعلى ما يبدو فأن البوشمنت كان ربما غطاءً طبيعيا قديما لأي سطح كثير الجبال شديدة الانحدار، حينما كانت التربة واقعة في "الجيوب" والشقوق. وفي كل سلسلة داتم – مارشانغ يوجد مثل هذا "الغطاء" ومن المشكوك فيه أن يكون قد نما تحتها شيئا: فالتربة هناك قليلة وتنقيتها تتطلب عملا دؤبا، وربما كان يجب التفكير بمصادر المياه الثابتة الكبيرة في التلال، كما كتب براون. وفيها ينمو نوعان فقط من النباتات التي تنفع كعلف للماشية، وكما يقول البدو فأن هذا أفضل مرتع للماشية التي ترعى الأوراق. أما الأبقار السقطرية فترعى الأوراق فقط حين تيأس من العثور على الأعشاب.

ينمو العشب على السفوح حيث توجد طبقات التربة. والجبال التي على شكل مدرجات أو سلاسل طويلة مغطاة أساسا بالعشب، ولكن البوشمنت يظهر من جديد هناك في السطح حيث تكون الجلاميد الصخرية قد تحطمت بشدة. حتى أنه يوجد عليها البوشمنت بالقرب من ربع السطح على ارتفاع حوالي 900 مترا. وعلى هذا النحو كان نصيب الحيوان في الجبال في نهاية الأمر 3,5 هكتار في المتوسط. وحصة الحيوان من نفس قطع المراعي تصل إلى 2,5 هكتار. وفي بعض المراعي إلى 1,6 هكتار، أو حتى 1,4 هكتار.

والعشب الرئيسي هو صنف له رؤوس شوكية، ولا تحبه الأبقار في الغالب، وامتلاكه في أحيان كثيرة يعتبر مؤشرا لنفاذ المراعي. بيد أن الماشية المحلية تأكل هذا العشب بسرور.

في زمن تواجد براون كانت الماشية ترعى غالباً حول مصادر المياه، حيث الغطاء النباتي أفضل، ومع ذلك فأنها لا تزدري بهذا الصنف الشوكي، الذي يعتبر مصدرا طبيعيا أساسيا في ظروف التربة المتواجدة ومستوى هطول الأمطار. وإذا كان الحال كذلك، يستنتج براون، فأن أي تحسن في المراعي لا يمكن توقعه، لأنه يتم في سرعة لمح البصر، من مروج خضراء إلى ساحات غبراء في غضون ثلاثة أسابيع، حتى أيضا في الوقت الراهن والأراضي لم تنفد من المراعي تبقى الإمكانية قليلة لزيادة رؤوس الماشية، ولا تستطيع أي بقرة في سقطرى أن تعيش إذا لم تستطع أن تقتات هذا الصنف من الأعشاب ذات الرؤوس الشوكية.

وعلى وجه التقريب فأن خمسين من الأراضي مغطاة بالبوشمنت، وثلاثة أخماس بالأعشاب. واستنادا إلى هذه المؤشرات يمكننا الافتراض أن الأبقار هنا

أكثر مما اعتقد براون، أي ليس أقل من ألفي بقرة، بيد أن الحصول على إحصائيات دقيقة أمر غير ممكن.

خلال عملنا في الجزيرة وعند دراسة اقتصاد السقطريين تعذر تحديد عدد رؤوس الأغنام وذلك لأنها تتواجد طليقة بدون قيود. ولهذا عوّلنا على معطيات الرواة، وتم تدقيقها حسب الإمكانية لدى رواة آخرين. واتضح من المراجعة أن من تم استفتائهم قد أعطوا إجابات غير دقيقة جزئيا وكانت إجاباتهم تميل إلى تقليل الأعداد. وتعليل ذلك هو في حرصهم على إخفاء الحجم الحقيقي للملكية، بدافع الشعور بالحذر الغريزي وطبيعة الارتياب لدى البدو، وأحيانا لعدم معرفتهم الحقيقة: فالملاك غالبا لا يعرفون كم عدد رؤوس الأغنام التي تدخل في قوام ملكيتهم، باستثناء الحالات التي يكون عددها قليلا. كما وجدت حالات معينة بالغ فيها بعض من استفتيناهم من الفتيان بزيادة أعداد الأغنام لديهم تباهيا منهم بحالة اليسر لأسرهم "البدوية الأصلية".

وكان إحصاء إعداد الماشية الكبيرة أسهل: هنا لم يحاول الذين تحدثوا إلينا مغالطتنا، لأن أبقارهم يعرفها الجميع، ولأن عددها قليل.

في حجهر تملك كل أسرة تقريبا الأبقار، بل أن لدى سكان الجبال، حيث تقع أفضل المراعي، أبقارا أكثر مما لدى سكان أودية حجهر، وتمتلك كل أسرة تحديدا، كقاعدة، عشر بقرات أو أكثر من ذلك. وفي الوقت نفسه فأن ملاك مثل هذا القطيع يملكون أيضا عشرات وربما المئات من الأغنام بأغلبية كبيرة من الماعز. وهكذا فالمتحدث رقم 328 يملك 70 بقرة،200 رأس من الأغنام وحوالي 300 نخلة، رغم أن امتلاك النخيل في حجهر أمر غير مألوف. ومع ذلك فأنه لم يكن الاستثناء الوحيد. وكانت لدى المتحدث رقم 434 ثلاث بقرات و30 شاة وكذلك 40 نخلة في الوادي (في الواقع تمتلك قبائل الجبليين "العليا" مزارع في الأودية القريبة فقط).

ويملك بعض سكان الجبال الجمال أيضا. على سبيل المثال المتحدث رقم 298 يملك 5 بقرات ومثل ذلك العدد من الجمال وأكثر من 100 رأس من المعز وبعض النخيل.

أما لدى سكان الأودية الجبلية، أي "سكان الجبال السفلى" فتوجد صورة أخرى: فالأسرة الواحدة تملك، كقاعدة، أقل من عشر بقرات وكثير من المعز، فيما يمتلك الجميع النخيل.

قمنا بدراسة ما تملكه 21 أسرة، من الماشية والنخيل في منطقتي دعرهو (وادٍ جبلي) وعصمو (أسفل الوادي، في سفوح التلال).

نورد هنا معطيات الاستفتاء الذي أجريناه مع من تحدثوا إلينا. وقد كان المالكان الأخيران يتيمين ولم يحصلا على ميراث. وكان جميع القاطنين في الوادي، ممن درسنا أحوالهم الاقتصادية، يملكون أشجار النخيل، وهناك فقط بعض سكان عصمو لم يمتلكوا نخيلاً.

الأسر	الأبقار	الجمال	الأغنام (شياه أساساً)	الحمير	النخيل
1	10	2	500	1	كثير
2	10	2	أكثر من100شاة	-	بعض النخيل
3	6	1	كثير	1	بعض النخيل
4	6	1	قليل من الماعز	-	غير كثير
5	5	3	كثير	1	-
6	5	-	شياه كثير	1	-
7	4	-	كثير	-	-
8	2	2	توجد	-	-
9	2	1	توجد	-	غير كثير
10	2	1	توجد	-	غير كثير
11	2	-	توجد	-	توجد
12	1	-	كثير	-	توجد
13	1	-	كثير	-	
14	1	-	كثير	-	
15	1	-	كثير	-	
16	-	1	كثير	-	
17	-	-	كثير	1	كثير
18	-	-	توجد	-	كثير
19	-	-	توجد	-	-
20	-	-	توجد	-	-
21	-	-	توجد	-	-

وقبل التساؤل عن ترحل مربيي الماشية في حجهر، لا بد من الإيضاح أن السقطريين يقسمون العام إلى أربعة مواسم، تتطابق مع الظروف الطبيعية والمناخية، وكذلك مع التوقيت الزراعي. فموسم (القيط) من فبراير إلى إبريل ويقارنه السقطريون بالصيف في اليمن، وفي هذا الوقت يكون سقوط الأمطار نادراً. وبعد (الصيف) يحل موسم الأمطار، ويسمى (دوتو) ويتواصل خلال شهري أبريل ومايو. يأتي بعد ذلك (هُرف) وهو موسم الرياح القوية وموسم جمع التمور. وأخيراً (صيرب) أي الشتاء السقطري، ويستمر من سبتمبر إلى يناير.

يشكل سكان وادي دعرهو في حجهر قبيلة دعرهو الواحدة، وتنقسم إلى عشيرتين: صَبْعهُو وتقطن أساساً في القرية السفلى (عجمنه) وجَرْدَفهو في القرية العليا (بعَه). وحسب معطيات الرواة تمتلك القبيلة مرعى عاماً، حيث يمكن لأي أسرة أن ترعى القطيع فيه، ولديها زريبة واحدة فقط للماشية. يقضي سكان (بعّه) الشتاء كاملاً في قرية (درسمُويتين)، الواقعة في الجزء الأسفل من الوادي، في منتصف الطريق بين بعّه و عجمنه، على بعد 40 دقيقة مشياً على الأقدام من بعّه، وهناك يرعون ماشيتهم، وفي فبراير- أبريل ينتقلون إلى بعّه حيث تكون البرودة المعتدلة وتهطل الأمطار أحياناً، وترعى الماعز هناك أوراق الشجيرات. أما في موسم الأمطار فيعودون من جديد إلى درسمُويتين، ويقضون جزءاً من موسم الرياح القوية في قريتي (حزهن) و (كتهن)، وتقعان على بُعد أربع ساعات مشياً على الأقدام إلى الأسفل من بعّه، حيث تنمو نخيلهم ويقومون بجمع المحصول. ويعتبر بعض الجبليين أن درسمويتين قريتهم الأساسية، فيما يعتبر آخرون أن بعّه هي قريتهم الأساسية. وفيما إذا كان الصيف قائظاً جداً فأن الأغنام يمكن أن تساق إلى الأعلى، في الجبال المطلة على الوادي، حيث يملك سكان دعرهو مساكن صغيرة مشيدة من الحجارة.

تقطن عشيرة صَبْعهُو في عجمّنه طوال موسم الشتاء. وفي موسم (القيظ) يختلط السكان في المرعى الأسفل، في قرية (مَصَابع) على بعد 45 دقيقة مشياً على الأقدام من عجمنه، ولكن بمقدورهم الإقامة أيضاً في بعّه. وفي موسم (دوتو) يعودون إلى عجمنه، أما في موسم جمع محصول التمور فينتقلون إلى درسمُويتين، حيث تجتمع في هذا الوقت القبيلة كاملة.

ونظام التنقل لدى قبيلة بني مالك مماثل لما سلف ذكره. وتقطن هذه القبيلة في منطقة دَكْسَم الجبلية الملاصقة لحجهر من الغرب. وخلال موسم الشتاء بكامله يعيشون في دَكسَم، في الكهوف، على هضبة غير كبيرة. وفي موسم (القياط) إما يمكثون في دكسم أو ينتقلون إلى قرية (حَجمهن) على مسافة 2 كم تقريباً باتجاه الجنوب، عندما تنمو الأعشاب هناك، ويقضون موسم الأمطار في حجمهن، التي يعدونها قريتهم الرئيسية. أما في موسم جمع المحصول فيرتحلون إلى الشمال، إلى (دريمهيتن) على بعد 3 كم من دكسم، حيث تكون مصادر الرعي أكثر ملائمة في ذلك الموسم. عدا ذلك فأن بني مالك يملكون النخيل أيضاً في وادي دَعْبَلْهن، إلى الغرب من منطقة دكسم الجبلية إلى الأعلى في حجهر.

ينقسم بنو مالك إلى ثلاث عشائر: رَمْلِهَلْ و قِرِيَبْ و سَيْبُوب. وينتمي جدهم الأقدم، كما يقولون، إلى منطقة يافع في اليمن، أما بداية الثلاث العشائر فكأنما أسسها خلفه. وليس هناك حدود بين مراعي العشائر الثلاث، وهم يملكون أيضاً مصادر مشتركة للمياه، ومن أهمها خزان الماء الكبير (كريف) الذي يحفظ الماء على مدى سنوات عديدة في مواسم الجفاف. ويربي الجبليون الأبقار، وفي المتوسط تمتلك الأسرة الواحدة عشر بقرات، وتظل الأبقار طليقة بدون قيود. وفيما بين الساعة 10- 11 صباحاً تذهب الماشية إلى مورد الماء في الخزان، ويجيء المالك ليتفقد الأبقار وهل هي جميعها في المكان وفيما إذا كانت على ما يرام. ويكون المورد الثاني للماء ما بين الساعة 3- 4 عصراً، ومرة أخرى يذهب الجبليون لتفقد حيواناتهم.

إن بقاء الحيوانات الأليفة طليقة بدون قيود أمر ممكن، لأنه لا وجود عملياً للحيوانات المفترسة في الجزيرة. والحيوان الوحيد الذي يهدد الماشية هو القط المنزلي المتوحش، الذي يفترس صغار الأغنام، وكان السقطريون ينصبون له فخاً يسمى(مظهر) وهو عبارة عن ملجأ صغير من الحجارة له فتحة من الأعلى، تنتأ منها نهاية الحجَرة المستطيلة، التي تقف أساساً على قطعة لحم. وإلى أعلى الحجر توضع حجر مستطيلة أخرى توصد الفتحة، وإذا ما أخذ القط الطعم فأنه يحرك الحجر فتغلق الفتحة. وفي الوقت الراهن يستخدم الجبليون فخاً صناعياً حديدياً يسمى (محنب).

إن جمع التمور هو عمل يقوم به الرجال في الغالب، أما رعي الماشية فيقوم به الرجال والنساء أيضاً. لكن حلابة الماشية في تلك المناطق عمل مسموح للرجال فقط، وفي الحالات التي لا يتواجد فيها رجل في الأسرة يتم استئجار عاملا لغرض الحلابة.

وكما هو الحال في المنطقة الوسطى، فأنه يحضر على النساء في المنطقة الغربية القيام بحلابة الحيوانات، ولم يستطع جبليو حجهر توضيح أصل هذا الحظر (التابو) وفي الحقيقة أجاب البعض منهم عن سؤالنا هكذا :

تمنع النساء من القيام بحلابة الأبقار، لأنه من العيب أن تجلس المرأة القرفصاء، فالغرباء يمكن أن يشاهدوها وهي في هذه الوضعية غير الجميلة. أما في المنطقة الشرقية، حيث يسود الاقتصاد المختلط، فتمارس النساء حلابة الماشية، وهكذا فأن مثل هذا المنع ينتشر فقط في أجزاء من مناطق سقطرى، وهو كما يبدو خاصية لاقتصاد مربيي الماشية الذي يقوم فيه الرجل بالوظائف الأساسية.

تبين دراسة الاقتصاد وجود تفاوت كبير في الملكية هنا، تخفف منه تقاليد التعاون والتكافل الوثيقة. ومع ذلك فأن من لا أملاك لهم أو ذوي الممتلكات القليلة يغادرون المنطقة بحثاً عن عمل في أماكن أخرى. ولقد قابلنا في حديبو موظفين في المؤسسات الحكومية والعسكرية ينحدرون من أسر ذات ملكيات صغيرة في جبال حجهر. فها هو المتحدث رقم 63 يوضح لنا أن أسرته كانت تملك 20 معزة فقط وعدد من النخيل. وفي العادة يُستأجَر المنحدرون من الأسر ذات الملكية الصغيرة للاعتناء بنخيل الملاك الميسورين أو للعمل لدى أولئك الذين ليس بمقدورهم العمل بأنفسهم كالأرامل أو الناس الذين لا يعيشون في المنطقة، بما في ذلك المتواجدين في حديبو واليمن أو في المهجر.

وبينت الدراسة أن التفاوت الكبير في الملكية صفة مميزة لسكان هضبة حجهر- مربيي الماشية "الصرف". وتنطبق عليهم تسميتنا لنمط حياتهم بالحضري - البدوي. وهذا ارتباطاً بكثرة الحدود، بين الإشكال المختلفة لنمط حياتهم.

يقضي مربيو الماشية في جبال حجهر الجزء الأكبر من العام في مساكنهم الدائمة، وهم لا يترحلون فقط، بل وعملياً لا يقومون برعي الماشية، لأنهم يتركونها ترعى بحرية. ومع ذلك تتجلى في هذه المرحلة الحضرية لحياة

البدوي السقطري عناصر حياة الترحل: فهو يُبعث وراء الماشية أحياناً ويمكث الليل في الجبال، ينام مباشرة على الأرض، ويتحرك بسهولة مشياً على الأقدام متنقلاً حسب الجدوى الاقتصادية...الخ، وترتبط اتجاهات السير وزمن الترحل الموسمي بالأحوال المناخية المحددة وتختلف في أعوام الخصوبة والجفاف. واختيار خط السير للترحال وزمنه يرتبط أولاً بطبيعة الغطاء النباتي، وثانياً بضمان مياه الشرب في المراعي للماشية وللناس، وثالثاً بالظروف المناخية. وفي الأعوام الاعتيادية تترحل قبائل الوادي إلى المراتع الصغيرة في الجبال، حيث توجد لديهم مساكن ثابتة، وهكذا فأن نمط حياتهم في تلك الأعوام الخصبة يمكن وصفه كحضري متبدل.

ويترحل الجبليون القاطنون في نفس الهضبة إلى الأسفل، إلى أودية حجهر السفلى وذلك خلال شهري نوفمبر- ديسمبر حينما يكون الجو بارداً جداً في المرتفعات العليا. ومع ذلك فأن هذا النوع من الترحل لا تعتبر اعتيادياً، لأنه يمس فقط جزء غير كبير من السكان،

المنطقة الغربية:

المجوعة الثانية تتمثل بمربيي الماشية في الجبال الجيرية للمنطقة الغربية (الجبل الغربي) وهي تضم أيضاً جماعتين: سكان الجبال وسكان الأودية الجبلية.

وقد أشار ج.براون إلى المنظومة البيئية (الأيكولوجية) في جبال المنطقة الغربية غير تلك التي في جبال حجهر. فالهضبة وسفوح الجبال منعدمة المياه: ومصادر المياه قليلة خارج حدود أودية قلنسية وغبة شعب. وفي الأعلى تقع شماريخ جيرية أو مدرجات مكسوة بالعشب والنباتات، وفي الأسفل سفوح صخرية أو صخور رسوبية مغطاة بالنباتات. وتتجمع المياه هناك حيث توجد السفوح الصخرية، أو الصخور المتحولة كما في (عسق)، التي تشكل حواجز صماء عبر الوادي. وفي بعض الأحيان توجد مصادر مياه صغيرة في الأعلى، حيث ينبسط هناك الجير في الأراضي الجرانيتية، ولكنها لا تستخدم محلياً إلاّ في حالات نادرة فقط. ومن المحتمل أن المياه لم تكن كافية هنا حتى في الزمن القديم. وقد وجدت في هذا الجزء من الجزيرة خزانات حجرية شيدت قبل قرون عديدة، ومع ذلك يبدو أن الغطاء التربي ربما كان أفضل في ذلك الوقت وهو

ما تدل عليه القرى والزرائب القديمة. كما توجد دلائل على أنه قد تم هنا تربية الكثير من الماشية.

كتب براون:" خلافاً عما هو الحال في حجهر، ففي هذه المنطقة تبين كل المؤشرات أن مراعيها قد استنفدت باستمرار وبشدة. وإذا كانت قد حدثت أية تغييرات مدمرة في المناخ خلال القرون الماضية فأنها كانت ستترك أثراً من كل بد في مكان ما. إن هذه الغفار هي من صنع الإنسان" [61 ص 17].

في المرتفع الجيري تتمدد طبقة أرض مكسوة بالعشب مفعمة بجذورها التي تقع على طبقة رقيقة من التربة، وتخترق من خلالها هنا وهناك مخارج الصخور في بعض الأماكن. ولكن براون لم يتمكن من العثور ولو على بذرة واحدة في مدرجات مساحتها 64كم2 لكي يماثل الأعشاب التي تنمو هناك. فقد استنفذت كاملاً، وكما يبدوا فأن الضان التهمت كل شيء.

إن المدرجات الجبلية وسفوح الأودية خضراء بالشجيرات، باستثناء تلك الأماكن التي ما تزال فيها الرواسب الرملية المجاورة للوادي. وغطاء الشجيرات مفتوح ويمكن مروره بسهوله من قبل الناس والجمال في جميع الاتجاهات، وهو يتألف بشكل رئيسي من شجيرات الميترر، التي تتواجد بكثافة في مساحات واسعة. وتنمو الأوراق الصغيرة سريعاً لدى كل هذه النباتات وبشكل خاص لدى الأخيرة.

يملك سكان المنطقة الغربية القليل من الأغنام. وتتفوق أعداد الضان على المعز، حسب تعداد براون، بنسبة 3:4. وتملك بعض الأسر الضان وتقطن بصورة رئيسية في المرتفعات، والبعض الأخر يرعون المعز ويقطنون أساساً في الأودية. وقسم من السكان، ممن يقطنون التلال السفحية، كانوا يقومون بتربية إعداد متساوية من الضان والماعز، وكانوا قادرين على تذليل مشكلة الماء. ومتوسط عدد الأغنام بالنسبة للشخص تتطابق مع مؤشرات العدد 35، أما العدد الاعتيادي بالنسبة للاقتصاد الموحد فتصل من 120- 150 رأس. وكان المالك الذي لديه 264 رأس من الضان يعتبر شخصاً ميسوراً جداً. وأكبر قطيع رآه براون كانت تملكه أسرة واحدة مؤلفة من سبعة أشخاص ويبلغ تعداده 322 رأس من المعز. وأصغر قطيع كان يؤول لأحد المسنين وبلغ عدده 43 رأس من الضان. وتصل مساحة الأراضي بالنسبة للرأس الواحد من الأغنام إلى 7,3 هكتار. ومع ذلك ففي الجبال تبلغ بالنسبة للرأس الواحد من

الضان من0,4 إلى 4,25 هكتاراً، وبالنسبة للرأس الواحد من المعز في الوديان من0,4 إلى 9,3 هكتاراً. وفي جبل جزْلَهْ هناك 15رأس من الضان في كل اثنتين من الهكتارات، وعلى نفس تلك المساحة في جبل محولي في حجهر تتواجد 20 بقرة. ووفقاً لتعداد براون فأن الإجمالي العام لعدد الأغنام في الجبل الغربي تبلغ 5700 رأس من الضان و 4300 رأس من المعز، أي أن تعدادها جميعها 10000رأس من الأغنام [61 ص 17].

إن العشب الأخضر في المرتفعات الجبلية يجعل بعض الحيوانات حلوبة في مختلف المواسم. وبفضل هذا الصنف من العشب يحتاج الرعاة إلى القليل من مياه الشرب، وعند الحاجة ينزلون إلى الآبار فقط. ويبدو أن المعز تتبحبح بصورة كاملة، ليس فقط لأنه بمقدورها أن ترعى العشب، وإنما أيضاً لأنها تأكل بوفرة حتى الشبع، لكي تعطي الحليب في موسم الجفاف، ولا شك أن صاحب الأغنام الذي يعيش في مناخ حار في الأسفل يحتاج إلى كمية كبيرة من السوائل. ومهما تكن الأسباب فأن المعز تبقى على مقربة كافية من الآبار، أما المساحات الكبيرة للمراعي السفلى فتستخدم فقط في موسم الأمطار. وعلى هذا النحو فأن عدد رؤوس الماشية مرتبط ليس فقط بمدى شبعها من أعشاب المراعي، وإنما أيضاً في دنوها غير المباشر من الماء. وبتزويد هذه المساحات بالماء يمكن أن تتغير الأوضاع بصورة جذرية نحو الأفضل.

لم يضع براون معطيات دقيقة، ومع ذلك تكونت انطباعات أن كمية الحليب المستدر في هذه المنطقة كان أكثر مما في حجهر، والسبب هو أن الحيوانات الفتية هنا كانت أقل مما في حجهر. ويبدو من الممكن أن الأسرة المتوسطة في حالة الأمطار الغزيرة تستطيع الحصول على أكثر من 35 كجم من الدهن من الأعداد الكبيرة من الأغنام، رغم أنها تعيش بالكامل على حساب منتوجات هذه الحيوانات. أما في غير موسم الأمطار الغزيرة فلا يتبقى إلاّ القليل لأعداد السمن أو لا يتبقى شيء نهائياً، وكان من الصعب شراء السمن، ورأى براون مرة واحدة فقط، كيف يتم تحضيره، وذلك لدى أسرة "ميسورة الحال" تمتلك 264 رأس من الأغنام.

كتب براون:" يدخل الجزء الكبير من الماعز والخرفان الذكور في الطعام كلحوم مع أية أعداد من الحيوانات الكبيرة التي يتم ذبحها (على افتراض انه يمكن وجود شخص ما يرغب بشرائها)، ويكون بمقدور ساكن الغرب أن يكسب

10 دنانير من بيع اللحوم. ويمكن أن يبلغ أجمالي الدخل النقدي العام للأسرة 22 دينار في العام. وهذا يضمن توفير الحبوب يومياً بمعدل اثنين كيلوجرام ونيف في اليوم على مدى ثلاثة إلى أربعة اشهر" [61 ص 22].

تكون لدى براون انطباع أن بدو جبال المنطقة الغربية كانوا يستهلكون كمية أقل من الحبوب، عما هو الحال لدى سكان حجهر. كما كانوا أقل معرفة بالشاي والسكر. وعلى ما يبدو فأنهم كانوا يحضرون القليل من السمن وكانوا ينحرون الخروف لأكل لحمه عندما يكون قد جف كل ما حولهم. وبعبارة أخرى فأنهم عاشوا ببساطة مع أغنامهم، دون أن يعرضوا شيئاً منها للبيع ودون أن يحتاجون إلى شيء. وفي ذات مرة، عندما استدعت الحاجة ذبح خروف، أكتشف براون انه كان الوحيد الذي وجدت بحوزته سكينة من بين ستة رجال كانوا متواجدين. وغالباً ما توجد لدى الأسرة التي تعيش في الكهف سكينة منزلية واحدة. وهذا الاقتصاد الذي تعتبر فيه السكينة العادية من الحديد ترفاً هو نموذج واضح للاقتصاد البدائي.

في فترة العمل في سقطرى في المنطقة الغربية قمنا بدراسة بعض اقتصاديات مربيي الماشية، سواء في التلال السفحية التي تبعد كثيراً عن الساحل، أو في تلك القريبة من المناطق الأخيرة، المرتبطة باقتصاد صيد الأسماك.

لا توجد لدى مربيي الماشية في الغرب لا الأبقار ولا الجمال ولا الحمير: أنهم يربون الأغنام فقط. ويلفت الاهتمام هنا وجود أعداد أكبر من الضان، عما في المنطقتين الوسطى والشرقية، ولكن لم يتيسر لنا التأكد من صحة تأكيد براون عن تفوق أعداد الضان على الماعز بنسبة3:4 في المنطقة الغربية.

معظم الذين تحدثنا معهم كانوا يملكون بضع عشرات فقط من الأغنام (على سبيل المثال فأن 2 من كل 5 منهم لديهم غالبية من الماعز) ولدى نصف الجبليين الذين استفتيناهم أعداد غير كبيرة من النخيل، وآخرون لم يكن لديهم شيء بشكل عام، ولكن نظراً لمحدودية الاختيار فأننا لم نضع من هذه الحقيقة استخلاصات عامة.

هناك صورة مماثلة نجدها لدى سكان قرية (قيسو) الواقعة غير بعيد من قلنسية، لكنهم يعتبرون أصحاب نخيل قبل كل شيء طالما، ها موجودة في قيسو، التي تنحدر إليها المياه من الجبال ووجود الكثير من الآبار أيضا، كما أن

في قلنسية الكثير من أشجار النخيل، ولدى كل أسرة في المتوسط من 150-200 شجرة نخيل.

إن سكان المنطقة الغربية، الذين يعيشون في ظروف طبيعية قاسية، يعانون أكثر من غيرهم من عواقب الجفاف. وينعكس ذلك قلب كل شيء على المراعي، خاصة في تلك الأماكن التي تسود فيها الظروف التقليدية. ومما يزيد من تعقيد هذه المشكلة بالنسبة لمربيي الماشية السقطريين هو أن تربية الماشية لديهم ليس لها اتجاه بضائعي، وكأنها بكاملها موجهة لتلبية طلباتهم الأساسية من الطعام. وبما أن اقتصادهم يحمل الطابع البدائي، فأن الجائحة الطبيعية للماشية تقود بصورة غير مباشرة إلى الجوع، المرض، وموت الناس. وهذا ما تدل عليه المفردات الخاصة في اللغة السقطرية، ذات الارتباط بهذه الظاهرة، وأحاديث شهود العيان، الذين عانوا من سنوات الجفاف المريعة، والمدافن الجماعية في الكهوف الجبلية، التي تدل على أن من بقي على قيد الحياة من الناس لم يستطيعوا، بسبب الجوع المنهك، ان يحفروا قبوراً لدفن الأموات.

ولم تكن سنوات القحط الأخيرة قاسية في تلك المناطق، حيث تقع مصادر المياه غير المباشرة، التي تسقى الماشية، وحيث توجد خزانات المياه، التي تحفظ إحتياطات مياه الأمطار، وتكون كافية لسقي الماشية. وهنا يمكن استقبال جزء من السكان، من المناطق الأكثر تضرراً من الجفاف. وفي مثل هذا الوقت تقوم بعض القبائل بالترحل بجميع أفراد أسرها وكامل ماشيتها، وزيادة على ذلك فأن مثل هذه المسالك "الطارئة" للترحال تؤمنها العادات القبلية. وينتقل سكان الجبال في المنطقة الوسطى عادة في مواسم الجفاف إلى أودية المنطقة الشرقية الأكثر رخاء في هذا الشأن: ففي الشرق لا تستنفد المراتع والمراعي. وخلال عملنا في الجزيرة (1983- 1985م) كنا بأنفسنا شهود عيان على مثل هذا الترحل. ففي تلك الأعوام أصيبت سقطرى بالجفاف.

كان موسم البحث الميداني عام 1983م، قد مرّ بسلام في قرية دعرهو، في جبال المنطقة الوسطى. أما في موسم عام 1984م فقد شاهدنا أصدقاءنا من دعرهو يترحلون مع أغنامهم إلى قرية شبهون في الجزء الشرقي من الجزيرة، على بعد بضعة أيام مشياً على الأقدام بحثاً عن الكلأ الرطبه واليابسه. أحدهم قام بتسليتنا قبل عام مضى بالعزف على " الناي" النحاسي، وأوضح أنه بسبب

انعدام العلف في الجبال نفقت الأغنام، فترَحَّل قدر ما تسمح به الظروف: فأفراد أسرته كثيرون ويمكنهم القيام بالعمل إثناء التنقل، وتوجد لديهم ثلاثة جمال تستطيع أن تحمل على ظهورها كافة الأمتعة. أما تلك الأسر التي فيها قلة من الأشخاص الأصحاء وفيها مرضى وطاعنون في السن فقد ظلت باقية في الأعلى تعاني من الكارثة.

لفت انتباهنا أن الوافدين إلى شبهون من سكان الجبال يشعرون بالثقة في أنفسهم، ولا يبدو عليهم ذل الاستجداء، ولم يتيسر لنا معرفة ما إذا كانت هناك مساعدة قدمها سكان شبهون للجبليين بدون مقابل، أو أن أحدهم قد دفع مقابل ذلك.

في عام 1984م قيض لنا متابعة نتائج الجفاف وتأثيره على مجموعة من مربيي الماشية في المنطقة الغربية، يقطنون في التلال السفحية في وادي زلكينو.

مكثنا الليلة في الكهف في ضيافة أحمد بن جَمُّوت عجمهي، من قبيلة عجمهو. وهو يملك 70 رأساً من المعز و10رؤوس من الضان. تقوم النساء بحياكة اللحاف من صوف الماعز والضان. ولدى زوجة أحمد آلة نسيج خاصة بها. توفيت زوجته الأولى بعد أن خلّفت ولداً وخمس بنات. كان الولد في ذلك الوقت يؤدي الخدمة العسكرية، وأربع من البنات تزوجن ويعشن مع أزواجهن، أما الخامسة فتطلقت وعادت إلى والدها مع طفلها الصغير، وهي تعمل في هذه المغارة على آلة الخياطة الخاصة بها تخيط الثياب. تزوج أحمد للمرة الثانية، ولديه من زوجته الثانية طفل صغير. ومغارة أحمد فقيرة إلى حد ما، والأثاث قليل جدا، رغم انه يعتبر شيخ إحدى عشائر القبيلة.

في زلكينو المياه غير كافية، وسكان الوادي لا يزرعون النخيل. وهنا يربى الماعز، أما الضان فقليل جداً. والمراعي مخططة الحدود. وجميع العلاقات، بما في ذلك علاقات الملكية، تنظمها قواعد العُرف. ويفضل سكان زلكينو عند الإقدام على الزواج اختيار شريكة الحياة عادة من خارج حدود القبيلة، وفي الحقيقة أن أحمد تزوج من ابنة عمه. ربما يكمن السبب في كون زلكينو واحدة من أكثر المناطق فقرا، مع الإمكانيات المحدودة للقيام بالزراعة، ولهذا فأن السكان الفائض ينزح من هنا.

وفي أعوام القحط تحدث النزاعات هنا باستمرار (وهي غير ملحوظة في الأعوام الخصبة) بسبب الجابية (بالسقطرية عون) والكريف (قتْ). والجابية:

هي مصدر للمياه غير كبير وقليل الاستنفاد، والكريف: حوض طبيعي، وفي بعض الأحيان أخدود عميق في الصخر، ويقول الجبليون أن الكريف الكبير لا يجف على مدى ستة أعوام.

إن امتلاك الجابية يعني أن تكون في مأمن من جميع الكوارث، ذات الصلة بانعدام المياه في مواسم الجفاف، ولكن الجابية لا توجد دائماً هناك حيث تكون المراعي، فهي تقع غالباً في الأماكن الصخرية حيث لا تنمو الأعشاب تقريبا.وهكذا الحال في زلكينو: فأن قبيلة عجمهو، القاطنة في الوادي، لديها جابية، ولكن المرعى لا يكفيها. لقد تكون نظام استغلال المراعي على مدى قرون عديدة، وتبعاً لذلك فأن أفراد عجمهو لهم الحق أن يرعون أغنامهم في الجبال في موسم الجفاف، أما قبيلتا شيتهو وحجيهو الساكنتان في الجبال، فوق عجمهو، فتمتلكان المراعي الواقعة في الأسفل، في الوادي، بجانب زلكينو، وإليها ينتقلون مع ماشيتهم في موسم الترحل. وليس لدى القبائل العليا جابية، ومع ذلك فلديها كريف كبير.

أثناء تواجدنا في زلكينو ضجت قبيلة عجمهو:

فالشيخ أحمد وأقرباؤه أبدوا تذمرهم وسخطهم الشديدين لأن القبائل "العليا" لم تسمح لأغنامهم، التي ترعى في الأعلى، أن تشرب من "كريفهم". وفي الواقع أن تواجدنا في زلكينو قد كان بفضل اتفاقنا مع أحد مسؤلي سقطرى، الذي جاء إلى هنا لتسوية النزاع وفقاً للشكوى، فأخذنا معه. وفحوى الشكوى تتمثل في أن القبائل "العليا" تمنع الرعاة من عجمهو أن يشربوا بأنفسهم أو تشرب أغنامهم من الكريف في فترة الجفاف القاسية على الناس والماشية بسبب اضمحلال مصادر المياه وجفاف الأعشاب. لم ننصت نحن إلى حديث ممثل السلطة المحلية مع البدو، لكن بدا لنا وكأنه لم يكن مهتما بشكواهم بالصورة الكافية. ولكم كنّا مخطئين فما أن عرفنا البدو بطبعهم الصعب، المخفي والمحب للتشاجر، حتى كان من الممكن الحدس أن المشكلة لا تكمن في جيران عجمهو وإنما فيهم بأنفسهم.

يظهر أن النزاع قد احتدم بين عشيرتي قبيلة عجمهو ذاتها (بايدريو التي ينتمي إليها أحمد، وجديد) بسبب استغلال الجابية التي نضب منها الماء فعليا، وشيخ القبيلة الشاب لا يتمتع بعد بنفوذ كبير بين أفراد القبيلة، ولم يستطع تسوية المشكلة، ولذلك تم اللجوء إلى السلطة.

استطعنا أن نخمن فقط عن هذه اللعبة النفسية المعقده، التي قام بها البدو مع المسئول الذي كشف حيلتهم. وفي نهاية الأمر حصلوا على وعد بالمساعدة، وهذا ما كانوا يأملون فيه، وبعد يوم من عودتنا إلى حديبو أرسلت إلى زلكينو سيارة مع صهريج مياه. تم ذلك في الوقت الملائم: إذا أن قلة المياه تؤثر سلبا على سكان الوادي حيث لا يوجد أي كريف.

قبل الثورة وجدت فوارق كثيرة في الوضع المادي بين قبائل المنطقة الوسطى والمنطقة الغربية، لكنها لم تؤد إلى فوارق طبقية ملحوظة. ففي جبال حجهر كان الشخص الذي يمتلك 20 هكتارا من المراعي العشبية و10 بقرات وثورا واحداً وحوالي 140 من المعز يعتبر غنياً. وفي منطقة حزيولي في المنطقة الغربية كان غنياً من يملك 264 راس من الأغنام.

تضم لوازم البيت الاعتيادي في حجهر حيث تسكن أسرة مكونة من الزوج والزوجة واثنين من الأولاد (ولد وبنت) حسب ما رصده براون: ستة جلود أبقار، أربعة جلود ماعز، ثلاثة ألحفة، ثلاث حصائر (أحدها رثة وممزقة)، فأس، عدة سكاكين، ثلاثة قدر فخارية، ثلاثة فناجين من الألمنيوم، طنجرتان كبيرتان، أبريق من الألمنيوم لتحضير الشاي، ستة فناجين " عربية" صغيرة، خمس قرب في حالة جيدة، عدة قطع من الحبال، خمس قطع قماش من القطن، وفيما يخص ملابس الساكنين في المنزل، فأن كل امرأة تملك ثوب واحد كحد أدنى للخروج. وكانت ربة البيت وابنتها تتزينان بالحلي الفضية.

وفي الكهوف بالقرب من غبة شعب في المنطقة الغربية كان هناك تباين في الملكية، رغم أنه لم يكن بصورة حادة، حيث عاش رجل كهل وابنه وزوجة الابن وأبناؤهما الثلاثة (أبنتان وولد صغير)، وتتألف اللوازم المنزلية من أربعة جلود خراف وجلدين من الماعز ولحاف واحد وقطعة قماش وثلاثة فناجين خشبية وفنجانين من الألمنيوم وصحن واحد وطنجرة وقربتين وسكينة واحده مع الغمد، وليس لدى المرأة أية حلي، أما الثياب، عدا ما كان يرتديه الساكنون، فلم يكن هناك شيء في الكهف [61 ص 13].

أشار براون إلى أن الارتباط بين البدو وسكان الوادي كان ضعيفاً، لكن القطيعة بينهما لم تكن حادة كما هو الحال في حضرموت.

في ذلك الوقت لم تكن الحبوب قد وجدت بعد في الجزيرة. باستثناء السرغو (بالسقطرية- بَمْي) التي تزرع في المدرجات ويستخدمها البدو في تحضير

السمن الحيواني، وكطعام احتياطي في سنوات المجاعة. في الوقت الراهن لا أحد يزرع السرغو، لأن الجزيرة تزود بانتظام بالرز والدقيق.

في أعوام القحط كان السقطريون يشترون الحد الأدنى من الحبوب، أما في سنوات الخصب فلا يشترون أبدا. كتب براون:" إنه لهذا السبب إلى جانب نمط حياتهم الساكنة فأنهم في وسط غرب الجزيرة لا يمتلكون مطايا الحمل: لا الجمال ولا الحمير" [61 ص 14]. أما الجمال التي يمكن مصادفتها في بعض الأحيان في الجبل الغربي، فلا تؤول ملكيتها للسكان المحليين، وإنما لأصحابها من سكان الأودية. ويحتاج البدو في حجهر أحياناً إلى نقل حمولة كبيرة جداً من السمن، ولكن إلى الأسفل فقط، لأنهم عادة لا يغادرون حدود منطقتهم لعدة أشهر. أما البدو في الغرب، الذين يحدث أن يترحلوا لعدة أميال في الموسم فلا يحملون شيئاً. وكان البدوي من حجهر يشتري من الحبوب فقط الكمية التي يكون بمقدوره نقلها بسهولة إلى الجبال. وما أورده الخبير الإنجليزي يخص سكان الغرب أيضاً، رغم أن المؤلف لم يوضح ما إذا كان بمقدورهم الشراء.

خارج حدود قلنسية لم يكن الاهتمام بالنقود كبيراً. وقد صادف براون شخصا لم يعرف كيف ينفق ورقة نقدية فئة عشرة شلجنات (نصف دينار)، لأن الناس هنا لا يملكون النقود على الإطلاق. وكانت غالبية الصفقات تتم على أساس المقايضة الطبيعية المباشرة، بيد أن سكان حجهر قد اعتادوا التعامل بالنقود بفضل قربهم القديم من حديبو.

يستخدم مربيو الماشية في الجبل الغربي الكهوف غالباً كمسكن، مثلهم مثل قبائل حجهر، وليس كما هو الحال في الأودية الجبلية حيث يمتلك الناس مساكن مشيدة من الحجارة والنخيل.

ونتيجة لأن اقتصاد تربية الماشية في المنطقة الغربية يمكنه عملياً، وحتى اليوم، أن يضمن المواد الضرورية فقط للقبائل، فأن منطقة الاقتصاد المختلط تشمل هنا ليس فقط المنطقة الساحلية، وإنما السفوح الجبلية أيضاً. وبفضل العاملين في الخارج ومساعدة الدولة فأن القبائل تعيش بصورة أفضل.

ينتشر استئجار الأيدي العاملة في مجال تربية الماشية وزراعة النخيل في المنطقة الغربية بصورة أقل مما في المنطقتين الوسطى والشرقية، وهو ما يوضح عوز الاقتصاد.

المنطقة الشرقية:

يعيش مربيو الماشية الجبليون في هذه المنطقة في ظروف جيدة، سواء في الجبال الوسطى أو الغربية. ولا وجود هنا للجبال الشاهقة الارتفاع. والنزول من الهضبة الشرقية سهلاً، والكثير من السهول الجبلية وتلال المنحدرات المعتدلة مكسوة بغطاء كثيف من الأعشاب. وتماثل الهضبة الشرقية جبال الغرب في مراتع الضان، لكنها في الغرب تشغل أقل من سُدس المساحة كاملة [61 ص 19]، أما هنا فتشغل المنطقة بكاملها تقريباً. كما توجد هنا الينابيع والمياه. وفي الأساس تتشابه الظروف المناخية في مختلف أجزاء القسم الداخلي للمنطقة في السهول، وفي الوادي، وفي الجبال نفسها. لذلك فأن الفوارق بين مربيي الماشية في الهضبة وفي الأودية الجبلية ليس كبيراً، ويمكن اعتبار جبليي المنطقة الشرقية مجموعة واحدة متجانسة. من مميزاتها الطابع الحضري على مدار العام، وكذا الاقتصاد الثابت والميسور نسبياً.

وتأثير الإسلام هنا أقوى بكثير مما في المناطق الأخرى، ويتكلم الكثيرون اللغة العربية جيداً، ويقرأون القرآن، ويحافظون على الصلوات في بيوتهم، وتفسير هذا يعود، ربما، إلى الصلة القوية مع دول الخليج، حيث يهاجر إليها سكان المنطقة الشرقية أكثر من جيرانهم.

وعلى الأخص فأن الميسورين من مربيي الماشية هم في بعض الأماكن التي تجاور المنطقة الوسطى، حيث تقع أشجار النخيل الجيدة في الوادي، وبجانب المراعي الوفيرة في السفوح الجبلية والسهول الممتدة إلى الشرق.

قمنا بدراسة 48 حالة من الاقتصاد الأسري لمربيي الماشية من مختلف أجزاء المنطقة الشرقية. وقسمّناها إلى خمس مجموعات:

(1) تضم ثمانية عشر اقتصاد أسرياً: أقل من 50 رأس من الأغنام. في تسعة منها كانت أعداد الماشية من المعز، وفي سبعة من الضان والمعز مع غلبة المعز، وفي اثنين كانت توجد الحمير أيضاً (حمار واحد وحماران). عدا ذلك لا توجد نخيل لدى اثنين من الملاك، فيما أمتلك ثمانية منهم أقل من 50 نخلة، وأربعة ما بين 50 إلى 100 نخلة، وواحد من 100 إلى 150 نخلة، وأحد الملاك يمتلك من 150 - 200 نخلة.

(2) عشرون اقتصاداً أسرياً: من 50 - 100 رأس. وتتألف الأغنام لدى الجميع من الماعز والضان مع غلبة لعدد الماعز. من بينهم ثلاثة ملاك لديهم أقل

من 50 نخلة، وخمسة يملكون من 50 إلى 100 نخلة، وأربعة من 100 إلى 150 نخلة.

(3) ستة من البيوت: تملك من 100 - 150رأس من الأغنام، وكانت الأغنام لدى النصف من الملاك خليطاً من الماعز والضان مع تفوق إعداد المعز، وكان أحدهم يملك جملين، وواحد لديه أقل من 50 نخلة، واثنان لدى كل منهما من 100 - 150 نخلة، وثلاثة أكثر من 200 نخلة.

(4) أربعة بيوت: أكثر من 200 رأس. وكافة الأغنام خليط من الضان والمعز مع غلبة الأخيرة. يوجد لدى أحدهم 250 رأس من الأغنام وأكثر من 100 نخلة، ولدى آخر 400 رأس من الأغنام و100 نخلة، ولدى ثالث 500 - 600 رأس من الأغنام و250 نخلة، ولدى الرابع أكثر من 500 رأس من الأغنام و800 نخلة.

(5) عشرون بيتاً: يملكون أبقاراً. من بينهم اثنان لدى كل منهما 10 بقرات، وكذلك حوالي 200 رأس من المعز وأشجار نخيل. وواحد يملك 5 بقرات وأكثر من 100 رأس من المعز وكذا أشجار نخيل. وأربعة لدى كل منهما 4 بقرات (لدى احدهم أيضاً بقرة صغيرة "عجلة" وحمار و100 رأس من الأغنام، ولدى الثاني عدة حمير وحوالي 100رأس من الأغنام وبضع عشرات من النخيل، ولدى الثالث 40 من الماعز وكذا أكثر من 100 نخلة، ولدى الرابع 40 من الماعز وأقل من 50 نخلة)، ولدى ثلاثة بيوت من بقرة واحدة (في اثنين منها توجد أيضاً عشرات من الأغنام وقليل من النخيل، وفي أحدها عدة أغنام من الماعز والضان).

إن الحمير والجمال غالية الثمن خاصة في هذه المنطقة التي تقع بعيداً عن العاصمة، والحمار ضروري للبدوي ولسكان الأودية والمناطق الساحلية: فهو يقوم بنقل حمولة كبيرة إلى حد ما، كتلك الأكياس الكبيرة المملوءة بالبضائع وكذا نقل الحجارة. وتزداد قيمته لكونه قنوع ومعتدل في الأكل. وتكون ملكيته في العادة مشتركة لعدة أشخاص، وعند توالد الحمير يتم تقاسم نسلها بالاتفاق.

يدرّ تأجير الحمير على ملاكها دخلاً جيداً: ففي اليوم الواحد يؤجر الحمار بمبلغ 10 دنانير أو أكثر من ذلك. وثمن الحمار عند بيعه يصل إلى 250

ديناراً. وللمقارنة فأن التيس يباع بمبلغ 5 دنانير، والشاة بمبلغ 15 ديناراً. والأغلى من الحمار هو الجمل فقط، وهو أكثر مطايا الحمل فائدة. وتصل قيمته إلى 600دينار تقريبًا. وفي الماضي كان الجمل يعادل 40 ماعزا، ومع ذلك فأن قيمته قد تضاعفت في الوقت الراهن. ويروي سائقنا أنهم عرضوا عليه مبلغ 700 ديناراً مقابل الجمل الذي يملكه إلاّ أنه لم يقبل أن يبيعه.

وإذا كانت قبائل الجزء الشرقي من هذه المنطقة تترحل أحياناً إلى المساحات القريبة، رغم أنها مستقرة جيداً بصورة عامة، فأن القبائل التي تجاور المنطقة الوسطى تترحل بانتظام مع الماشية إلى المراعي الجبلية. وهذا ما يقوم به، على سبيل المثال، سكان قرية ريوكب. وهي تشتمل على قريتين: واحدة دائمة والأخرى مؤقتة وإلى هذه الأخيرة يتجه سكان ريوكب عندما ينتقلون في موسم جمع التمور، والمسافة ليست كبيرة بين القريتين.

من الملائم هنا التذكير بأن السقطريين أنفسهم يقسمون الترحل إلى ثلاثة أنواع: مَزْهيرو، مَرْقيو ومتينو والنوعان الأولان هما الرئيسين، وهما موسم الترحل المنتظم.

في البداية لم نتمكن أن نعرف جوهر هذه المصطلحات من خلال أحاديثنا مع السقطريين، رغم أن نظام الترحل معروف نظرياً. وكان توضيحها الأكثر استفاضة على النحو التالي:

"مَزْهيرو: تعني الترحل من مكان يتجه منه الناس، يقع في ميدي، إلى مكان آخر يقع في شيتي، أما عندما ينتقل الناس من شيتي إلى ميدي فهذا يعني مَرْقيو". ويتبقى توضيح ماذا تعني ميدي وشيتي.

يوضح لوسال تلك الكلمات على النحو التالي: ميدي- الريح من جهة الجنوب [71 ص 238]، شيتي - الشمال، الريح من جهة الشمال [17 - 435]. ومع ذلك سجلت في اللغات السامية ظاهرة مدهشة تمس هذه المصطلحات التي تعود،كما يتضح، إلى الأصل السامي القديم. ففي اللغة المهرية (شيتي) تعني الجنوب، الريح من جهة الجنوب. ومن هنا جاءت شتُى بالآرامية - وتعني الجنوب، وفي اللغة الجعزية سامن - الجنوب وفي الأمهرية- الشمال. وبعبارة أخرى هناك فوارق بينية في معنى هذا أو ذاك من المصطلحات في اللغات السامية المختلفة.

وقد لفت ت.هولدكة الاهتمام إلى هذه الظاهرة وسعى لإيضاحها [75 - أ، ص 81 وكذا ص 62، 63].

ولكن ما هي صلة مفهوم ميدي وشيتي مع التحديد السقطري للاتجاهات الأربع؟. إن وجود مفاهيم مختلفة لدى الساميين القدماء، وعلى وجه الخصوص الأكاديين، يعطي أساساً للافتراض أنهم ضاربون في القدم، وحسب تجربتنا نعرف أن طبقات كثيرة من مفردات اللغة السامية العامة قد حافظت على مضمونها، إن لم يكن الأولي فعلى ذلك الذي تغير بمستوى أقل مما في اللغات السامية الحية الأخرى. ألا يمكن السعي هنا للعثور على أحد القوانين العامة، التي تقدر مثل هذا الاختلاف بين هذه أو تلك من المصطلحات السامية؟ وهكذا دواليك. الغريب أن التباين في هذا الزوج من المصطلحات يدور في اتجاهين فقط، الجنوب والشمال، أما الشرق والغرب فلا وجود فيهما لمثل هذا التباين، ذلك أن تحديد الاتجاه إلى الشرق والغرب كان أمراً أسهل ارتباطاً بحركة الشمس. وبالمناسبة فأن المقابر ومنشآت العبادة وغيرها كانت تتجه بشكل خاص في محور الشرق- الغرب. نُذَكِّر أن الكلمات من هذا الجذر في اللغات السامية الأخرى لها معانٍ مرتبطة بمنظومة أخرى من المفاهيم، وعلى الأخص بالمواسم. وبشكل خاص بالشتاء في اللغة العربية.

يمكن الافتراض أن هذين المصطلحين المتباينين مع بعضهما في اللغة السقطرية مرتبطان بالانقسام المتتابع ليس فقط شمال- جنوب، ولكن أيضاً شتاء - صيف (أو حر- برد، رغم أن تغيير درجة الحرارة غير مقترن مباشرة بتغير المواسم، حيث يكون لوجود المطر والرياح أهمية حاسمة لتباينها) وكذا أعلى- أسفل (الجبال - السهول).

يتأكد الافتراض المطروح في كون الاختلاف بين نوعي الترحل (مزهيرو ومرقيو) لم يحدد بصورة مباشرة اختلاف اتجاههما في محور الشمال- الجنوب. فالنوع الأول من الترحل- من الأعلى إلى الأسفل، من الجبال إلى السهول، من البرد إلى الدفء، من منطقة معدومة المياه إلى المنطقة التي يوجد فيها الماء والكلأ (في الموسم المحدد)، أي إلى المراعي الشتوية. والنوع الثاني - من الأسفل إلى الأعلى، من السهول إلى الجبال، من الحر إلى الجو المعتدل، من المنطقة الجافة إلى المنطقة التي يتوفر فيها الماء والكلأ (في الموسم المحدد)، أي إلى المراعي الصيفية. ويتطابق الترحل في المواسم في حالات كثيرة (ليس في

جميعها) مع اتجاه الشمال - الجنوب، عدا ذلك يمكن الانتقال إلى المراعي الشتوية مثلما إلى الاتجاه الشمالي، كذلك أيضاً إلى الاتجاه الجنوبي.

في الواقع يسمى الترحل الموسمي من جبال حجهر إلى الأسفل في الاتجاه الشمالي (ضواحي حديبو، كم، قرية، دليشة..الخ) يُسمى ديشتي. بيد أن الترحل إلى الجنوب لا يطلق عليه هذا المصطلح أو نقيضه، بل يشار ببساطة إلى المكان، فيقولون أنهم يترحلون إلى محفرهن، حلمه..الخ. ويسمى الترحل إلى حديبو سرها، ولكن اشتقاق هذا المصطلح غير معروف.

إلى ذلك لابد من الإضافة أن اختلاف أعلى - أسفل، جبال - وهاد، في الثقافة السقطرية بشكل عام له مغزى أكبر مما في كثير من المفردات الزوجية. عن هذا يتحدث، بشكل خاص، زوج آخر من المفردات التي تدل على الاتجاه: دي صَعَنْهِنْ - باتجاه الجبال. دِقامهَ - باتجاه الوادي. وظهور هذا الانقسام المتلاحق اقتضاه وجود ثقافتين في سقطرى ونمطين للحياة ونموذجين للاقتصاد، وفي النهاية مجموعتين أساسيتين من السكان - مربيو الماشية الجبليون وسكان المناطق الساحلية.

وكما أسلفنا الإشارة فأن قبائل مربيي الماشية السقطريين في الظروف الاعتيادية (باستثناء الظروف الطارئة: القحط، الوباء، مرض الماشية..الخ) يرتحلون إلى المراعي الموسمية التي تؤول إليهم فعلياً ويستخدمونها منذ قرون عديدة. وكقاعدة فأنهم يملكون في منطقة تلك المراعي مساكن (أو كهوف) يعيشون فيها مع أسرهم طوال عدة أشهر من الترحل.

بيد أنه تبرز في بعض الأحيان ظروف متأزمة، يكون رعي الأغنام في المراعي الخاصة أمرٌ غير ممكن لهذا السبب أو ذاك. وفي مثل هذه الحالة تبرز ضرورة النوع الثالث من الترحل الذي يسمى ماتينو. ويمكن أن يحصل ماتينو في أي وقت من العام والي أي منطقة. إذ تقوم القبيلة، العشيرة أو الأسرة التي أنهكها الفقر المدقع بطلب المساعدة من القبيلة أو العشيرة التي يؤول إليها المرعى حيث العشب والماء. وكما جرت العادة فأن الملاك يسمحون للمتضررين من القحط أن ينزلوا لديهم ويرعون مواشيهم في مراعيهم الخاصة ريثما "تنزل عليهم رحمة الله ويهطل المطر في أراضيهم". ويروى أن الذين التمسوا مثل هذا الطلب في الماضي كانوا يدفعون إتاوة لأولئك الذين قدموا لهم الضيافة، وتمثلت بالنقود أو الدفع العيني (أغنام، سمن، تمور).

وعلى الرغم أن قلنسية وضواحيها تسمى (فتق) في منظومة السقطريين لتحديد الاتجاهات، فأن الترحل إلى هذه المنطقة في الواقع ليس نفس الترحل إلى الجنوب أو الشرق (تختلف هاتان المنطقتان بشدة في الظروف الطبيعية) وأي ترحُل مفاجئ أو " طارئ" له تسمية واحدة في كل الأحوال. وهكذا فقد سمعنا أن بدو بني مالك من دِكْسَمْ (المنطقة الجبلية على التخوم بين المنطقتين الوسطى والغربية) كانوا يسمون الترحل إمَّا إلى قلنسية أو إلى نوجد أو إلى رأس مومي، أي بما يطابق إلى الغرب أو الجنوب أو الشرق.

ومَزْهيرو، ومَرْقيو- هما ترحل إلى مناطق محددة بدقة، إمَّا يصعدون إليها أو ينزلون منها. فهم يترحلون من المناطق المرتفعة لمدة تمتد من شهر إلى ثلاثة أشهر وفقاً للمنطقة التي يتجهون إليها وظروف المناخ الملائمة، وعادة يتم ذلك خلال شهري نوفمبر – ديسمبر، عندما يحل موسم البرد في المناطق المرتفعة وتنعدم الأعشاب. ويمتلك سكان مرتفعات حجهر مساحات ثابتة في أودية المنطقة الشرقية عند الترحل (مزهيرو). ومن الاتجاهات الأكثر انتشاراً هي أيضا من جبال حديبو (دشيته - أي في الشتاء) والعكس (دِيْمِدَهْ- في ميدي). ويطلق على سكان حديبو شيوتهو (من شيته)، وهكذا الحال: نِجْدْهُوْ (سكان نوجد)، قاضبهو (سكان قاضب)، أما البدوي ففي كل الأحوال يسمى سقطري! وفي ذات الوقت ومع الأخذ بهذه الحقيقة لا يمكن التأكيد أن شيتي- الاتجاه الشمالي خصيصاً، ذلك أن قاضب تقع إلى الشمال من حجهر، لكن لا يطلق على سكان قاضب "شيتهو".

وضع بروان عدة ملاحظات قيمة حول ترحل مربيي الماشية. وأشار إلى أن المواسم المحلية للترحل تعتبر ممارسة اعتيادية للرعي في سقطرى في الأراضي المحددة والمساحات المعينة: في العادة على امتداد مسافة من ميل إلى ميلين (1,6– 3,2 كم) "من الجبل أو إليه". ولم يصادف براون مربيي الماشية ممن يمتلكون أغناماً أو مراعي تقع بعيداً عن بعضها البعض، رغم وجود مثل ذلك في حالات معينة بسبب ظروف الزواج أو الحصول على الميراث. كان الحق في المرعى محدداً بصرامة. وعلى وجه الخصوص كان لملاك الأبقار في محيط حديبو الحق في رعي الأبقار في مراعي جبال حجهر في مواسم الجفاف، ولا يحق لهم القيام بذلك في الظروف الاعتيادية. وهذا الحق يجيز فقط رعي الأبقار ذات العجول الصغيرة، ومع ذلك فقد كان من حق سكان حجهر

الدائمين منع مثل هذا الرعي. وعلى الخلاف من ذلك فأن سكان قرية أخرى في السهل الساحلي الشمالي لم يكن لهم حق محدد في رعي الأغنام في التلال السفحية غير المباشرة إلى الجنوب من السهول الساحلية، بيد أنهم كانوا يقومون بذلك، ولم يكن بمقدور الجبليين، سكان السهول السفحية، منعهم من هذا، بالضبط مثلما لم يستطع سكان السهول أن يمنعوا الجبليين من رعي الأغنام في المراعي السهلية في موسم الأمطار، كما هو الحال على سبيل المثال، في دَنِسِهْ. وكان مُلاك الجمال، القاطنون بالقرب من حديبو، يملكون الحق المطلق لرعي الماشية في مراعي وادي ياقوت، حيث كان للبدو من سهل تاينري الحق أيضاً في رعي الماشية في موسم الأمطار (يعتبر الوادي "مرعى ممطر"). وفي ذات الوقت ساد في المناطق الواقعة على الغرب من حديبو رعي الإبل في منطقة مايسهي وبموافقة السكان ممن لهم الحق فقط في هذه الأراضي.

اعتبر بروان البدو كملاك للحقوق الموروثة في استخدام الأرض، وهو ما يكفله إجماع السكان وتسنده هيبة السلطان، ولكن ارتيابه في ذات الوقت في أنه من غير الصحيح اعتبارهم "أصحاب أرض التاج" وإنما صنف مستأجرين كان على حق. كان السلطان يقوم فقط بحل المنازعات التي تظهر بين البدو، وكانت نادرة جداً (لذلك فأن بروان لم يسمع عن أي نزاع). ولكن حقوق السلطان في أي جزء من المرعى لم تحدد بوضوح.

إن الحق في الأرض مرسخ في الواقع وتتمسك به القبائل وينتقل من جيل إلى جيل وتسنده الأعراف التي يحتفظ بها الوعي الجمعي لكبار شيوخ القبائل.

في الوقت نفسه فإن تنظيم الحقوق على الأرض يختلف من منطقة إلى أخرى، وهو هنا أكثر صرامة حيث المراعي نادرة والمياه شحيحة. عدا ذلك لا توجد لدى بعض القبائل أية حدود بين أراضي العشائر، فيما توجد حدود فاصلة لدى أخرى.

ومن غير المتعارف عليه لدى قبائل مربيي الماشية في المنطقة الشرقية تحديد خطوط المرعى الواقع في ملكية بعض الأسر. وتحدد بوضوح فقط الأراضي القبلية. وتستطيع الأسرة أن ترعى الماشية في أي مكان في إطار أراضي القبيلة الواحدة. ولن تحدث مصيبة – حسب أقوال الرواة – إذا دخلت الماشية في أراضي تابعة لقبيلة أخرى. وهكذا فأن الأراضي القبلية معروفة تقليدياً. إنها مناطق سكن القبائل وحقهم الشرعي في رعي الماشية فيها. وعلى هذا النحو

فأن حق ملكية الأراضي هنا يحمل في الواقع طابعاً تقليدياً. غير أن الانتقال أو البناء في أراضي الآخرين أمر محظور. ويسمح بذلك فقط في حالة انخراط الراغب ضمن قوام القبيلة الأخرى، ولهذا لا بد أن يتم الاتفاق: على الداخل الجديد في قوام القبيلة أن يقبل على نفسه كل الالتزامات المترتبة على ذلك، وعلى الأخص مساعدة أفراد القبيلة، والحفاظ على كسب ثقتهم، والدفاع عنهم من الغير تحت أي ظرف..الخ. وعلى الرغم من سهولة مثل هذا الدخول، كما يبدو، فأن مثل هذا الأمر يحصل نادرا، وفي الأساس عندما تكون للقبيلة التي قبلت الوافد الجديد إليها مصلحة في ذلك (على سبيل المثال، بسبب قلة عدد الرجال في القبيلة). كما أن الرجل من جهته حين ينوي الزواج من قبيلة أخرى كأنما يكون قد اقتنع بالانتقال إلى أهل زوجته وفي هذه الحالة يحصل على المساعدة حتى في بناء البيت. وكما أوضح ذلك من تحدثوا إلينا،يقدم على ذلك، قبل كل شيء، من يعانون من صعوبات اقتصادية أو مالية.

يخضع الترحل، كما سبق الحديث، لدورة المناخ الخاصة في سقطرى والتي تنعكس بتناسب في الكيفية التي يقسم فيها السقطريون العام إلى مواسم. وهذا التقسيم له صلة ليس فقط باختلافات المناخ، وإنما بالعوامل الاقتصادية أيضاً، وعلى الأخص، الدورة اللازمة لأشجار النخيل.

يرى بروان أن ضرورة البحث عن مصادر جديدة للعيش قد جعلت السقطريين رُحَّلا، أي متنقلين بحثاً عن تلك المصادر. وكان بمقدور بعض الأسر القيام بالترحل الموسمي إلى الأعلى، وبصورة دائمة إلى الأراضي المحددة سلفاً على بعد يصل إلى 40 كم، أي إلى تلك الأراضي التي لهم حق غيها. وهذا المرعى الصيفي كان يقع في الواقع بعيداً جداً. (في العادة يذهب الناس في موسم الترحل إلى مسافات أقل بكثير). على سبيل المثال، في قرية قاره، في السهل الجنوبي، لا يملك أحد أية حق أبعد من 15 كم عن مزارع أشجار النخيل، باستثناء السلطان، كما أشار بروان، لكنه في الواقع كان مخطئا: لاحظنا حالات خاصة كانت ملكية أشجار النخيل في الأودية تؤل لقبائل تقع بعيداً عنها، وقبل كل شيء فأن مربيي الماشية "في الأعلى"، ممن كانت لهم السيادة في زمن ما على هذه المناطق، قد احتفظوا، كما يبدو، بحقهم في التصرف بالأراضي (هذا ما كان، على وجه الخصوص، في ضواحي قرية معابيد في الجزء الغربي من المنطقة الشرقية). وفي الوقت الراهن فأن البدو، مع الأخذ

بعين الاعتبار الإمكانيات الجديدة للعمل، يذهبون على كره لجمع التمور، ولذلك يفضلون تأجير أشجار النخيل.

صيادو المناطق الساحلية:

يسود لدى سكان المناطق الساحلية في سقطرى نمط اقتصادي- ثقافي مختلف، عما لدى الجبليين، ويعتبر صيد الأسماك العمل الأساسي للجزء الأكبر من سكان هذه المناطق، وإضافياً بالنسبة للجزء الآخر.

بين صيادي الأسماك "الصرف" ممن يعد صيد الأسماك العمل الرئيسي لهم والمصدر الوحيد للرزق تتكون النسبة الكبرى من أخلاف العبيد السابقين أو المولدين. وبالمناسبة، فأنهم يملكون، كقاعدة، أعداداً غير كبيرة من الأغنام. ومع ذلك فأن أفراد القبائل السقطريين الأصل يمارسون صيد الأسماك، بيد أن مربيي الماشية ينظرون إليهم بازدراء.

يتم اصطياد الأسماك بواسطة زوارق الاصطياد. واسماك القرش هي الهدف الرئيسي للصيادين. ويمكن أن تُحفظ لحوم القرش المجففة لأعوام. وهي تقدر عالياً في اليمن ودول شرق إفريقيا والقرن الإفريقي. في الماضي كان يسوَّق القسم الرئيسي من المحصول في الصومال وإثيوبيا، أما في الوقت الراهن فأن الصيادين يبيعون إنتاجهم في مناطق اليمن، حيث يحظى، كما في السابق، بإقبال كبير، وبشكل خاص في حضرموت.

أما الصنف الآخر الهام من الأسماك فهو الأسقمري الذي يقدد لحمه (أنظر حول ذلك في الفصل السادس).

قبل الاستقلال عام 1967م مارس الصيادون أيضاً استخراج اللؤلؤ، وفي الوقت الراهن اختفى عملياً وتم حظر تسويق اللؤلؤ.

أشار ج.براون إلى أن سعر سمك القرش المجفف في الجزيرة عام 1966م كان مرتبطاً بحجم السمك. فالسمكة التي يقل طولها عن 45 سم كانت تساوي ديناراً واحداً. والسمكة الأطول من ذلك تساوي من 1,25 إلى 15 ديناراً. وكان الأسقمري المجفف يباع بكميات من 100 قطعة، بسعر رُبع دينار للقطعة الواحدة. والمقصود هنا بالقطعة الواحدة حوت واحد، أي "سمكة كبيرة" ويطلق اسم الحوت على السمكة بامتداد المسافة من الكتف الأيسر إلى أصابع اليد اليمنى الممدودة، أي بما يساوي متر واحد تقريباً. أما الأسماك الأصغر حجماً فكانت تجمع وتقاس بما يعادل الأسماك الكبيرة. وهكذا، فأن

55 سمكة بطول 60 سم للسمكة الواحدة كانت تقدر بما يعادل 30 سمكة كبيرة، ويبعت بمبلغ 7,5دينار [71 ص 38].

في السبعينات كان النظام القديم المعمول به في تسعيرة الأسماك لا يزال سارياً، أما في الوقت الراهن فلم يعد يتم قياس الحوت. وارتفعت الأسعار أيضاً: بالنسبة للسمك المجفف والمقدَّد ازدادت ثلاثة أضعاف. ومثل ذلك وأكثر بالنسبة للأسماك الطازجة. وفي السوق في حديبو يباع حوت الفرخ غير الكبير (ذئب البحر) بوزن 1,5– 2 كجم مقابل نصف دينار (10 شلنات). وكذلك هي الأسعار الحكومية تقريباً. وكان براون قد اشترى تقريباً 5 كجم من الأسقمري، أغلى أنواع الأسماك، مقابل 3 شلنات.

في ذلك الوقت كان الصياد بالكاد يجمع بين دخله ونفقاته. وحسب إحصائيات الخبير الإنجليزي كان الصياد يضمن لنفسه ولأسرته الكمية الضرورية من الأسماك للاستهلاك، ويوفر أيضاً إلى جانب ذلك ما بين 40-50 ديناراً في العام، يتبقى منها لديه، بعد الإنفاق على المواد الغذائية الأخرى، ما بين 5 - 15 ديناراً فقط.

بيد أن الصيادين يعيشون اليوم أفضل بكثير، ليس فقط بفضل تزايد الطلب على الأسماك نتيجة لوصول أعداد كبيرة من الموظفين من خارج الجزيرة، بل وبسبب استخدام الكثيرين منهم لوسائل النقل وأدوات الصيد الحديثة، زوارق بمحركات، شبكات صيد كبيرة. كما انضم قسم من الصيادين في التعاونيات السمكية. ويأتي قسط كبير من إنتاج الأسماك من قبل الصيادين الفرديين الذين يخرجون للعمل على شكل فرق أسرية صغيرة. ومن بينهم ظهر بعض ملاك الزوارق الكبيرة ذات المحركات، التي اقتنوها في دول الخليج العربي، وقد جمعوا الصيادين في جماعات تعاونية، ويعملون لديهم بالأجرة.

كان الصيادون قبل العام 1967م يستغلون أية أمكانية للعمل الإضافي. وقد أشار عالم الآثار ب.شيني عضو بعثة اكسفورد عام 1956م، إلى أن سكان قرية الصيادين الصغيرة (ربما قرية ديشص) في الساحل الشمالي، بالقرب من أطلال غريوس، قدموا للضيوف بعد استقبالهم ماء مغلياً شديد الملوحة مع التمور، التي يذهبون من أجلها إلى نوجد في الساحل الجنوبي، ولأنهم لا يزرعون منها شيئاً فأنهم يشترون بالشلن الواحد رطلين من التمر (900 جرام)، ثم قدموا بعد ذلك للإنجليز ماءً عذباً، يجلبه لهم البدو من الجبال ويباع عليهم بسعر

دينار واحد للبرميل، ولقد طلب رب البيت من الضيوف ديناراً واحداً فقط مقابل كل ما قدمه لهم، ودُفعت خمسة شلنات (رُبع دينار) لذلك المرافق الذي اصطحبهم إلى المكان [59 ص 152].

يتم ركوب البحر في الموسم الذي تنعدم فيه الرياح، وهو يتواصل حوالي نصف العام ويسمى (الفتوح)، أما الجزء المتبقي من العام فتعيق الرياح القوية فيه صيد الأسماك، ويسمى (قفال).

نقدم هنا بعض الأمثلة، من استفتاء أجريناه في قرى الصيادين،

- علي عنيني سيّاكه، 50 عاماً، يقطن حديبو، من المولدين. يعمل نجاراً، كما يمارس موسمياً صيد الأسماك، أما في الماضي فكان صياداً فقط. ويملك زورقه الخاص (هوري). ويساعده أحد أبنائه.
- حسين علي عامر، 30 عاماً، يسكن قرية حلمه في نوجد، يعيش لوحده في منزل والده المتوفي (تزوجت الأم مرة أخرى)، وهو صياد يعمل "على زورق يملكه آخرون"، ولا يملك أدوات صيد خاصة به. ومن الواضح في هذه الحالة أنه يتم إنفاق جميع الدخل.
- سالم عيسى سالم، 20 عاماً، يسكن حلمه، صياد، متزوج، لديه بنت. كان الأب يعمل في تربية الماشية وزراعة النخيل، بيد أن ميراثه قسم بين الأشقاء الستة وشقيقتين، لذلك أصبح سالم صياداً.
- عبدالله سالم علي، 37 عاماً، ساكن حلمه، حصل على حصته من الميراث بعد وفاة والده (نخيل وكثير من الأغنام وثلاثة جمال)، وأصبح يعيش مع أفراد أسرته لوحدهم، اشترى زورقاً، ويعمل بصيد الأسماك ويعتبر نفسه صياداً.
- يحيى سالم علي، 20 عاماً، شقيق عبدالله من الأب، يملك مع شقيق له زورقاً، وهما يذهبان إلى البحر لاصطياد الأسماك، ويملكان 25 رأساً من الضان والنخيل، وهو يعتبر نفسه صياداً ومربي ماشية.
- عبدالله محمد هلال، 35 عاماً، ساكن قرية بدهُولة في نواجد، وهو صياد كأسلافه، يملك زورقاً مع المحرك، ويعمل معه اثنان من أولاده، وحالته ميسورة.
- مبارك جرداد منّاح، 21 عاماً، ساكن حديبو، من المولدين، صياد، يملك زورقاً، وهو يؤمن نفسه مع الأسرة، زوجته وابنه، وليس لديه أملاك أخرى.

- أحمد هلال أحمد، 20 عاماً، ساكن قرية زاحق في نوجد، صياد، متزوج، كان في البداية عضواً في التعاونية، ثم أقتنى مع أبن عمه زورقاً مع المحرك مساهمة وخرج من التعاونية، وأصبح يمارس الاصطياد سوية مع أبن عمه. وقد ساعده أخوه الذي غادر للعمل في الأمارات العربية المتحدة في دفع القسط الخاص به لشراء الزورق.
- مبارك ثاني علي، 16 عاماً، يقطن قلنسية، كان والده صياداً، وعاشت الأسرة في فقر وضنك، وبعد وفاة والده بحث عن عمل لدى أحد ملاك الزوارق بالأجر اليومي، وهو بالكاد يكفيه مع والدته.
- محمد ديمرف زيناني، 17 سنة، يسكن قرية سعلوته في الساحل الشمالي، كان والده صيادا. وعقب وفاة والده أخذه عمه، شقيق الأب، للعيش معه، عمه صَياد أيضاً ولديه ولدان. وهما الآن يعملان معاً في صيد الأسماك (أمّ محمد تزوجت مرة ثانية).
- عبدالله محمد عبدالله، 16 عاماً، من الساحل الشمالي، يقوم باصطياد السمك سوية مع الأب وأحد الأشقاء الأربعة، وهم يملكون زورقا، أما بقية الأشقاء فيعملون بالأجر اليومي في حديبو.

تبين الأمثلة الواردة التباين في الأوضاع المادية والاجتماعية للصيادين، فمن جهة يضطر مربيو الماشية، ممن لا يستطيعون الأنفاق على أسرهم اعتماداً على منتوجات اقتصادهم فقط، يضطرون للاشتغال بصيد الأسماك. ومن جهة أخرى، فأن الصيادين الذين لا يملكون وسائل الاصطياد الحديثة، بالكاد يضمنون أنفسهم وأسرهم في كثير من الأحيان، ولذلك يضطرون للبحث عن أعمال أخرى.

وكما سبقت الإشارة، فأن جزءاً من قبائل مربيي الماشية يشتغلون في موسم الـ(فتاح) في صيد الأسماك (اقتصاد مختلط)، وهو ينتشر بشكل خاص في المنطقة الشرقية. ومن الصعب جداً في مثل هذه الحالة وضع حدود واضحة بين الصيادين "الصِّرف " والصيادين غير الثابتين. وقد كنا في الساحل الشمالي بالقرب من جبل عبلهن في بيوت صيادين ومربيي ماشية في آن واحد، ممن يمارسون بدرجة متساوية هذين النوعين من النشاط الاقتصادي، وهم يكسبون دخلاً متساوياً تقريباً من كل نوع. وقد كان أسلاف هؤلاء مربيي ماشية.

إن لصيد الأسماك في الجزيرة آفاقاً كبيرة، لأن المياه المحيطة بها غنية جداً بالأسماك. وقد أشار الخبراء المستعمرون الإنجليز إلى أن تصدير الأسماك وغيرها من المنتوجات البحرية يمكن أن ينمو ويتوسع هنا بشكل كبير. لكن الصعوبات الموضوعية التي تواجه اقتصاد البلاد، وكذا الأخطاء في التقديرات التي ارتكبت في النصف الأول من أعوام الثمانينات، لم تسمح بعد بإحراز نمو ملموس في الإنتاج السمكي.

وفي الأعوام الأخيرة أخذت تتطور في سقطرى التجارة الخاصة الصغيرة، التي يمارسها أساساً أقرباء أولئك الذين هاجروا للعمل في دول الخليج العربي الغنية بالنفط، وهؤلاء هم، بشكل رئيسي، سكان المناطق الساحلية الذين مارسوا في الماضي صيد الأسماك. وبالنسبة للعاملين في الخارج فإن إرسالهم البضائع لأقربائهم على زوارق(صنابيق) خاصة بذلك، هو أكثر فائدة لهم من تحويل النقود بواسطة البنك. كما تقدم الدولة، التي تعاني من صعوبة في توفير البضائع الضرورية للجزيرة، بعض التسهيلات للتجار الصغار، لكنها تمنع رفع الأسعار أكثر من الحد الذي تقرره لجنة خاصة بذلك.

إن تفسخ اقتصاد صيد الأسماك يقود إلى تسرب جزء كبير من السكان إلى مجالات اقتصادية أكثر فائدة، وهكذا فأن الصيادين السابقين يعملون حالياً حمالين وعمال بناء.

– مربيو الماشية ذوو الاقتصاد المختلط –

تدخل في هذه المجموعة عدة جماعات فرعية تضم الأشخاص الذين يجمعون بين تربية الماشية وأي عمل آخر كصيد الأسماك أو الزراعة...الخ، وهو ما يمثل بالنسبة لهم معنى اقتصادياً هاماً، يضمن لهم المؤن الغذائية أو يمثل مصدراً للدخل الإضافي. ولا يدخل هنا مزارعو النخيل لأن زراعة النخيل، كما سبق الحديث، يمارسها جميع مربيي الماشية تقريباً، وهي توظف بشكل استثنائي لسد الاحتياجات الأسرية، وفي حالات نادرة فقط يمكن عرض الإنتاج الفائض في السوق.

المجموعة الأكثر عدداً هم سكان السهول الساحلية الشمالية، حيث تقع كذلك حديبو عاصمة سقطرى، ويعيش عدد أقل بكثير من الناس في

المجموعة الأخرى، السهول الساحلية الجنوبية، التي تغطي الكثبان الرملية القسم الأكبر منها وتسمى نوجد.

ومن بين المناطق الطبيعية ذات المناخ الأقل ملائمة لرعي الماشية في سقطرى السهول الساحلية الشمالية والجنوبية: هنا القليل من المراعي، الغطاء النباتي ضعيف، المياه الجوفية تغوص في الأعماق، وفي السهول الساحلية الشمالية توجد فقط قطع الأرض التي تنمو فيها بكثافة أشجار المترير والشيكيت. وتتميز منطقة حديبو بشدة، لأنها تروى بمياه السيول الغزيرة التي تنحدر من جبال حجهر.

بيد أن سكان السهول الساحلية الشمالية يقومون أيضاً بتربية الماشية. وهم يربون المعز في الغالب، ويندر وجود الأبقار في حديبو وفي قرى هذا السهل وفي التلال الممتدة إلى الجنوب منه. وهي توجد لدى سكان قرية كدحه، غير بعيد من العاصمة في الجزء الداخلي للسهل، وتعود إلى أسرة أحد السادة، أبى بكر. وهو المتحدث رقم 267 من كدحه، ويملك، على وجه الخصوص، عشر بقرات وجمل واحد وبضع عشرات من المعز والضان. عدا ذلك يعمل أبوبكر بالزراعة، حيث يقوم بزراعة التبغ والخضروات في قطعة الأرض غير الكبيرة بجانب البيت. يوجد كذلك مُلاك ميسورون في قرية عدونه، إلى الجنوب من حديبو، في القسم الداخلي من السهل الساحلي الشمالي. فالمتحدث رقم 73 كان يملك خمس بقرات وخمسة جمال وحماراً واحداً وعشرات من المعز والضان.

أما في قرى الصيادين في السهل الشمالي، أي مباشرة على الشاطئ، فالأبقار نادرة جداً، ففي قرية سوق حيث غالبية السكان المطلقة من السود، أحفاد العبيد السابقين، ممن لم يكن لهم في الماضي حق ملكية الأراضي واستخدام المراعي، كانت توجد بقرة واحدة فقط وخمس عشرة معزة في أحد البيوت. وفي بيوت أخرى من هذه القرية وجد بعض المعز فقط.

في حديبو وفي قرية قاضب في الساحل الشمالي توجد الأبقار لدى أسر منفردة، بيد أن أعداد المعز كثير إلى حد ما لدى بعض الأسر.

في كل بيت من الثمانية البيوت التي وقع اختيارنا عليها في حديبو ويمثل أصحابها مختلف الأوضاع الاجتماعية كان يوجد على التوالي: 120 رأس من الأغنام (مع غالبية من أعداد المعز لدى الجميع) و 20 نخلة؛ 60 رأس وعدة

أشجار من النخيل؛ 20 رأس و 10 نخلات؛ 10 أغنام وحوالي 100 نخلة ؛ 10 أغنام و 20 نخلة؛ بدون أغنام و 400 نخلة (؟)؛ بدون ممتلكات.

وفي قاضب اختيرت ثمان أسر كذلك على النحو التالي: 50 رأس من الأغنام وحوالي مائة نخلة ؛ 50 رأس وبدون نخيل؛ 30 رأس و 100 نخلة؛ 20 رأس وحوالي 10 نخلات؛ 10 رؤوس وحوالي 60 نخلة؛ 10 رؤوس و 10 نخلات ؛ 5 رؤوس وحوالي 60 نخلة؛ بدون أغنام وحوالي 20 نخلة.

ويملك سكان قاضب، الذي يعتبر صيد الأسماك عملهم الرئيسي، معزهم الخاص بهم. وفي الشتاء يرعون الأغنام في محيط القرية، أما في الصيف حين يكون دخول البحر مستحيلاً فأنهم يذهبون إلى المراعي الجبلية، الواقعة إلى الجنوب من السهل الساحلي الشمالي.

ما أن تحركنا إلى الغرب في السهل، حتى تمكنا من معرفة حدود منطقة تربية الأبقار والجمال، والتي تبدأ بعدها منطقة أخرى للأغنام فقط. كانت المنطقة الأخيرة التي شاهدنا فيها الأبقار هر قرية عبلهن. في واحد من بيوتها (المتحدث رقم 15) كان يملك3 بقرات وحوالي 50 رأس من المعز والضان وحوالي 10 نخلات.

يجمع سكان السهل الساحلي الشمالي بين تربية الأغنام وزراعة النخيل مع صيد الأسماك وزراعة الخضروات (وهي في الأساس الطماطم، البصل، الفلفل والقرعيات) والتبغ (يقوم بزراعته بشكل خاص سكان قرية كدحه) والحرف (صناعة الأواني الفخارية، إحراق النورة). ويعتبر تأجير مطايا الحمل كالحمير والجمال من مصادر الدخل الإضافي.

إن التطور الملحوظ الذي تشهده الجزيرة خلال الأعوام الأخيرة يولّد الحاجة إلى القوة العاملة، وقبل كل شيء في أعمال البناء، ولذلك فأن الكثير من مربيي الماشية يبحثون في المواسم عن أعمال مقابل الأجور كحمالين ونحاتي حجارة...الخ.

يتميز السهل الساحلي الجنوبي عن السهل الشمالي من حيث الظروف الطبيعية والمناخية. ففي منطقة نوجد الرملية توجد فقط النباتات التي ترعاها الأغنام والجمال التي تربى هنا، وهي تأكل الشجيرات المالحة، وفي الجزء الشرقي من نوجد تكون طبقة المياه الجوفية قريبة من السطح إلى حد ما. ويمتلك السكان المحليون هنا الآبار ومياهها عذبة بصورة مطلقة، الأمر

الذي يسمح بزراعة البطيخ الرائع في هذه التربة الرملية. وهو يزرع بكميات غير كبيرة، ويذهب بشكل خاص للتصريف في الأسواق ويعتبر مصدراً للدخل الإضافي. ويبلغ وزن البطيخة الواحدة 25 كجم، وسعر الكيلوجرام شلناً واحداً تقريبا.

تقع القاعدة الملائمة أكثر لرعي الأغنام في الجزء الجبلي للسهل الممتد وراء رمال نوجد والداخل في التلال السفحية للجبل الغربي (صخوره الجنوبية). واقتصاد هذه المنطقة مزيج كذلك كما في نوجد، لكن إذا كان يهيمن في الأخيرة صيد الأسماك، فالغلبة هنا لتربية الماشية، أما صيد الأسماك فيحمل صفة العمل الثانوي. ومن بين أحد عشر بيتاً في (قاره) جرى معاينتها كان في واحد منها ثلاثة جمال، وهو ما يجعل هذه المنطقة قريبة من نوجد وتتميز عن المنطقة الغربية. كذلك يمكن الحديث عن غلبة المعز في قاره. والفرق ليس كبيراً بين اقتصاد الأسر: يوجد لديها بكاملها من 70 إلى 130 رأس من الأغنام، وفي سبعة منها لا توجد أشجار نخيل، وهناك أربع أسر منها فقط كانت تمتلك عدداً غير كبير من النخيل. ولدى سبع أسر كانت الأغنام تتألف من المعز فقط، ولدى أربع أسر من المعز والضان مع تفوق أعداد المعز.

في نوجد، كما في غيرها من مناطق الاقتصاد المختلط، لا وجود للحظر على مشاركة المرأة في حلابة الماشية، وهو ما يميز الجبليين في الوسط والغرب. أما هنا فتقوم المرأة برعي وحلابة الأغنام. فيما يعمل الرجل في حياكة النسيج والنجارة، وأحياناً يؤدي وظائف نسائية، حسب مفهوم الجبليين: يحضّر الطعام، ويجلب الماء. أما جمع الحطب فيقوم به الرجال والنساء. أما الأعتناء بالنخيل فعمل يقوم به الرجال فقط، كما في كل مكان، بحكم خصوصية هذه العملية التي تتطلب القوة والليونة والمهارة المرتبطة بتسلق ساق النخلة.

وتتميز نوجد بالجمع بين تربية الماشية وزراعة النخيل (بما في ذلك الجمال بحكم وجود أعلاف كافية) إضافة إلى صيد الأسماك وزراعة البطيخ. وخلال الأعوام الأخيرة أصبح العمل الموسمي هنا مصدراً لرفاهية الأسرة، وعلى الأخص الأجور الجيدة مقابل العمل في نحت ونقل حجارة البناء في الساحل الشمالي.

أما المنطقة الشرقية، فتتميز بالجمع بين تربية الماشية مع صيد الأسماك موسمياً، ويستثنى من ذلك مربيي الماشية "الصرف " الذين يمثلون أقلية.

لقد تغيرت الأوضاع كثيراً في منطقة الاقتصاد المختلط منذ زمن براون: فبعض الأعمال قد اختفت، وأخرى انتشرت أكثر وغدت أكثر فائدة. وللمقارنة نستعين مرة أخرى بشهادة الخبير الإنجليزي:

"إلى جانب النوعين من الرعاة البحت يوجد كثيرون، من ذوي الاقتصاد المزوج، أي ممن يحصلون على التمور، السمك، أو هذه وتلك، وفي بعض الأحيان يكسبون النقود من تأجير الجمل في نقل الحمول. وهناك حيث مصادر المياه الدائمة يكون السقي سهلاً، ويزرع بعض الملاك غلال - سرغو (بمبي). وينتشر الاقتصاد المختلط في جميع مناطق التلال الساحلية، الهضبة الشرقية، السهل الساحلي الجنوبي وحوض حجهر المنخفض.

ويعيش حوالي ثلثي جميع البدو على هذا الشكل أو ذاك من الاقتصاد. أما نموذجه الأكثر بدائية فهي على الأرجح تلك الممارسات الشائعة في قلنسية والمتمثلة بمقايضة حُزم الحطب التي يمكن حملها على الرأس، برؤوس السمك والبقايا الأخرى. ويلقى كماله في حَمْحيره في منطقة الهضبة الشرقية. حيث يملك الناس هنا: أماكن رائعة لتنزه الأغنام، مصدر دائم للمياه تحافظ على قطع الأراضي الزراعية، وحتى عدد غير كبير من الأبقار، وكذا الجمال الجيّدة والمراعي الخصبة في المنحدرات التحتية، وأشجار النخيل في الوادي والزوارق على الشاطئ. وهم ينسبون إلى بدو الجزيرة المتطورين، ويوجد تدرج لا حدود له دائماً فيما بينهم. يملك الرعاة من الهضبة الشرقية الزوارق في رأس مومي وهم يهبطون من الهضبة الصخرية للعمل عليها. تشغل أكبر أحراج النخيل في منطقة قارة (السهل الساحلي الجنوبي) مساحة حوالي 73 هكتارا، وتدخل في أملاك القبائل، باستثناء 200 نخلة تؤول ملكيتها للسلطان عيسى. وفي ذات الوقت فأن النخيل في بلدة قرية (الساحل الشمالي) تعود لشقيقه عبدالله، ويعتني الناس بأشجاره على أساس نظام المحاصصة:

يذهب ثلثا المحصول لعبدالله ويتبقى لهم الثلث. ويصطاد هؤلاء الناس الكثير من الأسماك. ولكن المراعي لديهم قليلة، لذلك فهم فقراء. وفي ستيره وزاحق في السهل الساحلي الجنوبي توجد المراعي الجيدة للجمال والظروف الملائمة لصيد الأسماك، ولكن لا وجود هناك للنخيل. ويقوم سكان قيسو (بالقرب من قلنسية في المنطقة الغربية) بطرد الأغنام في الجبال، ولديهم

بساتين نخيل تروى بمياه العيون، بيد أنهم لا يمارسون صيد الأسماك على الإطلاق"[61ص18].

في الوقت الراهن لم يعد هناك وجود لأملاك السلطان، ولم يعد احد يقايض الحطب مقابل رؤوس الأسماك، ومع ذلك ظلت مناطق الاقتصاد المختلط كما هي.

إن ذهاب قسم من السكان للعمل الموسمي بحثاً عن مصادر أضافية للدخل يحدث تغييراً في العلاقات الاجتماعية، وعلى الأخص، في انتشار استئجار الأيدي العاملة. ويمكن أن تكون المنطقة الغربية نموذجاً حيث يكون الذهاب منشراً فقط في الأماكن الواقعة بالقرب من قلنسية إلى حيث ينزل مربيو الماشية لصيد الأسماك.

يؤجر المنتقل إلى قلنسية وكيلاً للاعتناء بالأغنام ويدفع له مقابل ذلك نقوداً أو أغناماً.حدثنا أحمد عبدالله مبارك (35 عاماً، من قرية علصاص، يقطن قلنسية، ومن المواليد شيتي علصاص، في السفح الجبلي غير بعيد من قلنسية) أن والده كان مربي ماشية "بحت" لكن الحاجة اضطرته للاشتغال بصيد الأسماك. وقد تعلم صيد الأسماك لدى "أناس آخرين"، ورث أحمد من أبيه قطيعاً من الضان، ولديه زورقه الخاص، ويقوم باصطياد السمك في الموسم الذي تنعدم فيه الرياح فقط، حينما يكون الدخول في البحر ممكناً. وفي فترة غيابه يكلف شخصاً لرعي وحلابة الأغنام، ويدفع له مقابل ذلك أحياناً نقوداً وأحياناً أغناماً.

إن الاقتصاد المختلط يضمن للقبائل الاستقرار إزاء العواقب القاسية التي تخلقها الكوارث الطبيعية (الجفاف، الرياح..الخ) والأمراض الوبائية،كما أنه يحسّن وينوع طعامهم (لحوم، ألبان، أسماك، منتوجات نباتية). ووفقاً لبراون فأن وجود الاقتصاد المختلطة يعود في الواقع إلى أن الكثافة السكانية في المناطق التي ينتشر فيها هذا النوع من الاقتصاد أكثر مما هي عليه في مناطق تربية الماشية البحتة. وهذه في الواقع حقيقة، لأن استقرار السكان في مناطق تربية الماشية يحدده سلفاً تناسب مساحة الرعي وأعداد الأغنام ومضاعفة الأعباء تثير إما اندفاع السكان وإما الحد منه بسبب المجاعة، المرض...الخ. ولذلك كتب براون :" إن وجود الاقتصاد المختلط يرجع في الحقيقة إلى أن السكان الذين يعيشون في تلك المناطق أكثر مما في الجبل الغربي، مع أن الأغنام لا

تكون أكثر دائماً ". وهو غير محق في افتراضه أن الأغنام في هذه الحالة كأنما ينبغي أن تكون أكثر، فهنا على وجه الخصوص ينبغي أن تكون أقل.

ووفقاً لتقديرات براون، بالنسبة للجبل الغربي في المنطقة إلى الجنوب من قريه (الجزء الشرقي للساحل الشمالي الذي يرجع إلى المنطقة الشرقية) حيث شكل سطح الأرض مشابه لذلك تقريباً وبدون ممرات جبلية فقط، فقد كانت كثافة السكان تقريباً أكثر ب11 مرة، وفي السهل الساحلي الجنوبي أكثر بـ 6 مرات، أما في الهضبة الشرقية فشبيهة بالجبال في الغرب 8 مرات. وبصدد المقارنة الأخيرة فقد رأى براون أن سبب الاختلاف المسجل ينحصر في كون منطقة الهضبة الشرقية تمثل مراعٍ للضان الجبلية على خلاف الجبل الغربي حيث القسم الأعلى من الجبال لا يشغل أكثر من سدس جميع مساحة الأراضي، أما "المصادر البديلة للعيش" فتعد عاملاً ثانوياً. لكنها مع ذلك تغدو أكثر أهمية: ففي الحقيقة أن التمركز الكبير للناس هناك قد أدى إلى زيادة أعداد الأغنام، وفي النتيجة فأن مساحة المراعي تستنفد للغاية وهي في طريقها إلى الانقراض التام. إن نفاد المراعي هي السمة العامة للأراضي ذات الاقتصاد المختلط، ويضطر الناس أكثر فأكثر اللجوء إلى وسائل أخرى للعيش، إذا ما ظلت هذه السمة "[61 ص 19].

كان من الأصوب أن يسمى نفاد المراعي ليس سمة للاقتصاد المختلط، وإنما سبباً لظهوره، لأنه بنتيجة نفاد المراعي تتجه قبائل مربيي الماشية للبحث عن " المصادر البديلة" للعيش.

بعض التقديرات:

من هم البدو السقطريين وكيف يمكن بشكل عام وصف نمط حياتهم؟

وقع كثير من الباحثين في الخطأ، عندما اعتبروا أن نمط حياة مربيي الماشية في الجزيرة منقولاً من اليمن، طالما أن البدو السقطريين قد انتقلوا من اليمن كرّحل إلى الجزيرة. وأهملوا أصالة نمط حياة القبائل المحلية التي تراكمت خلال أزمنة طويلة وتتميز بخصوصية الظروف الطبيعية والمناخية المختلفة عن اليمن. بالطبع كان هناك انتقال للجماعات القبيلة الكبيرة من اليمن (من المهرة)، لكن إطلاق صفة المهرية على هذه أو تلك من القبائل السقطرية تعود في أحيان كثيرة إلى الجد المهري القديم الذي أندمج أسلافه مع الآخرين من القبائل التي كانت تعيش في الجزيرة. أما فيما يخص الموجة

الأولى للانتقال إلى الجزيرة فغير معروف لنا بالضبط من أين جاء هذا الانتقال أولاً، وثانيا كيف تم ذلك (من حيث الكم والنوع). وحسب إحدى الروايات فأن السقطريين الأصليين عملوا أصلاً في زراعة أشجار البخور، وأرغموا على تربية الماشية، لأن الفاتحين أبعدوهم إلى الجبال. وفي الوقت نفسه ليس لدينا معطيات مقنعة فيما إذا كانت تجارة البخور بالذات المصدر الرئيسي لوجود أولئك المنتقلين الأوائل من اليمن.

وكيفما كان الأمر: فأن نمط حياة مربيي الماشية يتميز بأصالته، ويتجلى بشكل خاص في التمازج الخاص للغاية بين خصائص الحضر والبدو الرحل. وحتى ج.براون يتبع آخرين في المبالغة بصلة مربيي الماشية السقطريين مع القبائل المترحلة من القارة، فكتب أن بدو سقطرى مترحلين، وهم يرجعون أصولهم إلى البدو أو القبائل التي ترحلت من اليابسة، على سبيل المثال، إلى قبيلة بيت كمْسَت الممثلة هنا جيداً أو إلى غيرها، وعلى وجه الخصوص قبيلة روُكبي التي كان قد سمع عنها في المهرة. ومن جهة أخرى يرى أن البدوي السقطري ليس رحّال. نعم فذلك أمر غير ممكن على جزيرة صغيرة. [61 ص 12].

ومن السمات الهامة التي تميز مربيي الماشية في الجزيرة عن القبائل الرّحل في اليمن هي أنهم يربون الجمال فقط كوسيلة نقل، أما في اليمن فأن عادات تربية الجمال تنتشر في كل مكان ويحمل استخدام هذا الحيوان الطابع العام.

ويبقى السؤال عن أصل مربيي الماشية السقطريين بدون إجابة. ويمكن فقط الإدلاء بالرأي في أن السقطريين يمارسون تربية الماشية منذ زمنٍ طويل إلى درجة كافية، وتدل على ذلك طبيعة فلكلورهم القديم المميز بالنسبة للمجتمع الرعوي، والكثير من العادات والتقاليد، ودفن الأغنام إلى جانب البشر (يعود هذا إلى ما قبل الإسلام)، والثقافة الرعوية التي تميز الجزء الأكبر من سكان الجزيرة.

بالطبع كانت هنا في الزمن القديم زراعة متطورة، وبشكل خاص زراعة أشجار البخور والصبر في المزارع التي يمكن مصادفة آثارها في الأجزاء المختلفة من سقطرى. وربما في تلك الأزمنة شهدت سقطرى عصر الازدهار وساهمت بفعالية في التجارة العالمية. بيد أنه مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف الطبيعية فيمكننا أن نفترض انه من المشكوك فيه أن تكون قد وجدت في زمن ما زراعة

مرتبطة بمحاصيل الغلال. ولكن طالما إننا ندرس في هذا الفصل، على الأغلب، تربية الماشية فأن الاهتمام المحدد يتمثل بالسؤال عن الظروف التي كان فيها عندئذ ذلك القطاع من الاقتصاد.

كتب ج.براون:" توجد شواهد مؤكدة أن الجزيرة كانت في غابر الزمان مزدحمة بأعداد أكثر من السكان، ذوي همم عالية، وكانت لديهم إرادة أفضل مما هو الحال الآن. ويمثل القسم الأعظم من الأودية الخضراء في حجهر، إلى حد ما، المدرجات القديمة للمزارع، والأغلب إنها خصصت للري. وفي الأودية الأخرى يمكن مشاهدة أطلال البيوت أو المساكن المهجورة. وفي بير دينزهر تقع أطلال قرية، تتألف من بيوت منفردة ويبلغ حجم "أكبر بيت" 70×30 قدماً. وكما في التلال، كذلك في الوهاد تخترق التخوم المشيدة بالحجارة القديمة إلى امتدادات مئة ميل، وكانت في زمن ما حدوداً لأراضي الجماعات الساكنة. وتوجد في الجزيرة بقايا سدود قديمة بجدران يصل سمكها إلى 40 قدماً وهكذا دواليك. وحتى في المنافذ الجرانيتية بالقرب من غبة شعب فأن هذه الآثار تبدو جيداً من الأعلى".[61، ص9].

أشار براون كذلك إلى أن عدد السكان في زمن تواجده استمر في الانخفاض. " لم تصب الأوبئة عبد الكوري فقط. هنا توجد أيضاً قرى مقفرة، هكذا اندثرت تحت كدح لأن جميع الأسر فيها لقيت حتفها. ولقد عثرت على كهوف كانت في الأزمنة القديمة قابلة للسكن ومن الواضح أنها لم تستخدم لسنوات طويلة. ليس فقط لكونها خاوية فحسب، بل ولأنه لا يوجد في أرضيتها أية آثار صغيرة للرماد، وقد نمت في المدخل وعلى الأرض نباتات طفيلية وأعشاب كثيفة. ولم أشاهد تقريباً جدراناً مرصوفة، يمكن أن تكون مغطاة بالأعشاب. ولا اعرف كم يتطلب ذلك من الوقت كي ينمو مثل هذا الغطاء، ولكن بالنظر إلى الأحجار المتساقطة فأن ذلك يتطلب أعواماً ليست كثيرة. والبناء الذي تم وضعه في أعوام حكم السلطان الراحل، لم يشيد بالكامل. ويمكن الافتراض أن أعداداً معينه من الأسر الباقية ليس كبيراً إلى درجة أنها لم تكن بحاجة إلى المساكن الجديدة أو حتى المأهولة قديماً " [61 ص 9].

براون كان محقاً في واحدة: فعلى امتداد زمن طويل بقي في سقطرى ذلك المستوى لعدد السكان، الذي سمح له البقاء دون مضاعفة الحمل على الوسط المحيط. فالمواد الطبيعية المحدودة والطابع البدائي للاقتصاد، والغياب الكلي

تقريباً للعلاقات الاقتصادية الخارجية (على الأخص لدى سكان المناطق الداخلية، وتخلف الاقتصاد السقطري، كل هذا أدى إلى أن تلعب العوامل الاقتصادية دوراً محدداً في حياة السقطريين. وبعبارة أخرى، فأن عدد السكان إذا ما تصاعد أكثر من المستوى الموجود، فربما أدى إلى أزمة اقتصادية. وقد تطابقت أعداد الحيوانات الأليفة مع إمكانيات ضمانها بالأعلاف. وفي أزمنة الجفاف، وانعدام الأعلاف لإطعام الماشية تعرض السقطريون للمجاعة، ومات جزء من السكان، ومن جديد ينمو عددهم في الأوقات الملائمة ليصل إلى المستوى السابق أو إلى مستوى مقارب له. ولم يحدث أي انقراض، حسب تأكيد ج.براون، ومع ذلك فقد حدث بالطبع انخفاض بعض أنواع النشاط الاقتصادي للسقطريين.

وإذا حاولنا وصف مربيي الماشية السقطريين بشكل عام، فأنه ينبغي الإشارة إلى أن قسماً منهم ينتمي من حيث الشكل إلى مربيي الماشية في المنطقة الحارة، والذين يملكون في القطيع المعز والضان، أما القسم الآخر الذي يربي الأبقار فينتمي إلى مربيي الماشية في المناطق الجبلية والتلال السفحية. وغلبة حياة الحضر لديهم فرضته ليس فقط كون حصة الزراعة لديهم أكثر (زراعة النخيل هنا على العكس مرتبطة بموسم تحرك جزء من السكان)، وإنما خصوصية ظروف الوسط المعيشي قبل كل شيء. ويتنوع نموذج التحرك من الصفر إلى الحضري - المتغير (في الغالب النموذج الرأسي مع طرد الماشية إلى المراعي الصيفية) وحتى البدوي الحضري (في سنوات الجفاف). وكما إن الترحل صفة لجميع السكان، فأنها كذلك للرجال فقط، أي الانتقال الموسمي لجزء من السكان خلال حياة التحضر السنوي، ويدار الاقتصاد الرعوي بالأساليب التقليدية مع الحفاظ على التنظيم الاجتماعي العشائري.

يتم الاحتفاظ بالأبقار والأغنام في الأساس بدون قيود. "وبفضل انعدام الحيوانات المتوحشة فأن السقطريين لا يعطون اهتماما كبيراً لماشيتهم، باستثناء تلك الحالات التي تحدد فيها المراعي، وهناك في سقطرى منظر اعتيادي، هو أن قطيع المعز أو الضان يسير تحت قيادة الأقدم من المعز أو الضان. وهذا الاهتمام القليل في رعي الماشية يجعل من الوهلة الأولى أية فكرة لتحسين الصنف عن طريق اختيار أفضل الفحول غير واقعية. بيد أن سكان الجزيرة، لكي لا يسمحوا بسقوط صغار الماعز والضان في المياه في مواسم الأمطار،

يستخدمون سلاسل وقاية فعَّالة للفحول، حين يتعذر بناء جدران واقية. وعلى هذا النحو يكون بمقدور الفحل الذي تم اختياره لخدمة كامل القطيع، دون ضرورة غير مستحبة لسحب فحول أخرى من القطيع " [61 ص 13].

وبسبب الأساليب التقليدية لإدارة الاقتصاد فأن الرعاة السقطريين يعانون بشدة من الآثار المهلكة للمناخ، وبشكل خاص الجفاف المتكرر الحدوث. وقد ساد في بعض المناطق الرعي المفرط الذي انقرضت بسببه المراعي. كما قضى الاعتلاف الفظ على مئات الأعشاب.

وفي الماضي اضطر البدو في أعوام القحط الشديد إلى أن يقتاتوا في طعامهم النباتات البرية ولُب سعف النخيل.

يتصف اقتصاد مربيي الماشية السقطريين بالطابع البدائي. وحتى عام 1967 م، لم يكن له اتجاه بضائعي، واتجه كلية إلى تلبية متطلبات مربيي الماشية أنفسهم من المواد الغذائية والمواد الخام لصنع الأدوات الضرورية.

حينما حدد الخبير الإنجليزي متوسط إنتاج البقرة الواحدة في العام بـ 1365 كجم وجد أنه تبقى للمالك 682 كجم. ومن هذا الحليب ذي النوعية الجيدة كان يمكن تحضير 34 كجم من السمن تقريباً. وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأسعار السائدة حينها، فأن المالك، حتى عند الحصول على 25 كجم، بإمكانه أن يكسب 9 دنانير مقابل السمن، وإذا أضفنا إلى ذلك إمكانية الكسب الإضافي مقابل بيع العجل الصغير فأن الربح يصبح 10 دنانير في العام [61 ص 15].

في الوقت الراهن ازدادت عدة مرات أسعار السمن، الذي يعد كما كان في الماضي الصنف الرئيسي للإنتاج البضائعي، وهكذا فأن بإمكان مربيي الماشية أن يحصلوا مقابل كمية مماثلة ليس فقط 9 دنانير وإنما على الأقل 25 ديناراً. أما الربح الكامل فحوالي 30 ديناراً. ومع ذلك فقد ازدادت مطالب الناس، وأصبحت الأسر أكثر من حيث عدد أفرادها، ولم يزد تعداد رؤوس الماشية الداخله في ملكية الأسرة الواحدة، بل الأرجح حدوث العكس من ذلك. كما ارتفعت أسعار البضائع التي يحتاج إليها الآن السقطريون. وهكذا فالفستان النسائي التقليدي يكلف كحد أدنى 5 و 17 ديناراً.

واتَّسع كثيراً استخدام جلود المعز والضان، التي تصنع منها القرب والدلاء للآبار (في الأعوام الأخيرة أخذت تحل محلها علب من الصفيح والبلاستيك).
وفي عام 1966 م بلغ سعر الجلد الواحد من 2 - 5 و 2 شلنا. [61 ص 16].
وعرضت في السوق في عام 1966 م لحوم قليلة ولم يعُرض الحليب بالكامل. وفي الوقت الراهن فأن الأوضاع لم تتغير، إذا ما أخذنا الارتفاع الكبير في أسعار الماشية، وهو ما يعُلل بزيادة الإقبال على اللحوم ارتباطاً بظهور أعداد كبيرة من الموظفين في سقطرى ممن ينحدرون من داخل اليمن، وتباع الماشية أكثر في أعوام الجفاف حينما يكون جزء منها عرضة للموت. ومع ذلك لم نر ماعزاً تم بيعه بأقل من 5 و 7 دينار.

وفي الواقع فأن السمن كان وما زال هو المنتوج النقدي الوحيد لاقتصاد مربي الماشية في سقطرى.

وكان لجلود الأبقار بعض القيمة النقدية بسعر 4,5شلن للجلد الواحد. ورغم أنها كانت صغيرة، إلاّ أنها كانت قد خلعت بإتقان، ودبغت جيداً، وكما أشار الخبير الإنجليزي فلو أنها عرضت في أسواق أخرى لكانت قيمتها أكثر بكثير [61 ص 15]. وفي الوقت الراهن لم تتغير الظروف بيد أن سعر الجلد الواحد أرتفع بمقدار 8- 10 مرات.

تستخدم جلود الأبقار أحياناً كمفرش، ولكن جلود الأبقار تدبغ بشكل رئيسي، ومنها يصنعون على وجه الخصوص وسائل خاصة لتسلق أشجار النخيل.

تعتبر الألحفة التي تحاك من صوف الماعز والضان أحد أنواع المنتوجات النقدية، وتسمى بالعربية (شملة) وبالسقطرية (حَظهْل). وقد قلت مساحة إنتاجها في الوقت الراهن، لأن بيعها في السوق لم يعد مربحاً: فأسعارها التي تحدد وفقاً للطلب بقيت دون تغيير خلال الأعوام الأخيرة، فيما ارتفعت تكاليف العمل كثيراً. ويساوي اللحاف في الوقت الراهن من 1,5 دينار إلى7,5 دينار (مقابل أحسن نوع من الألحفة السميكة ذات الخيوط البيضاء والملونة). ويستغرق تصنيع اللحاف الواحد ما لا يقل عن ثمانية أيام. وفي الحقيقة فقد ارتفعت الأسعار مقارنة بالعام 1966م، حيث بلغت آنذاك 0,45- 0,9دينار.

كان الاقتصاد الاعتيادي للأسرة الجبلية في حجهر في زمن زيارة براون للجزيرة يتمثل بحيازة الأسرة تقريباً لمساحة 5و32 هكتار من الأراضي، يشغل

المرعى أكثر من 22 هكتاراً، وكانت فيه لدى رب الأسرة عشر بقرات وثور واحد، خمس من البقرات كانت لديها عجول، وكانت كل بقرة تجلب للمالك عشرة دنانير في العام، أي أن أجمالي الدخل منها جميعاً يساوي 50 ديناراً. وبعبارة أخرى فان كل هكتار من المرعى كان يعطي تقريبا 2,3دينار (المالك ذاته لا يعرف هذا، ولا يعرف كم تعطي الأبقار من الحليب). وكان في مثل هذه الأسرة، في العادة، ستة أشخاص، وإذا أنفقوا مقابل طعامهم إنتاج بقرتين في مدة تسعة أشهر، كما يرى الخبير الإنجليزي، فأنهم يكونون قد وفروا 30 دينارا. وفي بقية الأشهر الثلاثة كانوا يحتاجون باليوم الواحد إلى 1,8كجم من الحبوب، وأنفقوا مقابل ذلك 18 ديناراً، وعلى هذا النحويكون الفائض 12 ديناراً فقط. ويخلص براون إلى القول:" تضيف الدورة المغلقة تقريباً إما لحاف أو قطعة قماش للثياب، والقليل من السكر والشاي، وتنقضي الدورة. والفائض، الذي يمكن أن تشتري به حلية فضية، غير الكبير خلال العام، يُستهلك في العام السيئ. وهكذا فأن البدوي في حجهر، الذي يشتغل بتربية الماشية يمكنه بالكاد أن يلبي الحاجات الضرورية ".

أما في الوقت الراهن، ومع احتساب ارتفاع أسعار المنتوجات الحيوانية، فيستطيع الاقتصاد المماثل أن يعطي في العام 150 دينارا، ولكن الأسرة المتوسطة أضحت أكثر عدداً: فهي تتألف ليس من ستة أشخاص وإنما ثمانية أو تسعة أشخاص. وارتفعت، كما سبق القول، أسعار المواد الغذائية الأخرى (رغم أنها حافظت في الأعوام الأخيرة على مستوى واحد بفضل دعم الدولة لها)، وأصبحت احتياجات البدو متنوعة أيضاً، ولذلك فأن الفائض تبتلعه الطلبات كما في السابق.

بيد أن تلك الأسر في حجهر تمتلك المعز أيضاً، وكذا القليل من الضان التي بدأ الناس بتربيتها هنا في الأعوام الأخيرة فقط، لأن براون سبق أن أشار إلى أن الضان لا وجود لها في حجهر. يبلغ متوسط كمية الحليب المستدر في اليوم من المعز حوالي 1,2 كجم، يذهب نصف هذه الكمية لإرضاع الجدي والباقي تستهلكه الأسرة. وحسب ملاحظة براون فأن مالك القطيع المؤلف من 80 رأس من المعز، والذي كان نصفها حلوبا، يمكنه أن يضع في حسبانه الحصول على حوالي 40 كجم من السمن في العام، بسعر 6,5 شلن للكيلوجرام الواحد. أي أنه كان بمقدوره كسب 13 ديناراً. مع أن الجديان

الذكور كانت تذبح آنذاك، كما هو الحال الآن، ويؤكل لحمها، وعند الضرورة كانت الأسرة تبيع كمية 10 منها بسعر 6 شلن للجدي الواحد، أي أنها تحصل أيضاً على 3 دنانير. وإذا أضفنا إلى ذلك إمكانية بيع ستة رؤوس كبيرة بسعر دينار ونصف للواحد أي 9 دينار، فأن الدخل العام من المعز كان يبلغ كحد أدنى 25 ديناراً. وعلى هذا النحو ووفقاً لتقديرات براون، فأن الشاة عند تعداد القطيع المشار إليه تجلب في المتوسط 6,25 شلناً في العام، وكلما كان القطيع أقل عدداً، كلما كان الدخل أقل من الرأس الواحدة.

وعلى هذا النحو، فأن الدخل العام للأسرة ذات الاقتصاد الكبيرة، ممن كانت تملك عشر بقرات وثمانين شاة بلغ 75 ديناراً. وبعد خصم الأنفاق على الضروريات في العام الاعتيادي(غير أعوام الجفاف) يكون المتبقي حوالي 35 دينارا كدخل صافي. "ومثل هذه الأسر لا يمكن أن تكون عرضة للمجاعة - كتب براون- إلا في حالة إصابة المواشي بمرض وبائي" [61 ص 16].

لنجرب احتساب دخل الأسرة مع الأخذ بعين الاعتبار الأسعار الحالية للأغنام. فمقابل 40 كجم من السمن يحصل المالك على 40 ديناراً (نأخذ هذا الرقم، رغم أن القطيع الأكثر نموذجية في حجهر يتألف من 100 رأس وليس 80 رأس). ومقابل بيع 10 رؤوس من الجديان الصغيرة 50 ديناراً، ومقابل بيع 6 رؤوس كبيرة منها 60 ديناراً، أي أن الإجمالي يبلغ 150 ديناراً. وهكذا فأن دخل الأسرة المعاصرة في حجهر يبلغ 300 ديناراً. لكن بعد خصم الأنفاق الضروري (مع مستويات الأسعار الحالية والطلبات) فأن الأسرة يمكن إن تحصل على دخل صافي بحدود 50 إلى 100 ديناراً، وهذا يجعل الاقتصاد راسخاً جداً، لكنه لا يعطي أساساً للاستنتاج حول تغيير اتجاهه أو كمية الأرباح.

كنا قد قمنا هنا بدراسة الاقتصاد الأكثر ثباتاً وإرباحاً. وتقع معظم الأسر في أوضاع سيئة جداً، وبعض البدو بالكاد يلبي اقتصادهم الحاجات الضرورية من المواد الغذائية، وهذا على الخصوص ما يدفعهم إلى البحث عن مصادر بديلة للرزق.

من المستبعد تحقيق إمكانية زيادة أعداد الماشية في ظل قاعدة الرعي الموجودة، وبشكل عام فأن تعداد المواشي، كما يظهر، لم يتغير منذ زمن براون. والمشاركة غير الكافية للإنسان في الرعي- في كل إرجاء الجزيرة تقريباً – تجعل من

غير الممكن وضع حساب مضبوط لأعداد الماشية، ولم يكن بمقدور براون ولا بمقدورنا الجلوس لعدة أيام عند أحد موارد المياه لاحتساب الماشية التي تأتي. والحساب الميداني ليس أفضل من التخمين: ففي سفوح جبال حجهر يمكن أن ترعى 500 من الشياه في الوقت الذي لا ترى فيه ولا واحدة. وقد حدد براون تعداد رؤوس الماشية في سقطرى على النحو التالي (ملاحظاتنا بين قوسين):

- الأبقار 1800 رأس، تقع جميعها، باستثناء 150 رأس، في حجهر (في الوقت الراهن وكما هو واضح فأن إعدادها خارج حجهر أكثر).
- الجمال 350 رأس ويقوم بتربيتها البدو فقط في الشرق والجنوب الشرقي. (من الواضح أن هذه الحيوانات أكثر في الوقت الراهن: حيث نصادفها في سفوح الوادي الساحلي الشمالي وفي المنطقة الوسطى).
- الضان 26 إلف رأس، تتركز في ممرات الضان المرتفعة، وبشكل عام فأن أعدادها فائضة عن الحدود، لكنها لا بد أن تقل من كل بد (كما يظهر أنها أصبحت أقل).
- الشياه 19 الف رأس، الفائض عن الحاجة فقط في الأراضي المحدودة لأسوأ قسم في الجزيرة - في السهول، في الأودية الكبيرة، حول حوض خور قارة وبيركفان وفي محيط حديبو. أما في الغرب وخصوصاً في حجهر فأن المراعي الاحتياطية للمعز لا يتم استخدامها. (في الوقت الراهن فأن المعز، دون شك أكثر من الضان).
- الحمير 500 رأس، توجد أساساً في محيط المدن كمطايا للحمل والركوب، كما أنها تضمن للملاك بعض المداخيل من النقود، من خلال تأجيرها كوسائل نقل. ويحتفظ بها فقط البدو في القسمين الشرقي والجنوبي في الجزيرة، الذين يميلون أكثر من غيرهم إلى التنقل ويملكون ما يمكن نقله. والمنفعة الاقتصادية منها ليست كبيرة (ولكن في الوقت الراهن تغيرت الأوضاع وهو ما تدل عليه أسعار الحمير التي تضاعفت عدة مرات).

اعتبر براون أن تعداد الأبقار في المراعي الطبيعية لا يمكن أن يزيد. وفي الجزيرة بشكل عام فأن أعداد الأبقار ليس كبيراً، ومقابل الرأس الواحدة يكون هناك تقريباً 8 هكتار (ولكن في مراعي الضان ففي المتوسط 2,4 هكتار). وفي

الشرق أقل من 1,6 هكتار. والحيوان ذو المردود الاقتصادي الذي يمكن أن تزداد أعداده في سقطرى هو الشاه.

لم يجد براون توضيحاً لماذا لم تتضاعف ببساطة أعداد الشياه مع انعدام الأعداء المتمثلين بالحيوانات المفترسة أو الناس مع الإمكانيات المماثلة للعيش كما كان هذا من المحتمل حدوثه. أم أنها تستطيع التكاثر بدون إشراف الإنسان، وهو ما يؤكده وجود أعداد كبيرة من المعز غير البري الذي يشكل أحياناً قطعاناً غير قليلة حيث المراعي هناك غير مشغولة بالحيوانات الأليفة.

كتب براون، أنه لم تكن في الجزيرة أي من الأوبئة التي أدت إلى جائحة كبيرة للمواشي. بيد أنه لم يكن محقاً: فقد سمعنا عن مثل تلك الأوبئة، وعلى وجه الخصوص ذكر السقطريون واحداً من الأمراض التي تعدي الأغنام (الجرب). كما أشار إلى أن سرقة الأغنام غير معروفة هنا، ولكنه أخطأ في هذا أيضاً: فعنها تذكر النصوص الفلكلورية التي دوناها. وينبغي القول أن السرقة مستنكرة بشدة، وهي تظهر في مواسم الجفاف فقط. وأشار براون إلى أنه "يبدو أن راعي القطيع يسعى لتحديد العدد الأدنى من القطيع، الذي يستطيع أن يقوم بحلابته، ولهذا يذبح المواليد. وهذا يخالف قواعد الرعاة الآخرين، وعلى وجه الأخص في العلاقة مع المواليد الإناث ".

براون اعتبر أن تربية المعز كانت له آفاق في الجزيرة. وكأنما يجري الحديث عن "تحسين" الصنف وكذا عن زيادة عدد الرؤوس. وقد كان أول من وضع السؤال عن إدخال الفرو هنا. وحسب رأيه فأن البدو بإدخال فرو الضان أصبح بمقدورهم أن ينهضوا: فالفرو لا يمكنها أن تتلف كما أنها تصدر بسهولة. وقد كتب:"إذا كان المزارعون في جنوب أفريقيا يربحون من أعداد فرو الضان في ظروف صحراء كالهاري، فلماذا يمنع القيام بذلك في سقطرى، ألا تعيش الضان في كالهاري على ما تقتاته من المراعي" [61 ص 26]. وعلى الأرجح فأن الفرو في الوقت الراهن يمكن أن يشكل بالنسبة للسقطريين مصدراً للعملة الصعبة، والاهتمام به سيعطي اقتصاد مربيي الماشية التقليدي اتجاهاً نقدياً.

في الوقت الحاضر تشهد سقطرى تغييرات كبيرة، يمكن أن تؤثر على مصير تربية الماشية، وعلى نمط حياة قبائل مربيي الماشية. فمن أجل تطوير الجزيرة

تستثمر أموال طائلة. وقد شقت الكثير من الطرق وأصبح عدد السيارات أكثر، ويجري تزويد السكان بانتظام بالمواد الغذائية، وقبل كل شيء الدقيق، الرز، السكر، الشاي، الملح وغيرها من المواد الضرورية. ويتم تشييد البيوت باستخدام الأسمنت. وشيدت في حديبو أول محطة كهربائية صغيرة. وفي المستقبل ستدخل قيد العمل وحدة تبريد الأسماك. وتحفر الآبار الجديدة، وتزود المناطق التي لا توجد فيها مياه للشرب بوسائل نقل المياه، وتوضع مضخات أكثر على الآبار الموجودة، ويتم تغطية الآبار (رغم أن أغلبيتها ما تزال مفتوحة وتمثل غالباً مصدراً للوباء).

يغادر الكثير من السقطريين للعمل في دول الخليج العربي أو في عدن أو في حضرموت. وبالنسبة للآخرين تمثل الوظائف الحكومية المصدر الرئيسي لهم. ونتيجة لتحسن ظروف حياة السقطريين وإنشاء منظومات الخدمات الصحية فقد انخفضت نسبة الوفيات عدة مرات، وأصبح عدد الأطفال في الأسرة أكثر. وتحافظ أسر مربيي الماشية على الاقتصاد الموحد، دون تجزئة الملكية، وهكذا ففي الأسرة الأبوية، على سبيل المثال، يبقى أحد الأبناء في البيت يواصل عمل الأب، فيما يذهب الآخر إلى الوظيفة الحكومية أو للدراسة أو إلى المهجر. وبهذا يتم الحفاظ على العلاقات الاقتصادية فيما بينهم ويساعدون بعضهم بعضاً، وهكذا فأن راتب احدهم ينقسم عملياً على الجميع، وكذا أيضاً السمن واللحوم والتمور التي ينتجها الآخرون.

وتضع قيادة البلاد تدابير لتطوير صيد الأسماك في الجزيرة التي تمتلك آفاقاً كبيرة. ومع ذلك فلم تتخذ أي برامج محددة بصدد تربية الماشية. كما تتوسع زراعة الخضروات (في أطار البساتين الصغيرة في البيوت)، والنخيل، ويخطط لضمان المياه للبدو، بفضل الاستخدام العقلاني لكل مصادر المياه.

الى جانب ذلك فأن خطط التطور الاقتصادي في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية إلى اليوم لم تضمن قواعد مأمونة لاستخراج الموارد الطبيعية الموجودة. والنشاط الحيوي والتدخل من طرف واحد لأضعاف بيئة الجزيرة يمكن أن يؤدي خلال بضعة أعوام إلى تدمير الموارد البيولوجية. ويمكن أن يحدث ذلك أسرع أثناء صيد الأسماك، ورعي المواشي، واقتطاع الأشجار

والشجيرات. ويمكن أن يؤدي العاملان الأخيران بدورهما إلى تفتت التربة في المنحدرات المرتفعة.

ومع أخذ هذا بعين الاعتبار، ومن أجل الحفاظ على المنظر الطبيعي الأكثر قيمة لسقطرى كمجمع طبيعي فريد وكمصدر لتجديد وإغناء الموارد البيولوجية للمساحات المتاخمة طرحت بعثتنا فكرة تطبيق نظام قانوني في الجزء الشرقي للجزيرة، على مساحة تشمل 15- 20 ٪ من أجمالي أراضيه. وبالطبع فأن هذا الأجراء لن يحل كل القضايا الإيكولوجية والاقتصادية المعقدة.

الفصل السادس

الثقافة المادية

الفصل السادس

الثقافة المادية

تربية الماشية:

يتجه اقتصاد مربي الماشية، كما أشرنا في الفصل السابق، نحو تلبية متطلبات المنتجين أنفسهم من المواد الغذائية والمواد الأولية الضرورية. ويتصف الاقتصاد في معظم الأحوال بالطابع المتكامل، من خلال الاستخدام المتعدد الأغراض للحيوانات الأليفة (الألبان، اللحوم، الصوف، العظام، الجلود) بالتمازج مع زراعة النخيل وأحياناً زراعة الخضروات وحتى صيد الأسماك (النموذج المختلط للاقتصاد).

عن الأهمية الكبيرة التي تحتلها تربية الحيوانات بالنسبة للسقطريين تشهد المنظومة الواسعة المتبعة لأسماء الماشية المنزلية. فإلى جانب الأسماء العامة (ماعز،شاه، بقرة) هناك تسميات تطلق على الماشية ارتباطاً بالعلامات الثلاث التالية: اللون، الجنس، وأية علامات خلقية مميزة. كما توجد أسماء لا معنى لها في اللغة المعاصرة وهي بمثابة أسماء خاصة. ونظراً لكثرة الأسماء فأن مالك القطيع يعطي عادة لكل حيوان اسمه الخاص حتى إذا كان عدد القطيع أكثر من مائة رأس.

معظم أعداد الأسماء التي قمنا بتدوينها تستخدم للقطيع. وفيما يلي بعض من مجموعة الأسماء الأكثر انتشاراً وفقاً للون:

حجوها – أسود (للماشية الكبيرة).

لبْهَنْ – أبيض (للماشية الكبيرة).

رَقْشِشْ – أرقش (للماشية الكبيرة).

حاهِرْ – أسود.

عَافِرْ – أحمر، أمغر.

ديْركَكْ – أرقش، أرقط.

حَلْحِلْ – بني مع الأبيض.

جدْهِرْ – أشقر – بني.

حَبْدِدْ - أرقط أسود مع الأبيض.
شَظْرهِرْ - قرميدي، أمغر (ولغير الحيوانات الصغيرة، أخضر).
حَبْشِشْ - كذلك أيضاً.
قَرْقِهِرْ - أمغر أو أرقط (رمادي مع أبيض).
صَعْبَبْ - كريمي، بني فاتح (بيج)، ضارب إلى الصفرة (بالنسبة للشخص الأسمر).
دِجبْهِرْ – حيوان بأي لون مع بقع بيضاء.
عَبدْهِرْ – بني مرّقط.

وكمثال للأسماء التي تطلق ارتباطاً بجنس الحيوان، يمكن استخدام الكلمات التالية:

صَميْعِهْ – نعجة ذات أذنين قصيرتين ملويتين.
صِمَاح أو صَوْمَعْ - خروف بأذنين قصيرتين.
فِيْدِدْ – أجم، بدون قرون.

وترتبط بخصوصية العلامات التكوينية ما يسُمى (مَكْبِزْ) [انظر بالتفصيل: 27 ص 14- 15].

وتوجد مجموعة أسماء للخرفان والماعز حسب أعمارها.

وقد لاحظنا أربعة أسماء متشابهة:

عَيْفِفْ - في سن شهر واحد.
سَارِدْ – في سن من شهر إلى شهرين وثلاثة.
إظْيَعْ – في سن من أربعة أشهر إلى عام واحد.
تِصَعَهْ – في سن عام واحد.

ويمكن القول أيضاً بالنسبة للعجول:

شَاطِرْ – في سن عام.
فُولْهِيْ – أكبر من عام.

وتوجد أسماء كهذه :

مَلْعَزْ – ولد الحيوان، الصغير والضعيف.
لاَئِبْ – ولد الحيوان الذي يسمح له برضاعة الأم في أي وقت.



(الصورة 27): أدوات تسلق النخيل، وفدامة للجدي.

إن وجود أسماء كثيرة للحيوانات الأليفة يرتبط قبل كل شي بحاجة الملاك للتمييز بينها. ولهذا الغرض توسم الحيوانات بعلامات خاصة، وهي توضع بالنسبة للأغنام في الأذنين. وتتكون عادة من ثلاثة أشكال: حيث يقطعون قطعة صغيرة من كلتا الأذنين من حافتيهما أو يعملون وسماً في أحد الأذنين (سَطْلَهْ) وغالباً يعملون ثلاثة حروز في كل من الأذنين، يسمى كل منها (شَاحِنْ)، أما تلك الحروز الصغيرة التي تعمل على أذن واحدة فقط فتسمى (رِيْيَاكْ).

وتوسم الجمال والحمير بعلامات. وفي الماضي كانوا يوسمون الأبقار، كما قال لنا السكان المحليون (في القرى الساحلية، أنظر صورة رقم 26 في الفصل الخامس). ومع ذلك فلا وجود الآن لوسم الأبقار. وقد تحدث ت.بنت عن الوسم وافترض انه يشابه علامات الكتابة العربية الجنوبية القديمة، رغم أن التقارب بعيد جدا.

وكما أسلفنا الإشارة في الفصل السابق، فأن السقطريين يتركون الأغنام طليقة دون قيود، وعند الضرورة يضعونها في الزريبة فقط، وتدل المصطلحات التالية على العمليات الإجرائية الفريدة الخاصة بالماشية:

رِشْ – تجميع الحيوانات معا.

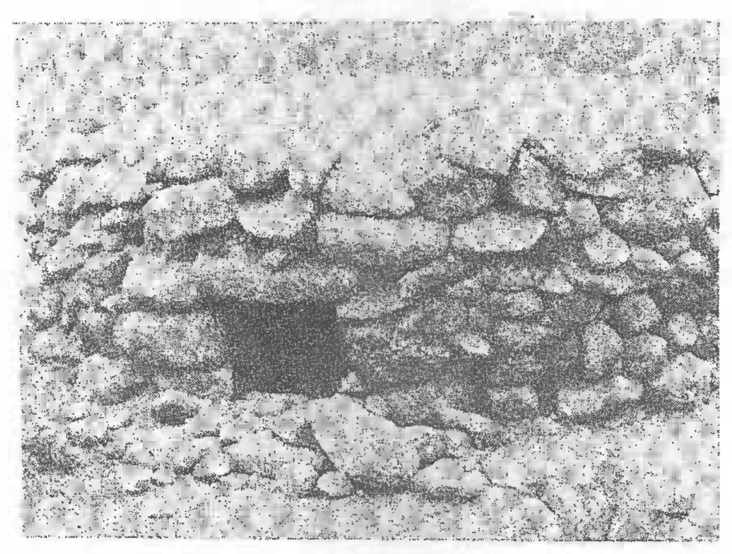
أَرْضِ – فصل صغار الماشية عن الكبار.

اوْرْ – أخذ الماشية إلى الزريبة.

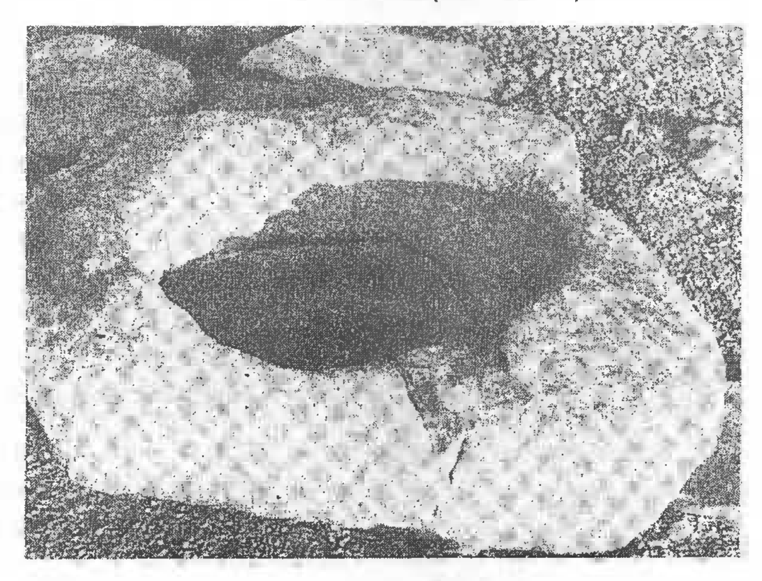
إن المهمة الرئيسية للراعي هي حلابة الحيوانات في الوقت المحدد. وهذا أمر هام بشكل خاص في ظروف الجزيرة، حيث يمكن أن تتعرض الأثداء الممتلئة للجرح على الحجارة المسننة الحادة أو الأشواك فتموت. وينظم الجبليون إعادة إنتاج النسل وتنشئة وإرضاع صغار الأغنام باستخدام مختلف صنوف الوسائل البدائية. لكن ذات الفعالية. أحدها عبارة عن قطعة من جلد بقري (الصورة رقم 27) توثق في الجزء التحتي من بطن التيوس لمنع سفادها للأناث، وهذه الأداة تسمى (قَرْصَهْ). وخصصت الأداة الأخرى لمنع صغار الماشية من رضاعة الأم في الأوقات غير المطلوبة، وفي الوقت نفسه لحفظ الحليب وهي فدامة عبارة عن عود من شجرة (مِتْرِرْ) يوضع في فم الماشية الصغيرة على شكل لجام. ويوثق هذا العود (شِكافْ) بخيطين من الصوف (تِرْهِرْ) إلى خلفية الراس.

عندما تضع الماشية مولودها تتجه عناية الراعي لإنقاذه من الهلاك: إذ أن صغار الماشية يمكن أن تضل الطريق أو تصاب بأذى، وقد تسقط من الأعلى على الصخور فتصبح غنيمة للضواري. ولا وجود للوحوش الضاره في الجزيرة. ومع ذلك هناك قطط منزلية متوحشة تهجم على صغار الأغنام، وكذلك الغربان التي تستطيع من الوهلة الأولى أن تنقر عيونها ومن ثم تقتلها.

وللحفاظ على صغار الماشية تشيد خصيصاً لها ملاجئ من الحجارة (جُوْرْ)، حيث يأخذونها إليها في الأوقات المحددة (الصورة رقم 28). كما يشيدون ملاجئ مماثلة للنعاج والشياه التي تتهيأ للولادة. ويعملون من الحجارة كذلك مسقاة للأغنام تسمى (مَاكِيْثُوْ) (الصورة رقم 29). وتسمى الحظائر التي تأوي إليها الحيوانات (دِ – مِجْهِرْ).



(الصورة 28):ملجأ للماشية.



(الصورة 29):مسقاة للماشية.

وفي العادة يذبحون الذكور من الأغنام ويأكلون لحومها ويتم استبقاء الحد الأدنى من الفحول. ويعطي الرعاة اهتماماً خاصاً لتربية أفضل وأقوى الإناث لكي تكبر وتسمن وتدر لبناً كثيراً، وعند الضرورة اللحوم أيضاً. ولهذا يتم وضع المواليد الإناث منذ البدء، ليس تحت الأم وإنما تحت نعجة أو شاه أخرى كانت قد ولدت ذكراً في نفس الوقت حيث يتم ذبحه على الفور وتعترف الأم بالمولود الغريب كابنها، ويقوم برضاعة الاثنتين. وهذه العملية تسمى (حَيُّهْ) أي الرضاعة من اثنتين من الأمهات. ومع الأبقار فان لدى الرعاة مهام أكثر.

نورد حكاية أحد الجبليين من حجهر وهي تصور جيداً حياة الرعاة:

" أتذكر جيداً ذلك العام، عندما تجولنا من مكان إلى آخر. كان الوقت كما هو الآن (دُوْتِيْ – أي الربيع) وقد أمطرت السماء. وفي الشتاء أمطرت في ذلك العام، وكانت الأبقار حينها ممتلئة. وكانت هناك بقرتان ممتلئتان: السوداء والشقراء. كان الوقت ربيعاً، ثم حل محله الموسم الحار وجاء الجفاف. وأخذنا نجمع للأبقار أوراق الأشجار ونزعنا ألياف النخيل وقدمناه لها. وهكذا كان علينا أن نبحث عن الأوراق طوال الوقت. وانتظرنا بفارغ الصبر انتهاء القيظ. وبدأ الموسم البارد (صِيْرِبْ). وضعت كل من البقرتين عجلة: واحدة رقشاء، سوداء مع بقع بيضاء، والأخرى بنية شقراء. من وضعت الرقشاء ؟ البقرة السوداء، أما البنية فوضعتها البقرة الشقراء. وجدنا البقرتين هنا في (مسَيْهِرْ)، وتحركت مع العم جمعان لحلابتهما، وتركنا البقرتين ترعيان بحرية حتى الصباح، أما العجلتان فبقيتا هنا حيث قمنا بالحلابة. وهكذا كان الحال- العجلان يلعبان، والبقرتان ترعيان. و في ذات يوم عادت إحدى البقرتين وقت الحلابة ظهراً فيما لم تأت الأخرى. اعتقدنا أن عين سؤ قد أصابت تلك البقرة. لم نكن نذهب للبحث عنهما في منتصف النهار في مكان بعيد وكنا ننتظرهما. أما الآن فلا بد من البحث عن البقرة هناك، وكان ينبغي علينا أن نبحث في الكهوف حيث يمكنها الاختفاء. لكي نقوم بحلابتها. ومن بين أبقارنا لم يحصل قط أن أعطت بقرة ثلاثة (صَيْقْ) من اللبن، ولهذا تذكرت ذلك العام".

في الحقيقة أن اللبن (شِحَافْ). يعتبر أهم مادة غذائية للسقطريين. يتم سكب الحليب الذي يجمع من عدة حلبات في قربة كبيرة (جِزْهِرْ و مُشْحَلِيبْ). ومن مكان حلابة الأبقار (مَحْلَبَةْ) وموقع حلابة الأغنام (مُشْحَرُوفْ) يحضر

أفراد الأسرة الذين يقومون بحلابة البهائم قرباً صغيرة يصبون فيها الحليب من القدور التي كانوا قد حلبوا إليها. وفي حالة أن يكون الحليب مخصصا للطعام فأنهم يقومون بغليه. ويسمي الجبليون الحليب المغلي (مِشْجِمْ)، أما سكان المناطق الساحلية فيسمونه لبنا.

يظل الحليب غير المغلي من الحلابة المسائية طوال الليل وحتى الصباح فيغدو شبه حامض ويشربونه في الفطور الصباحي، ويسمى هذا الغذاء (مَعْتِلِهِمْ).

الحليب المخصص لتحضير السمن والدهون وغيرها من مشتقات الألبان، يسكب في القربة التي يخضون فيها السمن (قَشْعِرْ)، ويضعون في هذا الحليب قليلاً من الخميرة التي يتم إعدادها من خثارة اللبن المخضوض (حِلُبْ). وللحصول على الخميرة يتم إبقاء خثارة اللبن المخضوض لمدة يوم كامل، فتغدو حامضة جداً وتسمى (مِكْبِرْ). ويتم تخمير اللبن في البيت بتغطيته بلحاف صوفي (بطانية) لعدة ساعات: أي من الصباح إلى الظهر، هذا بالنسبة لذلك الذي تم الحصول عليه من بعض حلبات الأمس، ومن منتصف النهار إلى المساء بالنسبة لما تم الحصول عليه من حلبات مساء الأمس وصباح اليوم. ولمعرفة ما إذا كان اللبن جاهزاً للخض يضعون فتحة ضيقة في القربة (حَنْجِهَرْ) ويدسون إصبعين داخلها. فإذا وجدت عليه طبقة من القشدة الرائبة (لِيْبَاكُو) فهذا يعني أنه يمكن أن يُخض.

تنفتح القربة من خلال فتحة صغيرة كي يدخلها الهواء، وبدونه لا يمكن الحصول على السمن. بعد ذلك تعلق في حبل (مَا أمِيْمُو) على غصن شجرة ثم يبدأون بخضها. وتستمر عملية الخض من ساعتين إلى ثلاث ساعات. ولمعرفة ما إذا كانت العملية قد استكملت يفكون الفتحة وينظرون إلى الداخل: إذا كانت ندف كثيرة تسبح في السائل، كما يقول السقطريون، فهذا يعني أن الزبدة جاهزة، وإذا انعدمت الندف أو كان عددها قليلا فأن هذه العملية ستتواصل.

عندما تصبح الزبدة جاهزة (يسميها الجبليون حَمْئَيْ وسكان المناطق الساحلية نِقَاظِهْ) يأتون بالقدور (إقْدوهِرْ) ويسكبون فيها خثرة اللبن، ثم يحلون الحبل من القربة ويمسكون بإصبعين في الطرف الضيق للقربة

ويضغطون قليلاً حتى لا تنسكب الخثرة مع أولى قطع الزبدة. عند ذلك يتبقى في الزبدة الحد الأدنى من الشوائب.

يتم الانتقال بعد ذلك إلى العملية الهامة. حيث يفكون الطرف الواسع للقربة (حَهْ). وتعني حرفياً (الفم) ثم يبدأون بكبس الزبدة بالأيدي في آنية خاصة تشبه الكأس تسمى (مَنْقِيْطُهْ) وفي هذه الآنية تحمى الزبدة أحياناً لفترة قليلة ثم تبرد من جديد. عقب ذلك يجمعونها بالأيدي من عدة قدور صغيرة إلى القدر الكبير (قوْمَهْ أو مَعْشِرْ). وهذا الوعاء عريض من الأسفل وضيق الفم، لكنه يسمح بدخول اليد من خلاله. وعند الانتهاء من جمع الزبدة يتبقى القليل من الحليب الخالي من السمن في قاع (مَنْقِيْطُهْ). وكل واحدة من هذه الإجراءات تمثل بحد ذاتها إحدى الحلقات في سلسلة العمل لتنظيف الزبدة من الشوائب. وتبقى الزبدة المجمعة في آنية كبيرة لعدة أيام - إلى أسبوع، وعندما تتكون كمية كافية من الزبدة يبدأون في تحضير الدهن.

في الوقت الراهن يجرشون الذرة والقمح والشعير والرز. وتجمع الغلال المجروشة في الآنية المخصصة لتحضير الدهن سوية مع الزبدة، وتوضع على نار خفيفة ويضعون في الموقد حطب القشاش بالتدريج. ولا بد أن يغلى السائل مرتين أو ثلاث ثم تخفف النار وتبقى الآنية لمدة نصف على النار ثم تبعد عنها وتترك على الأرض لكي يبرد السائل.

الدهن الذي تم الحصول عليه يسكب في آنية أخرى، وهي إما أن تكون فخارية (كِيْبهَنْ) أو علبة صفيح (مَرْطَبَانْ) أو وعاء للحفظ. أما ما يتبقى بعد سكب السمن فهو عبارة عن خثارة غليظة تقدم لتناولها (على المأدبة) وهي لذيذة جداً. ولا يجوز أن يحفظ هذا الطعام طويلاً ولذلك فأنهم يأكلونه مباشرة. حيث يتناولونه بأنفسهم ويقدمونه للضيوف، أما السمن فأنه يمكن أن يبقى لفترة طويلة غير محددة.

في اليمن يُعد السمن السقطري غذاءًا رائعاً، بحكم مذاقه اللذيذ ولكونه يظل فترة طويلة دون أن يفسد، حتى وان ترك تحت أشعة الشمس المحرقة. وسر بقاء هذه السمن دون أن تعرضه للتلف يكمن في دقة تصفيته وتنظيفه المرتبطة بعدد من العوامل والإتباع الصارم للتنقية التقليدية في تحضيره.

يميز الجبليون بين صنفين من السمن (حَمْئَيْ)، أحدهما شبيه بالسمن العربي المعروف لنا. ويتم الحصول عليه بواسطة الغلي العادي للزبدة، ويتم

تحضيره عندما لا يكون السمن مخصصاً للحفظ لفترة طويلة أو عندما تكون الزبدة قليلة، وعند تصفيته تذهب بعض أجزائه كمخلفات، وهو أيضاً يحتوي على شوائب الخض ويسمى لدى الجبليين (مِرْجِهَا)، والصنف الآخر يسمى (حَمْئيْ أو حِمْشِيْ) وهو سمن صافٍ بالكامل.

إن السمن هو ثروة العائلة السقطرية، وهو يعد وسيلة للتبادل أو المقايضة، ويمكن أن تُسدد به الديون، كما يقدم كمساهمة في الأفراح العامة، ولا بد أن يدخل في قوام المواد الغذائية التي تعدها أسرة العريس للزفاف. وعندما ينفد السمن لدى أي سقطري فأنه يتجه إلى جاره أو أقربائه أو أفراد العشيرة للحصول على هذه المادة ذات السعرات الحرارية العالية والتي لا تعوض عند اقتراضها بغيرها. وعندما يضعون السمن في الرز المطبوخ فأنه يحل بالنسبة لهم محل اللحم. وأفضل أنواع السمن هو البقري، ويأتي بعده سمن الضان ثم يجيء سمن الشياه في المرتبة الثالثة.



(الصورة30): قِربة، حصيرة، كوز، تجهيزات للبعير.

ولا يقل الحليب أهمية. فهو مادة استهلاك يومية، يشربونه في سقطرى في كل مكان وزمان ومنه يحضرون الجبُن. ومن أجل ذلك يغلون الحليب مدة طويلة، من ساعة إلى ساعتين، ويحركونه ريثما يتخثر وتتشكل في السائل بالتدريج قطع صلبه (حَنَيْكِهْ). ويغطونه بقطعة قماش حتى لا يدخل الغبار والحصى في الحليب، عند ما ينشرون طبقة الرماد على الأرض وتستخدم أيضا لتقليب الطبخة. ومنها يخرج السائل بالتدريج، ولغرض الإسراع بالعملية يتم عصر الخرقة بالطبخة. ويبقى الجبن (حَمْدِهِرْ) الذي يتم الحصول عليه من نصف شهر إلى شهر. ويتصلب الجبن، وقبل تقديمه على المائدة يقومون بتقطيعه إلى قطع صغيرة. وتسمى المادة التي تتكون بعد عصره (مَقْدَفْ) وهي تحفظ لمدة يوم أو يومين ولا تستخدم في الطعام، ولكن يمكن أن يتم إطعامها لصغار الأغنام، ولذلك تصب في وعاء، ومن ثم في قربة تكون واحدة من الفتحات فيها (صَيْحِلْ) في طرف فتحة الرِّجل من جلد الماشية (أنظر الصورة رقم30) وتوضع في فم البهيمة الصغيرة كمصاصة (مَلْهِيْ).

تستخدم جلود الأغنام الصغيرة والكبيرة في أغراض متعددة. ولذلك يتم خلع جلود البهائم بطرق مختلفة، ولتحديد هذه الإجراءات توجد مصطلحات سقطرية خاصة:

دِيْحِشْ - خلع جلد الأغنام من الماعز والضان كخلع الجوارب من الرجل دون أحداث جروح في الجلد لكي تصنع منه القرب.

حِزْهِلْ - خلع الجلد عن البقرة، ويقطع طوليا عند البطن كي يغدو الجلد مستويا ويسهل بسطه.

يتم بسط الجلد البقري على الأرض ويسمَّر بأوتاد، ثم ينثرون فوقه التراب أو روث البهائم ويتركونه تحت الشمس ليجف لمدة من يومين إلى سبعة أيام. ويوجد في اللغة السقطرية فعل (شَوْدَحْ) وهو يعني بسط الجلد البقري ليجف تحت الشمس. ومن الجلد يعملون أداة لتسلق النخيل تسمى (حَبْهُولْ – انظر الصورة رقم 27). وتتم حياكة الجزء الواسع من الجلد البقري الطري بعد فصله وتصفيته مسبقا من الشعر بواسطة الرماد، أما الجزء الضيق فيبرمونه كحبل ويمد إلى وتدين إلى أن يجف.

ويغض النظر عن التمايز في المصطلحات المخصصة للوسائل المختلفة لخلع جلودها، فأن كل أنواع الجلود تسمى بكلمة واحدة (قِشْعِرْ). وخلافاً للجلود البقرية فأن جلود الأغنام تستخدم بصورة رئيسية لصناعة القرب.

وتوجد عدة أنواع من القرب:

مُزْلِيْقْ – قربة للماء لدى الجبليين.

جِزْهِرْ – قربة للحليب.

عَانِيْ – قربة مخصصة لحفظ وادخار التمور المنتقاة للشتاء.

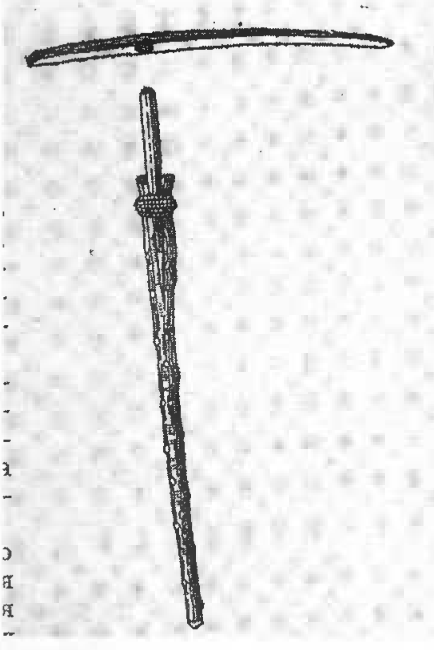
قَشْعِرْ – قربة كبيرة (من بهيمة كبيرة).

مُشْحَلَيْبْ – قربة كبيرة للحليب.

ولصنع القربة يستأصلون الشعر من جلد البهيمة المخلوع حيث يضعون فيه رماداً مع الماء ويتركونه ليومٍ كامل، ويسهل بعد ذلك تنظيف الشعر، ويدبغ الجلد باستخدام لحاء الأشجار المختلفة (اتئب، لَقْهِمْ، إمعِيْرُو أو تِكْ).

القربة التي تخصص لمشتقات الألبان يدبغونها ليوم واحد، أما لمخصصة للتمور أو الماء فمن ثلاثة إلى أربعة أيام. وتنفخ القربة وتجفف وتبلل وتصبح بعد ذلك جاهزة للاستخدام.

في الوقت الحاضر حلّت السّطُول المصنوعة من البلاستيك والصفيح محل القربة التي كانت تستخدم دلواً لمتح الماء، ولهذا السبب أخذ إنتاجها في الهبوط، ومن النادر أن تصادف الآن مثل تلك القربة الرقيقة الشفافة، أما الأنواع الأخرى من القرب فلا بديل لها في الاستخدام لدى السقطريين.



(الرسم31): طريقة ايقاد النار.

ويمارس السقطريون كذلك تربية النحل للحصول على العسل. وعندما يقومون بجمع العسل من التجاويف التي تعيش فيها النحل يطردونها بواسطة الدخان، ويخصص العسل للبيع وأسعاره مرتفعة جداً.

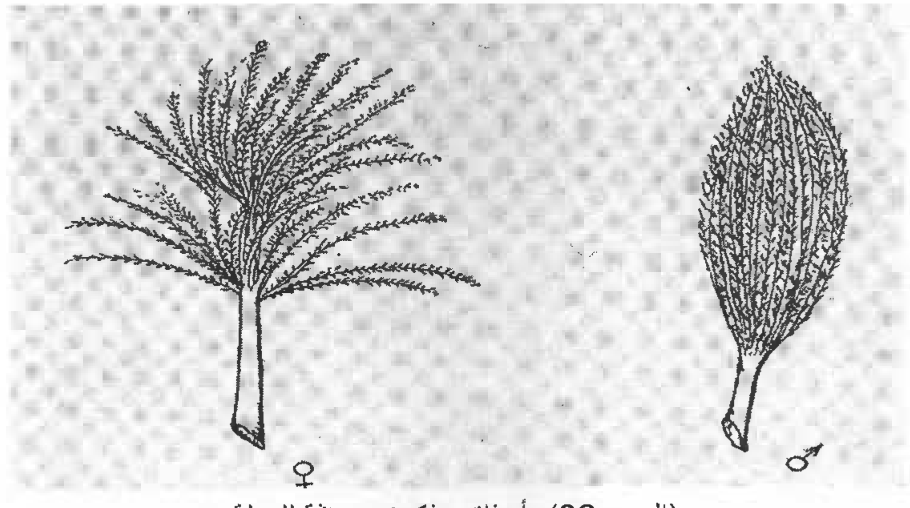
في مناطق سقطرى الجبلية ما زالت باقية حتى الوقت الراهن الطريقة البدائية للحصول على النار بواسطة احتكاك اثنتين من العصي. وهذه الطريقة تغيث الرعاة في الطقس الممطر حينما تكون أعواد الثقاب ندية، وتسمى هذه الطريقة (إِشْحَرْ) وتُؤخذ العصا الفوقية التي تُفك باليد من شجرة مِتْرَرْ، وتتميز بصلابتها وفي طرفها المغلق توضع بعض قطع النباتات اللينة التي يتم تحريكها في فتحة العصا السفلى، ويجب الإشارة إلى أن القطعة المركبة والعصا التحتية ينبغي أن يكونا من صنف واحد من الأشجار (الصورة رقم 31)، ولهذا الغرض يستخدم لب الأنواع التالية من الأشجار : إِنْثِبْ، إِقْشِيْ، عُبَبْ، كَرُوللَوهْ.

ومن المعروف ان لدى الكثير من الشعوب طرق متداولة لاستخراج النار، شبيهة أو مقاربة لما سبق وصفه هنا. كما تتلائم الأدوات مع المصطلحات الجنسية، على سبيل المثال الفحل asvatth والأنثى Sami للإشارة إلى العصا الفوقية والتحتية اللتان تولدان النار (انظر: 84)، ومثل هذا التصور يوجد لدى السقطريين: فهم يسمون العصا الفوقية بالذكر (عَجْ) والتحتية بالمرأة (عَاجَهْ).

- زراعة النخيل والتبغ والخضروات والفاكهة -

تقترن تربية الماشية لدى السقطريين تقريباً بزراعة النخيل وتعتبر زراعة النخيل من أهم أنواع النشاط الاقتصادي لسكان الجزيرة. وتنمو النخيل أساساً في الأودية وبالقرب من الينابيع وبدرجة أقل في السهول حيث يضطرون إلى سقيها غالباً. ويتم الإكثار من النخيل أساساً من خلال غرس جذور العساليج، ومن النادر استخدام البذور. وشتلة النخيل التي لا أوراق لها بعد تغرس في حفرة أعدت خصيصاً لها وتسقى لمدة ثلاثة أيام وبكثرة صباحاً ومساءً، ثم يخفف هذا الأجراء وتحصل الغرسة على الماء مرة كل يومين، أما إذا لم تنمو الغرسة خلال نصف شهر فأنهم يحرمونها من الماء لمدة أسبوع. وهذا الإجراء

كقاعدة عامة يكون مفيداً وبعد ذلك يستأنف سقيها. ومن المهم أن ينمو الساق الرئيسي للغرسة والذي بدونه لا يمكن لها الحياة. وهذا الساق الطويل أدق من السيقان العادية: إذ تتمدد الأوراق بالنسبة له تحت أكثر الزوايا حدة، ولذلك تبدو عادة مشابهة بعض الشيء للجزء العلوي من السنبلة. ويتمدد الساق الأوسط إلى الأعلى وتنمو حوله من الجوانب الأغصان العادية. وعلى قد ارتفاع الشجرة يتشكل الساق. وتنمو إلى جانب الشجرة الأم عسالج تستخدم بمثابة شتلات.



(الرسم 32): أعذاق مذكرة ومؤنثة للنخلة.

تبدأ أشجار النخيل وفقاً لنوعيتها بإعطاء الثمار من السنة الرابعة إلى السادسة من عمرها. وعندما يبدأ موسم تفتح الأزهار، يقومون بالتلقيح الصناعي أو بالتلقيح الإضافي. وتوجد عادة أشجار نخيل مذكرة ومؤنثة، وفي المزرعة المتوسطة المؤلفة مثلاً من 100 نخلة توجد بينها على الأكثر من شجرة إلى شجرتين من النخيل المذكر. يقطعون الغصن مع العذق من الشجرة المذكرة وتستأصل الأوراق حول جنينة الزهور ويخرجون من ذلك العذق مع الطلع (لقاح النبات). وإذا كان العذق كبيراً يقومون بتجزئته إلى

أجزاء ثم يذرُّون جنينة الزهور على الشجرة المؤنثة مع الطلع (الصورة رقم 32).

يعتبر التلقيح الصناعي، على الأرجح، أكثر الإجراءات التي تتطلب جهداً كبيرا للعناية بالنخيل. وفي النتيجة يتكون غصن مع عنقود تمور. ويتشعب الغصن في الطرف إلى أغصان رفيعة متموجة حيث تنمو التمور. ويهدف تنقية النخلة من التمور الرديئة، التي يعتقدون أنها تمتص الغذاء وتفسد التمور الأخرى الجيده، يقومون بهز الشجرة فتتساقط التمور الصغيرة،



(الصورة 33): أدوات لفلاحة النخيل.

كما تستأصل العناقيد الزائدة. ويبقون في كل شجرة من اثنين إلى ثلاثة عناقيد فقط، وهكذا تكون التمور أفضل. أما إذا كانت العناقيد كثيرة جداً فأن التمور لا تحصل على تغذية كافية وتكون نوعيتها رديئة. أيضاً يتم خلال شهر تغطية العناقيد بأكياس للحفاظ على الثمار من التساقط ومن أضرار الحشرات ونقر الطيور ونفخ الرياح.

في النهاية، يحين موسم نضوج الثمار، بعد خمسة أشهر تقريباً من وقت التلقيح، وحسب نوعية النخيل وظروف الطقس والمناخ. والسقي في هذه المرحلة يزيد المحصول أكثر. ثم يبدأ موسم جني التمور. وتقطع الأغصان بالعناقيد من الأساس وتجمع في أكياس ثم تنقل إلى البيت حيث يبدأون إجراءات حفظها.

يستعمل أصحاب النخيل في العمل وسيلتين: الأولى تسمى (مُشْرِجْ) وهي مخصصة للعزق والقلع ومساواة الأرض (الصورة رقم 33)، والثانية هي الفأس ويستخدم لقطع سيقان الأشجار والأغصان.

في سقطرى يمكن جمع محصولين من النخيل حسب صنفها. فالشجرة التي تثمر في الشتاء (قَيْطِهِيْ) تُلقح في سبتمبر- أكتوبر. أما التي تثمر في الصيف (خريف) فتلقح في يناير- فبراير. والغالب هو النوع الصيفي من النخيل.

يقبض العامل الأجير 3 دنانير مقابل جمع ثمار أربع إلى خمس نخلات. وتعطي النخلة الواحدة ثماراً بما قيمتها في المتوسط 10 دنانير. وقيمة القربة المملوءة بالتمور تساوي من 7,5 - 15 ديناراً.

تختلف أنواع النخيل بنوعية الثمار وكميتها. فالأنواع الأكثر إنتاجية تعطي ما يصل إلى 50 كجم من الشجرة الواحدة.

بعد جني الثمار يتم قطع الأغصان الجافة بهدف تهيئة الشجرة للموسم القادم. ويقومون بتنقية التمور المجمعة من العجم حيث تقطع كل تمرة إلى نصفين ويفرشونها للتجفيف في مساحة خاصة، محاطة بجدار غير مرتفع من الحجارة وضعت عليه أغصان مشوكة حتى لا تدخل الحيوانات إلى تلك المساحة. أما عجم التمور التي تبقى بعد تنقية الثمار فيتم سحقها وتقدم كعلف للأغنام.

تجفف الثمار تحت الشمس لمدة أسبوعين تقريباً. بعد ذلك تُدَاس بالأرجل حتى تتكون كتل كبيرة يتم تعبئتها في القرب. وتُحفظ كتل التمور في القرب الموثقة بأحكام لمدة طويلة إلى حد ما، بحكم خصوصية الثمار المسكرة في إبادة الجراثيم.

وعندما يحين موعد استخدامها للأكل فأنهم يقطعون القربة من العرض، ويفضل السقطريون التمور المحفوظة على الثمار الطرية. والطعام الحلو المفضل لدى السقطريين هي كتلة التمر المخلوطة بالماء (مُرِيْسِ أو ماسي)

وهذا العصير الحلو ذو اللون البني يقدم غذاءًا للأطفال الرضع مباشرة من الأسابيع الأولى لولاداتهم.

تعطي مفردات اللغة الخاصة بزراعة النخيل تصوراً واضحاً عن العمليات الإنتاجية المرتبطة بإنتاج التمور:

(1) جلبه وجمعها جلب- حفرة مجوفة لغرس النخيل.
(2) تِمْرِهْ والجمع تِمْهِرْ - نخلة.
(3) حاجب، الجمع حجُوب- عسلوج.
(4) مِشْنا، سِرْمِهْ – غرسة،شتلة.
(5) دِيْم - غرس.
(6) شَوْشَا – سقي.
(7) دلْعَيْن - الغصن الرئيسي الأعلى.
(8) مِجْرِدْ، الجمع مِجْرُوُد - غصن مع الأوراق.
(9) حِصِهْ- ورقة.
(10) شكَاعُو، والجمع شَكَاعْ - الساق الرئيسي.
(11) كِرْبَهْ، الجمع كِيْرَبْ - العسلوج الذي ينمو بجانب الشجرة الأم.
(12) جَوْدِعْ - ساق الشجرة.
(13) عِشْقِهْ، الجمع عِيْشيُق - غصن مع برعم الزهور.
(14) فُوتِرْ – الفرع.
(15) شَمْرِحْ وجمعها شمَارِح- عنقود التمر.
(16) حَلْهُل وجمعها حَلْهيْتِنْ – التمور.
(17) أَلِيهْ وجمعها إِلَبْ - شوكة.
(18) أَلَبْ - وخز الشوك.
(19) نِيْبِتْ 19- التلقيح.
(20) إقِرِهْ وجمعها إقَارِهِنْ - عضو التأنيث في الشجرة.
(21) رَاقِحْ إقِرِهْ - التولد عند عضو التأنيث.
(22) نِيْبُوتْ - العذق أو الشمروخ.
(23) رِيْمِدْ – الطلع، لقاح النبات.
(24) جِدِ لْهَنْ - زهرة صغيرة.
(25) البُوْعَهْ - التفتح عند عضو التأنيث.

(26) دِسْطَايُو – البرعم، تفاح النبات.
(27) أفْكِك، صَوْعَنْ – سحق عضو التأنيث في الشجرة.
(28) أجِهْ، نِيْفِجْ – هز الأغصان.
(29) أَعْتَدْ – جمع الأغصان مع عناقيد التمور.
(30) تَرْشُوْ – الربط إلى الساق.
(31) عُوْفْنِنْ – تغطية العناقيد بالكيس.
(32) إقْصَصْ – قطع الغصن.
(33) قَاصِيْ – جمع المحصول (قطع الأغصان).
(34) إجَحْ – تسلق أو صعود النخلة.
(35) حِيْلِهْ – تمر أخضر غير ناضج.
(36) جِدْيبْ – لب الشجرة الأبيض.
(37) نُوسَهْ – ليف النخيل.
(38) حِتْمِيْ – حبل من ألياف النخيل.
(39) سَفيف – شريط أو قطعة مجدولة من السعف.
(40) سُوفِيْ – مقبض من السعف.
(41) قَمْبِبْ – النخلة الملساء المستقيمة.
(42) مَسْطَحْ – ساحة تجفيف التمور.
(43) بُوْكَرْ – التجفيف (للتمور).
(44) حَوْسَمْ – خلع التمور عن الأغصان.
(45) تِيْبُل – جمع التمور.
(46) رَوُكَتْ – دوس التمور.
(47) كُوْنَزْ – جمع التمور في القرية.
(48) عِفَشْ – سحق العجمات (النوى).
(49) فَيْرْ – حطب، قشاش جاف.
(50) عِضَضْ وجمعها عِضَاضْ – نواة أو عجمة الثمرة.

وتوجد في اللغة السقطرية عدة كلمات للإشارة إلى مختلف أنواع النخيل والتمور. فمثلاً (حَوْكَمْ) تسمية لواحد من أفضل الأنواع المرتبطة بشكل التمرة، و (مَطَا قَانُو) وهي من كلمة حلو (مَطَقْ) و (دَحَهْضُلْ) وتعني حرفياً

النسيج. كنسيج اللحاف مثلاً، وهي إشارة إلى النسيج الليفي للثمار. وها هي بعض كلمات دوناها في الجزيرة من تسميات النخيل :

سَرَفَانَهْ، بَنِيْسِئْهِنْ، جَلْعَانَه، فِرِينِتْ وكل واسكت وهي عربية،

تُسمى التمور التي جُمعت للادخار (مُشَرْقِحْ). وترتبط باسم النخلة كلمة (سمِبَهْ) أي التمر الرطب. وفي هذا المعنى تستخدم كلمة (مُصَعّبْ)، وتُسمى كما أشار ليسالو (مَعَابِيْرهِيتِنْ) في صيغة الجمع، وتوجد في مؤلف ميولر أسماء أخرى [الاقتباس من 71 ص 296]:

بِيْشِرْ — ثمرة ناضجة جداً.

جِيْلِهْ — ثمرة فجة، غير ناضجة.

بَائِي — ثمرة فجة، غير ناضجة.

حَلُولَهْ — ثمرة فجة، غير ناضجة.

شَوْقْ — صنف من التمر، أخضر اللون ينضج متأخراً.

شَعْرْرِهِنْ — ثمار النخلة البرية.

في بعض قرى الجزيرة يهتمون أيضاً بزراعة التبغ والخضروات. وقد جاء التبغ إلى هنا من حضرموت، ويزرع بكميات قليلة للاستهلاك المحلي. ويدخن السقطريون نادراً، ويستخدمون للتدخين أنبوباً صغيراً يصنع من الفخار (شَعْرهِرْ)، وأحياناً تدخل هذه الأنبوبة الفخارية في طرف أنبوبة خشبية والتي من خلالها يمتص المدخن الدخان حتى لا يحرق الفم. والتبغ إنتاج بضائعي صرف، ويزرع خصيصاً للبيع، لكنه لا يدّر دخلاً كبيراً.

وفي قرية كَدْحَهْ، حيث يعيش السادة آل ابي بكر تحظى الزراعة بعناية: فعند كل بيت جنينة. وكثيرون يزرعون التبغ. يروي محدثنا علي سالم محمد كيف تتم زراعة التبغ، الذي يسمى (تمباك) يقول:" نقوم في البداية بأعداد البذور (ذري) ثم نحفر حفرة (مطيرة) ونضع فيها البذور. وتنبت البذور فتظهر البراعم النباتية. وبعد شهر من البذار ننقل النباتات إلى مواقع جديدة ونغرسها في تجويفات. وهنا نقوم بزيادة السقي (شَوْشَا) لكل واحدة من النباتات لمدة ثلاثة أيام. بعد ذلك نسقيها مرة كل يومين ويتواصل ذلك لمدة ثلاثة أشهر. وخلال شهر نأتي بالسماد ونسمد بالزبل (عَدِيْنِهْ)، وكلما كان السماد أفضل كلما كانت الأوراق ريانة، وبعد ثلاثة اشهر نبدأ السقي بصورة أقل: في

البدء مرة كل ثلاثة أيام، ثم مرة كل أسبوع. وعندما تمتلئ الأوراق بالعصارة (شَنْطَاع) نقوم بجني المحصول (نصَارِبْ): يتم قطع الأوراق ثم تجفف (قَوْشَع)، ويباع التبغ في السوق على أشكال حزم".

ترتبط زراعة الخضروات في أحواش البيوت وبصورة استثنائية في قطع صغيرة لتلبية الاستهلاك الخاص، ومن النادر أن نشاهد في حديبو رجلاً يبيع بصلاً أو طماطاً.

وفي مكان واحد في الجزء الشرقي من نوجد، حيث تكثر المياه العذبة، تتم زراعة البطيخ وبيعه. ه

الحياكة والنسيج

للنخلة استخدامات متعددة: لا يقتصر استخدامها على جمع التمور. ففي الواقع يمارس السقطريون الحياكة في كل مكان. فهم يأخذون من النخلة الساق الرئيسي ويجزأونه طوليا إلى جزئين بواسطة سكينة أو مسمار وتترك لتجف. ثم تستخدم هاتان القطعتان المستطيلتان كمادة خام للحياكة. يقومون في البدء بنزع الألياف المستطيلة، التي يصل طولها ما بين 40 – 50بَاجْ، أي (على طول الغرفة)، وتسمى هذه الألياف في حديبو وكذا لدى الجبليين (سفيف)، أما في قاضب فتسمى (قَفْعَهْ). بعد ذلك تخاط منها الحصائر حسب الأشكال المطلوبة، منها المستطيلة والدائرية، وكذا السلال. وتستخدم في الخياطة أبرة مصنوعة من القرن (مَحِيْطْ). ومن أدوات الحياكة نذكر الأنواع الآتية :

حَاصِرْ – حصيرة مستطيلة، تفرش في الغرف أو في الفناء للجلوس عليها.

مِيْرَحْتْ – حصيرة دائرية يقدم عليها الطعام.

مُصْفِيْ – سلّة لحفظ وجلب المواد، وتوجد في حالات نادرة.

ومن ألياف النخيل تحاك الحبال (قَيْدْ)، أما السيقان والأغصان والسعف فتستخدم في البناء. (انظر لاحقاً). عدا ذلك يستفاد من النخلة في إعداد برذعة للجمل. وهذا النوع من الإنتاج الحرفي نادر إلى حد ما. ومن أهم الأدوات التي تستخدم في برذعة الجمل نورد الآتي (المقاسات أخذناها في قرية (دفعرهو):

نَعْفَهْ – فراش مخاط بخيوط صوفية غليظة (100×55 سم).

جونيه – فراش عبارة عن كيس تمت خياطته من القماش الصوفي، تتخلله من الداخل ألياف النخيل (120×95 سم).

مِقْطَفْ – فراش منسوج من ألياف النخيل (110×35 سم).

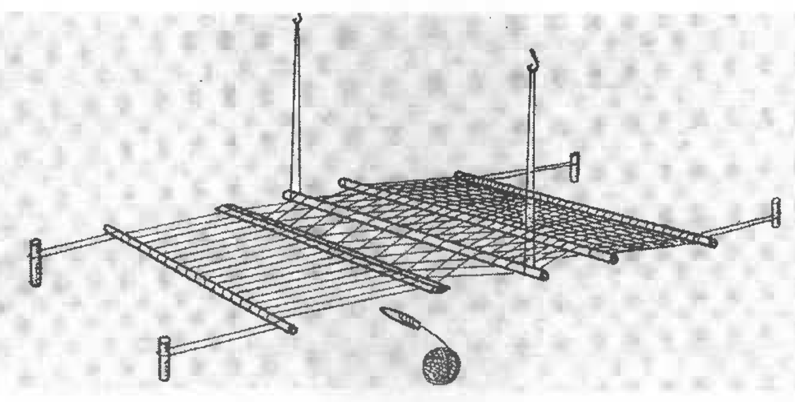
قِتِبْ – وصلة مصنوعة من الجلد والخشب حجمها في الأساس 30×30 سم، وتوثق إليها أشياء محددة الشكل .

مشدّهْ – حبل مع خرقة لشد الحمولة وتوضع الخرقة تحت الذيل حتى لا يسبب الحبل أذى للجمل.

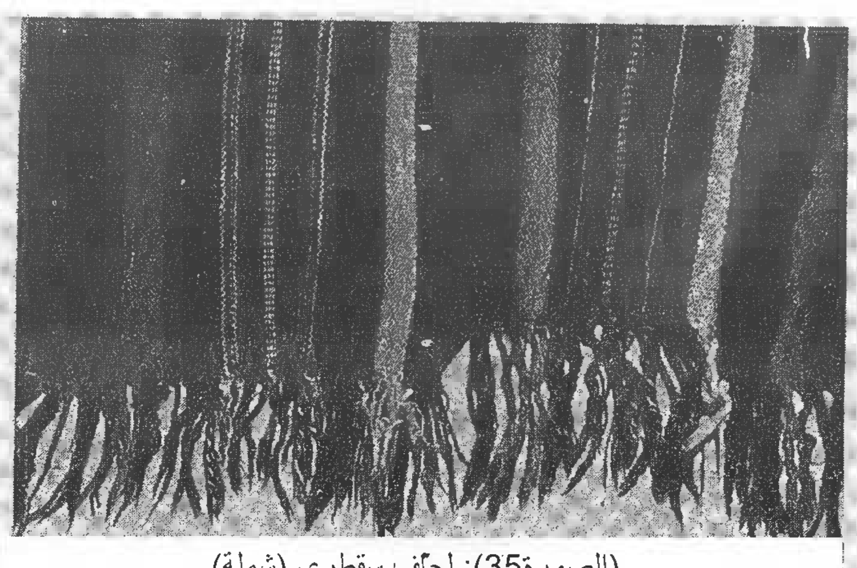
ومن أكثر الصناعات الحرفية المنتشرة في سقطرى، الحياكة والنسيج، وهي، على وجه الدقة، عمل النساء بمساعدة آلة نسيج بسيطة منزلية الصنع (الصورة رقم 34)، ومن أهم أنواع الإنتاج الألحفة الصوفية (البطانيات) التي تحظى بإقبال كبير عليها في اليمن. وتسمى بالسقطرية (حَظْهِلْ) وفي اليمن (شملة). وقد أشار الخبراء المستعمرين الإنجليز في الماضي إلى إمكانية تسويق الألحفة الصوفية في الأسواق الخارجية في حالة إدخال بعض التحسينات النوعية في تصنيعها، وكذلك اللؤلؤ.

في البدء يضفرون صوف الضان والمعز في ضفائر بواسطة آلة شبيهة بالبصلة تسمى

(مَفاتك)، ومن ثم يبرمون ويفتلون منها الخيوط. وينسجون قطع اللحاف على آلة عرضها في المتوسط 20 سم. وتنسج بعض القطع الطولية في وقت واحد. ويبلغ عرض اللحاف الجاهز في المتوسط 120 سم، وطوله 250 سم، ومع ذلك توجد ألحفة أكبر حجماً. تصبغ الخيوط على انفراد باللون الأبيض والأصفر والأخضر والبني والأحمر مؤلفة أشرطة طولية ملونة. وفي بعض الأحيان وبهدف تزيين وزركشة اللحاف تضاف إليه خيوط قطنية. وهناك عدة أنواع لرسوم النسيج، من الخيوط الدقيقة إلى الكثيفة. ويستخدم اللون الأسود في معظم الألحفة (الصورة رقم 35) ومع ذلك تنسج الألحفة البيضاء وهي أغلى بكثير، حيث يصل سعرها إلى 5 و 7 دينار،



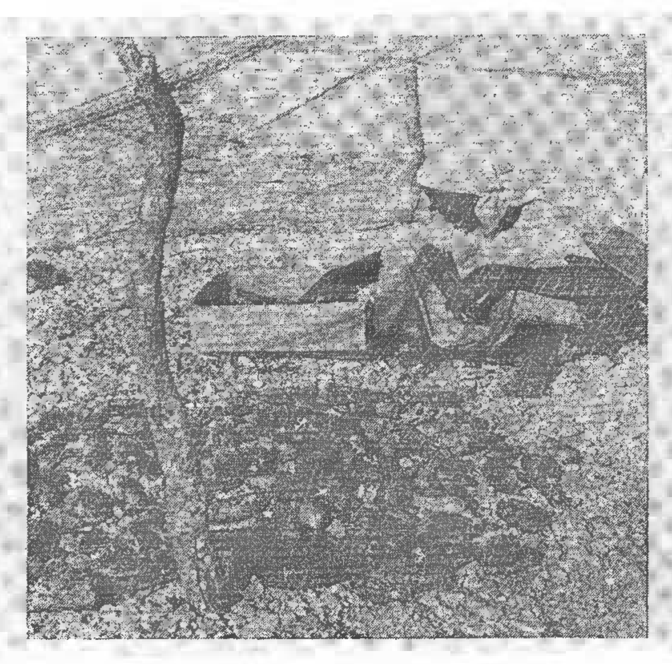
(الرسم 34): آلة الحياكة (مخطط)



(الصورة35): لحاف سقطري (شملة)

صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ

يتم اصطياد الأسماك في الأساس من (الهوري) وهو قارب غير كبير، يقاد بواسطة مجاديف قصيرة بريش دائرية. ويذهب على متنه صيادان إلى البحر، ويقومان بالاصطياد أما بواسطة الشبكة (لِيُوُخْ)، أو بعدة الصيد (شَكّهْ). وعادة يصطادون بالعدة سمك القرش، وهي تتألف من حبال (قيد) والعوامة (بُوْيَهْ) والكلاليب أو الخطاطيف (إَقْلِهَا والجمع إَقَالِهيْ). وخلال فترة الاصطياد بواسطة العدة يتوقف القارب، وحين يصعد سمك القرش على سطح الماء يصطادونه بالحربة (مسلّهْ)، وكطعم تُستخدم الأسماك الصغيرة التي يتم اصطيادها بالخطاطيف وبطعوم من الديدان (عُوْمَهْ) وفي الأماكن قليلة العمق على الشاطئ تصطاد الأسماك بواسطة المصيدة (قَرْقُرْ) التي تنسج من ألياف شجرة حِيْفهُو. كما تستخدم أيضاً شبكة صغيرة "مقذوفة".



(الصورة 36): اسقمري مقدد

تجفف لحوم سمك القرش (اللُخم) على النحو التالي:

تُقطع أجسام الأسماك طولاً، وتنتزع الأحشاء الداخلية وتُفصل الرؤوس، ومن ثم تملح الأسماك جيداً وتجمع وتترك لمدة يوم كامل في الظل، وتغسل بعد ذلك وتترك لتجف في الشمس تحت سقيفة من الشباك لحماية اللحوم من الطيور وغيرها من الضواري. وخلال أسبوعين يكون لحم سمك القرش المجفف جاهزاً للاستخدام.

وبالشباك يصطادون سمك الأسقمري (طَانِيكْ). ولتحضير سمك الأسقمري المقدّد (حَنِيْطْ) يدفنون برميلاً في الأرض، ويضعون حوله الحجارة والحطب والقشاش ويوقدون النار، ويبقى هكذا حتى يسخن البرميل كما يلزم. ثم يقطعون الأسماك وينتزعون أحشائها ويجمعون قطعها في البرميل، ويغطى البرميل بأكياس، ويُغمر بالرمل كاملاً، ويظل السمك في البرميل طيلة اليوم حتى يغدو مدخناً، وبعد ذلك يخرجونه ويحركونه في الشمس تحت الشبكة الواقية، كما هو الحال بالنسبة لأسماك القرش. (الصورة رقم 36).

وخلال ثلاثة إلى أربعة أيام يكون لحم الأسقمري جاهزاً للاستخدام، ولكي لا يجف كثيراً يوضع في الظل. وعلى خلاف لحم سمك القرش الصلب والمجفف فأن لحم الأسقمري المقدّد الطري لا يبقى محفوظاً لفترة طويلة، ومع ذلك فأنه لا يفسد خلال بضعة أشهر، ويبيعه السقطريون مثل لحوم سمك القرش في اليمن.

وعلى الأرجح فأن السقطريين يحضرون هذين الصنفين من المنتوجات السميكة منذ أزمنة قديمة. فقد ذكر ماركو بولو "أنه يكثر هنا السمك المملح الشهير" [19، ص 201].

عندما يقسمون الأسقمري، يقطعونه في البدء إلى نصفين، على طول سلسلة العمود الفقري، وكل قطعة منهما تسمى (أمْتْ) ويقسم النصف بدوره إلى قطعتين طوليتين كبيرتين تسمى كل منهما (شِيْرهْ). بعد ذلك تقطع كل قطعة بالعرض إلى جزئين (قَاطِبْ). وإذا كانت هناك ضرورة فأن هذا الجزء يقسم إلى شرائح: (نَعْسِهْ وجمعها أَنْعَسْ).



(الصورة 37): في سوق السمك.

نورد فيما يلي أسماء بعض الأسماك والحيوانات البحرية التي تتواجد غالباً في سقطرى:

صُوْدَهْ: سمك بشكل عام.

قَنْشَعَهْ: السلطان.

يدبُودْهِيْ: سمكة موسى، مفلحطة.

قِفْعَانَهْ:

صَتَيْعُهْ: شفتين.

دِزُوْنَجْ: سمكة القمر.

جرحُمْ: السمكة المطرقة.

حَارِبْ: سمك البودي.

شِراهْ: سمكة مشوكة.

كِثْرْ: نوع من سمك القرش.

فَزَحْهِنْ: ذئب، أو فرخ البحر.
تيبيب: نوع من ذئب أو فرخ البحر.
تِرْيَاجَهْ: سمك الحبار.
شَيْرَحْ: الشروخ.
حِمْسَهْ: سلحفاة البحر.
عَيْرهُوْ : قنديل البحر.
مَجْلِفْ: مرجانة.
عَطْرِهَا إخطبوط.
شِحَاطَهْ: حوت.

تعتبر كبد سمك القرش ألذ الطعام وتسمى النوعية الجيدة الصالحة للطهي التقليدي (صِيْفِهْ). وهي توضع في برميل وترش بالملح وتترك لمدة عشرة أيام، وبعد ذلك تغلى، ويمكن بعدها أن تحفظ لمدة طويلة. وهناك طريقة أخرى لتحضير الكبد: عند تنظيف بطن سمك القرش (قَادِلْ) تجمع قطع الكبد وتعلق على الهواء، ويمكن ان تظل معلقة لعدة أشهر وحتى السنة. أما الكبدة ذات النوعية الرديئة لبعض أنواع سمك القرش، فأنها لا تصلح لتحضيره بهذه الطريقة ولها أسم خاص (طَلْحِيْنْ).

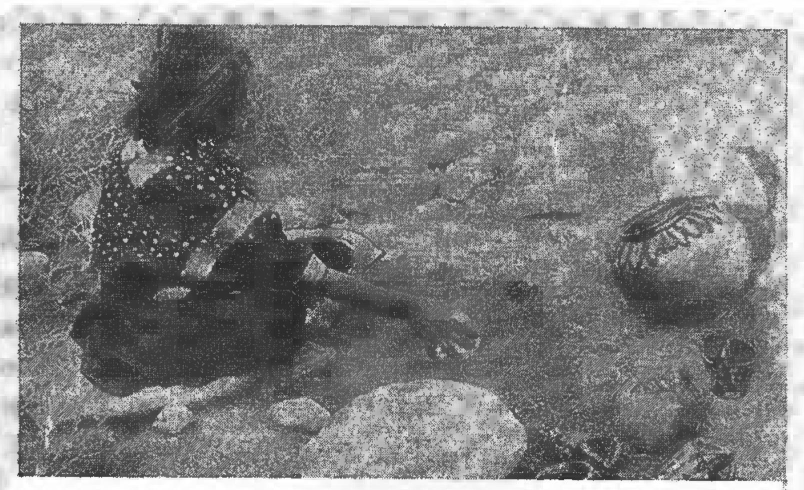
يقوم غواصو اللؤلؤ (غمَاش) في موسم الربيع والصيف بالإبحار على زوارق كبيرة (صنابيق) في البحر، ومنها يغوصون إلى أعماق كبيرة في الماء إلى حد ما. في البدء يشاهد الغواص قاع البحر من الأعلى، بواسطة علبة من الصفيح بها فتحة مغطاة بالزجاج يهبط بها في الماء، وما أن يشاهد الغواص اللؤلؤ حتى يضغط على أنفه بمشبك من قرن الغنم أو البقر (غشم) ويستنشق الكثير من الهواء بعد أن يكون قد أخذ حمولته لكي ينزل بسرعة إلى القاع ويغوص إلى الأسفل. وكقاعدة كان يعمل في استخراج اللؤلؤ أشخاص من أصل أفريقي كان يستأجرهم مالك الزوارق مقابل مبلغ ضئيل جداً، وكان يبيع اللؤلؤ بنفسه لتاجر الجملة الكبير من الخليج العربي ويحصل على الربح الأساسي.

- صناعة الفخار والحدادة -

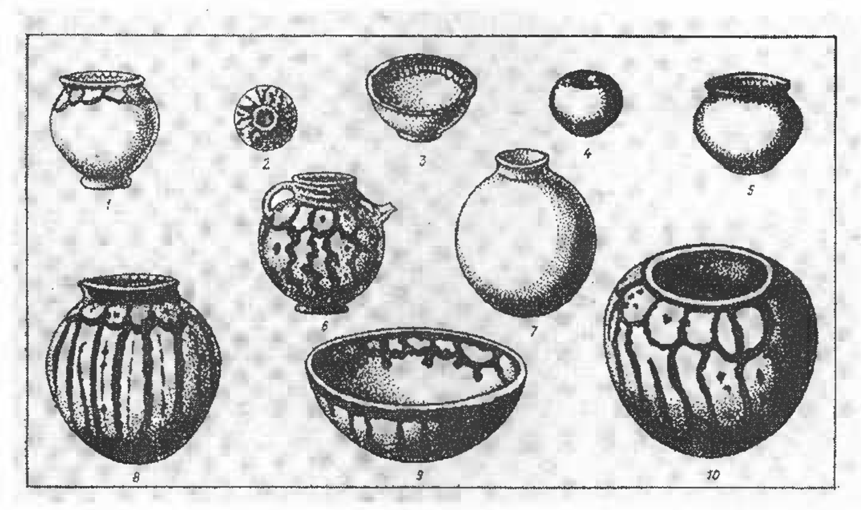
ليس هناك بديل في أدوات السقطريين للأواني الفخارية ذات الإنتاج المحلي. وما زالت باقية في الجزيرة حتى الآن الطريقة القديمة غير العادية في صناعتها، أي طريقة التشكيل، وليس بواسطة المحيط الفخاري. في نهاية القرن التاسع عشر قدم عالم الطبيعة هنري فوربس وصفاً دقيقاً للصناعة الفخارية في سقطرى أثناء زيارته للجزيرة ولأن هذا الوصف ما زال يحتفظ بقوته في غالبية المناطق حتى اليوم فأننا نسمح لأنفسنا أن نورده هنا.

" في حديبو وفي القرى ذات المناطق السهلية كان الفخار ينتج بكثرة، ولكن بأسلوب بدائي للغاية، على الرغم من الصلة الطويلة التي وجدت بين سقطرى والبلدان التي تصنع الأواني الفخارية الممتازة ذات الدرجة الأولى. وكانوا يصنعون الأواني بالأيدي، لأن المحيط الفخاري لم يمكن معروفاً لديهم. وكان صُنَّاع الفخار من النساء، ويتم الحصول على الصلصال من تجويفات في الصخور الجيرية حيث تتجمع هذه المادة ذات اللون الأحمر الزاهي عقب سقوط الأمطار، وكذلك عند قاعدة الصخور الرئيسية، وفي بعض جداول المياه حيث كانوا يجمعون الصلصال الرمادي الأصفر الأكثر ترابطاً وبكميات كبيرة. وكان يخلط النوعان معاً ويضاف اليهما مسحوق الجير المفروك بدقة. ومن هذه العجينة وحدها يتم تشكيل القدور والصحون من الصلصال بواسطة الأصابع وحجرة ملساء.

كانت الأواني الأكبر حجماً تُصنع في دائرة بدءاً من القاعدة وحتى بلوغ المقاس والشكل المطلوب، وكانوا يشحذون ويفركون من داخلها وخارجها بالأصابع والأكف والحصى المغموسة في الماء، ولغرض كشط الزوائد على وجه الوعاء يستخدم القرص الصغير المعقوف من غشاء جوز الهند المستورد إلى الجزيرة أو نصف محاره ذات مصراعين، ويستمر الكشط وصولاً إلى السماكة المطلوبة. وعندما تجف القدور في الشمس يتم إحراقها على لهب من نار الحطب. وتكتسب بفعل الإحراق الدقيق لونا أحمر ساطع مع بقع قاتمة اللون في تلك المواقع التي لم تتعرض لتأثير النار بصورة كافية، بحكم التصاق الرماد فيها. والكثير من القدور الصغيرة التي تستخدم غالبا لحفظ اللبن، ذات لون منجنيزي داكن، كأن الهواء في وقت الإحراق لم يصل إلى سطحها.

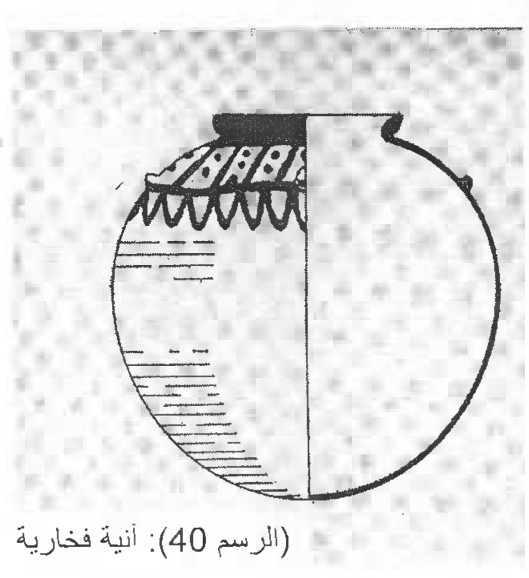


(الصورة 38): فرك الصلصال



(الرسم 39): أدوات فخارية

من الواضح أن فن طلاء الخزف لم يكن معروفاً، وأهملت الزخرفة. و في تلك الحالات التي وجدت فيها فأنها لم تكن محفورة أو مطبوعة، وإنما مرسومة ببساطة من الأعلى. ولا أستطيع أن أتذكر الرسوم. ويُستخدم صمغ دم الأخوين بمثابة صباغ من حيث الأساس، ولكن هل كانت تضاف إليه عناصر أخرى؟ وكيف وصلت إلى هنا؟ فأنا لا أملك إمكانية متابعة ذلك. ومن الجلي أن صناعة الأواني الفخارية لم تكن حكراً على أسرة محددة. ففي كل بيت كما عرفت كانوا يصنعون أوانيهم الخاصة. ولم أجد في النماذج التي قمت بدراستها أية علامة في أي مكان. وفي الحقيقة انه لم توجد أية قدور مخصصة للبيع " [68، ص 24-25].

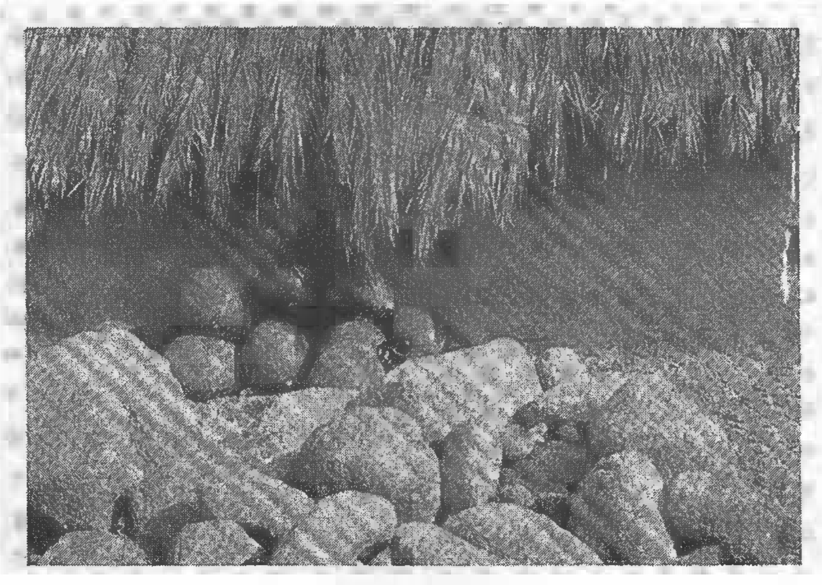


(الرسم 40): آنية فخارية

والى جانب هذا الوصف، واستناداً على ما شاهدنا في مختلف مناطق الجزيرة أثناء عمليات أنتاج الأواني الفخارية، فيمكن إضافة ما يلي :

في العادة تمارس النساء الصناعة الفخارية، ولكن ليس الحال كذلك البتَّة في كل القرى. وفي حالة واحدة في قرية (مَعْنَغُو) لم يخلط الصلصال الأحمر مع أي شيء آخر. أما في قرية (دفعرهو) فتضاف إلى الكتلة الفخارية (طُعْهُرْ) ليس حجر جيري وإنما حجرة أخرى (إِيْتِمْ) تفرك مقدماً (الصورة رقم 38). أما صمغ شجرة دم الأخوين فلا تضاف إليه أية مادة أخرى. ويتم كشط الصلصال الزائد عن الحاجة بواسطة محارة نصفية ذات مصراعين (مَكَيْلُو) وبنفس تلك المحارة يصقلون وجه الآنية، وبواسطة تلك المحارة يشرب الأطفال المواليد.

رسم فوريس عدة أنواع من الأواني الفخارية وسجل أوصافها: "الأواني رقم 1 و4 و5 استخدمت لحفظ اللبن والسمن أو عصارة الصبر، إلى جانب ذلك خُصصت الآنيتان الأخيرتان للطهي أو تسخين المحتويات. أما الأواني رقم 6 – 8 و10فتستخدم للماء: الوعاء رقم 6 خصص للقيام بطقوس الوضوء والغسل، لأن الماء ينسكب منه بكميات قليلة فقط، ورقم 7 (يسمى صفلحة) ورقم 8 و10 تستخدم لحفظ المياه في المنزل، الآنية رقم 2 التي تسمى (مُقرصِيّه) كانت تعلق على الجدار للزينة (كما نعلق نحن صحون الزينة في المكاتب) عندما لا تكون هناك حاجة لاستخدامها في إحراق البخور" [68،ص 39].



(الصورة 41): قدور فخارية.

إن الأواني التي قمنا بدراستها في الجزيرة قريبة جداً من حيث الشكل من تلك التي عكسها فوريس في رسوماته.

جميع رسوم الأواني ذات نمط واحد إلى حد ما، ويستخدم صبغها من صمغ شجرة دم الأخوين (الصورة رقم 40). ومعظم القدور بدون قواعد يمكن أن تستقيم عليها، ولذلك يضغطون عليها لتستقيم في الأرض، أما الأواني الفارغة فتبقى مقلوبة رأسا على عقب.

وهناك منظومة أسماء لمختلف أنواع القدور، تتطابق مع طبيعة استخدامها ومقاساتها وهي في الأساس واحدة في كل مناطق سقطرى، وقد قمنا بتسجيل النماذج التالية :

معصيره، قَوْمَهْ – قدح لحفظ السمن الحيواني مع فتحة صغيرة.

مِجِيْتُوْ – قدح للسمن.

مِقِهِلْ – زير كبير لحفظ الماء.

جِسْفَهْ – قدر كبير لجلب الماء من البئر ولحفظه كذلك.

صَفْعَهْ – قدر صغير للسوائل.

قُودْهِرْ – أصغر قدر للسوائل، وكان يستعمل في الماضي لأغرض المراسيم.

فُوْتِيْ – قدر لحلابة لبن الأغنام ويسمح حجمه بوضعه تحت الضرع.

كِعِرْ – وعاء مع الصنبور لأعداد الشاي والقهوة.

نَحْفْ – قدر ملفوق يستخدم لحفظ الأشياء الصغيرة.

كِبْهِنْ – وعاء مرتفع للسمن.

صَفْلَحَهْ – أكبر القدور ويطهى به اللحم والرز.

سِرْيَدْ – آنية كبيرة لحفظ الماء.

مِجْمَارَهْ – وعاء لإحراق البخور.

وبعض هذه الأواني موجودة في الصورة رقم 40.

يعمل في حرفة الحدادة في الجزيرة أشخاص قلائل. ولا يحتاج السقطريون، في الواقع، إلاّ إلى السكاكين، وقد يحتاج السكان في حديبو وقلنسية وقاضب للمسامير أيضاً، لوجود قطع خشبية في بيوتهم وبشكل رئيسي الأبواب، ومع ذلك فأنهم يستطيعون تثبيتها بدون استخدام المسامير. وتُسمى السكينة الكبيرة متعددة الأغراض في المنطقتين الوسطى والشرقية (صَارِهْ)، وفي المنطقة الغربية تسمى (حَنْجِهِرْ)، أما السكينة الصغيرة المخصصة للقيام بالختان فتسمى في كل مكان (مُوسى) (1).

---

1 - وفقا لبعض الأخبار، انتشر في زمن ما لدى السقطريين السلاح الأبيض: السيوف والخناجر، ولا وجود لهذه الأسلحة في الجزيرة خلال السنوات العشر الأخيرة. والسقطريون بشكل عام ميالون إلى السلم في الحياة. وفي المنازعات فيما بينهم أو في الهجمات النادرة ضد الخصوم فأنهم يرمون الحجارة، وهم يجيدون ذلك بصورة خارقة. ونورد هنا شهادة الكابتن هنس:" إنهم يحملون السيوف التي لا تستخدم أبداً، ومسلحون بالعصي التي سُنّت بحدة من طرفيها، وهم يستخدمونها بمهارة فائقة. وعند الهجوم يستخدمون الحجارة أيضاً[49،ص111].

زرنا أحد الحدادين، كان مسناً، يعمل في قرية صغيرة قرب حديبو. توجد في كوخه الصغير جميع المعدّات والأجهزة البسيطة، وتسمى المحدادة (مِصْيَاعَهْ) والحداد (صَايِعْ). وجلد الكير (مَنْفَخْ) وهو مصنوع من قربة وبواسطته ينفخ الحداد النار في التنور (تنّار)، ويتم الحفاظ على اللهب بواسطة الفحم الحنشي (حمهوم) الذي يتم الحصول عليه من أخشاب (مترر) والطلح (صَنَائِدْ) والنخيل وغيرها من الأشجار.

ومعدات الحدادة الرئيسية هي: السندان (مِزْيَرَهْ)، المطرقة، الملاقط والمقص. ويبلغ طول الملاقط حوالي 30 سم. وبعد أن تسخن المادة ويحمر لونها (يَعْفِيرِيْر) يقوم الحداد بطرقها بالمطرقة ويشكلها حسب الشكل المطلوب.

المنتوجات الرئيسية التي يقوم الحداد بتصنيعها،هي المسامير وأدوات قطع الأغصان وتنظيف سيقان النخيل (فاس) وآلات تسوية الأرض حول النخيل (مُشْرِحْ) والسكاكين المنزلية (حَنْجِهِرْ) والمسامير الكبيرة (بَقّاشْ) لتثبيت الأبواب الخشبية. وبعد أن ينتهي الحداد من تسوية الشكل النهائي للمنتوجات يضعها بالماء (يِقَاحِمْ برِيْهُو).

- أزياء السقطريين وتسريحة شعرهم -

تتجلى خصوصية السقطريين في الأزياء النسائية. وتفصيل الثوب السقطري أصيل للغاية (الرسم رقم 42)، وهو ذو طابع خاص بالجزيرة فقط، ولا مثيل له في أي مكان، ويتميز عن الثوب الحضرمي والمهري. ويزيد الجزء الطولي الخلفي مرتين تقريباً عن الطول الأمامي ويسمح بطي هذا الجزء من الثوب ولفه حول الورك. ومع ذلك فأن طرف الثوب (4) يظهر عند المرأه في الأمام على الخصر، حيث تعلق حزمة مزخرفة من المفاتيح، وبواسطتها يُشد الثوب (الصورة رقم 43). وما يميز الثوب السقطري هو توشيته بخيوط فضية وبأشرطة مؤلفة من خمسة وستة وسبعة وعشرة خيوط وفقاً ومكان التطريز فيه. وتكون الخطوط مستقيمة أو متعرجة. وتفضل الثياب من المادة الخفيفة ذات اللون الأسود للاستخدام اليومي وكذا الألوان الحمراء والخضراء والصفراء والبنية. وتفصيل ورسم التوشية متشابهان بدقة.

أسماء تفاصيل الثوب (خَلَقْ) هي:

فَاقِرْ – الرقبة.

مِنْخُو – الكم.

دَنَبْهِنْ – الذيل.

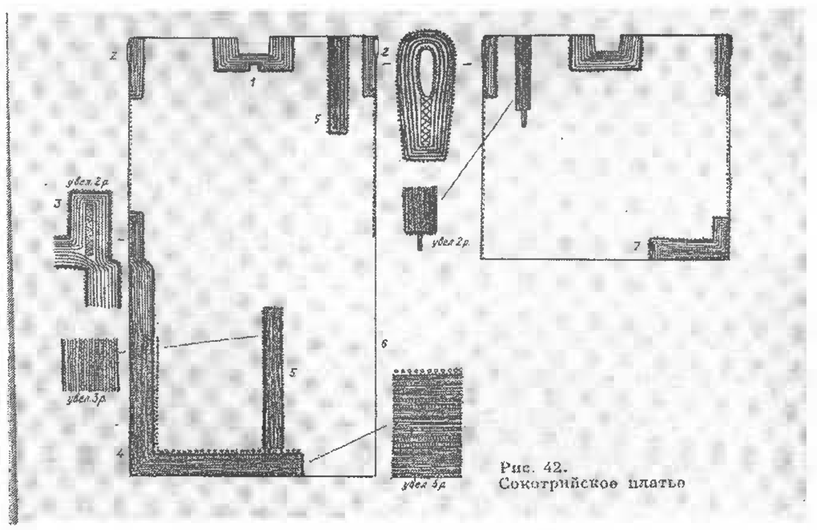
فِثْر –

مَعْطِيبُو – حظ على الكتف.

دَيْلَتْ –

مَقْدَمَهْ –

الشريط الذي يطرز بخيط واحد يسمى (طَرْحَهْ وجمعها طَرْحَاتْ)، ويسمى الذي يطرز دائرياً (زَثْرِيْ).



(الرسم42): الفستان السقطري

تلبس المرأة تحت الثوب عادة تنورة تحتانية (فوطة). وفي الأعوام الأخيرة بدأت السقطريات في ارتداء الصدريات (كنشري). وتربط النساء الرأس عادة بمنديل أسود شفاف مع أنواط ذهبية أو فضية وأما بنقاط (نُقْبَهْ). ويتغطين بـ (مَصَرْ) أحمر غامض.

ويتميز ثوب الطفلة الصغيرة عن الثوب النسائي في الطول الواحد من الأمام ومن الخلف وهو لا يطوى وإنما يلبس كرداء (الرسم 44).

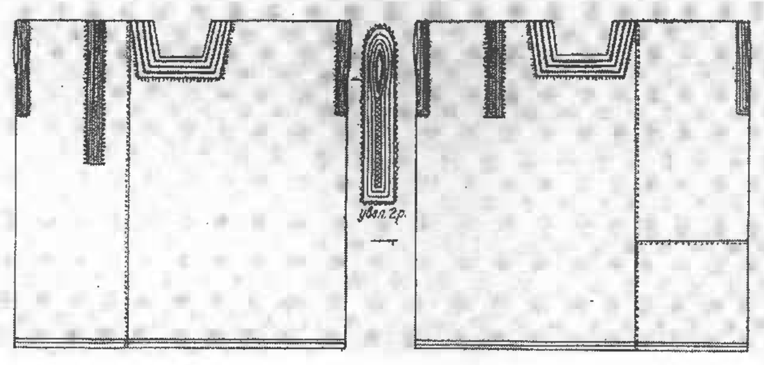
أما ثياب الرجال فهي أبسط وهي: (نَقْفْ، فوطه) وأحياناً عباءة (شَقِهْ) وهو شال في أعلى الكتف وعمامة.



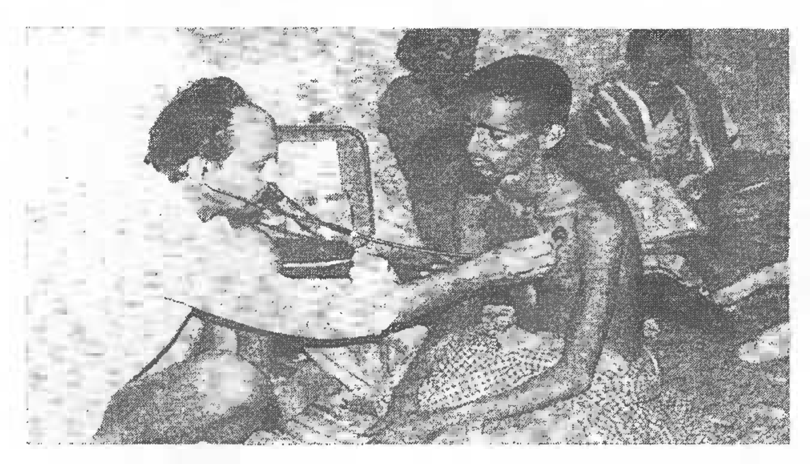
(الصورة 43): فتاة سقطرية

يحب السقطريون الزينة. والى وقت قريب كانت المرأة تحمل على أذنيها عدة أقراط، تصل إلى ثمانية. أما في الوقت الراهن فأن هذه العادة أضحت في خبر كان. ومع ذلك يمكن مصادفة الكثير من النساء المسنات ممن توجد على آذانهن خروم كثيرة. ومع هجرة السقطريين للعمل في بلدان الخليج العربي فأن نساءهم أصبحن يتزين بالحلي الذهبية العديدة: الخاتم، الأقراط، الأساور والقلائد.

على ماكينة الخياطة التي يمكن أن توجد حتى في القرى النائية تخيط السقطريات الثياب ويعملن عليها توصيلات بخيوط فضية اللون. أما القماش فيستورد منذ زمن طويل من بلدان الخليج العربي. وأسعار الثياب المزخرفة بالخيوط الفضية مرتفعة، تصل في المتوسط إلى 17.5 دينارا، لذلك فأن النساء اللاتي لديهن آلات الخياطة ويجدن التفصيل، يكسبن جيدا من هذا العمل.



(الرسم44): فستان الطفلة.



(الصورة 45): الطبيب ف.س. شينكارينكو يعاين المرضى.



(الرسم 46): تسريحة طفل.

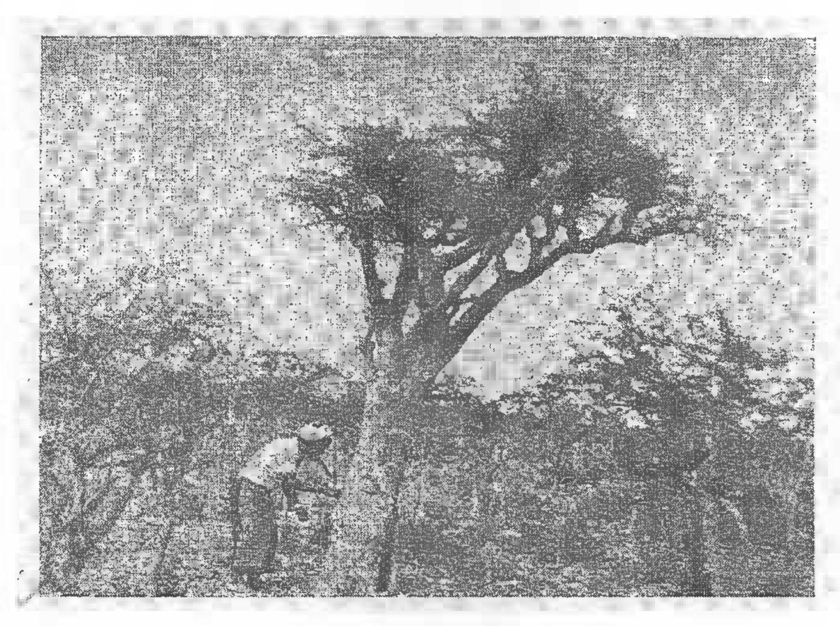
قيض لنا التطلع في تسريحة النساء، في الفترة التي أستقبل فيها الطبيب المرضى (الصورة رقم 45). كانت التسريحة غير العادية عند أم فاطمة: فشعر الصدغ والقفا محلوقاً وقصيراً جداً، وتلاقى مفرق الشعر المستقيم طولاً مع المفرق المعمول عرضاً في الرأس. ومن الخلف عُقد الشعر بشدة وجُدل في ثلاث ضفائر، اثنتان خلف الأذنين وواحدة على القفا. أيضاً كانت لدى إحدى المريضات، أسمها شيخة، تسريحة طريفة، عبارة عن خصل من الشعر القصير في الخلف ومن الأمام، فيما جُدل بقية الشعر في جدائل. وبشكل عام فأن معظم النساء السقطريات يجمعن الشعر في ضفائر، وعادة في

ضفيرتين. وفي الأسر الميسورة تصبغ النساء الوجه والجسم، كقاعدة عامة، بصباغ أصفر، أما الشعر فيدهن بالزيت لكي يغدو ساطعاً. وفي معظم الأسر تعمل النساء ذلك في الأعياد فقط.

وحلاقة رؤوس الأطفال فريدة للغاية: إذا يحلقون شعرهم كافة ويبقون منه فقط تويجة ضيقة حول الرأس وذؤابة على القذال (الرسم 46).

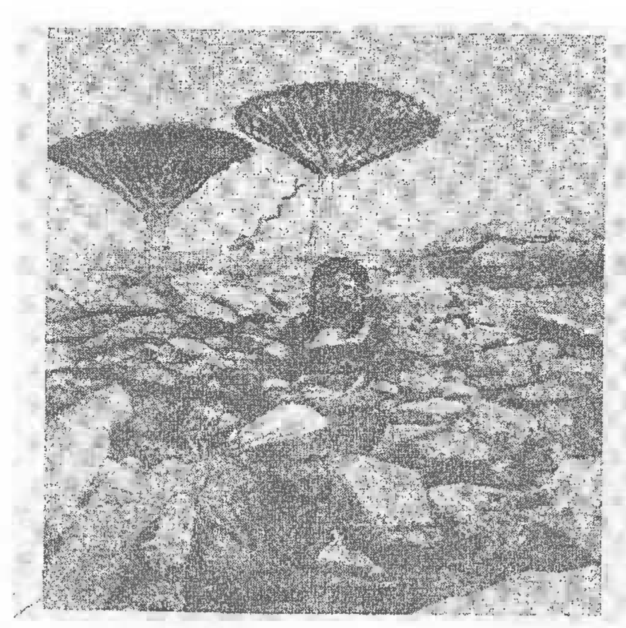
- جمع الصمغ والقطران من الأشجار -

في الماضي كان الشغل الرئيسي للسقطريين جمع القطران الطيوب - البخور والمر، وكذلك صمغ شجرة دم الأخوين. بيد أن هذا العمل اليوم لم يعد مربحاً، بل وغير ضروري تقريباً. وفي الحقيقة ما زالت أسعار البخور في أسواق اليمن مرتفعة إلى حد ما، ولكن تلبية الطلب عليها يأتي من إنتاج حضرموت والمهرة.



(الصورة 47): استخراج وجمع الصمغ.

إن قطع الأرض المسيجة بالحجارة في المنطقة الشرقية، التي كانت في الزمن القديم مزارع لأشجار البخور هي اليوم قفر، وبقيت أشجار قليلة فقط، يجمع منها السكان المحليون القطران. يتم الجمع عادة في الصيف. وهم يعملون بين 10 - 12 من التجاويف العميقة في سيقان الأشجار الكبيرة المائلة (الصورة رقم 47). ويواصلون جمع الصبر (طَيْفْ) بكميات غير كبيرة. في الماضي كانت عصارة الصبر المتصلبة، التي تعتبر مسهلاً فعالاً، تصدر حتى إلى الهند، أما في الوقت الحاضر فيستخدمه السقطريون فقط. ويتم جمع كومة من الأوراق على جلد بقري ومنها تسيل العصارة تحت ثقل خاص لهذه الكتلة.



(الصورة 48): جبلي من قبيلة بني مالك وتبدو في الخلف اشجار دم الأخوين.

فيما يخص صمغ شجرة دم الأخوين فهناك إقبال عليه بالحدود الدنيا في السوق المحلية فقط. وهذه الشجرة يسميها السقطريون أعريوب (الصورة رقم 48)، والمدهش أن العادة القديمة لإنتاج صنفين من الصمغ، التي تحدث عنها ياقوت الحموي، ما تزال متبعة حتى الآن. الصنف الأول: وهو صمغ صرف يتم تجميعه ويسمى (إمْزُوْلوْ). وبغية الحصول عليه يعملون حزوزاً عميقة في جذع

الشجرة وخلال عشرة أيام يكون الصمغ الذي تجمع في الحزوز قد تصلب. الصنف الثاني: عبارة عن صمغ يتم تحضيره، حيث يأخذون الصمغ الصافي ويغلونه وينحتونه في أقراص بعد أن يضيفون إليه أجزاء كثيرة من لحاء الشجرة، وهذا الصنف يسمى (أَيْدَاَعْ). الغريب إننا عثرنا على مثل تلك الأقراص من الصمغ المحضر التي يعملها السقطريون في الوقت الراهن في قبور تعود إلى ما قبل الإسلام في (شِبِهُنْ)، في المنطقة الشرقية، ومع ذلك فقد بقيت في حالة جيدة.

يستخدم قطران شجرة دم الأخوين كدواء لأمراض الجلد والعيون حيث يوضع مسحوقه في العين في حالة الإصابة بالتراخوما (دِيْعِيْهُونْتِنْ) كما يستخدم كصباغ لزخرفة القدور الفخارية، حيث يتم صبغها بعد إحراقها بشدة في النار، ثم توضع في صحن وتبقى فيها حتى تبرد.

- تحضير النُوْرَة -

الحرفة الجماهيرية، هي إحراق الشُعب المرجانية (حِشُوْبَهْ أو رُخَام) بغرض الحصول على النورة. وهذه الحرفة يزاولها سكان المناطق الساحلية، ومع ذلك وجدنا حفراً لإحراق النورة في مواقع سكنية تبعد عن الشاطئ بمسافات كبيرة إلى حد ما.

لغرض الحرق يحفرون في الأرض حفرة (مَحْرَيْقِهْ)، ذات جدران مرصوصة بالحجارة. توضع في الحفرة عيدان النخيل أو غيرها من الأشجار، وفوقها توضع الشُعَب المرجانية وبعد إحراقها يتم الحصول على النورة التي تستخدم لتبييض المساكن. في قرية كدح التي لا تبعد كثيراً عن حديبو، حيث يعيش السادة آل أبي بكر، التقينا سكان القرية الذين يمارسون هذه الحرفة دائماً. كان أكبرهم تيني سعيد علي وقد روى لنا كيف تتم عملية الحرق:" سأقول كيف تتم العملية، في البدء لا بد من جلب الشُعَب البحرية ولهذا لا بد من فلق كمية من شظاياها، وإذا كانت قطع الشُعب التي حصلنا عليها كبيرة الحجم فأننا نقوم بتكسيرها وتفتيتها في نفس المكان، وإلاّ فأنه لا فائدة منها. وإذا لم تحرق جيداً فأنه لا يمكن الحصول على النورة. عندما يأتون بالشُعب يتم وضعها في الحفرة والقيام بالحرق. ولكن لا بد من حفر الحفرة في البداية، وهذا العمل ليس صعباً، وبعد ذلك يتم ترتيب الجدار ووضع الحطب بطريقة

تجعله يحرق جيداً وتُوضع فوقه الشُّعب بحيث لا تتسبب في إطفاء النار، وللقيام بهذا العمل لا بد من وجود خبير ماهر، وهو بناء متخصص ومعروف يأتي مع عماله فيقومون ببناء الجدار ويرصون الحطب والشُّعب كما ينبغي، ثم يوقدون بعد ذلك في الحطب فتحرق الشعب المرجانية، وبعد احتراق الحطب والشُّعب يتم الانتظار من يوم إلى ثلاثة أيام، ثم يسكبون الماء وينتظرون حتى تجف النورة، وهذا يتطلب خمسة أو ستة أيام، وبعد أن تجف النورة تجمع في أكياس، ونحن نبيعها ليطلي بها الناس السقوف والأرضيات والجدران. ونقوم ثلاثتنا كشركاء بصنع النورة ونبيعها معاً ونتقاسم الدخل فيما بيننا".

- إعداد الطعام -

طعام السقطريين فريد. فالقوت الرئيسي عند مربي الماشية هو الألبان ومشتقاتها والتمور، وعند الصيادين الأسماك والتمور. في الماضي كان استهلاك الغلال في الطعام نادراً جداً. أما في الوقت الحاضر فينتشر الرز، وأصبح السقطريون يستهلكون الشاي، السكر، الخضروات وأرغفة الخبز. ومع ذلك فما زال هنا وهناك بعض الناس الذين لا يعرفون الشاي إلاّ نادراً.

يرتبط ذبح الحيوان دائماً بإتباع المراسيم بدقة، فالأغنام تذبح على النحو التالي: في البدء يطرح الحيوان أرضاً ثم يذبح بالسكينة في رقبته بعد أن يوجه إلى جهة مكة. ثم يعلق على شجرة ويتركون دمه يسيل كاملا، ثم يفصل الرأس بعد ذلك ويسلخ الجلد دائرياً عنه وبواسطة اليد ينزعون الجلد ويفصلونه عن اللحم. وتخلع الجلود إلى جهة الرأس كما تخلع الجوارب. ومن الرأس يخلعون العينين. بعد ذلك يقسم لحم الحيوان إلى أجزاء. الكبدة والكلي عادة يتم شويها قليلاً ويأكلونها شبه نيئة. يطهى اللحم بعد تقسيمه إلى أجزاء في قدر. ومن المصارين الغليظة يخرجون محتوياتها ثم يحشونها بالشحم ويغلونها. أما المصارين الدقيقة فتغلى بدون تهيئة مسبقة، وفي بعض الأحيان يربطون بها حزم صغيرة. ويعتبر الجبليون الكرش طعاماً شهياً، وبعد أن تقطع إلى شطرين تطبخ في طست مع بقية الأحشاء بعيداً عن اللحم. ورغم أن لهذا "الطعام الشهي" رائحة لاذعة من بُعد تثير الغثيان لم تُناسب ذوقنا نحن، إلاّ أن الجبليين يتشبثون بوجهة نظرهم المناقضة تماماً. وقد قدم

فلاديمير شينكارينكو تعليلاً مفاده أن هذا الطعام يمكن أن يكون له تأثير مفيد ومنشط للمعدة.

يفصل اللحم المطبوخ عن الطعام، وتقدم العظام جميعها مع الرأس المطبوخ في البداية بمثابة مشهيات (مزه). وللتعامل مع العظام يستخدم السقطريون اثنتين من الحجارة، التي لا يذهبون للحصول عليها، لأن أعدادها هنا كثيرة. وبالحجر يكسرون العظام بدقة ويمتصون محتوياتها وينتزعون بأسنانهم قطع اللحم الصغيرة المتبقية عليها، وهكذا فلا شيء يذهب سدى، وينهمك الكل في هذا الأمر. ولكثرة الجهد المبذول في التعامل مع العظام تزداد الشهية. وبعد (المزة) يقدمون المرق، وبعدها مباشرة اللحم المطبوخ مع الرز.

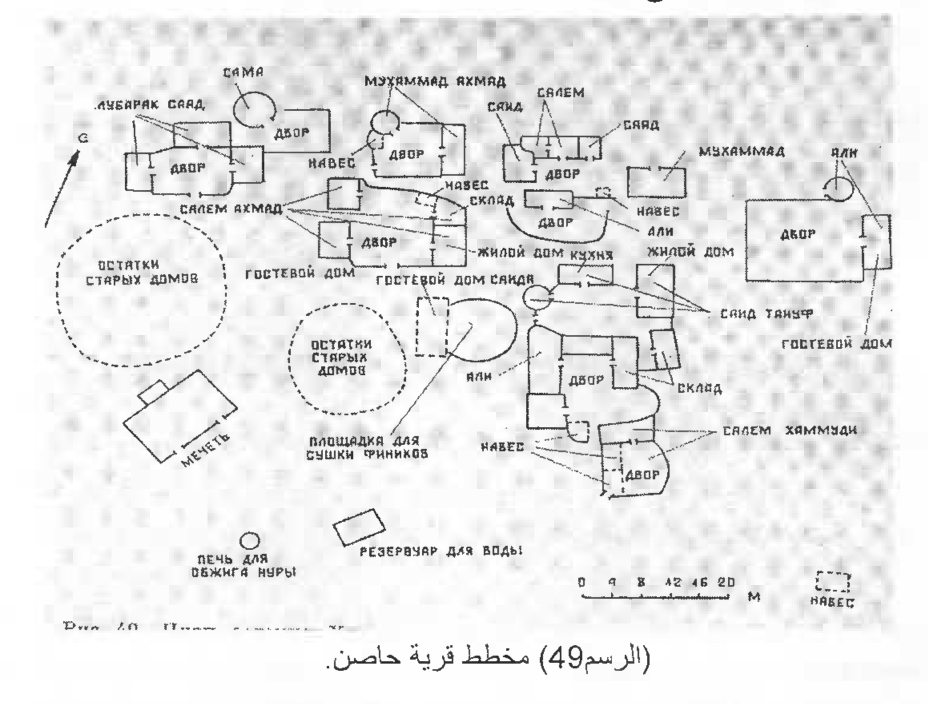
– القرى السقطرية: تركيبتها ونماذج المباني وتنظيم المسكن –

يعيش معظم السقطريين على شكل عشائر وقبائل.باستثناء المناطق السكنية الكبيرة فقط (حديبو، قلنسية) أو بعض قرى صيادي السمك في الساحل الشمالي، حيث يعيش السكان ذو الأصول الأفريقية، الذين لا ينتمون إلى القبائل، وكذلك بعض الوافدين من مختلف القبائل والعشائر.

وكل قرية في الأساس تعتبر مكاناً لسكن إحدى العشائر. وإذا كانت العشيرة كبيرة فأنها يمكن أن تسكن في عدة قرى، وعند ذلك تتفرع، كقاعدة عامة، إلى أجيال فيما بعد. وعلى خلاف المناطق اليمنية، حيث المواقع السكنية تسمى أحياناً باسم القبيلة التي تقطنها، ففي سقطرى لا تتطابق هذه التسميات. والقرى عادة ليست كبيرة، وتتألف أكبرها من بضع عشرات من البيوت.

وكمعيار اخترنا قرية (حاصن)، التي قمنا بدراساتها بالتفصيل (الرسم صورة 49) وهي قرية صغيرة، يعيش فيها حوالي 50 شخصاً فقط، لكنها تقوم بدور هام كمركز لواحدة من المناطق المتفرعة التي توحد مجموعة مراكز سكنية في سقطرى تقع بالقرب من بعضها البعض. ساكن هذه القرية علي مبارك علي، الذي يرأس لجنة الدفاع الشعبي في هذه المنطقة الفرعية، يعتبر في الواقع شيخ مجموعة القبائل التي تقطن منطقة حاصن.

حاصن، قرية في الوادي الذي يقع في الجزء الأوسط من الجزيرة، في منتصف الطريق من الساحل الشمالي إلى الجنوبي. وعلى مثال حاصن يمكن استجلاء واحدة من طرائق تجمُّع القرية السقطرية:



(الرسم49) مخطط قرية حاصن.

لقد أستوطن هنا الوافدون من مختلف القبائل، التي كانت على صلة بهذه الأراضي، وبمرور الزمن دخلوا في جماعة حاصن، أما السكان الأصليون لحاصن فلم يتبق منهم أحد تقريبا، ربما لأن القبيلة التي قطنت هنا من قبل قد انقرضت تقريباً، وينحدر جزء من السكان من سِرْهُنْ، الواقعة في الجبال المطلة على حاصن. هناك تعيش ثلاث عشائر قريبة بعضها لبعض: مِحْفِرْهِنْ، برعبدهل، قشي.

في عشيرة بِرْعَبْدهِلْ عاش مبارك علي مع زوجته حليمون (حليمة). وفي نهاية الأربعينات بعد ولادة الطفل الأول علي، انفصلت حليمون عن مبارك، وتزوجت من سلوم وانتقلت للعيش معه في حاصن. ومنه أنجبت الابن سعيد. وبعد فترة قليلة مات زوجها الجديد. بقيت حتى انتهت فترة العدّة، ثم عادت إلى الزوج

السابق، وفيما بعد انتقلوا إلى حاصن، لأن الممتلكات التي حصل عليها سعيد من أبيه، الأغنام والبيت والنخيل، كانت هناك، وفي النتيجة أصبح مبارك مع زوجته أفراداً في قبيلة حاصن، وأنجبت حليمون من مبارك ستة أولاد، توفي ثلاثة منهم.

على الرغم أن انتقال مبارك إلى حاصنٍ كأنما استدعته الظروف الخاصة لحياته، فأن كل شيء هنا قد لعب دوراً مؤثراً سواء الظروف الموضوعية لانتقال العشائر أو الأسر المنفردة، يرى أولاد مبارك أن النزوح قد حدث في زمن انعدام العلف وجائحة البهائم، عندما جاء الوافدون بحثاً عن المراعي فشغلوا الموقع الذي كانت تشغله قبائل أخرى بعد أن أصبح مهجوراً، فضلاً عن ذلك فأن قبائل سِرَهُنْ تسيطر منذ زمن على الوادي وتمتلك النخيل فيه، ويمكن للضغط الزائد على المرعى أن يرغم الأسرة على مغادرة قريتها. وعلى العكس من ذلك يلاحظ في أعوام اليسر والبحبوحة حيث تقل نسبة الموت عن المعتاد ويزداد عدد السكان.

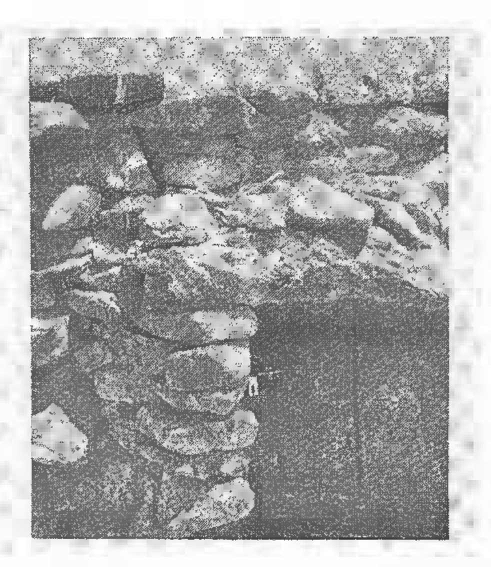
توفي مبارك عام 1984م، عن عمر 72 عاماً تقريباً وبقي أربعة من أولادة: علي، سالم، محمد وسعد. عاشت أسرة مبارك في بيت يقع في الطرف الشرقي للقرية. وعندما أصبح اثنان من الأبناء أصحاب عائلات، شيدا لأنفسهما بيتين بجوار منزل الأب، فيما بقي الاثنان الآخران يعيشان في منزل الأب. ولهذا المنزل جناحان يقعان في زاوية مستقيمة في مواجهة بعضهما البعض ويكونّان جانبي الحوش. ومن كل بُد فأن للبيت السقطري حوشاً (في قرية حاصن يشغل الحوش مساحة من 40 إلى 100 م) ويقع البناء في محيطه مؤلفاً سياجاً من جهتين، كقاعدة عامة، وفي النادر من ثلاث جهات. يشكل الجناح الغربي بذاته غرفة واحدة كبيرة، كان يشغلها مبارك مع زوجته التي بقيت هنا حتى بعد موته. ومعها يعيش أيضاً في الغرفة ابنها سعيد سلّوم،وهو أعزب، أصيب في طفولته ربما بشلل الأطفال وظل كسيحاً مقعداً.

وفي الجناح الشمالي الغربي غرفتان يشغلهما سالم ذو الخمسة والعشرين عاماً مع زوجته وأربعة أبناء، ثلاثة أولاد وبنت واحدة. وزوجته هي من قبيلة تعيش وراء دفعرهو، بالقرب من حاصن، إلى الجنوب، وغرفة أخر ى يشغلها سعد ذو التسعة عشر عاماً مع زوجته وولدان، وزوجته من قبيلة (تِرْيِهيْ) التي تسكن في الوادي بالقرب من حاصن. ومن الناحية الجنوبية الشرقية يلتصق

إلى حوش الأب بيت الابن الأكبر علي وله حوش ومساحة تحت سقيفة. يبلغ علي من العمر 36 عاماً، وهو متزوج من ابنة العم، شقيق الأب، سالم حمودي ولديه ولد يبلغ الثامنة من العمر.

على الطرف الشمالي الشرقي للقرية شيد علي لنفسه دار ضيافة (مَقْعَدْ) وهو بمثابة المبنى الرئيسي في حاصن، ويتقوى هذا الانطباع من موقعه المرتفع على رابية صغيرة. وأمام بيت الضيافة هذا حوش كبير وفي طرف الحوش يقع كوخ صغير مسقوف بسعف النخيل (عِرْشَهْ).

إلى الناحية الشمالية الغربية من حوش الأب يلتصق منزل محمد، وهو بدون حوش ويتكون من حجرة كبيرة واحدة، هي بمثابة غرفة استقبال وغرفة نوم في آن واحد، ويسميها محمد (مَحْضَرَهْ) أي غرفة الضيافة. وينحصر الأمر، على الأرجح، في كون محمد يخدم في الميليشيا الشعبية في حديبو، ولا يعيش باستمرار في حاصن، لأنه يمتلك منزله الخاص في العاصمة، ويأتي نادراً إلى القرية في زيارات خاطفة. زوجة محمد مُهي خاتم، وهي من عشيرة شِطْهِيْ من قبيلة شِعْرهُوْ، في جبال تُوف إلى الشمال من حاصن ولديه أربع بنات.



(الصورة 50): مخزن.

حينما انتقل مبارك من الأعلى إلى حاصن أخذ معه الماشية التي ورثها عن الأب، وأصبح يرعاها في مراعي وادي حاصن، لكنه لا يملك نخيلا في وادي حاصن. والخمسين النخلة التي ورثها عن الأب بعيداً في منطقة (دِيْشتَنْ)، في وادي ديشهل والطريق إليها من وادي حاصن يستغرق يوماً كاملاً ذهاباً وإياباً. في البداية كان قطيع الأغنام بكامله والنخيل ملكية مشتركة لهذه الأسرة الأبوية الكبيرة، وفيما بعد، عندما بلغ مبارك سن الشيخوخة، انتقلت وظيفة رب الأسرة إلى الابن الأكبر علي. وبعد أن تزوج الأولاد خصص الأب لكل واحد منهم جزءاً صغيراً من قطيع الأسرة بمثابة هدايا عند زفافهم وغدت ملكية شخصية.عقب وفات الأب قسم قطيع أغنامه إلى جزئين متساويين بالاتفاق، النصف الأول، حصل عليه سالم وسعد، اللذان يعيشان في بيت واحد ويقومان بتدبير الشؤون المنزلية معاً. والنصف الآخر كان من نصيب علي ومحمد. كل قسم يتألف من 150 - 200 رأس من الأغنام، معظمها من الماعز، وأبقت الأم على حصتها الخاصة من القطيع والتي ستؤول بعد وفاتها إلى أولادها بالتساوي. ومع أن علي ومحمد يتدبران شؤونهما المنزلية بصورة منفصلة، لأن أسرتيهما تعيشان منفصلتين وبعيداً عن بعضهما البعض، إلا أن ملكيتهما مشتركة، ويتقاسمان بالتساوي جميع المواد الغذائية أو النقود التي يكسبونها من بيعها، وكذا جميع المداخيل النقدية الأخرى، بما في ذلك الراتب الشهري لمبارك (50 ديناراً)، حيث يُخصص منه جزء محدد لقوت الأسرة والإنفاق على المنزل والملابس وما إلى ذلك، لكنهما يقومان بالمشتريات الكبيرة سوية.

الى جوار بيت مبارك كان يعيش في السابق طانوف سعيد علي، الذي انتقل إلى حاصن من قبيلة بُودِرْهِنْ، القاطنة بالقرب من عِرْبِهُو، في جبال الجزء الجنوبي من الجزيرة، بعد وفاة طانوف بقي يعيش في بيته، الذي يفصله ممر ضيق إلى الجنوب الشرقي من بيت علي مبارك، أبنه سعيد، 25 عاماً، مع زوجته، وهي من نفس القبيلة أيضاً، وأربعة أولاد (ولد وثلاث بنات). يحتوي مسكن سعيد على أربع غرف: أحدها سكنية من نوع (قَعَرْ) وغرفة استقبال (مَحْضَرَهْ) ومخزن للمؤن (الصورة رقم 50) ومطبخ. وفي وسط الحوش يقع الموقد. يملك سعيد كذلك مساحة لتجفيف التمور (مُسْطَحْ)، حيث يبني بجانبها غرفة استقبال. وكإرث من الأب حصل سعيد على 70 - 80 نخلة بالقرب من القرية، في وادي حاصن و60 رأساً من الأغنام. اما أُمّ سعيد فتنحدر

من المنطقة الجبلية جِسفُو، إلى الجنوب من حاصن، وبعد وفاة طانوف تزوجت مرة ثانية على شقيق مبارك، سالم حمودي علي، الذي يجاور بيته بيت سعيد، إلى الجنوب الشرقي منه. ومن هذا الزواج ولد الابن علي، الذي يعيش هنا مع زوجته وابنه. تنحدر زوجة سالم من قرية (حَصَلَلْنِهْ) في المرتفعات فوق وادي حاصن من قبيلة (بيت حَبْوَهْ)، وكان والدها قد انتقل إلى حاصن منذ مدة (انظر لاحقاً). في الواقع فأن الأب والابن يملكان منزلين منفصلين وحوشين مختلفين، وأن كانا حقيقة متلاصقين بعضهما ببعض، يفصل منزل علي عن منزل سعيد سياج من أغصان النخيل، ويحتوي على غرفتين سكنيتين ومستودع ومساحة تحت السقيفه، أما منزل سالم فيتكون من غرفة سكنية واحدة ومساحتين مظللتين بالقش. يملك سالم وعلى معاً 60 نخلة في وادي حاصن و60 رأس من الأغنام. وتملك زوجة سالم بضع عشرات من النخيل في وادي جسفو.

في الصف اللاحق للبيوت، إلى أقصى الشمال الغربي، ينتصب الكوخ الحاد من أعلاه لأحمد الذي توفى منذ عدة سنوات، كان أحمد قد انتقل إلى حاصن قبل ستين عاماً مضت تقريباً من قبيلة (شِبُهُنْ) في الجزء الشرقي للجزيرة، بعد أن تزوج على امرأة من (سِرَهُنْ). في منزل الأب يعيش في الوقت الحاضر الابن الأكبر محمد أحمد، البالغ 40 عاماً، مع زوجته وأولاده الستة (ولدان وأربع بنات). ويتكون مسكنه من غرفة سكنية على طراز (قَعَرْ) والكوخ الحاد من الأعلى ومساحات تحت سقائف، ولديه حوش. ويفصله ممر عن منزل الأخ الأصغر سالم أحمد، البالغ من العمر 26 عاماً، متزوج ولديه ولد وبنتان. ترك الأب لولديه 70 نخلة في وادي حاصن، وقطيع من 50 رأساً من الأغنام، فضلاً عن ذلك تمتلك الأم عدة أشجار من النخيل في منطقة (سِرَهُنْ). كما "جلبت" زوجة سالم للأسرة 30 نخلة في وادي حاصن و20 رأساً من الأغنام. وهاتان الأسرتان تساعدان بعضهما البعض رغم أنهما تعيشان منفصلتين.

في الطرف الغربي للقرية يقع منزل مبارك سعد حسن، وهو الوحيد هنا حاصني الأصل وفي هذه القرية عاش أسلافه. وهو متزوج ولديه ولدان وبنتان،ويخدم مبارك في الشرطة في حديبو، حيث يمتلك منزلاً ويعيش مستقراً. في حاصن يتألف منزل مبارك من ثلاث غرف سكنية من طراز (قَعَرْ) تشغل ثلاث جهات من الحوش، من الجنوب الغربي والشمال الغربي والشمال

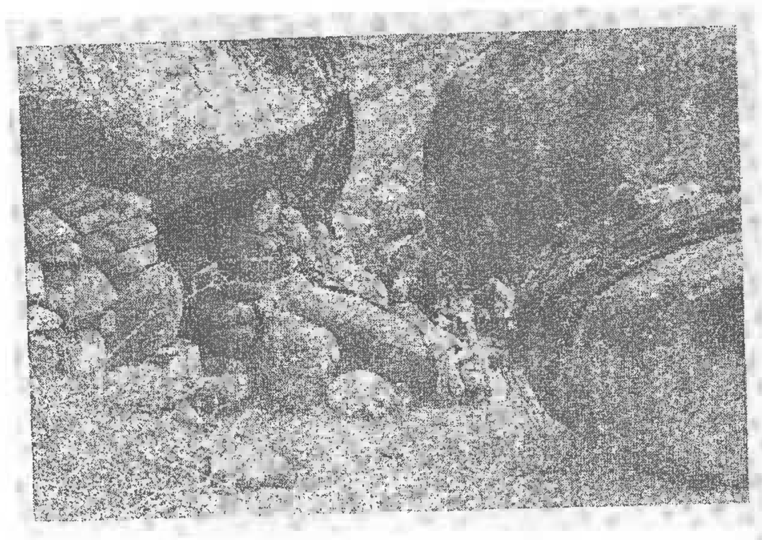
الشرقي. سمح مبارك لخاله من الأم جمعان سعد بن حَبْوَهْ كي يعيش في منزله. ولدى جمعان 15 رأس من الأغنام ويملك 30 نخلة في وادي حاصن[1]. وينظر إلى جمعان هنا كالغريب، ولذلك فأن له سلوكياته الخاصة وقليلا ما يختلط مع سكان القرية. وقد نصحنا علي مبارك أن لا ندخل بيت جمعان عندما استفتينا جميع السكان، موضحاً ذلك بالقول "هؤلاء ناس غرباء وسيخجلون". لدى جمعان ولدان وبنتان. الولدان تزوجا ولا يعيشان هنا. وإحدى البنتين تزوجها علي سالم، من حاصن، والأخرى تزوجها رجل من حضرموت، غادر للعمل في الأمارات العربية المتحدة. وهي تعيش الآن مع ولديها في بيت الأب الذي يحصل ربما على مساعدات مالية أو عينية من زوجها.

والى جانب منزل مبارك سعد حسن يقع كوخ حاد من الأعلى تعود ملكيته لامرأة تُدعى سُمَّهْ سُوْنهِنْ، كان والدها قد جاء إلى حاصن في الماضي من قعرهو، الواقعة إلى الجنوب الغربي للجزيرة. وقد توفي زوجها وبقي لها منه ولد وحيد، يخدم حالياً في المليشيا الشعبية في حديبو ويملك هناك منزلاً يعيش فيه مع أسرته وأمه. وفي النادر فقط تزور سُمَّهْ سُوْنهِنْ قرية حاصن. وهي تمتلك هنا في وادي حاصن عشرين نخلة وعددا غير كبير من الأغنام بالوراثة سوية مع أختها، التي تعيش هي الأخرى في حديبو بصورة دائمة ولم تأت قط إلى حاصن. ويقوم ابن خالها من الأم من بيت بن حَبْوَهْ بالاعتناء بالنخيل ورعي الأغنام، وهي تأتي إلى حاصن فقط من أجل استلام حصتها المستحقة من المنتوجات، وفي الأساس التمور والسمن. أما بيت الأسرة القديم فقد تهدم، لأنه بقي مهجوراً دون أن يسكنه أحد (انظر الرسم رقم 49 بقايا وإطلال البيوت القديمة)، أما عن الزيارات الخاطفة فيكفي الكوخ.

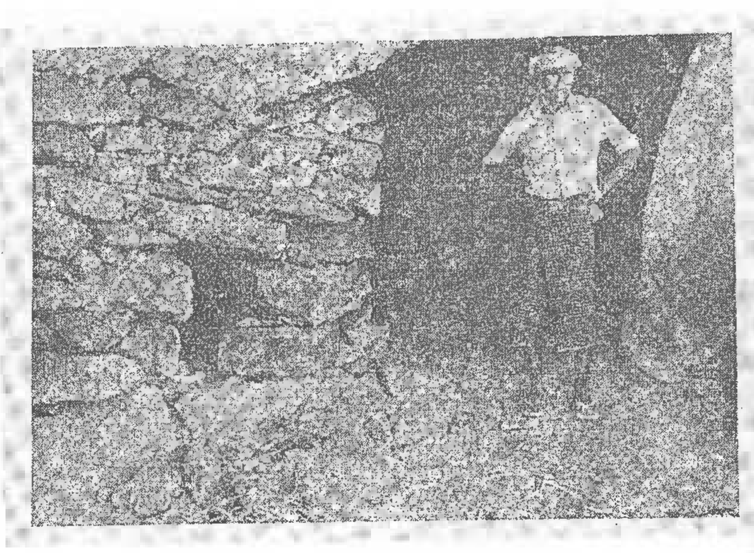
في الجزء الجنوبي الغربي للقرية تقع إطلال بيوت سكان حاصن الأصليين المهملة منذ زمن ما. ويمكننا الحدس فقط أن القرية قد أقفرت بالضبط في تلك المرحلة التي جاءت فيها إلى حاصن موجات الوافدين المنحدرين من قبائل المناطق المجاورة.

---

1 كثير من الجبليين يملكون النخيل أسفل الوادي القريب، وهكذا فأن النخيل في وادي حاصن يملكها الجبليون.

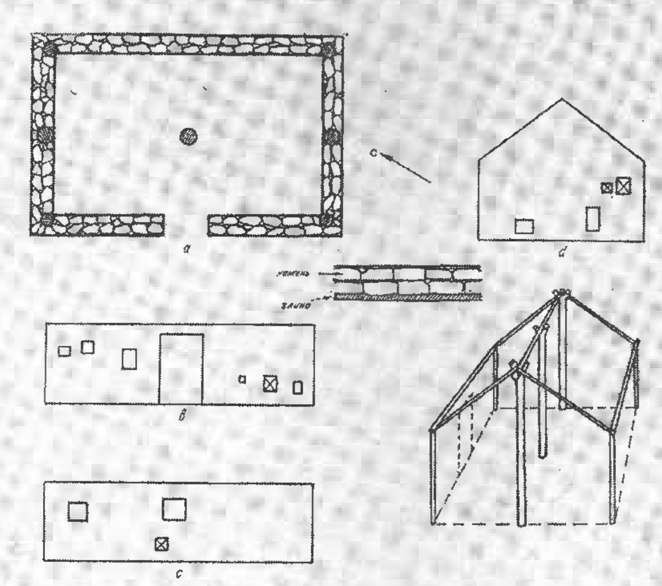


(الصورة 51): كهف في دِكْسَم.



(الصورة52: كهوف للسكن)

حتى العام 1984م كانت الصلاة تقام في مساحة مسقوفة تقع إلى الجنوب الشرقي من القرية، على نفس الخط مع سكن الاستقبال الخاص بعلي مبارك. ولكن في العام 1984 م تم بناء المسجد على نفقة أحد سكان حاصن سابقاً، الذي يعيش منذ فترة في الأمارات العربية المتحدة وأثرى هناك، وكهدية لسكان حاصن قام بمد أنابيب المياه من بئر محفورة قرب القرية، يتم منها تعبئة الخزان. وفي القرية يوجد كذلك تنور لحرق الشُّعب المرجانية واستخراج النورة التي تستخدم في البناء.

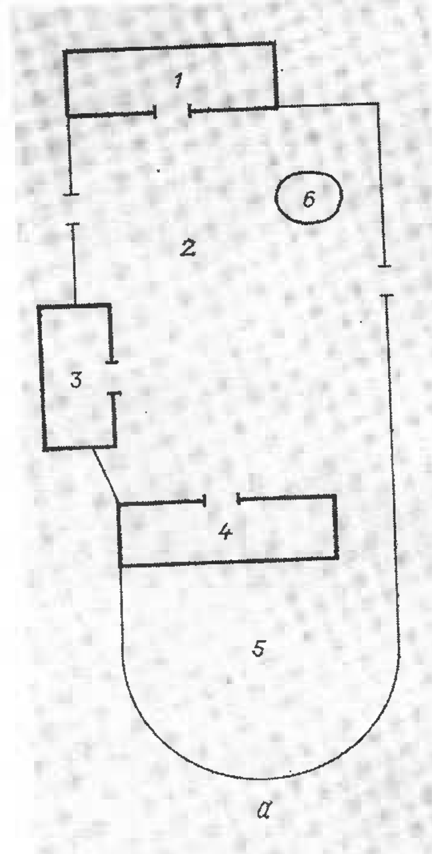

Рис. 53. Гостевой дом Али Мубарака из Хасына (в 1 см 1,5 м)

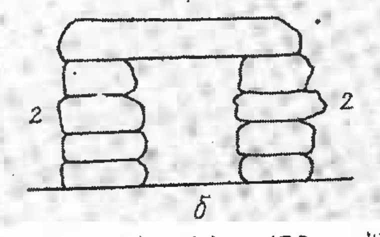
(الرسم 53) مخطط منزل علي مبارك من قرية حاصن.

يسمى البيت السقطري المبني من الحجارة أو من الطين في الساحل، أو في الجبل (قَعَرْ)، ويوجد لدى الجبليين أيضاً بيت على شكل عنبر مربع الشكل وسقف من أغصان النخيل مع هيكل يسندها وهو يسمى (عَرِيْشْ) إذا كان صغير الحجم و (هِرَابِيْ) إذا كان كبيراً. أيضاً تكون هناك لدى الجبليين أو سكان المناطق الساحلية أكواخ على الطراز الأفريقي ذات شكل أسطواني. وهي

منخفضة ولها سقف مخروطي مرتفع من سعف النخيل، وتسمى هذه الأكواخ (سترِهْ). أما الأكواخ ذات الحجم الكبير فتسمى (مَمْلول). وعندما يرعى الجبليون الأغنام فأنهم يستخدمون الكهوف الطبيعية كمسكن مؤقت(الصورة رقم 52 ورقم 52). ويسمى الكهف الصغير (حِكِلكْ)، والكبير (طَرِيْبِهْ). وتوجد عند بيوت الجبليين في العادة ساحة دائرية تسمى "مُسْطَحْ"، محاطة بسياج من الحجارة والأغصان المشوكة، حتى لا تتوغل فيها الماشية وهي تستخدم لتجفيف التمور وتنقيتها من النوى ثم تعبئتها في قرب، وبهذه الطريقة يستعدون للشتاء.

في قرية حاصن قمنا بدراسة مبنى الاستقبال الخاص بعلي مبارك. وهو كبير:3,6×5,9 م (أكثر من 21 م). شيدت جدرانه من صفين من الحجارة الكبيرة الجاهزة (بنوها ظَافوري)، التي رُصت حسب أحجامها وحُشيت فيما بينها أحجار صغيرة. وجُصص الحائط من الداخل بالصلصال. ويخلط الصلصال (قَاصْ) الذي يأتون به من وادي مِيْسِرْ، حيث





(الرسم 53) مخطط منزل علي مبارك من قرية حاصن.

توجد النخيل، يخلط بالماء ويلقون به على الجدار، بحيث يبقى وجه الجدار غير مستوي و بنتوءات وفتحات. في زوايا المبنى قوائم خشبية من شجرة (كِنْهُرْ)، وفي الوسط تنتصب ثلاثة أعمدة من شجر (إشْحَبْ) ينتهي كل منها بتفرعين على شكل قرن (الرسم رقم 53). ويُغطى المبنى في سقفه بجذوع شجرة (مِتْرِيْر) وتوضع فوقها أغصان النخيل ثم تغطى جميعها بحصائر من سعف النخيل.

يُشيد الجدار بصفين من الحجارة. وهي حجارة غير متساوية وغير معدلة، ومع ذلك فقد أحسن اختيارها، وهي كبيرة في بعض الأمكنة وحُشيت فيما بينها بحجارة صغيرة. ثم جُصص المبنى من الداخل بالصلصال.

تستخدم الأعمدة والقوائم والعوارض من أخشاب مختلفة الأنواع. ففي المنطقة الشرقية يستخدمون لهذا الغرض النخيل في كثير من البيوت. ويضعون أغصان النخيل على العوارض المستندة على الأعمدة والقوائم الممدودة إلى الجدران. وتوثق موقع التقاء العوارض مع الأعمدة بألياف النخيل. وتغطى من الأعلى بحزم من سعف النخيل.

هكذا، على وجه الخصوص، كان منزل في قرية (بَجُوبح)، في المنطقة الشرقية، بمساحة 7×4 أمتار. وفي قرية (سدِيْئْهُنْ) حيث عرضت علينا النساء الكثير من الألحفة النسيجية للبيع، كان مبنى الاستقبال مستطيلاً 8×4 أمتار، مع عمودين قائمين وسقف مستوي.

في قرية دفعرهو، وخلال ساعة من المشي إلى الجنوب من حاصن، شاهدنا عدداً من منازل السكان المحليين هي عبارة عن عزب مع بنايات سكنية وخدماتية. كان السلاطين من بني عفرار يختارون لأنفسهم زوجة أو زوجتين من دفعرهو، وكانوا غالباً يزورون تلك المنطقة ويمكثون هناك بعض الوقت. وفي الغالب كانوا يعطون أبناءهم للرضاعة والتربية في هذه القرية. وفي الرسم رقم (54) ينعكس مخطط عزبة عادية في القرية (أ):

1- غرفة عامة للاستقبال (مَحْضَرَهْ) .
2- الحوش، الفناء (حَجِيَهْ).
3- حجرة للنوم، وفي النهار للنساء (ستزِهْ).
4- حجرة تضم المطبخ والمخزن، ويمكن النوم فيها (شَمْلهِلْ).
5- ساحة لتجفيف التمور (مُسْطِح).

6- سقيفة على أعمدة من فروع النخيل (سَاقِيّه) وتستخدم بمثابة رف لحفظ الملابس.

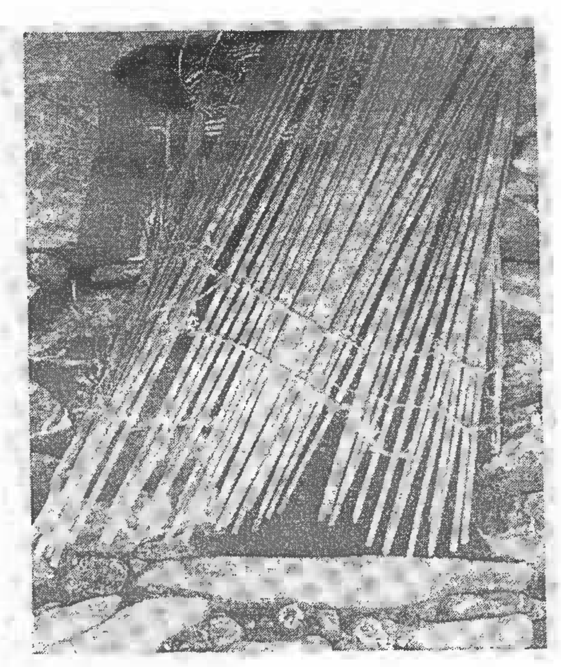
وفي القرية (ب):

1- غطاء من صفيحة أو لوح (مَشِيْفُوهْ).

2- قوائم من عدة أحجار (مَعْضَدْ).

يُسد المدخل بباب من فروع النخيل (زِفْنَهْ) مترابطة (الصورة رقن 55). أما في حالة الإغلاق فيُشد الباب إلى القائم (المَعْضَدْ).

شُيِّد المسكن من الحجارة، وفي هذه الحالة فقد شيدت غرفة الاستقبال والمطبخ على وتيرة واحدة. في الوسط عمودان قائمان من الحجارة (مِرْعِبِيْ) وضعت عليهما عوارض مستقيمة (مصَدّقْ) وجمعها (مصَادق).



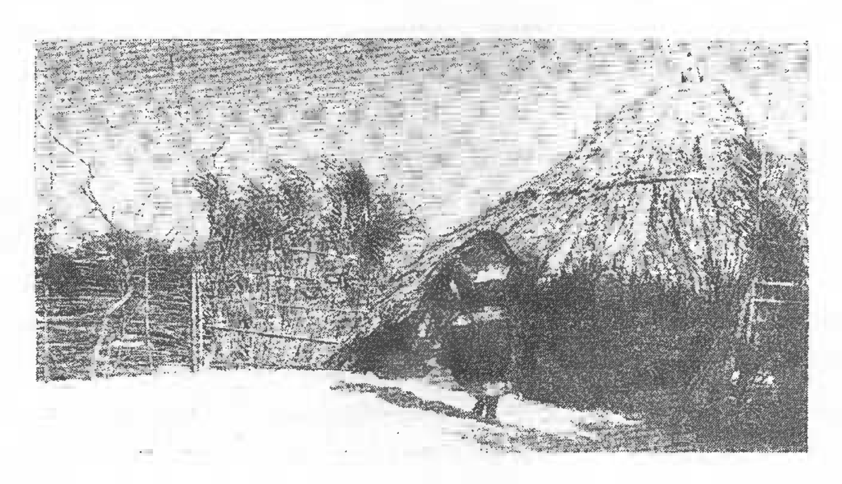
(الصورة 55) باب من جريد النخل.

واصلنا رحلتنا من (دفعرهو) في اتجاه الجنوب، مررنا بالسهول الساحلية الجنوبية، لنصل إلى ذلك الجزء المغطى بالكثبان الرملية. إنه نوجد. هنا

يلفت النظر الاختلاف الحاد للبلدة عمّا رأيناه في جميع إنحاء الجزيرة. غالبية المساكن هنا من الأكواخ ذات السقوف المخروطية الشكل المشيدة من سعف النخيل، ولا توجد مساكن حجرية تقريباً (الصورة رقم 56).

إن منظر الأكواخ المشيدة من النخيل على التراب بهي وفريد للغاية: فاللون الرمادي لسعف النخيل يتباين مع التربة الصفراء الفاتحة والأشجار الخضراء القائمة على خلفية هذا المحيط اللازوردي الأزرق. ومثل هذه اللوحة يمكن مشاهدتها على امتداد الجزء الرملي من الوادي، أما بعد ذلك، عندما تحل السفوح الحجرية محل الرمال، فأن المساكن تتغير أيضا.

في قرية (قَرْيَهْ) الواقعة في الجزء الغربي للوادي الساحلي الجنوبي، أمام رأس قطنهن، شيدت جميع المنازل من الشعُب المرجانية. ومعظم البيوت تنتصب لوحدها بدون ضيعة، والقليل منها فقط محاط بسور جداري.أحد البيوت التي نزلنا فيها كان بيضاوي الشكل في بنائه مع عمودين في الوسط وقد شُيد من الحجارة بدون مواد مثبتة، وبارتفاع حوالي مترين ومساحته 5×4 أمتار، ومسقوف بسيقان شجرة ميترير وبالأحجار المرصوفة فوقها والمغطاة بالطين. وفتحة الباب بحجم 150×80 سم ويغطي الباب بأغصان النخيل (الرسم رقم 57).



(الصورة 56): صاحبة ضيعة في نوجد.

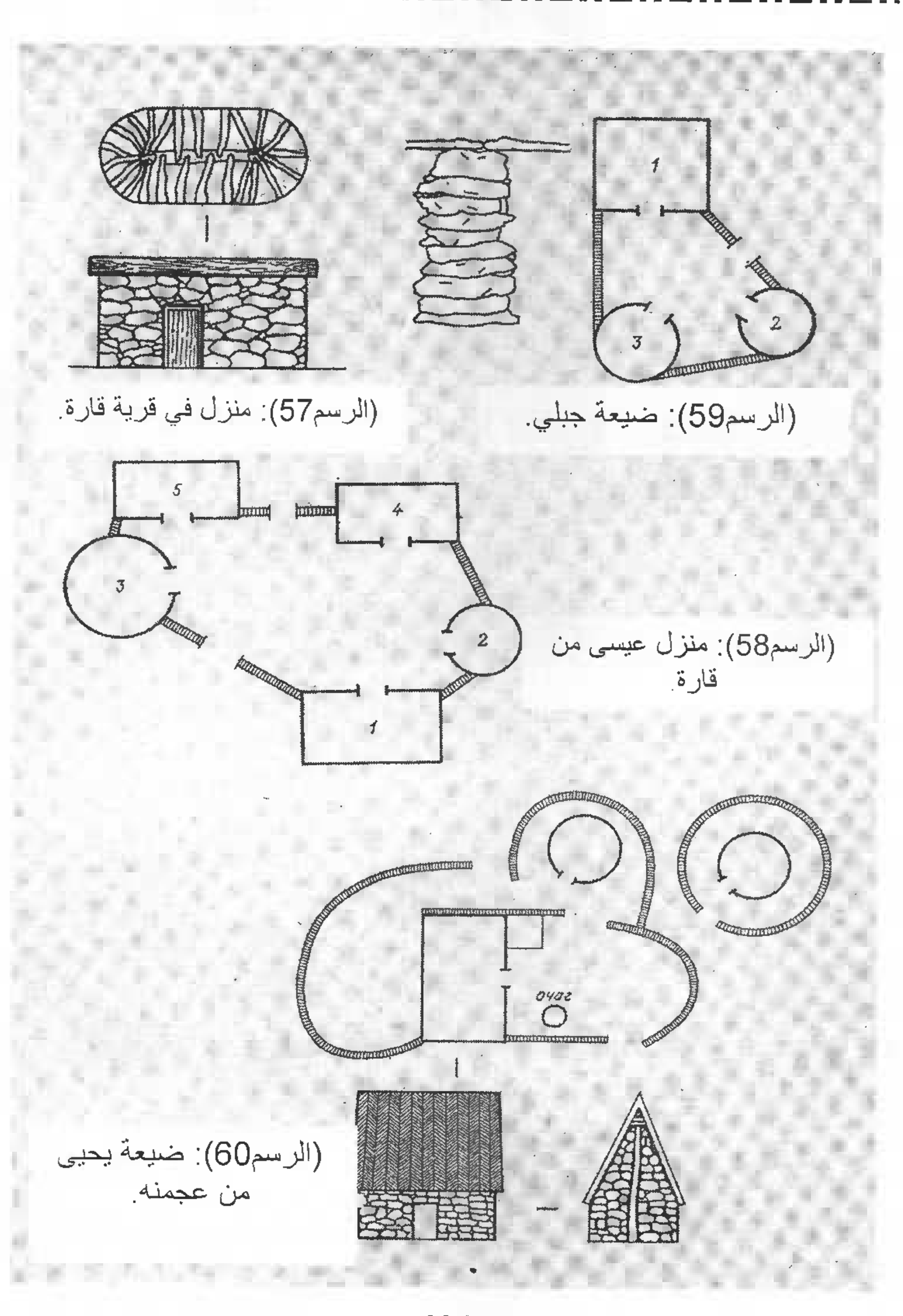
وإلى جانب ذلك الطراز من المباني، توجد هنا، كما في كل أنحاء الجزيرة، الأكواخ ذات السقوف المخروطية.

أحد سكان (قريه)، عيسى، يملك منزلاً على شكل عزبة مع الحوش (الفناء) والمباني الخدماتية (الرسم رقم 58)، وأكبر هذه المباني 21 متراً مربعاً، وهو عبارة عن حجرة تسمى (دَرْفِنْ): تستخدم كغرفة استقبال، وفيها عمودان فقط من الحجارة أرفع من مستوى الجدار، ولذلك فأن للسقف سطحين منحدرين وليس سطحاً مستوياً. وهناك كوخان (2 و 3).يستخدم الأكبر كمطبخ والأصغر غرفة سكن للنساء، والحجرتان الأخيرتان (4 و 5) للسكن أيضاً.

أما بيوت الجبليين القاطنين في حجهر والأودية الجبلية في المنطقة الوسطى فهي ذات تصميم قائم الزاوية، ومشيدة بمختلف الأساليب من أحجار مسوّاة وغير مسوّاة، وكذلك الأكواخ الدائرية المبنية من الحجارة مع سقوف مخروطية الشكل. وفي الرسم (59) مخطط لعزبة أحد الجبليين مؤلفة من ثلاثة مباني: (1) مسكن على طراز (حاضِرْ) و (2 و 3) كوخان مبنيان ليس من سعف النخيل وإنما بالحجارة (سترِهْ دِيفمُول). وكل نوع من المباني له أسمه الخاص ولكن هذه المطابقة ليست صارمة دائماً. فعلى سبيل المثال فأن الكوخ الحاد من الأعلى يمكن أن يستخدم كمسكن وكمخزن للمؤن. ولقد رسمت عزبة احد الجبليين،اسمه يحيى، من قرية (عَجْمِنُهْ)، قبيلة دعرهو، على شكل مخطط في الرسم رقم 60.

توجد لدى الجبليين، في الغالب، مساكن في كهوف طبيعية، ويوضع في هذه الحالة جدار مشيد من الحجارة فقط أمام الكهف، وتستخدم الكهوف في بعض الحالات كمساكن رئيسية دائمة، و في حالات أخرى موسمية أثناء الانتقال مع الماشية إلى تلك المنطقة.

وإذا كان لمسكن الجبليين منشآت إضافية، فأن المسكن في المناطق الساحلية بدون مباني أضافية عديدة. فهو يتكون من مجمع محاط بجدار. تعيش الأسرة في مبنى يسمى (دَرْفَنْ) وتوجد غرفة استقبال أيضا.أما المخزن والمطبخ فيقعان على انفراد، وهناك مغسلة (مُغَسَلْ) وحمام (بَشُورَهْ) وبئر (عِبْهُرْ). وفي الحوش تنمو عادة النخيل، وتوجد أحياناً جنينة غير كبيرة (بُستان دِيْ مِعْسِهْ). تحاط الدار كلها بسياج (عِرِيَهْ) من الصخور الكلسية. وباب المسكن في الجدار وهو يوصد بـ (تِئِرْ). وتطلى جدران البيوت في المناطق الساحلية بالصلصال أو النورة التي يتم الحصول عليها عن طريق إحراق الشُعب المرجانية. ويسمى المسكن الرئيسي في قرية (قريه) والقرى الأخرى في الجنوب الغربي (مكوتي).



(الرسم57): منزل في قرية قارة.

(الرسم59): ضيعة جبلي.

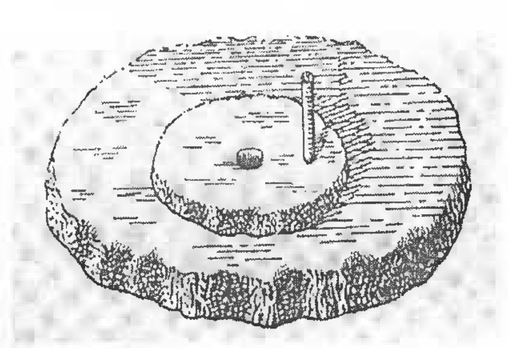
(الرسم58): منزل عيسى من قارة.

(الرسم60): ضيعة يحيى من عجمنه.

وتشهد الرحى الحجرية على مهارة السقطريين في تطويع الحجارة (الرسم رقم61، 62).

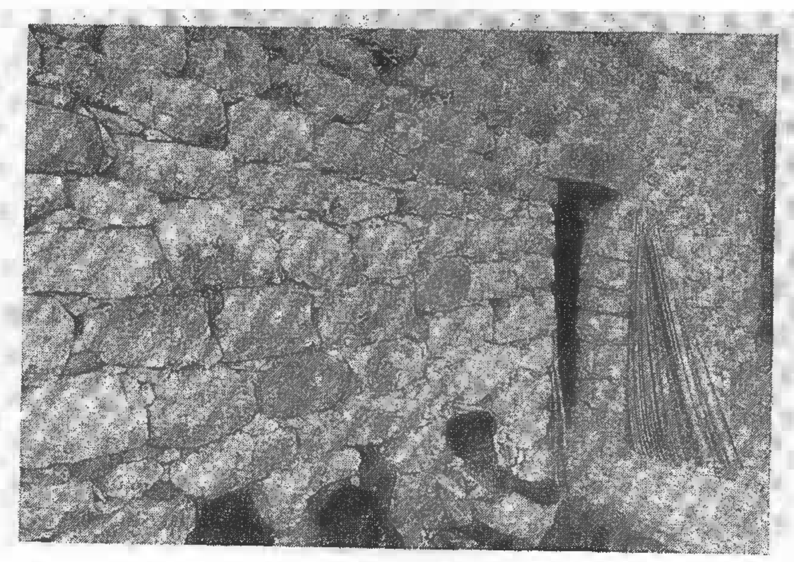


(الصورة 61): رحى حجرية يدوية.



(الرسم 62):نموذج للرحى.

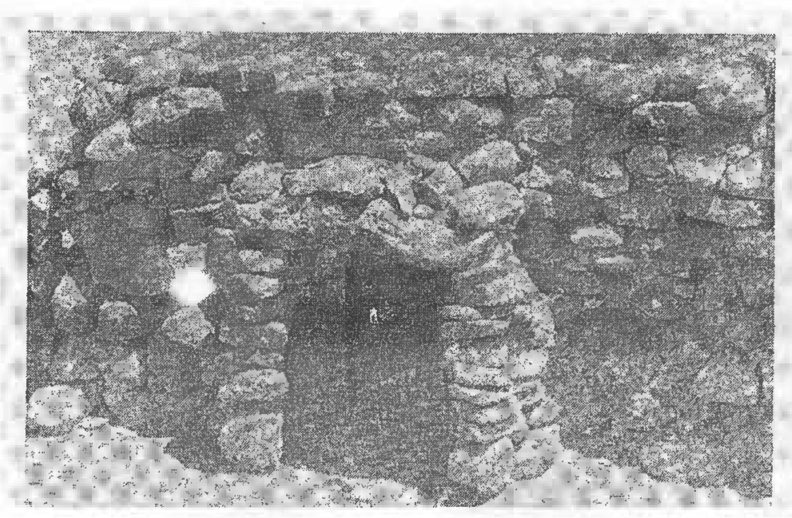
كما أن سقوف المنازل مختلفة أيضاً، فهي يمكن أن تكون من أغصان النخيل المجمعة، وقد تطلى من الأعلى بالصلصال إذا ما كان السقف مستوياً، إما إذا كان ذا سطحين منحدرين فلا ضرورة لطلائه. وهناك أيضاً سقوف حجرية. حيث ترص الأحجار الدقيقة والعريضة وتلاصق الواحدة بالأخرى فوق الأخشاب. ثم تضاف فوقها طبقة من الطين. ومثل هذا السقف لا يسمح بتسرب الماء إلى الداخل حتى في أوقات المطر التي تستمر لفترة طويلة.



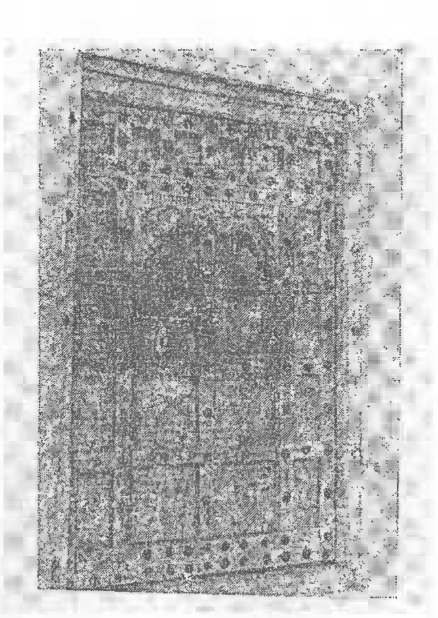
(الصورة 63): مبنى من الحجارة المسواة.



(الصورة 64): مسكن من حجارة غير مسواة.



(الصورة 65): مخزن مع ملاط طيني.



(الصورة66): باب منزل في حديبو.

في الأعوام الأخيرة شيدت أكثر البيوت في حديبو وقلنسية وقرى الساحل الشمالي من الأحجار المسوّاة بإتقان مع استخدام الأسمنت (الصور 63 – 66). يوضع الأساس تحت الجدار، حيث يحفرون أخدوداً للمدماك على عمق 30 سم ثم يردم بالحجارة، ويتم بناء الحائط (شبك البِناء) من صفين من الحجارة (ظَفُوري). ويُحضر المحلول لطلاء الحائط بالتناسب التالي: قسم من التراب وخمسة أقسام من النورة. وهو يسمى (خلّاط – خليطه)، ويسمى المكان الذي يتم فيه مزجه (مَخْلَبَهْ).

يترك في الجدار مكاناً للباب (وَرْقَهْ)

وللنوافذ (دَرِيْشِهْ). ويسمى الصف العمودي من الحجارة الكبيرة المنتصب بجانب كتفي الباب (مَعْضَد). والعارضة الفوقية (تيَاسِرْ). يرص البناءون الحجارة واحدة فوق أخرى، وقبل البناء يتم تسوية وتعديل الأحجار.

يعتبر البناء حرفة مربحة، ويلاحظ الإقبال الكبير للقوى العاملة على هذه الحرفة. ورواتب عمال البناء، ممن يعملون في القطاع الخاص، مرتفعة فهي تبلغ في اليوم 7,5 دينار وأكثر من ذلك. وما يحصل عليه أولئك الذين يجمعون الحجارة وينقلونها إلى ساحة البناء ليس قليلاً. وإذا كانت الحمير والجمال هي وسيلة النقل الوحيدة حتى الماضي القريب، ففي الجزيرة في الوقت الراهن عشرات سيارات النقل، البعض منها ملكية خاصة، ويقوم أصحابها بنقل حجارة البناء. وتبلغ تكلفة جمع ونقل الحجارة لمرة واحدة على عربة نقل 6,5 دينار، وكلفة استئجار عربة نقل في اليوم الواحد 10 دنانير، من غير تكلفة الوقود. ويبلغ سعر كيس من النورة حسب نوعيتها من 3 – 5 دنانير.

الناس الأثرياء الذين ظهروا خلال السنوات الأخيرة في الجزيرة يَطلُون جميع بيوتهم بالنورة البيضاء بانتظام، وهو ما يرمز إلى رفاهيتهم. وخلال تواجدنا في الجزيرة تبرع المقاول، الذي ينفذ مشروع أنابيب المياه في حديبو بـ150 كيساً من النورة لبناء المسجد.

إن إتاحة الفرصة للقطاع الخاص للعمل في مجال البناء، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف السائدة وإمكانيات الدولة المحدودة للغاية، يساعد على تحسين الأحوال السكنية للسقطريين، والى جانب ذلك تتحمل الدولة تشييد المشاريع الكبيرة، على سبيل المثال الطرقات والمباني الإدارية.

الفصل السابع

الزواج عند السقطريين

الفصل السابع

الزواج عند السقطريين

إن تتبع علاقات الزواج الأسرية تعتبر واحدة من أكثر المسائل الجوهرية لدراسة التطور الاجتماعي للشعب. وللزواج الأسري في حياة السقطريين أهمية خاصة، لأن الأسرة هنا ليست فقط منظومة اجتماعية، وإنما مجموعة عمل أيضاً. وهي الخلية الأساسية للعشيرة وتحتل مكانة واضحة في التنظيم الاجتماعي للسقطريين، لاسيما مع عدم اكتمال عملية التشكيل الطبقي والحفاظ على الأشكال القديمة للحياة الاجتماعية. وتحافظ علاقات الزواج الأسرية لدى السقطريين على الصفات القديمة، التي تعطي إمكانية إعادة صياغة جملة من خصائص تطور المجتمع السقطري في الماضي.

عند النظر في هذه المسالة، لم نضع أمامنا مهمة تحليل كافة النواحي، وإنما وضعنا هدف إعطاء وصف علمي للزواج وللأسرة لدى سكان سقطرى الأصليين وإبراز مميزاتهم الخاصة واتجاهات التطور، منطلقين من أن التنظيم الأسري والعلاقات الأسرية لدى السقطريين لم تدرس بعد مطلقاً. وفي كتب الرحالة توجد ملاحظات متفرقة هي عبارة عن لمسات فقط لا نستطيع أن نحكم من خلالها على الموضوع. وقد استخدمت نتائج معلومات الاستبيانات من قبل السقطريين، التي تراعي الإمكانيات الواقعية للعمل في الجزيرة والخصوصيات المميزة للمتحدثين وكذلك النصوص الفلكلورية التي جمعناها وحكايات السقطريين والمذكرات اليومية التي دوّناها إثناء رحلاتنا في الجزيرة.

وقد أعطت المواد التي جمعناها عن مصطلحات القرابة إمكانية القيام بدراسة منظومة النسب السقطرية، الأمر الذي سيساعد في الكشف عن هذا الموضوع من مختلف جوانبه.

الإقدام على الزواج:

كما في أي مكان من البلدان الإسلامية، يعتبر الإقدام على الزواج هنا أمراً ضرورياً والعزوبية ظاهرة نادرة جداً ولكنها ليست عرضه للاستنكار الاجتماعي

القوي، كما أن وضع الرجل غير المتزوج أو المرأة غير المتزوجة ليس مهيناً. ويبقى الرجال وكذلك النساء بدون زواج في حالة ما إذا كانت لديهم عيوب جسدية فقط أو إذا لم تكن لديهم الرغبة أو الاستطاعة للإقدام على الزواج للمرة الثانية بعد الطلاق أو موت الزوج أو الزوجة (على سبيل المثال عند سن الشيخوخة). وحتى الناس الذين يعانون من أمراض خطيرة كالصرع أو الخلل العقلي وكذا المعاقين يقدمون على الزواج غالباً مع شركاء طبيعيين.

تم استفتاء مجموعة مكونة من 547 رجلا، كان بينهم ممن لم يقدموا على الزواج حتى وقت الاستفتاء 60 رجلاً فقط، أي ما نسبته 10,96٪ من المجموع الكامل، ومن بين هؤلاء الـ 60 شخصاً هناك 13 كانوا متزوجين من قبل، بما في ذلك اثنان لم يتزوجا بعد وفاة زوجتيهما (على هذا النحو يمثل عدد الأرامل 0,37٪ من إجمالي العدد) و11 شخصاً (2,01٪) طلقوا زوجاتهم، أحدهم طلق للمرة الثانية، وآخر ثلاث مرات، و47 شخصاً (8,59 ٪) لم يتزوجوا بعد، ومع ذلك فأن غالبيتهم ينتمون إلى الفئة العمرية 17 - 20 سنة، أي أنهم لم يبلغوا سن الزواج إلا منذ فترة قصيرة ولا شك أنهم سيتزوجون أيضاً.

أما مجموعة النساء الذي شملهن الاستفتاء وعددهن 519 امرأة فقد شكلت غير المتزوجات 50 امرأة أو 9,63٪ ومن بين هؤلاء الخمسين هناك 34 امرأة كن متزوجات من قبل، بما في ذلك 15 أرملة (2,89٪) و19 مطلقة (3,66٪) وكان عدد النساء اللاتي لم يتزوجن أبداً أقل بكثير عما هو الحال عند الرجال، إذ بلغ عددهن 16 امرأة (3,08٪) وتعليل هذا يعود إلى كون عدد الفتيات تحت الحد الأدنى لسن الزواج كان قليلاً بين النساء الذي أجرى عليهن الاستفتاء.

وفي كل الأحوال فحتى الرؤية بالعين المجردة تعطي أساساً للاستنتاج أن العزوبية هنا نادرة للغاية. ومن النادر أيضاً أن يبقى الأشخاص غير المتزوجين وحيدين، فهم يدخلون في قوام الأسرة الأبوية الكبيرة، وعند شيخوختهم يهتم بهم أبناء العشيرة أو غيرهم من الأقرباء (الاستثناء عن هذه القاعدة يوجد في جزيرة عبد الكوري، انظر الفصل الخامس بعبد الكوري). وعلى هذا الأساس فأن مستوى الزواج لدى السقطريين مرتفع جداً (كان عدد المتزوجين ممن شملهم الاستفتاء 89,04٪ من الرجال و 90,37٪ من النساء).

ويفضل قانون الأسرة المعمول به في كل أنحاء جنوب اليمن (ج.ي.د.ش) فأن الحد الأدنى لسن الزواج قد أرتفع، وهو يمثل في الوقت الحاضر 16 سنة للبنات و18 سنه للشباب، وكان هذا الحد حتى الماضي القريب أقل بكثير، وغالباً ما كان الزواج يتم بين الأولاد والبنات في سن 12- 13 سنة.

كان الدافع للزواج في الماضي السعي لتكوين خلية اقتصادية جديدة في الأسرة الكبيرة حالما يبلغ الزوجان السن الذي يصبحان فيه عاملين فاعلين يعتد بهما، ومع ذلك فأن الأسرة كانت تسمح بزواج الفتاة على شخص من قبيلة أخرى، إذا كانت المصاهرة مفيدة. وتتضح الأسباب الاقتصادية في علاقات الزواج عندما تكون الفوارق كبيرة في العمر بين الزوجين، وفضلا عن ذلك هناك حالات معروفة يتم فيها اقتران شاب من امرأة تكبره في السن بكثير.

وحسب العادة المتبعة، فحتى تستطيع الفتاة أن تقدم على الزواج كان لا بد من الإقرار أنها قد بلغت سن النضج وأن بمقدورها ممارسة الحياة الزوجية، وكانت تقوم بهذه المهمة امرأة عجوز (شيبب)، وينبغي عليها في الوقت ذاته أن تشهد على عذرية الفتاة. واذا قالت العجوز بعد أن تشاهد الفتاة أنها لا تزال صغيرة بعد وغير قادرة على الإقدام على الزواج فأن أهل الفتاة العروس (في حالة موافقتهم المبدئية على الزواج) يتفقون مع أهل الشاب العريس على الانتظار بعض الوقت حتى تكبر الفتاة. وليس للسن في هذه الحالة أية أهمية، لأنه يصعب على الأمهات تحديد العمر الحقيقي حتى للطفل الصغير (أما عام أو عام ونصف) ولن نتحدث عن سن 12 أو 13 عاماً. وبالطبع يمكن الاتفاق مع "العجوزة" التي يمكنها أن تلجأ إلى التزييف، وقد تفعل ذلك بنزاهة في أحيان كثيرة، خاصة عندما تفهم أن أسرة الفتاة يمكن أن تفقد الفرصة الجيدة لتزويج أبنتها، لأن الخطيب في هذه الحالة لن ينتظر وسيجد له أهله عروساً أخرى.

في الوقت الراهن تسعى الكثير من الأسر لتجاوز الحدود التي نص عليها القانون، فتزيد من عمر الفتيات لكي يتم تزويجهن مبكراً (لم يبدأ العمل في نظام تسجيل المواليد إلاَّ حالياً). وهكذا فأن الزواج المبكر يتم حتى الآن. ولقد قالت لنا عليا السلامي،طبيبة في مستشفى حديبو، إن الفتيات غالباً يبدأن ممارسة الحياة الزوجية قبل النضج الجنسي، الذي يأتي مع بداية الحمل.

وهاكم كيف قام محدثونا السقطريون وبوجودنا في خطبة فتاة (صديق العريس سعد وشقيقه مبارك ذهبا إلى أب الفتاة مقدم).

- سعد ومبارك : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- مقدم : وعليكم السلام، أهلاً وسهلاً ومرحباً.
- سعد : أنعم الله عليك. كيف حالكم ؟
- مبارك : الحمد لله. وكيف تعيشون ؟
- سعد : يحفظك الله، نحن جئنا ببساطة نبحث عن زوجة لأحمد، ونريد نخطب أبنتك فاطمة، فإذا كنت غير معترض فأننا نريد أن نخبطها.
- مقدم : أهلاً وسهلاً، من ناحيتي أنا موافق، عليكم بالخير، ولا أطلب مال كثير مقابل البنت لأنكم من أهلنا، ولكن البنت ما زالت صغيرة وانتم تعرفون هذا،ولا بد أن نبحث عن"عجوزة " لتشاهدها بنفسها. وابنكم معروف لنا ولأنه أبننا فلن نعترض عليه، ولكن مع ذلك لا بد أن نأتي بـ" العجوزة " فقد تكون البنت صغيرة.
- سعد : لا، كيف صغيرة ؟! أحمد ليس غريباً وليس عربياً أنه سقطري أصيل، وأنت تعرف جيداً، أنه إذا كانت البنت صغيرة، فأنه لن يسيء إليها ولن يعمل شيئاً لأنه أبننا وسوف ينتظر، والأهم أن توافق أنت وتعطينا كلمة نهائية.
- مقدم : طيب، سأذهب للتفاهم مع عجوزتي وأقاربي.

بعد وقت قليل يعود مقدم.

- مقدم : تكلمت مع زوجتي ومع أقربائي وقد اجتمعوا كلهم وهم كذلك موافقين، متى تريدون تحديد الخطبة ؟

وعلى هذا النحو يتم تفادي منع إقدام الفتيات على الزواج، حينما لم يبلغن بعد سن الزواج. ويعتبر بلوغ سن النضج الجنسي الحد الأدنى لسن الزواج حسب القانون الذي يجري النضال من أجل تطبيقه. وهنالك أساس للافتراض أن الدخول المبكر في الزواج تقليد راسخ يحافظ عليه الإبقاء على النمط الاقتصادي التقليدي، ومن المستبعد أن يتم زعزعته.

ويتغير الفارق في السن بين الزوجين، ففي الوقت الراهن فأن الشباب عادة يتزوج في سن 17 - 20 عاماً وأحياناً قبل ذلك، والفتيات في سن 14 - 17 عاماً.

ويحرم الزواج في الحدود الدنيا، ففي الواقع لا يمكن أن تتم الارتباطات الزوجية بين الأشقاء والشقيقات. ويُحرَم زواج الحمو من امرأة ابنه أو زوج البنت من حماته، أو زوج الأم من ابنة زوجته (من زوجها السابق) أو زوجة الأب من ابن زوجها (من زوجته السابقة)، ولأن هذا غير متعارف عليه هنا فأننا لم نُصادف مثل هذه الحالات. وسُجلت حالة زواج بين الوصي على المُوصى عليها وهذا أمر غير مُحرّم.

وتضاف إلى محظورات الزواج بين الأشقاء والشقيقات، تحريم الارتباطات الزوجية بين الأخوة من الرضاعة. وتتساوى القرابة بين الذين أرضعتهم امرأة واحدة إلى مستوى قرابة الدم (وهي خاصية لكل الشعوب الإسلامية ولكثير من الشعوب الأخرى في آسيا وأفريقيا). وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار انتشار عادة إعطاء الطفل للتنشئة والرضاعة لدى الأسر البدوية فأن تحريم مثل هذا الزواج يعتبر مقيداً بشكل ملحوظ. والطفل الذي أرضعته المرأة يسميها أماً وأبنائها أخوة وأخوات. وهناك مصطلحات خاصة لتحديد هذا الشكل من القرابة.

عدا ذلك يمكن تتبع في عقد الزيجات شرائع محددة تدل على وجود التحريم عند بعض العشائر في التزاوج مع الآخرين. ولكن طالما أنه لم تتبق إلاّ مخلفات مثل هذه المحظورات فأن إعادة إحيائها أمر غير ممكن.

اختيار شريك الزواج

عند اختيار شريكة الحياة لا يشارك فقط والدا الخطيب، بل في حالات كثيرة كامل العشيرة. وخلافاً لما هو سائد في معظم البلدان العربية حيث لا يستطيع الفتى في المناطق الريفية رؤية شريكة حياته القادمة، فأن الفتيات في سقطرى يتمتعن بحرية قليلة الحدود، بما في ذلك الدخول بعلاقات الود والألفة، ويعرف الشاب تقريباً العرائس المحتملات ويشارك بفعالية في اختيار شريكة حياته. ويتم الجزء الغالب من الارتباطات الزوجية برغبة الزوجين الذين يميل بعضهم إلى بعض، ومع كل ذلك تؤخذ بعين الاعتبار الأسباب العملية، ولا يستطيع الشاب أن يتجاهل رأي والديه وأقربائه.

وفي العادة فأن آباء الخطيب يختارون الخطيبة. ولكن يحدث أن تأتي المبادرة من آباء الخطيبة، أو أن يكون الزواج حصيلة اتفاق بين الجانبين. وقد سهل

الأمر في الماضي القريب، في كون محيط الناس الذين بإمكانهم الدخول في علاقات الزواج مع بعضهم قد كان مقيداً بالتقاليد. والحديث هنا ليس عن التحريم وإنما عن تفضيل الزواج بين أبناء العمومة. وإلى ما قبل 15 - 20 سنة مضت، كما قال محدثونا، ساد على الإطلاق الزواج بين أبناء العمومة في كل أنحاء الجزيرة.

إن زواج أبناء العمومة ميزة لدى القبائل التي تأخذ بالاعتبارات الأبوية للنسب. وهذا الأمر يعتبر مفضلاً لدى العرب وبعض الشعوب الأخرى. ومقارنة بين المعلومات التي حصلنا عليها عن العرب مع المعلومات عن ماضي السقطريين، يمكننا أن نستنتج أن تفضيل زواج أبناء العمومة لدى السقطريين قد بلغ حدوده القصوى. وهناك أسباب لدى بعض القبائل في اعتبار الزواج بين أبناء الأخوة أمراً ملزماً في كل الأحوال. وفي الحقيقة فأن الاتفاق على مثل هذا الزواج قد وجد في إطار الأسرة المركبة الواحدة أو الأسرة الأبوية، التي تؤلف وحدة اقتصادية واحده، طالما أن الأشقاء لم يتقاسموا أرث الأب، حتى وان كان مسكنهم منفصلاً.

وفي المراجع التي بين أيدينا أوصاف تفصيلية إلى حد ما للعوامل التي تساعد على ظهور هذا الشكل من الزواج. فمثل هذا الزواج لا يلحق ضرراً في ممتلكات الأسرة الأبوية التقليدية الكبيرة، لأن المهر الذي يدفع للعروس (وهو يتمثل في الأساس بالشكل العيني - الماشية) وبالمثل ذلك الجزء من ملكية الأبوين الذي يقدمانه للبنت، لا يخرج عن حدود الأسرة.

ومع ذلك توجد اعتراضات على النقيض من هذا التوضيح، جوهر أحدها رواه على وجه الخصوص د.أ.أولديروغي في مؤلفه (أبيجابما): " عند قبولنا بأساس منظومة المجتمع القبلي لمنع الزواج الخارجي، ينبغي علينا منطقياً أن نخرج عن إطار مفهوم العشيرة لعادة الزواج على بنت العم المنتشرة بشكل واسع لدى العرب، أو بالدقة، لدى كثير من شعوب مجموعة اللغات السامية، ومثل هذا الزواج يخالف مبدأ الزواج الخارجي، لأنه في مثل هذه الحالة يقدم على الزواج أفراد من نفس العشيرة، والاعتراف بأن الزواج الخارجي صفة رئيسية للعشيرة يتعارض مع نفس التفسير، وقد جرت محاولات لإيضاح الزواج من هذا النوع للأسباب الاقتصادية، أي أن أهل العريس لا يدفعون مهرا لأهل العروس. ومثل هذا التفسير له أنصاره، لكنهم ينسون مع ذلك أن أهل العروس

ينفقون بنفس المقدار الذي أنفقه أهل العريس، ولهذا لا ينبغي اعتبار هذه الحجة كأساس".

إن السبب كما يبدو لا ينحصر فقط في كون أهل العريس في مثل هذا النوع من الزواج لم يدفعوا مهراً لأسرة غريبة، طالما أن أهل العروس قد فقدوا أمكانية استلام المهر من أسرة غريبة أيضاً، وإنما ينحصر في السعي نحو تقوية وتعزيز الوحدة الاقتصادية للأسرة، وهو ما كان يضمن إلزامية الزواج في حدود الأسرة الأبوية. وفي الوقت نفسه يعزّز من عزلة العشيرة التي تستثني الزواج الخارجي.

وفي الحقيقة لا ينبغي النظر إلى الظاهرة المشار إليها بمعزل عن التقاليد المنتشرة في المنطقة، وقد كتب م.أ.روديونوف :" يرتبط منشأ الزواج من إبنت العم بعلاقات الملكية التي تكونت في إطار الأسرة الأبوية أو في مجموعة أكثر توسعا... وحسب العادات المتبعة في الشرق الأوسط فإن إبن العم هو الخطيب (الوحيد) لإبنت عمه، وهو معفي من دفع مهر الزواج جزئياً أو بالكامل.ولا يجوز لوالد الفتاة أن يزوجها على شريك آخر إلا في حالة موافقة ابن عمها فقط، والذي يُعطى له جزء من المهر الذي يدفعه الخطيب الجديد كتعويض له مقابل تنازله عن الزواج". [39 ص 74].

بدأت في الأعوام 15 - 20 الماضية، تضعف الاتجاهات نحو العزلة، مع الاتصال التدريجي لسكان الجزيرة بظروف الحياة المعاصرة. وعلى الرغم من حيوية تقاليد الزواج بين أبناء العم إلاّ أن النسبة أخذت تقل. ولكن فإلى جانب العوامل المؤثرة ضد بقاء هذه التقاليد ظهر في الفترة الأخيرة عامل جديد يؤثر لصالحها، ذلك هو ارتفاع مقدار المهر الذي يدفع للفتاة، والذي يرتبط بالتغيير في الأوضاع المالية للأسر خلال الأعوام الأخيرة وكذا التغييرات العامة التي تشهدها الجزيرة. وفي الوقت الراهن فأن إمكانية الزواج من ابنة العم دون دفع المهر أو بدفع مبلغ رمزي يعني بالنسبة للعريس وأهله تجنب إنفاق الكثير من التكاليف التي يمكن أن تلحق خسائر كبيرة بميزانية الأسرة. وبالطبع فأن أهل الخطيبة يفقدون إمكانية استلام مبلغ كبير كمهر للفتاة، ولكن مع ذلك لا ينبغي إغفال مسألة التكاتف العام الذي يسمو هنا فوق مصالح الأسرة المرّكبة.

قال لنا علي مبارك من قرية حاصن إنه يتم في هذه القرية والقرى المجاورة لها الدخول في علاقات الزواج من حيث الأساس مع "الأصحاب" ومن غير المتعارف عليه دفع مهر كبير مقابل العروس. أما عند الزواج بين أبناء العمومة فأن المهر لا يدفع بشكل عام (كما هو الحال في كل الجزيرة)، ومع ذلك لا يطلبونه أحياناً في حالات مماثلة أخرى، وتُحدد عوضاً عن المهر هدايا أخرى: كإهداء الخطيبة الحلي الذهبية أو الفضية وإهداء أسرتها بعض رؤوس الماشية والسمن والتمور..الخ. وحينما يُرزق الزوجان الجديدان مولودا يهدونهما شاة وبقرة ونخلة أو أي شي (تشجيعاً) كما يقال.

تبين من الاستفتاءات التي أجريناها في الجزيرة أن قرابة ربع الرجال الذي تم استفتاؤهم في الوقت الحاضر قد عقدوا قرانهم على بنات العم. ويتم كذلك الزواج على بنات الخال (شقيق الأم) وعلى بنات العمّة، أو على ابنة الخالة (شقيقة الأم). وعلى الرغم أن الزواج على ابنة الخال يتسع بكثرة بعد الزواج من ابنة العم، حسب معطيات الاستفتاءات، إلاّ أن هذا غير كافٍ لوضع استنتاج ما. وبشكل خاص لا يوجد سبب هام للحديث عن الحفاظ على بقايا القرابة العشائرية من جهة الأم..الخ.

وحسب ما أوضحه من تحدثوا إلينا أنفسهم، فعندما لا يكون للشاب ابنة عم فأنه في هذه الحالة يفضل الزواج على أية فتاة أخرى من الأقرباء. ويستحسن ابنة ألعمة، وإن تعذر هذا، فابنة الخال، وفي الحالات القصوى ابنة الخالة. وفي هذه الحالة لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أنه إذا كان آباء الخطيب والخطيبة يعتبرون أبناء عم من جهة خط الأب، فأن بنت شقيقة الأب تعتبر في الوقت ذاته أبنت شقيق الأم، ولا يعني هذا الزواج خروجاً عن حدود عشيرة الأب.

ويقدم بعض الشباب على الزواج من الأقرباء البعيدين، ممن لهم صلة قرابة بالأب غالباً، وفي حالات نادرة بالأم. وينتشر في الوقت الراهن وبشكل واسع الزواج من بنات القبيلة مثله مثل زواج أبناء العمومة الذي تفوق من قبل على مختلف الأنواع الأخرى. ونلفت الانتباه إلى نتائج الاستفتاء الذي أجريناه. فمن بين 392 ممن استفتيناهم من الرجال، هناك 127منهم أي ما نسبته 32,4 ٪ لم يعطوا إجابات على الأسئلة المطروحة. وكان الزواج مقسماً بين 265 رجلاً ممن أعطوا إجابات على النحو التالي:

نوع الزواج	العدد	نسبة من أجابوا	النسبة العامةلمن تم استفتائهم
متزوجون من ابنة العم	69	26.04	17.60
متزوجون من ابنة العمّة	3	1.13	0.77
متزوجون من ابنة الخال	17	6.42	4.34
متزوجون من ابنة الخالة	5	1.89	1.28
متزوجون من قرابة أبوية	10	3.78	2.53
متزوجون من قرابة أمومية	3	1.13	0.77
متزوجون من قرابة بعيدة	8	3.02	2.04
متزوجون من القبيلة	69	26.04	17.60
متزوجون من نفس المركز	11	4.15	2.80
متزوجون من غريبة	70	26.42	17.86

وهكذا تزوج أكثر من أثنين أخماس من الرجال الذي أعطوا إجابات على القريبات، وأكثر من ثلثين (حوالي 70 ٪) على قريبات وبنات من القبيلة أو العشيرة. أما الزواج من "الغريبات" فتدخل في إطار عدة أنواع (كان من الصعب التمييز بينها أثناء عملية الاستفتاء). بما في ذلك الزواج من فتاة تعيش في منطقة جغرافية محددة، خارج حدود سكانها الذين نادراً ما يقدمون على الزواج. ومع ذلك توجد علاقات زواج مع المنحدرين من مناطق تقع على مسافات بعيدة بعضها عن بعض ولا وجود لأية صلات بينهم. ويتميز بشكل خاص زواج الشباب المنحدرين من خارج سقطرى، من جنوب اليمن (حضرموت والمهرة) وشمال اليمن وعمان وغيرها.

إن زواج الأبناء مسألة يتخذ القرار بشأنها من قبل الأسرة المركبة، وقبل كل شي رب هذه الأسرة. وعند ذلك يتم بالطبع مراعاة التتابع، حيث يتم الأخذ بعين الاعتبار ليس فقط أسبقية الأبناء وإنما أيضاً الظروف الأخرى وإمكانيات الزواج في الوقت المحدد...الخ. ويقرر رب الأسرة باعتباره مدبر

الميزانية الأسرية الموحدة مسألة تحديد المبلغ المطلوب من المال والعدد اللازم من الماشية مقابل مهر عروس الابن، وتشارك الأم وأفراد الأسرة في حل هذه المسألة. وحتى في حالة أن يتم الزواج برغبة الابن فأن موافقة الأب ضرورية في كل الأحوال.

وعند الحديث عن اختيار شريك الزواج لا بد من الإشارة إلى أنه لوحظت في الأعوام الأخيرة اتجاهات للزواج بين السقطريين من المناطق الداخلية وسكان العاصمة والبلدات الكبيرة، وفي الغالب مع المنحدرين من خارج الجزيرة من اليمن، الذين أصبحت أعدادهم أكثر فأكثر، وهو ما يقابل باستهجان من قبل البدو، وهذا ما يتجلى بوضوح في قصيدة سجلناها للشاعر البدوي علّي عبدالله ريغدهي، يتذمر فيها من الشباب غير الجديرين ببنات العم، اللاتي يذهبن إلى الغرباء، تحت إغراء "الحياة السهلة".

الزواج ورواسب التنظيم الثنائي

يرتبط تقسيم القبائل السقطرية تاريخياً بمنظومة العلاقات الزوجية وهو ما لم يكن ملحوظاً لأسلافنا.

وخلال تجوالنا في قرى المنطقة الشرقية، اتضح لنا، أن جميع قبائل هذه المنطقة تنقسم إلى نوعين:

(صَعْبَبْ) أي أبيض و (حَاهِرْ) أي أسود. وحينما يُسأل الناس أحياناً عن انتماءاتهم القبيلة يجيبون بالقول:"أبيض" أو " أسود "، وبعد الأسئلة الإضافية فقط يذكرون قبيلتهم. وفي الواقع فقد أصبح "البيض" و "السود" قبائل منفصلة ومستقلة، وحتى الصلات بين هاتين الكتلتين في القبيلة الواحدة لا تدوم تقريباً في بعض الحالات. ومع ذلك لاحظنا حالات مناقضة تم فيها الحفاظ على عناصر الاقتصاد الموحد بين "البيض " و " السود". والصفة المميزة لهم هي تقسيم مواقع السكن، على سبيل المثال يقطن "البيض" في قرية (فَلاكِيْ)، أما "السود" من قبيلة شبهنو ففي قرية (شِبْهِنوُ). وفي قبيلة جلْبْهُو المجاورة مباشرة لشبهنو، يعيش "البيض" في قرية بجوبج، و"السود" في جلاسوُنو.

عند زيارتنا لقرية جِلبْهُو لاحظنا أن "البيض" من (بجوبج) قد عاشوا في عزلة وانغلاق أكثر مما هو حال "السود" في جلاسينو. وقد تخوفوا من الإجابة

على الأسئلة، وكثيراً ما كذبوا، وكانت مساكنهم غير نظيفة، وتتناثر الحصائر البالية والمهملة، وجميع الأواني والألحفة قديمة ومهترئة. وقد تكوّن انطباع فحواه أن سلالة "البيض" كانت في ما غبر من الزمان خاضعة في علاقاتها لعشيرة "السود".

ما أدهش ج، براون أن بدوياً تمكن من تفادي تقسيم وتجزئة الممتلكات من خلال منظومة من العادات غير معروفة له. وهو ما مثل عائقاً رئيسياً في طريق تطور المزارعين، كما كتب الخبير الاستعماري الإنجليزي، الذي أشاد بالنظام البريطاني لوراثة الممتلكات. وقد كتب:" أنني لم أحاول الإمعان في الطريقة الخاصة التي تم من خلالها بلوغ ذلك، لكن حدث أن بقيت الممتلكات غير مجزأة على امتداد حياة أجيال كثيرة. وهذا عامل هام جداً عند التفكير في أي تطور ما".

لقد حصل عدم قبول التجزئة حقيقة حسب رأينا. والسبب الرئيسي لذلك، كما يبدو، أنه بفضل الزواج بين أبناء العم أو الزواج بين الأقرباء، الذي فكرت به الأسرة الأبوية الكبيرة جيداً مع مراعاة المصالح الاقتصادية للأسرة قد أمكن اجتناب تقسيم قطيع الماشية بين ورثة كثيرين. لكن في الأساس لم يكن هناك ورثة كثيرون: فنسبة الوفيات المرتفعة بين الأطفال في الجزيرة تؤدي إلى بقاء القليل من الأطفال على قيد الحياة. عدا ذلك، فأن الوحدة الاقتصادية قد حافظت على المنظومة العشائرية القبيلة للمجتمع. ثم أن امتلاك الزوج والزوجة للماشية مقسمة بينهما قد ساعد كذلك على الحفاظ على الممتلكات الأسرية، لأنها عند طلاق الزوجة تعود إلى نفس المكان الذي جاءت منه.

وفي حالات نادرة عندما يكون في الأسرة ورثة كثيرون من الرجال، فأن الأبناء الذين حصلوا على القليل جداً من الماشية والنخيل، قد خرجوا خارج حدود الاقتصاد الأسري، ونزلوا إلى الساحل، حيث بدأوا بمزاولة اصطياد الأسماك أو أي عمل آخر يمكنهم الحصول عليه، واتجه البعض منهم إلى القارة، وهاجروا للعمل في بلدان الجزيرة العربية. وعلى أية حال فأن أمثلة لذلك معروفة لنا. ففي قرى الساحل قابلنا الكثير من الكهول المنحدرين من القبائل الجبلية، ممن أصبحوا غواصي لؤلؤ وصيادين وخدموا في الماضي لدى السلطان وعملوا في السعودية وعمان وإمارات الخليج العربي. هكذا كان

مصير أحد الذين تحدثوا إلينا، وعلى وجه التحديد، سعد سعيد من قبيلة بني مالك والذي يسكن في الوقت الراهن قرية قاضب من الساحل الشمالي للجزيرة.

يوجد تقسيم مماثل إلى "بيض" و "سود" في حجهر (ولكن ليس لدى جميع القبائل)، وكذلك في المناطق الغربية حيث توجد حسب معلوماتنا أعداد أقل من القبائل التي تنقسم إلى المجموعتين المذكورتين. ويعيش "البيض" و "السود" من قبيلة فيرجهو (المنطقة الغربية) في قرى مـ لفة ولكن متقاربة بعضها لبعض.

أوضح من تحدث إلينا من قبيلة جلبهو التي سبق ذكرها وكذلك الكثير من القبائل الأخرى سبب التقسيم إلى "بيض" و"سود" برتابة عجيبة: ففي زمن ما كان لدى الجد الأقدم مؤسس القبيلة اثنان من الأولاد، أحدهما أسمر والآخر أبيض ومنهما جاءت العشيرتان. هذا من حيث المظهر الخارجي "بيض" و "سود"، ومع ذلك لا يمكننا القول أن الأمر ينحصر في لون الجلد، ولكن لا يستطيع السكان الأصليون تقديم رواية أخرى.

إنه لمغرٍ بالطبع لو وجدت مثل تلك الحقائق التي يمكن أن تكون دليلاً على أنه قد بقي في انقسام السقطريين إلى "بيض" و "سُود" بقايا توزيع القبائل إلى مجموعتين كبيرتين في التزاوج الخارجي، ولكن فأن مثل تلك الحقائق للأسف لم يتم العثور عليها.

في الوقت الراهن لا توجد قواعد خاصة للزواج بين أفراد هاتين العشيرتين: يتحدث الرجال المسنون عن غلبة الزواج بين أبناء العم في الماضي، أما في الوقت الحاضر فأن الجزء الأكبر من الزواج يتم وفقاً لحرية الاختيار.



(الصورة 67): أسرة سقطرية.

محلية الزواج

الزواج الأبوي لدى السقطريين - قاعدة مطلقة لا حياد عنها تقريباً (ومن النادر أن يكون مكان إقامة الأزواج الشباب غير محلية). عندما يتزوج الشباب فأنهم يصطحبون العروس إلى بيت الأب، علاوة على ذلك ترافق هذا الانتقال عادات ومراسيم محددة مناسبة. أما المستقبل اللاحق للأزواج الفتيان فيرتبط بالمكان الذي سيعيشون فيه وأسلوب الحياة التي يختارها الزوج. ففي العاصمة والقرى الساحلية وجدت نزعة انفصال الشباب عن الأسرة الأبوية، والتي يكبحها بروز صعوبات جديدة في تجهيز المسكن خلال الأعوام الأخيرة (ارتفاع تكاليف البناء والمواصلات، وضعف الروابط بين أبناء القبيلة أو العشيرة، الأمر الذي عرقل استمالة القوى العاملة المجانية).

نلاحظ أيضاً نزعات مماثلة في بعض قرى الصيادين، حيث المحافظة على الأسرة الكبيرة ليس كباعث لضرورة الحفاظ على الماشية الأسرية وملكية المراعي، وكذلك أيضاً في الأماكن الأخرى، حيث لا تمتلك الأسر قطيعاً

كبيراً من الماشية ولا وجود لصعوبة في بناء المساكن (على سبيل المثال، في الهضبة الساحلية الجنوبية، حيث تبنى الأكواخ من جريد النخيل والأغصان). ثم أن الظروف المناسبة في منزل الآباء تعتبر كذلك باعثاً لبقاء الشباب للعيش فيه.

استفتينا 341 أسرة في موضوع بيان محلية الزواج. كان الزواج في 238 حالة أبوياً محلياً (69,79٪)، وفي 98 حالة غير محلي (28,74٪)، وفي 5 حالات كان الزواج أمومياً (1,47٪).

إذا كان الشاب المتزوج حديثاً يسكن مع والده في البادية، ويعمل في حديبو، ففي هذه الحالة فقط يمكنه أن يسعى لنقل زوجته إلى العاصمة ويقوم هناك بإنشاء مسكنه الخاص، إذا كان عمله أو خدمته دائمة ويملك ضمانة بقاء عمله. أما في الحالات المعاكسة - والحديث يجري عن الخدمة المؤقتة (على سبيل المثال في الجيش والشرطة) أو العمل المؤقت (على وجه الخصوص، عمال البناء بالأجر اليومي) فكما جرت العادة فأنه يبقي الزوجة في منزل الأب.

حين يبدأ الشباب حياتهم باستقلالية، يعُطى للابن حصته من إرث الأب، ويضاف إلى ذلك ما تأتي به الزوجة معها، وفي الغالب، لا يكون الانفصال تاماً، ويمكن للزوجين الجديدين أن يشيدا لأنفسهما منزلاً مستقلاً فقط بجانب منزل والد الزوج. وفي هذه الحالة فأن الزوج لا يأخذ حصته من الإرث من الأسرة الأبوية، ويتم تدبير الشئون الاقتصادية بصورة مشتركة، وفي حالات معينه فأن الأزواج الحديثين يقتاتون سوية مع الآباء وأفراد الأسرة الأبوية الآخرين، وبصورة مستقلة في حالات أخرى. ويمكن أن يكون مسكن الأزواج الجدد منفصلاً عن منزل الأبوين (سواء في إطار الموقع السكني الواحد أو في خارجه)، ولكن الابن حتى في هذه الحالة لا يأخذ غالباً حصته من الميراث.

عند غياب الزوج (للخدمة العسكرية أو الدراسة أو العمل خارج الجزيرة في اليمن أو المهجر) فأن زوجته الشابة تعود إلى بيت أهلها ولا تعيش وحيدة أو مع أهل الزوج.

من الأمور المعروفة أن الشباب ينتقلون من المناطق الجبلية إلى الساحل من أجل الحياة والعيش " بالأسلوب العصري"، وها هو محدثنا محمد عبدالله سالمين، 26 عاماً، جاء من قرية ترومو في جبال المنطقة الوسطى، إلى القرية الساحلية دي حمض، "لكي يصبح مثقفاً" وهذا يدل عن التغيير في مستوى

القيم لدى جزء محدد من الشباب الجبلي، الذي يرى أن حياة الجبليين مربي الماشية بنمطها التقليدي وبقساوتها ورتابتها وشظفها وعزلتها عن أماكن تجمع الناس والكفاح المستمر من أجل البقاء، كل هذا لا يتوافق في رأيهم مع المتطلبات الجديدة. وإذا كانت مكانة الجبلي مربي الماشية في الماضي أكثر شهرة لدى السقطريين، فأنها قد اهتزت الآن بصورة كبيرة.

عندما يتزوج الرجل الكبير الذي يتملك منزله الخاص (أي الذي سبق أن انفصل عن الأسرة الكبيرة) فأن الزوجة تنتقل إليه. وتتشابه الظروف عند الزواج بعد الطلاق: يأتي الزوج بالزوجة الجديدة إلى البيت، أما الزوجة السابقة المطلقة فتعود إلى بيت أبيها. ونعرف حالات نادرة فقط يكون فيها مسكن الزوج السابق من نصيب الزوجة السابقة

يعد الزواج المحلي – الأمومي استثناء بالنسبة للسقطريين، وعلى العموم، فوفقاً للمعلومات التي جمعناها، يمكن أن يكون الزواج المحلي – الامومي في الظروف الآتية:

1- إن آباء الزوجة متقدمين في السن وليس هناك من يعتني بهم.
2- ليس لدى آباء الزوجه من يعتني بقطيع الماشية والنخيل.
3- إن آباء الزوجة أغنياء والزوج فقيراً.
4- أن يكون آباء ألزوجه قد وضعوا هذا الشرط عند الخطبة.

مزارع النخيل عيسى ساني غانم، 54 عاماً، يعيش في حديبو. وهو ميسور الحال: لديه من ممتلكات الأسرة 300 نخلة وكثير من الماعز و8 أبقار، يقوم برعيها في حجهر عامل مأجور. إحدى بناته الثلاث تعيش مع الزوج في بيتها الخاص. والثانية – لدى أسرة أهل الزوج. فيما جاءت الثالثة بالزوج إلى بيت أبيها لأن زوجها فقير. وحسب معلوماتنا فأن الأخير يعتبر في الواقع عاملا في الأسرة، طالما أنه جلب معه فقط بعض رؤوس الأغنام، إلا أن تبعيته الاقتصادية غير محسوسة. وعلى أية حال فأن ذلك لا يؤثر تأثيراً ملحوظاً على وضعه القانوني، ولذلك فأنه يعتبر عضواً كامل الحقوق في الأسرة الجديدة الكبيرة. ولكن أطفاله، حسب القواعد المعمول بها، يمكنهم أن يأملوا في الممتلكات التي تعود إليه هو شخصياً فقط، وكذا إلى ذلك الجزء من الممتلكات الذي لم يفصل بعد من الممتلكات العامة للأسرة الكبيرة، بيد أنه يعتبر حصة زوجته. بطريقة أخرى نقول أن أطفاله في حالة التقسيم في

المستقبل سيحصلون عملياً على أقل بكثير مما سيحصل عليه أشقاء زوجته الثلاثة كملكية خاصة.

عبدالله سالم فدِيِهنْ، 45 عاماً، يقطن بلدة (قرية) في الجزء الغربي للساحل الجنوبي، لديه ثلاثة أولاد وثلاث بنات، إحداهن متزوجة، زوجها من قرية (ستِيْرهْ) إلى الشرق من قرية، في الهضبة الجنوبية الساحلية، ويعيش مع أسرته لدى أمِ الزوجة. وظلت أسباب هذا الزواج المحلي الأمومي غير واضحة لنا، وفضلا عن ذلك فليس هناك ولا سبب من الأسباب السابق ذكرها ينطبق على هذه الحالة.

وفي حالات منفردة فأن أمومة الزواج المحلي تقتضيه أسباب خاصة تتصف بها هذه أو تلك من الظروف، ففي عبد الكوري يوجد زواج أمومي محلي وقد فسر لنا صاحب هذا الزواج في أن مياه البئر في قريته مالحة فيما هي في قرية زوجته عذبة.

نور محمد بلّوك، ابنة أحد الذين تحدثوا إلينا، 25 سنة، من حديبو، تعمل قابلة، متزوجة، لديها طفلة وتعيش مع الزوج في منزل الأم، التي كانت الزوجة الأولى للأب (وقد تزوج الاثنان بعد طلاقهما مرتين)، وينحصر زواج نور الأمومي المحلي في كون زوجها فقيراً، ينحدر من العبيد النوبيين وليس لديه أملاك خاصة وهو عسكري. وفي منزل الأم يعيش عدد من أطفالها، وتملك نور 20 نخلة وقطيع يتكون من 100 - 120 من الأغنام، وجميع هذا حصلت عليه من الأم (ولكنها لم تفصل ذلك من القطيع العام)، عدا ذلك أهداها الأب عند زفافها بعض الماعز وخمس نخلات.

الطلاق

حتى الماضي القريب كان عدم الاستقرار في الزواج والانتشار الواسع جداً للطلاق من أهم الخصائص الجوهرية التي ميزت منظومة علاقات الزواج السقطري. وبصرف النظر عن التغييرات التي يحملها النمط الجديد للحياة في مجال علاقات الزواج الأسرية، فأن هذه الخاصية التي تتميز بها الأسرة السقطرية لم يتم التغلب عليها حتى اليوم.

تعطي شهادات المتحدثين عن طبيعة الزواج والطلاق قبل الثورة، ومن الوهلة الأولى، صورة للاستهتار الأقصى للرجل، الذي يفوق كل التوقعات المحتملة

لدى الباحث المطلّع على التقاليد الإسلامية. كان الطلاق بالنسبة للسقطريين أمراً سهلاً، إذ يفارق الرجل شريكة حياته دون استغراق في التفكير. فأولاً لا يترتب على هذا الأمر أية التزامات كبيرة بالنسبة له، وثانياً أن الزواج الجديد يتطلب نفقات قليلة. وإلى هذه الظروف خاصة يرجع السقطريون قبل كل شي تلك البساطة التي كانوا يطلقون فيها ويتزوجون من جديد. وفي الواقع كان المهر الذي يدفع للعروس في ذلك الوقت لا يزيد عن خمسة دنانير، أما الزواج من المطلقة أو الأرملة فلا يكلف شيئاً.

ولم يكن التغيير السريع للزوجات يلقى أي استهجان أو إدانة من قبل الرأي العام. ومع ذلك كانت هذه الظاهرة ميزة لفئات اجتماعية محددة من الناس: التجار وشيوخ القبائل وكبار القوم. ووجدت بصورة أقل بين الصيادين ومربي الماشية البسطاء. وقد عرفنا، على سبيل المثال، رجلاً كهلاً تزوج أكثر من ستين مرة، وهناك أيضاً من تزوج عشرين مرة وأكثر، ولم يكن من الصعب مقابلة أمثال هؤلاء، وبشكل خاص في المناطق الساحلية. تحدث الرجال الذين تزوجوا مراراً موضحين أنهم وفقاً للعادات المتبعة آنذاك قد امتلكوا الحق عند الطلاق حتى في استرجاع المهر من الزوجة الذي سبق لهم أن دفعوه عند الزواج، ولا يبقون للمطلقة إلا هدايا الزواج فقط.

حسب زعم براون فأن كثيراً من النساء البدويات قد كن يعاشرن سكان المدن ويقبضن مقابل ذلك من 5 إلى 15 دينار دفعة واحدة إلى جانب الإعالة والملابس. "ومثل هذه الارتباطات لا تعتبر زواجاً - كما قال الموظف الإنجليزي- فالمرأة يمكنها الذهاب متى شاءت، وعندما يريد الرجل قطع هذه العلاقة لا يحتاج للطلاق"[1]. وهذا الأسلوب كان معترفاً به كتنظيم اجتماعي في ذلك الوقت، والمرأة التي ترتبط بمثل هذه العلاقة لم تكن تتعرض للازدراء أو الاستنكار. وقد كتب براون أنه لا يعرف شيئاً عن مصير الأطفال الذين ولدوا من هذه العلاقة. " في الحقيقة، أن الزواج المختلط نادر جداً (بين المنحدرين من مناطق مختلفة - ف.ن) وهذا ليس نتيجة لأية فوارق اجتماعية أو قبلية، وإنما ببساطة أسلوب حياة " [61 ص 9].

وحسب التفسيرات التي حصلنا عليها ممن تحدثوا إلينا فأن العلاقة التي تحدث عنها براون كانت تعتبر مع ذلك زواجاً، ولكن بشكل "مبسط " لأنها لم

1 هذا الزعم مستغرب من قبل المؤلف الانجليزي، لأنه يتنافى مع القيم الاسلامية (المترجم).

تتقيد بكل قواعد الشريعة، أما الأطفال منه فكانوا يتمتعون بكافة حقوق الأطفال الشرعيين (وبالمناسبة فان هذه القواعد في الإسلام تمتلك قوتها في العلاقة بالأطفال من الخليلة). ولا نعرف إلى أي مدى كانت هذه العادة منتشرة، ومع ذلك يظهر أن الحديث عن وجود نظام خاص للزواج العرفي في سقطرى في الماضي أمر غير ممكن، الأقرب أن الحديث يدور عن شكل خاص من الزواج، كل علاماته بينة: الاقتصاد العام، الالتزامات المادية للزواج، حق الميراث للأطفال..الخ، والشيء الرئيسي، لماذا لا يجوز اعتبار النساء المماثلات خليلات، إذ أنهن لم يتواجدن مع "زوجات كاملات الحقوق". وهنا يمكن إجراء مقارنة بين المسالة المطروحة وبعض الأشكال الخاصة الأخرى للزواج، التي يسمح بها الإسلام في الجزيرة العربية. مثل ذلك، على سبيل المثال، نظام "الزواج المؤقت".

ومع ذلك فان المدهش جداً في منظومة علاقات الزواج السقطرية في نظر اليمنيين من خارج الجزيرة ليس انتشار الطلاق، وإنما فرصة الزوجة المطلقة للزواج من جديد، حيث تقوم بذلك، كما جرت العادة دون تأخير. وبعض النساء تزوجن عدة مرات وهو ما لم يكن يقابل بالاستنكار من أحد، وقد تعامل الرأي العام مع هذا الأمر باستحسان، وامرأة كهذه لم تفقد وضعها الاجتماعي. وعملية الطلاق ذاتها كانت هنا أسهل مما تتطلب الشريعة، لأنه لم يكن يتم العمل بأية شكليات.

تشابه هذه العادات إلى حد ما العادات البدوية المميزة للقبائل البدوية في الجزيرة العربية، ولكنها كانت هنا أكثر وضوحاً.

بعد الثورة أصبح المولعون بتغيير الزوجات قليلين إلى حد كبير، ومع ذلك فان مسألة عدم استقرار الزواج ظلت باقية، وبدأ التغيير ملحوظاً فقط في الأعوام الأخيرة عندما شهدت سقطرى التحولات التقدمية وغدت علاقات الزواج أكثر استقراراً، وقد ساعد على ذلك في المقام الأول تطبيق القانون المدني الحديث في الجزيرة، وكذا إدخال الجزيرة في منظومة العلاقات الاقتصادية، إلى جانب ذلك الارتفاع الحاد في مقدار المهر.

غير أن الكثير من القبائل تحتكم في الموقف من الزواج والطلاق،كما كان في الماضي، بالقواعد العرفية وكذلك العادات الأخلاقية التي تراكمت عبر القرون وما زالت تحتفظ بقوتها.

مع الانعدام الكامل للإحصائيات في الجزيرة كان من غير الممكن القيام بحساب دقيق يسمح بتبيان أعداد الطلاق بين ألف شخص (طبقاً للمنهج المتبع) أو التناسب بين الزواج والطلاق. ومع ذلك فقد حصلنا أثناء أعداد البحث على معلومات من 537 رجلاً و519 امرأة، تعطي إمكانية تقييم مستوى انتشار الطلاق. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الجزء الأكبر ممن أجري معهم الاستفتاء (أكثر من النصف) ينتمون إلى الفئة العمرية 17 - 20 سنة، ولذا فأن عدداً منهم لم يتزوجوا بعد، أو أنهم تزوجوا في وقت قريب، وبالتالي فأن الطلاق هنا ما زال محتملاً، لاسيما وأن نسبة كبيرة من الطلاق، حسب ملاحظاتنا، لا تتم في الأعوام الأولى للحياة الزوجية. نشير كذلك إلى أن بعض المتحدثين أعطوا إجابات غير صحيحة.

وحسب نتيجة الاستفتاء اتضح أن 300 رجلاً و 300 امرأة تزوجوا للمرة الأولى. مع الأخذ بعين الاعتبار أن 125 رجلاً و 135 امرأة لم يجيبوا على الأسئلة التي طرحت عليهم، وهذا المؤشر يطابق نسبة 72,82 و 78,13٪ ممن أعطوا إجابات و 55,78 و 57,8 ٪ من أجمالي الذي شملهم الاستفتاء، وإذا افترضنا أن الجزء الأكبر ممن تم استفتاؤهم لم يجيبوا لأنهم ببساطة لم يرغبوا في إعطاء معلومات عن الطلاق والزواج المكرر تلامس العلاقات الودية، فأن هذه النسبة تكون أقل. عدد الرجال الذي طلقوا (بما في ذلك الذين تزوجوا مجدداً أو الذين لم يتزوجوا) هو 49 أو ما يطابق 11,89 و 9,12٪. وعدد النساء المطلقات 36 امرأة، أو ما يطابق 9,38 و 6,94 ٪.

إن أسباب الطلاق غير دقيقة. فالمرأة عندما تطلب الطلاق تقول للزوج (اَلْعِيْكَكْ) أي أنا لا أريدك، ولا تقدم عند ذلك أية تفسيرات، حتى أن من تحدثوا إلينا من السقطريين ممن مروا بتجربة حياتيه مماثلة اشتكوا من عناد وتمرد زوجاتهم السابقات، وظلت الأسباب الحقيقة للطلاق بالنسبة لهم غير واضحة. وأوضح البعض منهم أن السبب يعود إلى تدلل وتقلب الزوجات.

لم تؤد محاولات القيام بدراسة اجتماعية غير كبيرة إلى شيء: فإجابات الأزواج السابقين، وبشكل خاص الزوجات السابقات على الأسئلة التي حوتها الاستمارة كانت من الواضح غير صريحة. ومع ذلك تبين من خلال استفتاء جزء كبير من المطلقين والمطلقات أن السبب الرئيسي للطلاق يحمل طابعاً اقتصادياً. إحدى النساء التي بادرت بالطلاق، قالت أن زوجها السباق كان

ينفق الكثير من النقود على أطفاله من زواجه الأول (كان الزواج منها بالنسبة له الثاني) ولا يترك إلا القليل للأسرة الجديدة، وأوضحت امرأة أخرى أن زوجها السابق لم يشتر لها ولبناتها ملابس جديدة (الفساتين السقطرية غالية جداً) هكذا دواليك.

على الأرجح أن السبب الاقتصادي يعتبر غطاءاً فقط للسبب الحقيقي للطلاق، الذي لم يُدرك، أو انه من غير المتعارف الحديث عنه، كما على سبيل المثال عدم التناسب الجنسي بين الزوجين. ومع ذلك فـ بعض السقطريين يتحدثون ببساطة عن هذا الجانب من الحياة الزوجية السقطرية وهو أمر غير محظور (حتى أن أحد المتحدثين قارن بين مناقب زوجاته). بيد أن التوافق الجنسي الكامل لا يمكن أن يقدم كسبب لتفسير الطلاق، وبالأخذ بعين الاعتبار العدد الأكبر جداً للطلاق في سقطرى، وتلك السهولة التي يفسخ بها الزواج هنا في الماضي القريب، يمكن الافتراض أن الطلاق في كثير من الحالات كان يتم عملياً دون تفسير الأسباب. وبطريقة أخرى نقول أن السبب الاقتصادي لا يعكس الحالة الحقيقة التي يكمن جوهرها في استقرار الزواج، لأنه يكفي أي سبب تافه لفسخ الرابطة الزوجية. كما أن الاستقلالية النسبية للنساء هنا وكذلك الظروف الملائمة لزواجهن من جديد عوامل تساعد على عدم استقرارية الزواج.

عند الحديث عن الطلاق أشار السقطريون أحياناً إلى أن زواج أبناء العم لم يكن مستقراً، وأنه يتم لأسباب اقتصادية بحتة. وفي الحقيقة قال لنا بعض المتحدثين أنهم تزوجوا من بنات العم لأنه "لم تكن هناك ضرورة لدفع المهر" ولذا لم تستمر الحياة المشتركة فيما بعد. وتكون المرأة في كثير من الحالات هي المبادرة بالطلاق. ومثل هذا الطلاق يتم باستمرار، ولكن لا يجوز القول أنه هو الشائع. توجد أيضاً نزعات معاكسة، عندما يطلق الرجل زوجته من "الغرباء" ويتزوج على قريبة له. ويقول بعض المتحدثين أن زواج أبناء العم وبشكل عام الزواج بين الأقرباء يكون أمتن لأن الناس "يعرفون بعضهم بعضاً جيداً ولا يصادفون أية مفاجئات".

وخلافاً للعرب الذين يذكرون من بين الأسباب الرئيسية للطلاق، عدم إنجاب الأطفال (في قانون الأسرة الذي أقر في اليمن الديمقراطية عام 1974 توجد حالات خاصة يسمح فيها الطلاق، وحتى الزواج كاستثناء من امرأة

أخرى، كما هو متبع في العالم الإسلامي) فإن السقطريين لا يعتبرون هذا السبب جوهرياً. وتفسير ذلك ربما لأن السقطريين يعيشون من حيث الأساس في أسرة كبيرة، والمرأة التي لا أطفال لها تعد خلية في الأسرة المركبة وتشارك في تربية وتنشئة أطفال أفراد الأسرة الآخرين، عدا ذلك فأن مسألة نقل الميراث لا وجود لها، لأن الاقتصاد عاماً.

أن السهولة التي تقرر فيها المرأة الطلاق لا تتعلق باستقلاليتها الاقتصادية، لأنها بعد الطلاق تعود إلى أسرة والدها وتأخذ معها الممتلكات الخاصة بها - جزء من الماشية والنخيل والأثاث - وتكون لديها فرصة ممكنة أن تتزوج من جديد في المستقبل القريب، ومصير النساء المطلقات يؤكد هذا.

على الرغم أن التنافر الجنسي أو الروحي لا يذكر مطلقاً كباعث للطلاق، فأن هذه الأسباب الباطنية كما يبدو تعتبر رئيسية غالباً وبنتيجتها يقول احد الزوجين للأخر "أنا لا أريدك".

هكذا تحدث محمد بلّوك سايكي، صياد من حديبو، 50 عاماً، قال أنه تزوج للمرة الأولى في سن الشباب وأنجبت له الزوجة أربعة أطفال. ثم طلقها بعد ذلك (دون إبداء الأسباب) وجاء بزوجة أخرى إلى المنزل، أنجبت له ستة أطفال، وفيما حافظ على قرانه من زوجته الثانية، إلاّ أنه تزوج أيضاً على أخرى أنجبت له ولدين. أما زوجته الأولى المطلقة فاطمة محمد سعيد من قاضب، ومع أنها قد أنجبت أربعة أطفال إلاّ أنها تزوجت للمرة الثانية (ينحدر زوجها الثاني من عُمان) وأنجبت كذلك طفلين، ثم تطلقت وتزوجت بعد ذلك للمرة الثالثة على رجل من حديبو، وأنجبت منه طفلاً، وتقوم بتربية الأطفال الستة.

ما يلفت الانتباه في هذه الحالة حقيقة هي السرعة والسهولة التي تتزوج بها المرأة للمرة الثانية وهي ليست صغيرة في السن بعد ومثقلة بالأطفال. ومن دون شك فأن العامل الاقتصادي لا يمثل هنا الدور النهائي في تقرير مصير فاطمة. وحسب المعلومات التي حصلنا عليها من بنت فاطمة، فأن أمها قد خصصت لها فقط أكثر من 100 رأس من الأغنام من القطيع العام وأهدتها 20 نخلة مثمرة.

ومع ذلك لا يجوز القول بأن العامل الاقتصادي هو الحاسم: إذ أن النساء غير الميسورات يتزوجن للمرة الثانية أيضاً.

محمد أحمد سليمان، 30 عاماً، موظف جمركي في حديبو قال أن والده مزارع نخيل تزوج مرارا "لا يقل عن ست مرات"، كما أن أمه بعد الطلاق من والده تزوجت مرة أخرى وأنجبت من الزوجين 22 مرة، بيد أن من بقي على قيد الحياة 6 أبناء فقط.

وفي كثير من الحالات الأخرى يتم الطلاق بين الأزواج الذين مضى على زواجهم ليس أقل من عشر سنوات، ومع ذلك فأن الرجال لا يعقدون قرانهم الجديد على زوجات أصغر منهم بكثير كما يمكن أن نتوقع ذلك.

فيما يخص الرجل فأن أمكانية زواجه المتعدد تحتمها قيمته كعامل، وفي الظروف الحالية فأن كثير من السقطريين يمكنهم السفر للعمل خارج المناطق الداخلية للجزيرة. وكـ"منتجين" فأنهم قادرون على أن يضمنوا للأسرة مورداً مالياً.

لم نعرف أية حالة فُسخ فيها الزواج بسبب الخيانة الزوجية، على الرغم أن وضع النساء في سقطرى يحملنا على الظن في أن هذه الظاهرة ليست استثناء. فالسقطريون ينظرون إلى العلاقات الودية بين الجنسين على خلاف سكان اليمن، ويتجلى هذا على وجه الخصوص في أنهم يسمحون هنا لعلاقات ما قبل الزواج، الأمر الذي لا يعيق المرأة فيما بعد من الزواج. أما بالنسبة لأية دولة عربية فانه من المستبعد أن تتزوج المرأة لعدة مرات، فضلاً عن أن يكون لها عدد كثير من الأولاد (غالباً من عدة رجال). ونعرف حالة واحدة حدثت لامرأة سقطرية فأثناء الغياب الطويل لزوجها الذي هاجر للعمل أنجبت طفلاً اعتبره الزوج عند عودته طفله، لأن السقطريين يعتقدون أن فترة حمل المرأة يمكن أن تستمر مدة طويلة بإرادة الله، وهيهات أن تفند الأوضاع الحقيقة للأمور: إن الأسباب أكثر تعقيداً، دون شك، وتستند على تقوية القواعد الأخلاقية.

روى لنا أحدهم عن عادة قديمة حيث كان بعض الرجال ممن يريدون الاستحواذ على امرأة، يتربصون لها مساءً في الوادي، عندما تنزل لقضاء الحاجة ويسعون لتحقيق هدفهم بالقوة. وتقاوم المرأة عندها بعنف، ولكن إذا تمكن منها الرجل فأنها تهدأ ولا تروي لأحد ما حدث لها. أما إذا فشل فأن الفضيحة تنتظره: إذ تقوم المرأة بالصراخ في كافة المنطقة مشتكية بالرجل

الذي أساء إليها، وتطلب أسرتها منه التكفير عن الذنب. وعلى الأرجح فان الرجل يخجل، ليس في كونه خرق القانون، وإنما لأنه أظهر عدم أهليته.

ومما يساعد على تفكك الأسرة الانتقال للعمل من المناطق الداخلية إلى المدن والقرى الكثيرة في الساحل، وكذلك سفر عدد كبير من الرجال إلى خارج الجزيرة. كما أن من يعملون في حديبو وقلنسية، لا يأخذون معهم أسرهم في الغالب، ليس بسبب تعقيد ظروف السكن في هذه المدن (إذ أنهم يستطيعون السكن لدى أقربائهم من أبناء القبيلة مؤقتاً، ثم أن بناء مسكن متواضع لا يمثل مشكلة كبيرة) وإنما لأن الاقتصاد الأسري في البادية يحتاج إلى الاعتناء به. وهناك حالات محدده فقط تم فيها انتقال الأسرة إلى مكان أقامة أو عمل الزوج، وفي مثل هذه الحالات كان يُكلف برعي البهائم والاهتمام بالنخيل إما أحد الأقرباء أو عامل بالأجرة.

الزواج المكرر وتعدد الأزواج

إن الإقدام على الزواج من جديد، كما سبق الحديث، لا يمثل معضلة لا للرجال ولا للنساء.

من بين 537 رجلاً تم استفتاؤهم (نذكّر أن 125 منهم لم يعطوا إجابات على الأسئلة المطروحة) بلغ عدد الذين تزوجوا للمرة الثانية 33 شخصاً (بما في ذلك 9 منهم بعد وفاة الزوجة الأولى، و24 بعد الطلاق)، وعدد الذين تزجوا للمرة الثالثة 8 أشخاص (بينهم 3 بعد وفاة الزوجة، وواحد بعد وفاة زوجته الأولى وطلاق الأخرى، و4 أشخاص بعد الطلاق من الأولى والثانية)، وهناك شخص واحد تزوج مرات كثيرة، و11 شخصاً لم يتزوجوا بعد الطلاق. وشخص واحد لم يتزوج بعد وفاة زوجته، وبلغ عدد الذين تعددت الزوجات لديهم 10 أشخاص (5 منهم لديهم من زوجتين، و4 من ثلاث زوجات، وشخص واحد لديه أربع زوجات). وعلى هذا النحو كانت نسبة الذين تزوجوا للمرة الثانية 8,01٪ ممن أعطوا إجابات، أو 6,15٪ ممن تم استفتاؤهم، ويشكل الذين تزوجوا للمرة الثالثة 1,94 ٪، وممن تزوجوا مرات عديدة وجد شخص واحد فقط، وشخص واحد لم يتزوج بعد وفاة الزوجة، أما الذين لم يتزوجوا بعد الطلاق 2,76 و 2,05 ٪، والذين تعددت لديهم الزوجات بلغوا 2,43 و 1,86 ٪ طبقاً للرجال.

ومن بين 519 امرأة شملهن الاستفتاء (135 لم يجبن على الاستفتاء) كان عدد اللاتي تزوجن للمرة الثانية بعد وفاة الزوج الأول 19 امرأة، وبعد الطلاق من الزوج الأول12 امرأة (3 منهن كن المبادرات بالطلاق)، و3 نساء تزوجن للمرة الثالثة (منهن اثنتان بعد الطلاق لمرتين، وواحدة بعد وفاة الزوج الأول والطلاق من الثاني)، و 19 لم يتزوجن بعد الطلاق، و15 امرأة بعد موت الزوج (لم يتبين لنا تعدد الزوجات في هذه المجموعة). وعلى هذا النحو فأن اللاتي تزوجن للمرة الثانية 8,07٪ ممن أعطين إجابات و 5,97٪ ممن تم استفتاؤهن، ويطابق من تزوجن للمرة الثالثة 0,78 و 0,58 ٪، واللاتي لم يتزوجن 8,85 و6,55٪،

إن مقارنة هذه المؤشرات تدل على أن نسبة الذين تزوجوا للمرة الثانية في مجموعتي الرجال والنساء متساوية تقريباً. فيما تقل نسبة النساء اللاتي تزوجن للمرة الثالثة، وتكثر نسبة اللاتي لم يتزوجن، بيد أنه لا يمكننا القول أن حظوظ الرجال في الزواج للمرة الثالثة كبيرة جداً. وقد يصح هذا فقط بالنسبة لفئة عمرية محددة: فالنساء المطلقات للمرة الثانية هن في أحيان كثيرة في مثل هذا السن التي لا يتزوجن فيها عادة (ينتمي جزء كبير ممن تم استفتاؤهن إلى الفئة العمرية التي تزيد عن 60 عاماً). وفي ذات الوقت لا توجد حدود في السن للرجال، وفي سقطرى فأن عدد الشيوخ الطاعنين في السن قليل للغاية. إذا كانت المرأة التي طلقت مرتين لم تبلغ بعد الحد الأعلى لسن الزواج، فأن وضعها لا يعتبر بحال من الأحوال عائقا أمام زواجها من جديد.

خميس فرج الله عيسى، 65 عاماً، من سوق، صياد لؤلؤ سابق، ابن عبد السلطان الذي حصل على حريته، تزوج للمرة الثالثة. الزوجة الأولى توفيت بعد أن تركت له طفلين. ثم تزوج للمرة الثانية وانفصل عن زوجته الثانية التي عادت إلى أهلها مع طفلة، وبعد فترة قصيرة تزوجت من جديد، عند ذلك تزوج هو للمرة الثالثة. وهو يعيش الآن مع زوجته الثالثة التي أنجبت له 8 أبناء، يقول انه "إذا ما بقي جميع أطفاله على قيد الحياة لأصبح عددهم 30 طفلاً".

لم تسجل ولا حالة واحدة للعودة إلى الحالة السابقة، كما يحدث في البلدان العربية، حيث تنظم الشريعة هذا الأمر، خاصة لأولئك الذين تسرعوا في طلاق زوجاتهم ويرغبون في العودة إلى الحياة الزوجية السابقة،

تعددية الزواج قليلة، ويعود ذلك إلى أن قانون الأسرة الصادر عام 1974م يمنع تعددية الزوجات، بيد أن حالات الزواج التي سبقت العام 1974م تعتبر قانونية. وبالنظر إلى الفئة العمرية ممن تعددت الزوجات لديهم تبين أن هذا التعدد لم ينتشر على نطاق واسع، حتى قبل العام 1974م. أما قبل الاستقلال 1967م في العهد السلاطيني فأن تعددية الزوجات كانت أكثر إلى حد ما، ولكنها كانت في الأساس ميزة لعدد محدود من الفئات الميسورة من السكان. وكانت السهولة التي يتم فيها الطلاق قد ساعدت أولئك الذين كانوا يميلون (للتغيير) على فسخ العلاقة مع زوجاتهم والارتباط بزوجة أخرى جديدة، دون أن يبقوا على زوجات متعددات. كما ساعد على ذلك وجود العلاقات الودية، فالرجل كان بوسعه أن يقيم علاقات غرامية مع المرأة دون أن يقترن بها[1].

وتوضح جغرافية تعدد الأزواج، أن ظاهرة تعددية الزوجات لا توجد فقط في حديبو والقرى الساحلية الكبيرة وإنما أيضاً لدى الجبليين، حيث كانت تستدعيه، على الأرجح، البواعث الاقتصادية، وعلى وجه الخصوص السعي لـ " زيادة " أعداد الماشية، أو لتجاوز تفتيت الاقتصاد العائلي (كانت إحدى الزوجات، كحد أدنى، ذات قرابة بالدم لرب الأسرة). وكان سكن الزوجات منفصلاً، ولكن كانت المساكن متجاورة وتدخل في الاقتصاد المتكامل الموحد.

سالم ماطر عبدالله، 40 عاماً، شرطي من حديبو، قال إنه كانت لدى والده زوجتان، ليس له من الأولى أطفال، ومن الثانية (أمه) طفلان. وعقب وفاة الأب تزوجت الأم مرة ثانية، وأنجبت أيضاً سبعة أطفال من الزواج الجديد.

يعتبر الأطفال من الزوجات المختلفات، في ظل تعدد الزوجات، أشقاء وتربطهم على الدوام الألفة والتعاون المتبادل. عن ذلك يتحدث المثال التالي: شيخة ساني علي، 18 سنة، مدرسة في حديبو، قالت أن والد زوجها، المولود في حديبو، قد عمل في الماضي لدى السلطان، ثم أصبح تاجراً وسيطاً (سمساراً)، وكانت لديه ثلاث زوجات، عشن جميعهن في منزل واحد. وكان له من الثلاث الزوجات ثمانية بنين وثلاث بنات. تزوجت منهن اثنتان وانتقلتا للعيش في منازل الأزواج، أما بقية الأبناء فظلوا في منزل الأب، بما في ذلك ثلاثة أبناء

1 لا أعتقد بصحة وجود مثل هذه العلاقات الغرامية، كظاهرة عامة، ولا أدري كيف استنتج المؤلف ذلك، لأن هذا يتنافى مع قيم الدين الاسلامي ومع عادات وأعراف المجتمع السقطري.

متزوجين وحفيدان. وبعد وفاة عمها، والد زوجها، أصبح رب الأسرة الابن الأكبر من الزوجة الأولى. ويعيش كل أفراد الأسرة معاً ويدبرون الشئون الاقتصادية بصورة مشتركة ويحافظون على علاقات جيدة بين بعضهم البعض. وتمتلك الأسرة الكثير من النخيل وقطيعاً كبيراً من الأغنام والماعز.

لا توجد لدى السقطريين قواعد متشددة لتنظيم مسألة مع من ينبغي أن يظل الطفل بعد الطلاق. بيد أن الأطفال، في معظم الحالات التي عرفناها، يبقون مع الأم وليس مع الأب. وكان من النادر أن يقتسم الآباء الأطفال. وكان يقوم بتربيتهم أحياناً والد الأب أما في الغالب فأقرباء الأم. وكما جرت العادة فأن الأطفال (أو جزءاً منهم) يبقون مع الأب أو مع أهل الأب فيما إذا كوّنت الأم أسرة جديدة، بيد أن الأطفال، كما سبق القول، لا يعتبرون بأي حال من الأحوال عائقاً لزواجها من جديد.

في حالة وفاة الأم فأن الأطفال يظلون مع الأب. وإذا ما تزوج فأن الخالة، زوجة الأب، تقوم بتربيتهم. أما في حالة وفاة الأب فان شقيق الأب يأخذ على كاهله مسئولية الاعتناء بهم، وان لم يكن لديه شقيق فالعم من جهة الأب، وان لم يكن لديه عم فأن أحد المقربين من ناحية الأب يقوم بذلك. وإذا أقدمت الأرملة التي بقي لديها الأطفال على الزواج، فأنها حسب العادة تقوم بتنشئة الأطفال حتى نهاية ما تسمى بمرحلة الطفولة (10 - 12 عاماً)، وبعد ذلك ينتقل الأطفال إلى منزل شقيق زوجها المتوفي أو والده، أما البنات فيبقين في هذه الحالة مع الأم بشكل دائم.

في ظل حياة الوالدين تتم تنشئة وتربية الأطفال "بالتناوب" بين الأم والأب خلال فترة الحضانة.

نور صالح سعيد، 21 عاماً، ممرضة في حديبو، قالت أن والديها فسخا زواجهما حينما كانت طفلة صغيرة جداً، وكوّن كل منهما أسرة جديدة، في أسرة الأب ولد ثلاثة أطفال، وفي أسرة الأم أربعة. قامت الأم بتربية نور حتى سن 12 عاماً ثم انتقلت إلى أسرة الأب.

سبقت الإشارة إلى أن سالم ماطر عبدالله من حديبو قد تزوج على ابنة الخال (شقيق الأم) ولديه أربعة أطفال. وعندما توفيت شقيقته أخذ طفلها لتربيته، ثم مات أحد أشقائه من الأم فاخذ أيضاً أولاده الأربعة إلى بيته. وحينما يقول سالم انه "أخذ إلى أسرته" فأنه يعني بالطبع الإعالة المادية

للأطفال: لأن الانتقال من أسرة إلى أخرى نسبياً في أغلب الحالات: فجميع الأشقاء مع أسرهم يعيشون في المسكن الذي تؤل ملكيته للأم وزوج الأم، وقد انتقل سالم فقط إلى العاصمة، لكنه مع ذلك مرتبطا مع الأسرة الكبيرة بأواصر وثيقة من التعاون: فنصف الأطفال الذين يقوم بإعالتهم وتربيتهم يعيشون معه في المدينة، فيما بقي النصف الأخر في الريف. ولكن من الجلي أنه إذا قررّت أرملة شقيقه الزواج من جديد فأن الأطفال سيظلون معه.

يبين مصير سالم سيادة عادات التعاون الأسري المتبادل، فعندما توفي والده كان هو لا يزال طفلاً صغيراً، وقامت الأم بتربيته لعدة سنوات. ولأن عمه شقيق والده كان قيماً على ميراث الأب فبمجرد أن شب سالم حتى أخذه العم إلى أسرته واعتنى بتربيته سوية مع أطفاله.

وسجلنا حالات قام خلالها الأب والأم باقتسام الأطفال بينهما.

أحمد يحيى مراد، 24 عاماً، ممرض في مستشفى حديبو، ينحدر من المنطقة الشرقية، كانت أمه الزوجة الثانية لأبيه وقد طلق والده زوجته الأولى وبقي لديه منها طفلة واحدة، قامت خالتها (أمه) بتربيتها، كما أنجبت أم أحمد كذلك عشرة أبناء : خمسة أولاد وخمس بنات، تزوجوا جميعاً باستثناء الابن الأصغر والبنت الصغرى، ويعيش الأشقاء جميعهم مع أسرهم في منزل الأب ويدّبرون الاقتصاد العام للأسرة سوية. أحمد كان متزوجاً ثم طلق زوجته وتزوج للمرة الثانية وهو يعيش في منزله في حديبو، وله من زوجته الأولى طفلة تعيش مع أمها وولد يعيش معه، وهو يحل في بعض الأحيان ضيفاً على أمه ولفترة طويلة. يمتلك والد أحمد النخيل، الذي يعد ملكية جميع الأسرة، وقطيع من الأغنام، تمثل حصة أحمد منه 40 نعجة وشاة يتم رعيها ضمن القطيع العام، حينما يبقى الأطفال مع الأم فأنهم عادة يقومون بزيارة الأب بصرف النظر عمّا إذا كانت لديه أو لدى الأم أسرة جديدة أم لا.

سعد علي أحمد، 36 عاماً، معلم في حديبو، ابن تاجر،كان متزوجاً ثم طلق "لسبب موضوعي" كما يقول، وترك للزوجة ولدين وبنتين، ثم تزوج للمرة الثانية ولديه من زوجته الثانية أربع بنات وولدان. كما أن زوجته الأولى تزوجت أيضاً للمرة الثانية وأنجبت عدة أولاد. إن الأبناء من الزواج الأول "يحلون ضيوفاً في الغالب "لدى الأب. وفي المثال اللاحق فأن البنت اليتيمة قد

أخذت على عاتقها تربية شقيقة أمها. وعندما كبرت تلك الطفلة فيما بعد أصبحت تربي أطفال شقيقة أمها (خالتها) الأيتام.

فاطمة علي أحمد، 20 عاماً، ولدت في المنطقة الشرقية، ممرضة في حديبو، قالت أن والدها مربي ماشيةٍ وقد طلق زوجته الأولى ثم تزوج على أمها (توفيت زوجته الأولى وتركت طفلاً وحيداً عاش لدى أهلها هو الآن شاباً). أنجبت الأم في البدء طفلاً ثم فاطمة وقد مات الأب عندما كانت فاطمة لا تزال في بطن أمها، ثم توفيت الأم عندما أصبح عُمر فاطمة سنتين فقط. اهتمت بالطفلة خالتها،أخت الأم، التي تعيش في حديبو، وكان لدى الخالة أربعة أبناء: ولدان وبنتان، ثم ماتت الخالة نفسها، وحينها أخذت فاطمة على عاتقها مسئولية تربية أطفالها الذين تتراوح أعمارهم الآن، 15، 12، 10، و 7 سنوات، وقبل ثلاثة أشهر تزوجت فاطمة على رجل من عدن يعمل في سقطرى، لكنه تركها وليس لديها أطفال، تملك فاطمة في حديبو 250 نخلة و 500 - 600 رأس من الأغنام (في الأساس شياه) يقوم برعيها في الجبال شقيق الأم (والخالات) وهو يرسل أو يجلب لها كل المواد الغذائية الضرورية، ويقوم عامل مستأجر بالاعتناء بالنخيل وتدفع له حسب رغبته أما حصة من ثمار النخيل (التمور) أو تشتري له ملابس أو تعطيه شياه أو منتجات الحيوانات أو جزءاً من النقود التي يكسبها من بيع التمور، وقد عمل هنا نفس الشخص ولعدة سنوات، أما في الوقت الراهن فقد أمتنع عن العمل متذرعاً بالمرض فاتفقت فاطمة مع شخص آخر.

المثل التالي يبين أن الطفل في حالة وفاة أمه يمكن أن يحظى بالعناية والتربية من قبل زوج الأم، لاسيما إذا كان والده في عداد الموتى. فها هو علي سعد علي، 20 عاماً، موظف حكومي في حديبو، من مواليد قرية (حاله) في الجزء الشرقي للساحل الشمالي، كان والده صياداً وبعد وفاته تزوجت الأم للمرة الثانية ثم توفيت فتربى علي لدى زوج الأم. ترك له والده كارث نخيلاً تعتني بها خالته، شقيقة الأم، ويعيش علي في منزله الخاص في حديبو.

ما تزال باقية لدى السقطريين عادة زواج الأخ على أرملة شقيقه المتوفي، ومع أنه من النادر جداً مصادفة زواج الأرامل على أشقاء الزوج المتوفي، إلاّ أن هذه الظاهرة موجودة.

مبارك سعيد علي، 45 عاماً، مربي ماشية من جلاسينو (المنطقة الشرقية)، قبيلة جِيْدِدْ، قال أن أمه وأصلها من قرية (جِبْئِهْ)، الواقعة في الوادي أسفل جلاسينو، قبيلة كوثر، قد تأرملت وبين يديها طفل واحد، و"للحفاظ عليه" تزوج منها الشقيق الأصغر للزوج المتوفي ومنه أنجبت مبارك وكذلك طفلاً آخر.

وفي الحالات المماثلة يمكننا الاستنتاج من خلال تصريحات المتحدثين أن عامل الزواج على أرملة الشقيق المتوفي قد كان ضرورة للحفاظ على اقتصاد الأسرة، وفي المقدمة أعداد المواشي. وفي الواقع فأن القطعان لم تكن كبيرة، فلم يكن لدى مبارك، على سبيل المثال، سوى 35 شاة و5 نعاج فقط، وكذا كان لدى أشقائه قطيع صغير أيضاً.

سالم سعد أحمد، 19 سنة، معلم في حديبو، ينحدر من المنطقة الشرقية، قبيلة بن قَرْحَانْ، يروي أن أمه من قرانها على والده قد أنجبت عداه اثنين أولاد، وبعد وفاة الأب تزوجت على ابن العم الذي اقترن بها زوجة ثانية بهدف "الحفاظ على الأسرة" وكانت زوجته الأولى أبنت عم أم سالم (أبواهما أشقاء) وكان لديها ستة أولاد. وأنجبت الأم من الزواج الثاني طفلين أيضاً. سالم يسمي زوج الأم كما هو متعارف عماً، وزوجته الأولى خالة، وقد عاشت الخالة في مسكن يجاور مسكنهم، أي في بيت العم كما يبدو، أما الأولاد (وعددهم جميعاً 11 ولداً) فقد نشأوا معاً ويشكل المسكنان اقتصاداً واحداً.

ليس من شك أن الزواج هنا قد أوجبه وبصورة استثنائية العامل الاقتصادي: إذ حافظت الأسرة على الاقتصاد الموحد. وحسب كلمات سالم، فان أفراد الأسرة يملكون بصور مشتركة أعداداً كبيرة من النخيل وقطيعاً يتكون من 250 رأساً من الأغنام.

علي صالح أحمد، 21 عاماً، مربي ماشية من قرية عدونه (بالقرب من حديبو)، ينحدر من أسرة معروفة فوالده ينتمي إلى سلالة السادة الهاشميين، وأمه من قبيلة بني عفرير المهرية التي ينتمي إليها سلاطين المهرة وسقطرى، في البدء كانت الأم متزوجة على أبن العم، وقد توفي بعد أن ترك لها ثلاثة أولاد، ثم تزوجت على والد علي الذي كان يصغرها كثيراً وأنجبت له أيضاً ثلاثة أولاد. الأسرة ميسورة الحال، تمتلك خمس بقرات وخمسة جمال وحماراً وقطيعاً من الأغنام والكثير من النخيل. وقد استدعت الزواج، على الأرجح،

الأسباب الاقتصادية إلى جانب السمعة الطبقية أيضاً: فالسادة الذين يتصفون بالدرجة القصوى من التضامن والتكافل قد سعوا لبقاء الأرملة وأطفالها في أسرتهم.

منظومة وراثة الممتلكات:

تحدد قوانين الشريعة الإسلامية في الأساس منظومة وراثة الممتلكات في العائلات السقطرية، ومع ذلك فقد تعرضت إلى حد كبير لتأثير قواعد العرف. فقد مست التغييرات التي حدثت تحت تأثير العرف القواعد الأساسية لقانون الشريعة عند تقسيم الميراث بين الأبناء وفقاً لنسبة (حظ الذكر مثل حظ الأنثيين) على الرغم أن هذه القاعدة لا تتبع في معظم الحالات.

إن دراسة منظومة وراثة الممتلكات لدى السقطريين تعتبر بحد ذاتها مسألة معقدة إلى حد ما، لأننا نصطدم هنا بثلاث طرق مختلفة لنقل الملكية:

أ- تخصيص الممتلكات للأبناء الذين انفصلوا، والبنات اللاتي تزوجن، وكذا التوزيع اللاحق فيما بينهم لذلك الجزء الذي بقي لدى الأبوين بعد وفاة الأخيرين.

ب- تقسيم ممتلكات الوالدين المتوفين بين الورثة دون تخصيصات مسبقة.

ت- انتقال ممتلكات الوالدين إلى أيدي الورثة دون تقسيمها، في حالة الإبقاء على الملكية العامة للأسرة في كافة الأملاك.

وإذا ما بقيت الأرملة بعد وفاة رب الأسرة فأنه يخصص لها قسط من الممتلكات (إذا لم تكن لديها ممتلكات) أو أنها تقوم بالتدابير المنزلية بصورة مشتركة مع جميع أولادها أو مع جزء منهم أو مع واحد منهم.

تأتي الزوجة عند زفافها بالممتلكات التي ورثتها أو تلك التي خصصت لها من قبل أسرة أهلها (ماشية، نخيل) وتبقى تحت تصرفها دائماً، وفي حالة طلاقها من زوجها فأنها تأخذ ما يؤول إليها من الممتلكات. ولكن طالما ظلت تعيش لدى الأسرة فأن ملكيتها تمثل جزءاً من اقتصاد الأسرة جميعها. وبعد وفاتها أو حينما ترغب هي فأن ممتلكاتها تقسم بين أبنائها، أما أطفال زوجها من غيرها فليس لهم حق في ميراثها، وإذا لم يكن لديها أولاد فأنه يكون من نصيب أقربائها بالدم. في بعض الأحيان يخصص الزوج عند الطلاق جزءاً من

ممتلكاته الخاصة (رأس أو رأسين من الأغنام) لزوجته السابقة ويقول لها عند ذلك "هذا لك".

الأولاد من الأب والأم الذين يعيشون مع الأم بعد الطلاق يبقون معها حتى وان تزوجت من جديد ويقوم بتربيتهم في هذه الحالة زوج أمهم، وهم يمتلكون الحق في الجزء المناسب من ميراث والدهم، وعلى هذا النحو فأن ممتلكاته تقسم بالتساوي بين كل أبنائه مع الالتزام بالقاعدة الشرعية "حظ الذكر مثل حظ الأنثيين".

يؤكد السقطريون أن نظرتهم إلى البنيين والبنات متساوية، وفقط في تلك الحالات عندما لا يكون في الأسرة أولاد مطلقاً فأنهم ينظرون إلى ولادة طفلة أخرى كسوء حظ. وكما يبدو فأن انعدام نظرة الازدراء إزاء المواليد من الجنس المؤنث في سقطرى، والتي تتميز بها كثير من الشعوب العربية، قد حتمّها سلفاً الدور الكبير للنساء في الحياة الاقتصادية والإمكانيات الاقتصادية المحددة وعدم إمكانية إعالة عدد كبير من الأبناء (بالطبع تغيرت هذه الحالة في الفترة الأخيرة) مع الأخذ بعين الاعتبار أن مهر الفتاة ظل حتى الماضي القريب ضئيلاً جداً، ولم يحصل الآباء على فائدة كبيرة مقابل تزويج البنت، بل أن قيامها بالوظائف الاقتصادية المحددة في نطاق الأسرة (الرعي، تحضير منتجات الماشية، الحياكة والغزل...الخ) قد كان أكثر فائدة للأسرة من زواجها، وهذا بالطبع في حالة وجود اقتصاد منزلي ذي نطاق محدد، يتطلب أياد عاملة. أما ما هو الجزء من ماشية الأسرة الذي سيخصص للبنت عن زواجها فيقرره الأب، الذي يستطيع عند ذلك الخروج عن القاعدة الشرعية آخذا بعين الاعتبار كافة الظروف، وبشكل خاص الأوضاع المادية لأسرته ولأسرة زوج البنت، وكذلك الاتفاق مع الصهر، وعلى هذا النحو فأن البنت يمكن أن تحصل على قسط أكثر أو أقل من ذلك الذي يمكن أن يحدد لها عند تقسيم الممتلكات.

أمينة محمد حديد، 17 سنة، معلمة في حديبو، من مواليد قرية (تامر) في المنطقة الشرقية، غير متزوجة، قالت إن والدها مربي ماشية، لكنه يمارس أيضاً صيد الأسماك في الموسم. لديها ثلاثة أشقاء يربون الماشية ويعيشون معاً مع أسرهم في منزل الأب، وكل الممتلكات في الأسرة عامة، النخيل الكثير إلى حد ما وقطيع من الشياه، وكانت لدى الأسرة من قبل أبقار لكنها نفقت لانعدام

الأعلاف. مع ذلك فقد خُصص لكل فرد نصيبه من القطيع العام: خمسة رؤوس لغير المتزوجين وعشرة لأصحاب الأسر. وكذلك خصص لكل فرد حصته من أشجار النخيل، ولدى أمينة عدد من النخيل وخمس شياه أهداها لها الأب، لكن لا يزال كل شيء عاماً، بما في ذلك راتبها الشهري، وفي حالة زواجها يعطيها الأب حصتها، ويمكن أن يرفعها إلى عشرة رؤوس من الأغنام.على هذا النحو فأن العادات التي تعطي الحق لرب الأسرة الكبيرة بتقرير مسائل توزيع الممتلكات تلعب دوراً لا يقل عن التشريعات الإسلامية. وثبت لدينا أيضاً حالة تم فيها تقسيم الممتلكات وفقاً لقانون الشريعة بالضبط.

محمد هارون محمد، 30 سنة، ولد وعاش في قلنسية، كان صياداً مثل والده، لكنه لم يملك قوارب خاصة، يعمل حالياً في حديبو كهربائياً ويعيش لدى صديقه، بعد طلاق والده من الزوجة الأولى تزوج من جديد، ومن زواجه الثاني ولد محمد وبنت. يسمي هو وأخته زوجة الأب الأولى خالة (شقيقة الأم)، وعندما توفي الأب حصل محمد على 16 نخلة وشقيقته على 8 نخلات، وكان من نصيبه 8 شياه وأشترى كذلك عدداً من الشياه، كان متزوجاً وله من الزوجة ولدين، وبعد الطلاق تزوجت على غيره، وهو في الوقت الحالي بدون زوجة.

إن الانتشار الواسع للطلاق، لا يعقد بهذه الدرجة مسألة وراثة الممتلكات التي تحل في الأساس بأسلوب واحد، وإنما مسالة إعالة وتربية الأولاد، طالما أنه، كما سبق القول، لا توجد قواعد صارمة في هذا المجال، فالعادات لا تلزم الأب في المساهمة المادية لتربية الطفل إذا ما بقي مع الأم (تضمن له حصة الميراث فقط في حالة وفاة الوالدين).

في الماضي عندما كان الناس الميسورون، المنتمون إلى الأوساط الحاكمة يتزوجون ويطلقون كانوا يضمنون في حالة الطلاق إعالة الأطفال من خلال المهر الكبير الذي يدفعونه عند الزواج والذي يبقى لدى الأسرة التي تعود إليها الزوجة مع أبنائه. حتى السلطان في حالة الطلاق فأنه لم يبق لديه الأولاد.

روضة عيسى علي، 19 عاماً، قابلة في مستشفى حديبو، بنت السلطان الأخير للمهرة وسقطرى، أم روضة، خديجة عيسى، تنحدر من شمال اليمن، لكنها عاشت قبل الزواج في سقطرى، قالت روضة أنه كان لدى والدها الكثير

من الزوجات كان يطلق بعضهن ويعيش مع أخريات في زواج تعددي، ويعيش في الوقت الراهن في الجزيرة 27 من أشقائها وشقيقاتها: شقيق واحد من الأب والأم، 11 أخاً وأخوات من الأم ولكن من أب آخر، 15 أخاً وأخوات من الأب ولكن من أمهات أخريات.

إن وجود أعداد كبيرة من الأشقاء والشقيقات (أشقاء وشقيقتات من الأب والأم، ومن أم واحده وأب آخر، ومن أب واحد وأم أخرى) يبدو كأنه مدعاة لأسباب كثيرة من الخلاف والنزاع، ومع ذلك فهذا الأمر نادر الحدوث: إذ يحافظ الأشقاء والشقيقات باستمرار على علاقات طيبه بين بعضهم البعض، ويحلون بمودة كل المسائل المتنازع عليها، على الرغم من وقوع حالات استثنائية.

حدثنا سالم عبدالله علي، 20 عاماً، مساعد طبيب في حديبو، قال إن والده مربي الماشية من القبيلة المهرية بني عفرار طلق أمه التي كانت قد أنجبت له عدا سالم ثلاثة أولاد وبنتين، ثم تزوج للمرة الثانية (أنجب طفلة من الزواج الثاني لكنها توفيت)، وقد نشأ سالم مع إخوانه وأختيه في منزل الأم، بعد وفاة الأب قام المشائخ (العقال) بتقسيم ممتلكاته بين ورثته، وقد تزوجت الأم للمرة الثانية وجاءت بالزوج إلى بيتها ويدعيه الأولاد عماً (شقيق الأب)، وأنجبت منه أيضاً اثنين أولاد، وهذان الشقيقان من الأم لن يحصلا على شيء من ميراث الزوج الأول للأم، لكن ممتلكات الزوج الثاني، والدهما، ستكون من نصيبهما وليس لسالم أو أشقائه وشقيقاته من الأم، ومع ذلك فأن جميع الأشقاء والشقيقات من الزوجين يعيشون معاً في منزل واحد، ويقع المنزل في حديبو، وفي موسم الأمطار يرحلون إلى الجبل لرعي الأبقار وتحضير السمن البقري... الخ. سالم متزوج ولديه ولد وبنت، وقد ورث عن الأب الجزء الذي يملكه من النخيل والماشية، يقوم شقيقه الأصغر برعي الماشية والاعتناء بالنخيل، في الواقع أن سالم بعد ولادته قد أُعطي إلى امرأة بدوية من الجبل " للرضاعة " وتربى لديها حتى سن السابعة، وحصلت أمه بالرضاعة على مكافأة مقابل ذلك، لكنها لم تحدد وإنما "بحدود الإمكانية". ولدى سالم ثلاثة أخوة أصغر منه بالرضاعة، تربطه بهم علاقات متينة، لذلك يقوم أحدهم برعي ماشية سالم، وهو يستلم مقابل ذلك اللبن والسمن وغير ذلك من المؤن وكذلك الهدايا.

منظومة القرابة والنسب

إن مصطلحات القرابة من حيث الأساس واحدة لجميع السقطريين. وتوجد فقط مميزات صوتية غير كبيرة في الغالب بين مختلف اللهجات. عدا ذلك نصادف في النصوص التي جمعت في سقطرى عدداً من المصطلحات القديمة التي يفهمها الجبليون، ولكن لا يفهما سكان المناطق الساحلية، وسنورد لاحقاً بعض هذه المصطلحات.

للإشارة إلى أقرباء الدرجة الأولى تستخدم المصطلحات التالية :

بَابَهْ، المثنى بَابيْهِي، الجمع بَابيْهُنْ، أي الأب. وعند اقتران الأسماء باللاّحقة الجزئية تستخدم (دِيْ): بَابَهْ دِيْ محمد، أي أبو محمد. وعند اقتران الضمائر الخاصة يُعبر عن الانتماء بواسطة التركيب دي + الضمير، دِيْهُو بَابَهْ: والدي. دِيْ بَابَهْ: والدك..الخ.

بَيّو، المثنى، بَيّوتي: أمْ. هذه الكلمة، كما يقول بتنر [57، ص 24] تكونت كمؤنث من: بي (بيو) - (أ) بي: أب، ويعُبر عن ضمير الملكية هكذا : دِيْهُو بَيّو: أمي، دِيْ بَيّو: أمك..الخ.

في النصوص التي دوناها لدى سكان الجبال توجد كلمة (بِرْهِيْ) وتعني أب و (بِرهْ) وتعني أمّ. وحتى هاتان الكلمتان لا يفهمهما سكان المناطق الساحلية. وفي النادر تستخدم لدى سكان الجبال. وترجع هاتان الكلمتان إلى الجذر السامي العام، الذي تكونت منه في السقطرية:

بِرْ: ولد، وكذلك مصطلحات القرابة (مِبْرِهِيْ، بِرْ، إِبْرِهِيْ، أمْبُورِيّهْ "انظر لاحقاً"). وهكذا فأن الترجمة بالضبط: بِرْهِيْ : والد، بِرهْ : والده.

في نصوص ميولر يوجد أيضاً زوج من المصطلحات للإشارة إلى الأبوين هما (أيُّفْ: أب ويُمْ أمّ) وهاتان الكلمتان غير معروفتين لسكان المناطق الساحلية، وعلى الأرجح، لا تتداولان في المناطق الجبلية إلاّ نادراً، بيد أن الكلمة الأكثر انتشاراً هي (إِثْفُوْ) وتعني الآباء، الأسرة، الأقرباء الأكبر سناً، الناس، حيث (و) يعطي (اثْف) معنى الجماعة [انظر 78 أ]. وهذه هي الكلمة الرئيسية التي تستخدم في اللغة السقطرية، بمعنى"الناس". ويمكن الافتراض أنها ثانوية. وما يدل على قدم كلمتي (أيُّفْ) و (يُمْ) ليس فقط حقيقة كونهما قد خرجتا من التداول، منذ زمن بعثة ميولر، ولكن أيضاً في أن هاتين الكلمتين وعلى خلاف (بَابَهْ، بَيّو) عند الإشارة إلى الملكية يمكن أن تضاف اليهما الضمائر الزائدة.

ولتركيب الاسم + الضمير الزائد طابع قديم لا وجود له تقريباً في اللغة السقطرية المعاصرة. وكأنما حلّ محله تركيب (دي + الضمير الخاص + الاسم) وتمثل بعض مصطلحات القرابة استثناءا، كما سنرى لاحقاً. وعند مخاطبة الأبناء للآباء لا توجد كلمات خاصة، وإنما تستخدم الكلمتان (بَابَهْ و بَيو) مع حرف المناداه (أ) أ بَابَهْ للأب، أ بيّو للأم.

عند ذكر أسماء الأشقاء والشقيقات تختلف الإشارات إلى الأكبر منهم بالنسبة للمتكلم أو الأصغر سنا أو المتساوي بالعمر. ولا توجد كلمات خاصة للإشارة إلى الشقيق الأكبر ذاته أو الشقيقة الكبرى ذاتها. ويستخدم المتحدث للإشارة إلى الأخ الأصغر أو الأخت الصغرى أو الأشقاء والشقيقات المتساوون بالعمر كلمة واحدة هي (قَاقَهْ) دون تفريق في الجنس، والمثنى (قَاقِيْ) والجمع (قَاقِيْهُن). ويعبر عن الملكية بواسطة التركيب (دِيْ + الضمير الشخصي). وفي ذات الوقت تستخدم للإشارة إلى الأخ الأكبر أو الأخت الكبرى مختلف الكلمات ذات الجذر الواحد (نينهي) بالنسبة للأخ الأكبر، و(إينا) بالنسبة للشقيقة الكبرى. ويعبر عن الملكية بواسطة (دي).

وتتداول كذلك كلمات تعود إلى جذر اللغة السامية العامة مثل: إعْهَهْ، والمثنى إعْهِيْ، والجمع أعْهِيْ وتعني أخ بشكل عام، أي الأصغر والأكبر، واعْهيْت وتعني أخت. وهذه الكلمات تنتمي إلى مصطلحات القرابة السقطرية القليلة التي تكون الملكية بواسطة إضافة لاحقة الضمير إليها، على سبيل المثال :

إعْهِيْ ـ أخي.
إعْهشْ ـ أخوه.
أعْهُوئَيْ ـ أخواني.

في " أسطورة إيتلهمتان" [انظر: 27 ص 103- 111] توجد صيغة أحُوكِيْ (للجمع) أي إخوانك.

وتتجلى بعض الاختلافات في نطق كلمة (أعهيت) بين اللهجات:

إعْهِيْتي (حديبو) – أختي.
إعِدْتي (قلنسية) - أختي.
أعِدْتي (حجهر) – أختي.
أغِدْتي (لهجة البدو في المنطقة الغربية) – أختي.
أعْهَيْدَك (لهجة البدو في المنطقة الغربية) - أختك.

أعْهيتِشْ (لهجة البدو في المنطقة الغربية)- أخته... الخ.

تستخدم بعض المصطلحات في اللغة السقطرية للإشارة إلى الأبناء. ومن أهمها:

مُجْشِمْ (وتنطق أيضاً مُكْشِمْ)، المثنى مُجْشِيمي، والجمع مِجَاشَهْ، ابن، وتنتشر هذه الكلمة بشكل واسع للغاية في اللغة السقطرية بمعنى:"طفل، حَدَثْ، فتى" وكذا بمعنى "ولد". ويعبر عن الخاصية بواسطة (دي): دِيْهُو مُجْشِمْ، وتعني أبني، مُجْشِمْ دِيْ أحمد، أيأبن أحمد.

فِرْهِمْ، المثنى فِيْرمِيْ، الجمع فِيْرهِمْ، ولدى سكان الجبال فُورْهِمْ، بمعنى: طفلة، فتاة بنت. ومثلها مثل مُجْشِمْ تستخدم وبدرجة واسعة في معنيين. ويقارن بتنر جذر هذه الكلمة ف- ر- م مع المهرية فِرْهِنْ (فرس) [57 ص 13].

ويشير ليسالو إلى أن المعنى الأولي لهذا الجذر السامي ينعكس في العربية والعبرية والآرامية – "قطع، قص، شق" ومن ذلك "كوِّن" (للمقارنة. جذر ب- ر أي كوِّن الذي سبق الإشارة إليه وجذور أخرى)، وعلى هذا النحو فأن (فِرْهِمْ) تعني ((خليقة، مخلوق)) [71 ص 341]، ومع ذلك يمكن تقديم إيضاح آخر. من المحتمل أن الكلمة السقطرية "بنت" من هذا الجذر ترتبط بشكل غير مباشر بمعنى " قص". ذلك أن (فِرْهِمْ) تخص الفتاة التي بلغت سن النضج الجنسي، وعند ذلك كان لا بد أن يُجرى لها الختان، والذي يسمى في سقطرى بكلمة أخرى (عَوْجِنْو) وهو ما يؤكد افتراضنا. وفيما يتعلق بالخاصية لكلمة (فِرْهِمْ) فيعبر عنها أيضاً بواسطة دِيْ : دِيْهي فِرْهِمْ،أي بنت.

كلمة (فِرْهِمْ) في اللغة السقطرية تستخدم غالباً إلى جانب الكلمة العربية (بنت) التي تملك نفس المعنى. ووفقاً لبعض الملاحظات فأن صيغة (فِرْهِمْ) هي في الأساس صفة لتلك الحالة التي يشار فيها إلى أن البنت قد بلغت سن النضج وإنه يمكن لها الإقدام على الزواج.

وللإشارة إلى أولاد تستخدم كذلك المصطلحات :

عَوَجْهِنْ، وهي مشتقه من (عَجّ، رجل، شخص، إنسان) والمثنى عوجنِيْ، والجمع عُجَجْهِيْ وتعني طفل، وكلمة عَوْجِنَهْ، المشتقه من (عَاجَهْ، المرأة، الزوجة) وتعني طفلة، والمثنى عَوْجِينتي، والجمع عَوْجِينْتِنْ.

هذه الكلمات، كقاعدة، تستخدم للإشارة إلى الأطفال صغار السن، ويعبر عن الخاصية بواسطة الجزء (دي).

في اللغة السقطرية أيضاً كلمة مِبْرَهَا، والمثنى مِبْروي، والجمع مِبْوري أو إمْبُورِيهْ، أي طفل (للمذكر والمؤنث). وهي تستخدم في المفرد والمثنى للإشارة إلى الأطفال الصغار، على سبيل المثال: إجْدَحُو مِبْرهِيْ، أي: هي وضعت طفلا. ومع ذلك فأن هذه الكلمة في حالة الجمع يمكن أن تعني ليس الأطفال فقط، وإنما كل أفراد الأسرة، بما في ذلك الزوجة، أي أنها تعني "الأسرة". وفي هذا المعنى يستخدمها سكان المناطق الساحلية. أما سكان الجبال فيستخدمون كلمة أخرى هي مَاشِثِنْ (تنطق الشين مع الثاء كحرف واحد) والتي تعني "الزوجة" إلى جانب معنى "الأسرة أيضاً.

خاصية الكلمة (مِبْرِهِي) تتكون بواسطة الجزء (دي)، ومن هذا الجذر تتكون كلمات موجودة في الكثير من اللغات السامية (بَرْ- طفل ولد للمذكر والمؤنث). وللمقارنة: بالمهرية (حِبْرِهْ) وبالشحرية (بِرْ) وبالآرامية (بَرْ)..الخ. وعلى خلاف (مبرهي) فأن كلمة (بر) لا تدل على السن الصغيرة، وإنما تملك معنى عاماً (ولد، بنت) [71 ص 59]. يشير ليسالو كذلك إلى معنيين: أحدهما للإشارة إلى السن، والآخر للإشارة إلى صغير الحيوانات: بِرْ إسد، أي الأسد الصغير.

توجد كلمة خاصة للإشارة إلى التوأم (شِكْلِيْ، والمثنى شُوْكِيْلِيْ، والجمع إشْكَالُو).

وللإشارة إلى أقرباء الجيل التصاعدي الثاني وكذا اللاحق تستخدم هذه المصطلحات:

(مَعّهْ، المثنى مَاعِيْ، الجمع مَعْهِنْ) أي جد. ويورد ليسالو: مُعّهْ، المثنى مُعْهِي، والجمع مَامعهن، بمعنى أجداد، أسلاف [71 ص 248]. وتعني كلمة (مَعّهْ) بالسقطرية (الجد من جهة الأب) وكذا (الجد من جهة الأم). وللتميز بينهما يستخدم التركيب الوصفي: بَابَهْ دِيْهُو دِبَابَهْ، أي جدّي والد والدي وبَابَهْ دِيْهُو دِيْ بَيّو، أي جدّي والد أمي. ويعبّر عن الخاصية بالنسبة لكلمة (مَعّه) بواسطة الجزء (دي): دِيْسِهْ مَعّه وتعني جَدُّه. ويشار إلى أسماء أجداد الأجيال الأكبر بواسطة الأسلوب الوصفي، على سبيل المثال : مَعّهْ دِيْ بَابه - أبو الجد، مَعّه

ديد دِ - مَعّه - جد الجد، مَعّهْ مَعْهِنْ - جد الأجداد، أي سلف الآباء والأجداد.

(حَبّهْ، المثنى حَبّتي، الجمع حَوْبَب) أي الجدّة. والخاصية تبنى بواسطة الجزء (دي). وعلى خلاف (مَعّهْ) و (حَبّهْ) يوجد مصطلح خاص (حَبِيْبُو) بمعنى جدّة الجدّة، وللدرجات الأكثر بعداً يستخدم الأسلوب الوصفي، وإذا كانت هناك ضرورة لتحديد خط الجدّة أو جدة الجدّة من جهة الأم، فهذا يتم كما في حالة (مَعّهْ): بَيّو دِيْهُو دِ - بَابَهْ - ، أم والدي، بَيّو دِيْهِيْ دِ - مَعّهْ - ، أم جدّه، بَيّو دِ - بَابَه دِيْهُو د - بَيّو، أم والد أمي.

ولا توجد في اللغة السقطرية مصطلحات خاصة للإشارة إلى الأحفاد. ولهذا الغاية تستخدم الصيغ الوصفية :

مَجْشَمْ دِيْهُو دِيْ مَجْشَمْ، حفيدي (ابن ابني).

إمْبُورِيهْ دِيْهِي دِي مَجْشَمْ، أحفاده وحفيداته (أولاد أبنه). فرهم دِئهْ دِيْ مِجْشَم، حفيدتك (ابنة ابنتك)..الخ.

عند مخاطبة الجد أو الجدّة يقول الأحفاد: أَ مَعّهْ أو إِ حَبَّهْ، ويخاطب الجد أو الجدَّة الأطفال بأسمائهم أو يخاطبهم كأبناء (أبن، بنت).

توجد مصطلحات خاصة للإشارة إلى أشقاء وشقيقات الآباء :

دِيْدُو، المثنى دِيْدُوي (وليس هناك جمع لهذا الجذر)، وتعني العم من جهة الأب. وهذه الكلمة، ذات النهاية المؤنثة، ترجع إلى جذر اللغة السامية العامة، ويماثلها في المهرية (هَدِدْ)، وفي الشحرية (دِيْد يدِدْ)، وفي العبرية (دُوْد)، وفي المغرب العربي (دَادَه)، وفي السريانية (دَأدَأ) أي الطفل المدّلل، وفي الجنوب العربي (دِدْ) [71 ص 123]. وللتمييز بين أشقاء الأب الكبار والصغار يستخدم الأسلوب الوصفي: نَانْهِيْ دِيْهُو دِيْ بَابَهْ، الشقيق الأكبر لوالدي، قَاقَهْ دِيْهُو دِيْ بَابَهْ، الشقيق الأصغر لوالدي. ويعبر عن الخاصية بواسطة اللواحق الضميرية، وكذا بالصيغة دي + الضمير.

حَلِلّهْ، المثنى حَلِلّيْ، الجمع حَلِيْلُون، الخال من جهة الأم. والخاصية يعبر عنها هنا فقط بواسطة الجزء (دي). من المحتمل أن هذه الكلمة، على الأقل في المناطق الساحلية، حلّت محل الكلمة الموغلة في القدم "حِيْل، جمعها مِحُوْلِهِيْ"، التي اشتقت منها. وتوجد كلمة (حِيْل) في نصوص ميولر، ويمكن أن تضاف إليها اللاحقة الضميرية: حِيْلِهِيْ، أي خالي، حِيْلَكْ: خالك، حِوْلِكِهْ:

أخوالك. وتكونت من الجذر السامي الذي تستند إليه في الأساس هذه الكلمة: في المهرية (خِيْلْ)، وفي الشحرية (خِيل)، وفي العربية (خال)، وفي السريانية (حَلّهْ) وفي التيغرية (خال) [71 ص 166]. وفي النصوص التي دوّناها لا وجود لكلمة (حَيْل)، وأوضح الاستفتاء الذي أجريناه في المناطق الساحلية أنهم لا يعرفون هذه الكلمة، أما في المناطق الجبلية فلم نقم بأجراء استفتاء.

وإذا كان الجد من ناحية الأب، والجد من ناحية الأم يسميان بكلمات مختلفة، فأن العمّة من جهة الأب، والخالة من جهة الأم يطلق عليها كلمة واحدة هي: حِلُوْهْ، وفي صيغة أخرى خَالَهْ، المثنى حُوْلِتِيْ، الجمع حُوْلَتْ. ويمكن التعبير عن الخاصية لهذه الكلمة أما بواسطة اللواحق الضميرية، على سبيل المثال: حيلوتي، عمتي، خالتي، أو بصيغة دي + الضمير الشخصي "دِسَهْ حِيْلُو، عمتها، خالتها. وفي الحقيقة ذكر ليسالو حالة واحدة من استخدامات (دِيْدُهْ) في نصوص ميولر، بمعنى عمّة من جهة الأب [71 ص 123 ـ 124]، ولكن يتنر لاحظ أن مثل هذه الكلمة لا وجود لها في اللغة السقطرية، وان (حِلُوْه) تستخدم في هذا المعنى [57، ص 28].

تتوافق المصطلحات الوارده سلفاً مع الإشارات إلى أبناء وبنات الأخ:

اِبْرِيْ أو أبْرهِيْ، أبن الأخ، وهذه الكلمة ترجع أيضاً إلى ذلك الجذر (ب - ر)، كما في (بِرْهَهْ) أب، و (بِرُهْ) أم، (مبرهي) طفل، ولا تستخدم بشكل منفصل، وإنما مع اللواحق الضميرية فقط. وتسنى لنا تدوين جملة واحدة فقط مع الاستخدام المنفرد لهذه الكلمة: (وَءِه إبرهي مِنْ محمد) وتعني: أين أبن شقيق محمد ؟. بيد أن ما يلفت الانتباه هنا، هو استخدام حرف الجر (مِنْ) مع أنه كان يتوقع مكانه (دي) أو صيغة الاسم + اللاحقة الضميرية عن الاسم الآخر، وهذا ما يؤكده المثال التالي في مثل هذا المعنى (أبْرهُوشْ مِنْ محمد) أي أبن شقيق محمد. وهذا يشفع باعتبار (أبْرَهْيُو) تمثل بحد ذاتها صيغة غير منفصلة للكلمة (ومثل هذا، على الأرجح، غير موجود)، واقترانها باللاحقة الضميرية للضمير المذكر المنفرد الغائب في الغالب توجد (أبرهي) أبن أخي، ويرى ليسالو أن (أبرهي) امتزاج (بِرْ) مع اللاحقة الضميرية، أي بمعنى: ابني، وهو غير صحيح [71 ص 95]، (إبرهُوش) ابن أخيه..الخ.

يوجد كذلك مصطلح مماثل للجنس المؤنث: إبْرُوتْ، بنت الأخ. وهو أيضاً يستخدم فقط مع اللواحق الضميرية: (أبريت أو إبْرهَيْدْتي) أي بنت أخي، (إبْرهِتْش) بنت أخيه.. الخ.

الى جانب هذه الكلمات يستخدم الأسلوب الوصفي للتعبير عن هذه المفاهيم. وهو ضروري عندما تكون الحاجة ماسة لتمييز خط ابن الأخ أو ابن الأخت (مُوجْشِم ديهي- ابن أخي)، (فِرْهِمْ دِحِيْتِيْ - بنت أختي).

الأسلوب الوصفي يستخدم أيضاً للإشارة إلى أبناء وبنات العمومة والخؤلة: (موجشم ديهو دي ديدو - ابن عمي من جهة الأب)، (فرهِمْ ديهو دي حَلَّهْ - ابن خالي من جهة الأم)..الخ. إلى جانب مصطلحي (موجشم - فرهِمْ) نجد في هذه الصيغ كلمة (بَرْدِيْدُو - ابن العم من جهة الأب).

وربما أنه من (بَرْديدو) تكونت (بَرْ- دِيْد) كاسم جمع (ينطق ككلمة واحدة) لأبناء وبنات العمومة والخؤولة. وبغية الإيضاح يمكن استخدامه مع (مُوجْشِم / فيرْهِمْ) على سبيل المثال (إلْهَا فِرهِمْ بَرْ- دِيْد) أي: هؤلاء بنات خالي / عمّي.

توجد كلمة (بَرْ) غالباً في صيغ التملك (بر ديهو ديدو، أو بر ديهو دي ديدو) ابن عمي من جهة الأب.

وفي نصوص ميولر هناك شكل آخر لهذه الصيغة: (ديهو بر ديدو) ابنة عمي [انظر: 71 ص 123].

وتبين من أحاديث المواطنين في المناطق الساحلية أن الترتيب غير متبع هناك: وهم يخاطبون أبناء وبنات العم أو الخال كأشقاء، مع التمييز بين الصغار أو الكبار. فأبناء وبنات العم أو الخال يدعون (نِنْهِيْ / إنَّهْ). أما الصغار فيدعون بالاسم، ويجوز تسمية الصغار (قَاقَهْ) فقط عند التخاطب.

ويمثل تلك الكلمات التي يُسمى بها الأعمام والعمّات من جهة الأب، يسمى زوج الأم أو زوجة الأب، إلى جانب الأسلوب الوصفي. وهكذا ف (عجّهْ دي بَابَهْ) أي زوجة الأب تدعى (حِلو)، و (عَاجْ دي بَيُّو) أي زوج الأم يسمى (دَيْدُو). ويتم التخاطب مع الأخوة والأخوات من الأم فقط أو الأب فقط، كأخوة، ولكن عندما تكون ضرورة للتمييز يضاف اسم الأب أو الأم مع حرف الجر (مِنْ) : (ديهو قاقه مِنْ بَابَه) أي أختي / أختي من الأب، و (ديهو قاقه مِنْ بَيّو) أي أخي أختي من الأم.

في حالة وفاة الأبوين كلاهما، فأن والد الأم عادة يأخذ الأطفال، وهو ملزم بالدرجة الأولى للاعتناء بهم ويتحمل المسئولية لاحقاً عن زواجهم. وإذا كان غير قادر على رعاية وتربية الأحفاد، فأن الشقيق الأكبر لأمهم أو غيره من إخوانه أو أخواته ملزمون بذلك. وعندما يتم استقبال الطفل في مثل هذه الحالة يقولون على سبيل المثال: (مُجْشَمْ تَحَرْ مِنْ عِيْدِتِيْ) أي الطفل الذي بقي من أختي.

وللإشارة إلى الأقرباء بالزواج تستخدم المصطلحات التالية :

(عَاجْ، المثنى عاجي، الجمع عيُوج) أي: زوج، شخص، رجل.

(عَجّهْ، المثنى عِجْتِيْ، الجمع عِجتِنْ) أي : زوجة، امرأة، وهذه الكلمة ذات جذر واحد مع (عَاجْ).

ويُدعى والدا الزوج / الزوجة، حسب معطيات محدثينا من المناطق الساحلية (ديدو، حيْلُو) ولكن يمكن التوجه إليهما وصفياً، على سبيل المثال: (بَابَهْ دِيْهُو دي عَجّهْ) والد زوجتي. ويمكن للحماة أن تدعي الصهر ليس فقط بالاسم، وإنما بـ (يا إبرهي) أي أبن أخي، وفي الحقيقة فأن الصهر يكون في الغالب أبن الأخ أو أبن الأخت.

توجد أيضاً مصطلحات خاصة للإشارة إلى الأقرباء من جهة الزوج أو الزوجة تعود إلى اللغة السامية العامة: حَمْ (حِمْ)، الجمع حُمْ - أي حمو، صهر، عديل.. الخ. وهذه الكلمة تماثل بالمهرية (حَيْم)، وبالشحورية (حِيْن وحِمْ)، وفي العبرية (حِمْ)، وفي العربية (حَمْ)، وفي الجعزية (حَمْ)، وفي الأكادية (إمُو)، وفي العربية الجنوبية (حَمْ).

حَمِتْ - أي حماه، عديله، كنّه.. الخ [71، ص 178].

للإشارة إلى الملكية (الخاصية) تضاف إلى هذه الكلمات اللواحق الضميرية:

حِمْش - صهره.. الخ.

حَمْكَهْ (حُمْكَهْ) - صهركم... الخ.

حِمْتِشْ - كنته، امرأة أبنه... الخ.

حِمِتْس - كنتها، امرأة أبنها... الخ.

وهذه الكلمات ذات صلة بالفعل (حَمِيْ) أي تزوجت [71، ص 180]. ومن هنا انعكاس (شِحْمَه) أي خطبه. على سبيل المثال: (مِنْ إِءْهْ شَحْمَكْ ؟) أي من أين

خطبت ؟ (شَحْمَكْ كِنْ محمد بن سليم) أي: أنا خطبت بنت محمد بن سليم.

في النصوص التي بين أيدينا توجد كلمة (حَامِتي) أي أخت زوجتي وغيرها من العبارات المماثلة، وقد بين استفتاء المواطنين من المناطق الساحلية أن (صهر) تستخدم عوضاً عن (حِمْ). وفي أحد النصوص وجدت كلمة (حَمِتِيْ) بمعنى عديلي، زوج شقيقة الزوجة، لكن ذلك ربما كان مجرد زلة لسان.

عدا ذلك سجلنا كلمة أخرى لا وجود لها لدى ميولر - ليسالو. هذه الكلمة هي (حَامِيْتُوْ) أي زوجة شقيق الزوج / زوجة شقيق الزوجة.

رواسب القرابة من جهة الأم

أن الأهمية الكبيرة لدراسة تطور أشكال الأسرة ومميزات تطور علاقات الزواج الأسرية لدى السقطريين كما يتضح لم تجد بعد تفسيراً مماثلاً، بل هي حتى من حيث الجوهر ظاهرة غير مدروسة، يجري الحديث عن الانتشار الواسع في الماضي لعادة إعطاء الأطفال الصغار للرضاعة والتربية للأسر الغريبة وخاصة البدوية حتى سن محدد (في الغالب حتى سن السابعة أو الثامنة) ولا تزال موجودة حتى الوقت الراهن.

ذكر هذه العادة بعض الرحالة الذين زاروا سقطرى، ووفقاً لهذه الذكريات العابرة أحياناً وحسب ما أورده الرواة، كان من الممكن الافتراض أن الذين أعطوا الأطفال دائماً هم سكان المناطق الساحلية فقط (فضلاً عن المراكز السكنية الكبيرة) الذين يعيشون الحياة الحضرية منذ زمن. بيد أنه وحسب معلوماتنا يحدث أن أسرة بدوية أيضاً تسلّم الطفل لأسرة بدوية أخرى. ومع ذلك لا توجد أسباب بينة لذلك، ولم يستطع السقطريون أنفسهم أن يعطوا الأسباب المقنعة لضرورة مثل هذا الأجراء، بما في ذلك أولئك الذين قاموا به مباشرة. والإيضاحات التي أوردوها كانت عابرة.

انتصبت أمامنا مهمة محاولة استجلاء مستوى انتشار هذه العادة وجغرافيتها واتجاهات تسليم الأطفال وأسبابها الحقيقية. بينت الاستفتاءات التي أجريناها أن هذه العادة تتبع عملياً في الوقت الراهن على ما يبدو لدى 5 - 10 ٪ من الأسر وليس أكثر. لكن هذا المؤشر كان أكثر في الماضي وهو ما تدل عليه مطابقة المعلومات بين الفئات العمرية المختلفة. فيما يظهر عدد

حالات إعطاء الأطفال للرضاعة والتربية لدى أسر أخرى نزوعاً دائماً نحو الانخفاض. ولعدم شمولية استفتاء الناس بصورة كافية لا يمكننا وضع استنتاج عن جغرافية هذه العادة.

في الوقت ذاته، حتى الانتقاء غير الكبير يعطي أمكانية الحكم على أن الأسر المستقبلة للأطفال لا صلة لها بعشيرة الأب، أما في تلك الحالات التي ينتمي فيها الأب والأم إلى قبائل مختلفة فأنهم ينتسبون إلى القبيلة الأقرب إلى الأم. وهذا يسمح بوضع استنتاج، يبدو قريباً من الحقيقة على خلفية الوقائع المعروفة التي تدل على وجود رواسب العشيرة الأمومية (التي تنتسب إلى الأم). ويمكن تأويل ظاهرة انتقال أطفال الزوجة للسكن في منزل الزوج الجديد وانضمامهم إلى أسرتها بأنه يندرج في اللوحة العامة لعلاقات الزواج السقطرية ذات التأثيرات المتبقية لحقوق عشيرة الأم والاستقلالية النسبية للمرأة.

وهذا ما يتوافق مع التقاليد العربية بشكل عام، التي جرت دراستها في أحد مؤلفات البلجيكي ج.ريكمانس:"لاحظت أن بعض أسماء التقسيمات تكراراً لأسماء أعضاء جسم المرأة، على سبيل المثال : بطن أو رحم (العضو التناسلي)، وهناك كثير من الصفات الأخرى، التي ترتبط عادة بترتيب العشيرة من جهة الأم، أو أعضائها الأخرى. ومن بين الصفات الرئيسية: استخدام الأمومة بدلاً عن الأبوة، دور الخال، الاختيار الحر لشريك الزواج، الاستقلالية الاجتماعية للمرأة وحريتها في الزواج، مكان أقامة الزوجين الحديثين مع أسرة الزوجة وفي النهاية تعدد الأزواج ". [3 ص 80].

ليس صعباً ملاحظة أن بعض الصفات المذكورة سلفاً توجد بهذه الدرجة أو تلك في النظام السقطري لعلاقات الزواج الأسرية.

وهكذا، على الرغم أنه لا يوجد من السقطريين من ينسب نفسه مباشرة إلى الأم الأصل من الأسلاف، لكننا نجد في الأساطير والقصص القبيلة الكثير من آثار النسب إلى خط الأم، وتعتبر الأسطورة عن المرأة الفرنجية التي كأنما وضعت بداية قبيلة كشن بمثابة ذكريات مبهمة عن ظاهرة الانتساب إلى خط الأم.

وعن ذلك الدور الذي ظل للخال من جهة الأم تتحدث بعض المسميات الواردة في هذا الفصل، على سبيل المثال، أن كثرة الزواج من ابنة الخال (شقيق الأم) تأتي في المرتبة الثانية بعد الزواج من ابنة العم (شقيق الأب).

ومن بين الصفات المذكورة، تتجلى خصوصاً الحرية الاجتماعية للمرأة السقطرية. ولا نستطيع في الوقت ذاته الحديث عن الاختيار الحر المتبادل لشريك الزواج، فمن حديث المظهر الخارجي كأنما يمتلك العريس فقط حق الاختيار، كما هو الحال لدى الشعوب الإسلامية الأخرى، ولكن عملياً فأن الفتاة تقريباً لا تقبل الزواج بدون رغبتها، بل أنها في بعض الأحيان تختار لنفسها شريك حياتها.

فيما يخص مكان الإقامة المشتركة للزوجين مع أهل الزوجة يُلاحظ هذا بصورة نادرة كما سبق الحديث، ولا وجود لتعددية الأزواج بالنسبة للمرأة ولكن توجد حرية التكرار في الزواج من قبل النساء ومع ذلك لا يفقدن وضعهن الجيد، وهو ما يمكن أن يكون، في رأينا، بقايا لتلك الظاهرة.

وحسب ملاحظاتنا، فأن المرأة السقطرية، لا تجيز لنفسها إقامة علاقات غير زوجية مع الرجال فقط، وإنما كثيراً ما تكون المبادر لمثل هذه العلاقة، بل أن سلوك المرأة يقترب أحياناً من التهور، وكما يتضح فأن ج.ريكمانس عندما درس أسلوب نقل الممتلكات بالوراثة من المرأة إلى المرأة في الجزيرة العربية ما قبل الإسلام. أشار إلى أنه يرتبط بذلك عادة الطَرْح أو الرِّفد المنتشرة في اليمن، وكذا العادة المماثلة لدى السقطريين، كتب أن هذا: " شكل من القرض يسهل الأمور لأهل العروس. ويعود عند زواج البنت إلى ذلك الذي أقرض النقود". ويمكننا أن نضيف أنه من الجائز أيضاً في هذا السياق تأويل الملكية المنفصلة للزوج والزوجة في الأسرة السقطرية، وكذلك النقل المنفرد للملكية إلى إرث للأبناء.

تظهر حرية النساء بدرجة ما في التقسيم العائلي للعمل، حيث تقوم المرأة في بعض المناطق بأنشطة "رجالية محضة" في العمل. وللمقارنة نشير إلى أن هذه الصفة تظهر بوضوح أكثر لدى المهريين، حيث يذهب الرجل أحياناً من أجل جلب الماء والحطب، ويقوم حتى بغسل الملابس وأعداد الطعام. ولذلك يفضل بعض المهريين الزواج من السقطريات اللاتي لا ينتمين إلى المهرة، لكنهن لسن مستقلات كالمهريات.

ختاماً نذكر مرة أخرى الاستخلاص الأساسي: أن علاقات الزواج لدى السقطريين تدل على الطابع الأبوي لهذا المجتمع، والدور الرئيسي للرجل، ومع ذلك نلمس في نظام هذه العلاقات الرواسب المتبقية لآثار التنظيم الأمومي للعشيرة، الذي يعود على الأرجح، إلى المراحل الموغلة في القدم من التطور الاجتماعي للأقوام في الجنوب العربي.

الفصل الثامن

الأسرة السقطرية

الفصل الثامن

الأسرة السقطرية

إن استكشاف الطابع المميز للتنظيم الأسري للسقطريين والنماذج الرئيسية للأسرة واتجاهات تطورها يمثل مسألة في غاية التعقيد. وفي الحقيقة أن البت فيها قد جُدد في أطار المواضيع التي تم جمعها. وعند دراسة مسائل الوصف التصنيفي للعائلة السقطرية، انطلقنا بشكل عام من التصورات التي توصل إليها الاختصاصيون الروس في علم الإثنوغرافيا. مع مراعاة الطابع المحدد لهذه الدراسة التي لا تهدف إلى معالجة مسائل تصنيف الأسر التي لم يجد بعضها بعد حكماً نهائياً مقبولاً من الجميع.

الأسرة العادية

إن الأسرة العادية أو الصغيرة هي النموذج الأقل انتشاراً للأسرة في سقطرى. وحسب معطيات الدراسة، فمن بين 237 أسرة كانت هناك 101 أسرة عادية أو 42,6٪، واستناداً إلى روايات السقطريين وحسب معطيات الدراسات التي تمت كانت النسبة في الماضي أقل أيضاً.

في الأسرة السقطرية العادية ينبغي تقسيم صنفين تحت هذا النموذج :

1- الأسرة الصغيرة أحادية الزوج.

2- الأسرة الصغيرة متعددة الأزواج.

تحت الصنف الأول من المناسب، حسب رأينا، التفريق بين الأشكال التالية (مع مراعاة ثلاث مميزات: وجود الأطفال، أصل الأطفال وتكامل الأسرة):

أ - الزوجان بدون أطفال.

ب - الزوجان مع أطفالهما.

ج- الزوجان مع أطفالهما ومع أطفال الأب من زواج آخر.

د - الزوجان مع أطفالهما مع أطفال الأم من زواج آخر.

ه - الزوجان مع أطفالهما وأطفال كلا الزوجين من زواجهما السابق.

و - الأب مع الأطفال.

ز - الأم مع الأطفال.

يمكن أن تتكون الأسرة العادية عند انفصال الابن المتزوج أو الزيجة التي تم فسخها، على الرغم أنه حتى الشباب الذين انتقلوا من البادية إلى حديبو، يظلون في معظم الأحوال جزءاً لا يتجزأ من الأسرة الكبيرة، بصرف النظر عن تجزئة سكنهم. ويتم الانفصال في حالات نادرة جداً، وهو ما يمكن أن نحكم عليه من المعطيات المحلية للزواج، حيث الإقامة غير المحلية لا تشغل مكانة رئيسية. وتظهر الأسرة العادية أيضاً عند الزواج الثاني للرجل الذي يترك زوجته السابقة أو الأرملة. وهناك حالات لتكوّن العائلة العادية نتيجة لاقتران المنحدرين من اليمن على السقطريات من قبل أولئك الذين انتقلوا إلى سقطرى بصورة دائمة أو مؤقتة. مع أن بعض الأفراد اعتبروا هذا القران، حسب العادة القديمة، زواج مؤقت يتم فسخه قبل رحليهم من الجزيرة، وهكذا ففي الأمثلة التي استعرضناها فأن زواج رجل من عدن على امرأة سقطرية استمر فقط ثلاثة أشهر.

بين من تحدثوا إلينا هناك كثير من الناس انفصلوا عن النمط التقليدي للحياة وعن الاقتصاد التقليدي وانسلخوا عن الأسرة المركبة، ولذلك فمن المتوقع أن نسبة الأسر العادية مبالغاً فيها مقارنة مع حقيقة الرقم المتوسط.

وهكذا فأن عدد الأسر العادية ما يزال أقل من ذلك العدد الذي يمكن إيراده في هذا الاستفتاء ولننظر في مختلف أشكال الأسرة العادية في سقطرى.

من النادر وجود أزواج بدون أطفال. إذ أن عددهم فقط 7,6٪ من الإجمالي العام للأسر و 17,8 ٪ من كل العائلات العادية التي تم بحثها. ومع غياب مراقبة نسبة المواليد فأن زواج الشباب لا يمكن أن يدوم طويلاً بدون أطفال، ولكن نسبة وفيات الأطفال ما تزال مرتفعة ولذلك فأن بعض الأسر الحديثة تظل بدون أطفال لعدة أعوام.

وتوجد حالات معروفة وصل فيها عدد المتوفين في بعض الأسر إلى خمسة أو ستة أطفال الواحد بعد الأخر، وهذا فقط حسب معطيات الخمسة عشرة سنة الأخيرة، أما في سنوات ما قبل الاستقلال فقد كانت نسبة وفيات الأطفال مرتفعة بصورة مخيفة، ولم نوردها في تقديراتنا، ونورد بعض الأمثلة فقط:

خميس عبيد علي، 55 عاماً، صياد من قرية سوق في الساحل الشمالي، من المولدين، يعيش مع زوجته، توفي جميع أطفالهما الخمسة في سن الطفولة بسبب المرض.

سعيد سالم علي، 32 عاماً، سائق من قرية حلمه في الهضبة الساحلية الجنوبية. متزوج على إحدى قريباته، كان له طفلان توفيا في سن الطفولة جراء المرض. تعيش زوجته في حلمه فيما يعمل هو في حديبو، ويزورها في حالات نادرة فقط.

توجد أيضاً أسر شابه بدون أطفال.

مسلّم سيدون نوح، 25 عاماً، مربي ماشية من قرية (قَبْهِتِنْ) في الجزء الغربي للساحل الشمالي، متزوج ولا أطفال لديه.

من جانب آخر، ويغض النظر عن التقدم في السن فأن بعض النساء السقطريات يحتفظن طويلاً إلى حد ما بالقدرة على الإنجاب، ولهذا فأن النساء اللواتي شارفن على نهاية سن الزواج ينجبن الأطفال من زواجهن المتكرر.

إن أكثر الأنواع تكراراً لنموذج أحادية الزواج في الأسره العادية يتألف من الزوج والزوجة مع أطفالهما. ومن بين الأسر العادية المتوسطة التي جرت دراستها. يؤلف هذا الشكل 47,5 ٪، ومن أجمالي عدد الأسر 20,03٪، وتعد هذه الأسرة أما تطويراً للشكل الأول واما نتيجة لتفكك الأسرة المركّبة.

نورد أمثلة لهذا الشكل، ونلفت الانتباه إلى الأسباب التي ساعدت على الانقسام.

عبدالله سالم علي، 37 عاماً، صياد ومربي ماشية من قرية حلمه، له أربعة أشقاء، بما في ذلك اثنان من الأب ومن أم أخرى (كان الأب متزوجاً قبل الأم ثم طلق)، متزوج ولديه ثلاثة أطفال (وكذلك ثلاثة فقدوا الحياة)، انفصل بعد وفاة والده وحصل على قسطه من الميراث (عدد من النخيل وثلاثة جمال وشياة ونعاج) وأشترى لنفسه زورقاً ويقوم باصطياد الأسماك.

علي مبارك حامد، 50 عاماً، صياد ومزارع نخيل من سوق (الساحل الشمالي)، لديه ستة أولاد: أربعة بنين وبنتان. تزوجت البنتان وانتقلتا للعيش كل مع زوجها. كما تزوج الأولاد وانفصلوا مشيدين لأنفسهم بيوتاً من الحجر، وكوّنوا على هذا النحو أربع أسر أحادية الزواج مع مسكن منفصل لكل منهم.

ممتلكات هذه الأسرة قليلة، عملياً لديها فقط عدة نخيل وعدد من الشياه، وهذا يعني غياب الحافز للحفاظ على الأسرة الواحدة.

سعيد سليمان عبدالله، 32 عاماً، عامل بناء في المنطقة الغربية، من قبيلة ضَمْدِدْ، انفصل عن أخيه لأنه لم يكن لديهما شيء تقريباً في البادية، ولديه الآن خمس شياه فقط، وأصبح يعيش لوحده، وله ثلاثة أبناء وثلاث بنات تحت سن الزواج. هاجر لثلاث سنوات للعمل في الأمارات العربية المتحدة، ويملك بالشراكة مع آخرين سيارة لنقل الأحجار، وقد شيد لنفسه منزلاً.

في هذا المثال يكون العوز الاقتصادي وانعدام الملكية قد ساعدا على تفكك وحدة الأسرة. وأدّى سفر محدثنا للعمل في الأمارات العربية المتحدة إلى انقطاعه عن النمط التقليدي للحياة. وفي ذات الوقت يبدو أن التقاليد الأسرية العشائرية للتعامل والتكافل المتبادل قد انتقلت هنا إلى جماعة موحدة أخرى، تسلك كجماعة أقرباء، مع أنها ليست كذلك. فقد تم شراء شاحنة للنقل من قبل المهاجرين العاملين في الخليج منذ فترة طويلة. وهم من جيران سعيد، وانتقلت إلى ملكية سعيد وأصدقائه، على شرط أن تكون لهم حصتهم في الأموال التي يتم الحصول عليها من عمل الشاحنة ويُسلم جزء من ذلك لأقرباء أولئك المهاجرين ممن يعيشون في الجزيرة.

وبفعل انفصال الزوجين الحديثين وبفضل ولادة الأطفال ظهرت ونمت الأسرة العادية التي تعد نقطة ابتداء لتكوين أسرة مركّبة وهي بدورها يمكن أن تتحول، بعد وفاة رب الأسرة، إلى أسرة عادية، ينفصل عنها الجيل القادم من الأبناء الذين سيتزوجون ويشكلون من جديد أسرة جديدة أحادية الزواج. وعلى هذا النحو فأن الشكل الأول والثاني لهذا النموذج يدخلان في الدورة الحيوية الموحدة للأسرة السقطرية.

يكوِّن الزوجان مع أبنائهما وأبناء الأب من الزواج الأول نموذجاً يظهر نتيجة للانتشار الواسع للطلاق والزواج المتكرر، رغم أنه أقل بكثير مما في النموذج الآخر، أي الزوجان مع أطفالهما وأطفال الأم من زواج آخر. ويكمن الأمر في أن الأطفال يبقون غالباً مع الأم بعد الطلاق - المصدر الرئيسي لظهور هذه الأشكال من نموذج أحادية الزواج القليلة. والمصدر الآخر - موت أحد الزوجين - وهناك عدد أقل من الأشكال المماثلة، ولكن في حالة وفاة الأم بالذات يظهر مثل ذلك الشكل، كالزوجين مع أطفال الأب من زواج آخر.

ونميز بين هذين النموذجين، طالما أنهما يبينان التأثير الموحد في المستقبل اللاحق للأسرة. فأبناء الأب من زواج آخر ممن يعيشون في الأسرة الجديدة

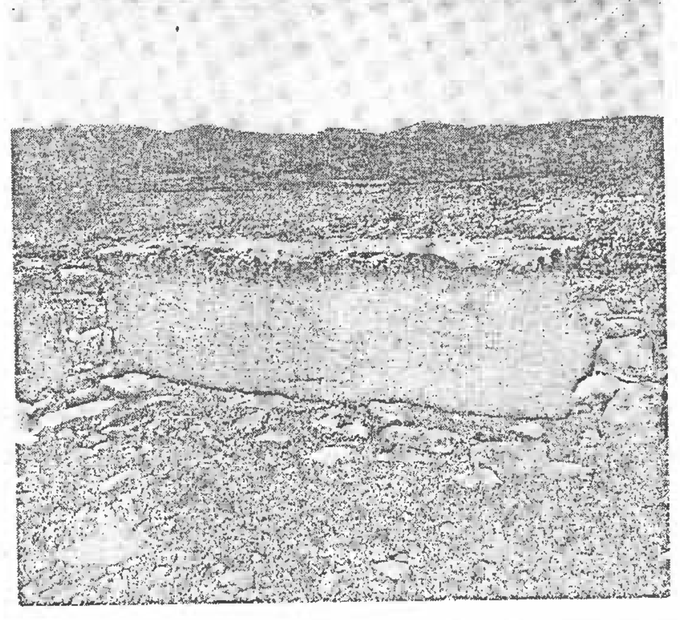
يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها الأبناء من الزواج الجديد. بمعنى آخر أنهم يحصلون على حصص متساوية من الميراث وهذا ما يساعد على تماسكهم ووحدتهم، وفي هذه الحالة تسود النزعة نحو الحفاظ على وحدة الاقتصاد ووحدة الأسرة، على الرغم أن الأخوة من الأب ومن أمهات مختلفات ليسوا أقرب لبعضهم كالأشقاء من الأب والأم.

أما أبناء الأم من الزواج الآخر، فأنهم لا يستطيعون الادعاء بميراث زوج الأم. وهم يميلون إلى والدهم الذي ستؤول جزء من ممتلكاته إليهم من كل بد بعد وفاته. لذلك فأن انفصالهم في المستقبل قد حُدد عملياً: فالأسرة الأخوية تتكون فقط في حالات نادرة من الأشقاء الأخياف (أشقاء من أم واحدة وآباء مختلفين) رغم أن قرابتهم قوية، ويمثل النموذجان اللذان تعرضنا لهما بالتناسب 6,0 و 5,8٪ من كافة الأسر العادية.

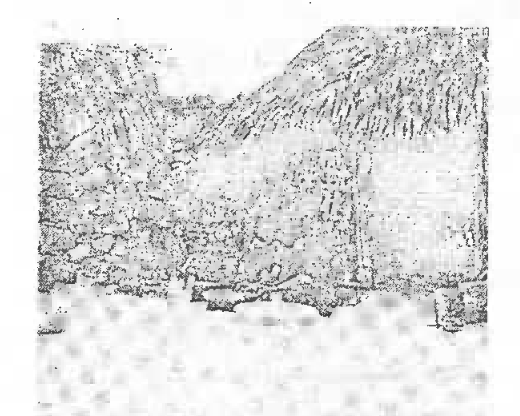
في أسرة الزوجين مع أطفالهما وأطفال كل منهما من الزيجات السابقة لزواجهما والتي تمثل 5,8٪ من العدد الإجمالي للأسر العادية يبرز اتجاهان: تطورها إلى أسرة مركبة أو تكوّن أسر عادية جديدة على قاعدتها.

في مثل هذه الأسر تبرز النزعات إلى انفصال أبناء الأب والأم من الزواج السابق. أما إذا كان هناك في الأسرة عدة أشقاء من الزوجة الأخيرة التي عاش معها الأب قبل وفاته فأنهم، كما يحدث، لا ينفصلون وإنما يشكلون أسرة أخوية، حتى في حالة انفصال الأشقاء من الأب و من أم أخرى. ونورد مثالاً:

يحيى سالم علي، 20 عاماً، صياد ومربي ماشية من قرية (حلمه)، الهضبة الجنوبية الساحلية، لديه خمسة أخوة: ثلاثة منهم من الأب ومن أم أخرى (من زواج الأب الأول قبل الأم) وشقيق من الأم (من زواجها الأول) وشقيق من الأب والأم، تزوج على ابنة الخال من المنطقة الشرقية، ثم فسخ الزواج، فأخذت الزوجة الممتلكات التي تعود إليها وعادت إلى بيتها. وبقي في الأسرة بعد وفاة الأبوين يحيى وشقيقه من الأب والأم في منزل زوج الأم. نال شقيقه من الأم على حصته من ميراث أبيه وانفصل، وأخذ كل من الثلاثة الأشقاء من الأب حصصهم وانفصلوا أيضاً. يمتلك يحيى مع شقيقه من الأب والأم وبصورة مشتركة زورقاً و 25 رأساً من النعاج وقد كان عددها أكثر ونفق بعضها بسبب انعدام الرعي ويملك أيضاً النخيل.



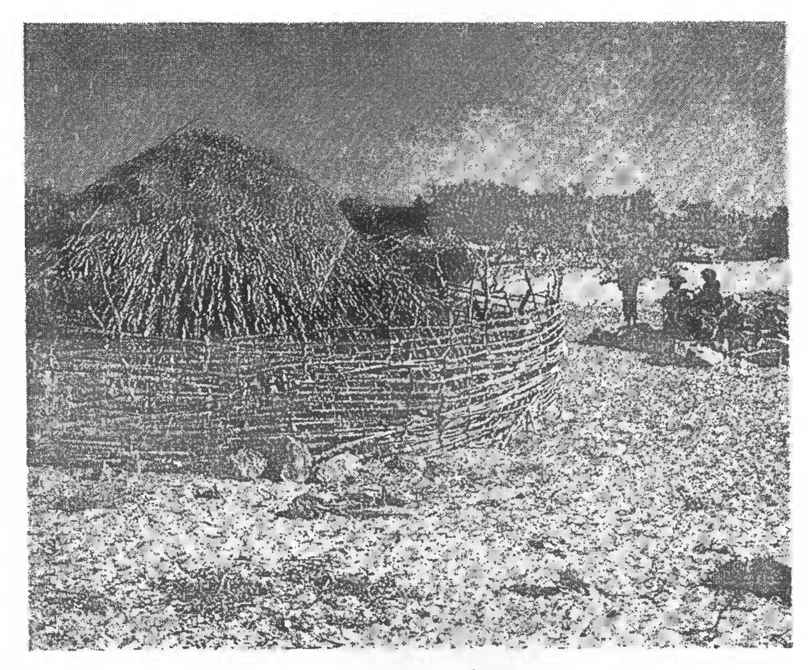
ضريح في راكوف



تحضير الطعام



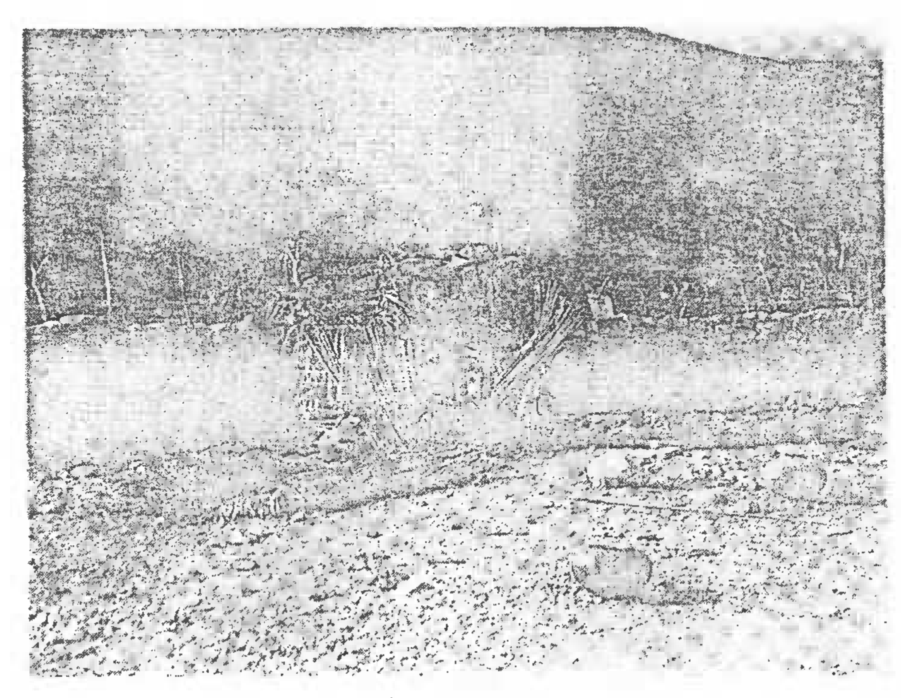
طفلة من الساحل الشمالي



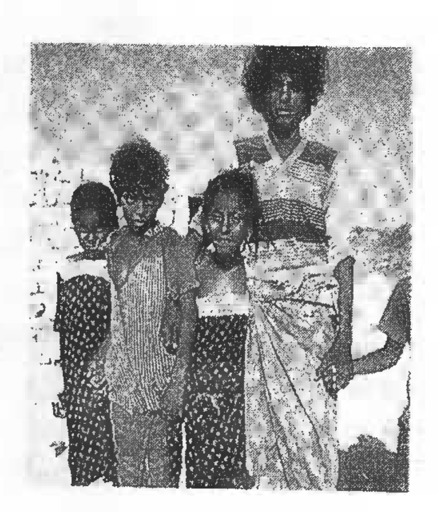
قرية في نوجد



جبليان



باب منزل



أطفال حديبو



الحفريات في المدافن (المقابر)

إن عودة البنت الأرملة أو المطلقة مع أطفالها أو بدونهم إلى أسرة أهلها، ظاهرة عادية إلى حد ما. وفي بعض الأحيان تعود الأخت الأرملة أو المطلقة إلى الأسرة الأخوية، وعلى الأخص حين تكون الأم على قيد الحياة.

يكون في انتظار المطلقة الكثير من الأعمال في الأسرة. في أثناء زيارتنا لقرية (زلكينو) في المنطقة الغربية، تواجدنا في كهف مربي الماشية، أحمد جموت عجمهي، من قبيلة عجمهو، 56 عاماً. توفيت زوجة أحمد الأولى بعد أن تركت له ولداً واحداً وخمس بنات. تزوج أحمد من جديد، ولديه طفل صغير. الابن الأكبر يؤدي الآن الخدمة العسكرية، وأربع من بناته يعشن مع أزواجهن، أما الخامسة فتطلقت وعادت إلى بيتها مع طفل صغير، وهي تقوم مع نساء الأسرة الأخريات بحياكة الألحفة (البطانيات) من الصوف (تمتلك الأسرة 70 شاة و10 نعاج)، عدا ذلك فأنها تعمل على آلة الخياطة الخاصة بها، وتقبل الطلبات لخياطة الملابس.

إن نسبة هذين النموذجين الأخيرين، اللذين يمثلان الأسرة غير المتكاملة، بما في ذلك الأب مع الأطفال أو الأم مع الأطفال، في الإجمالي العام للأسر العادية ليس كبيرا ويتناسب 2,0، 5,8٪، وهذا يتضح من سهولة الزواج، وأهمية توسيع الأسرة غير المكتملة حتى اكتمالها.

النمط الثاني من نموذج الأسرة العادية هو الأسرة الصغيرة متعددة الأزواج. أشرنا في الفصل السابق إلى أن الأسر أحادية الزواج قليلة في سقطرى، أما في الماضي، قبل الاستقلال، فأنها كانت أكثر بعض الشيء. وقد درسنا عشر فقط من تلك الأسر (10 ٪ من الأسر العادية) من ضمنها خمس أسر تتألف من الزوج وزوجتين والأولاد، وأربع أسر من الزوج وثلاث زوجات مع الأولاد. ولا تختلف الظروف في هذه الأسر عن الظروف في الأسرة الأحادية الزواج إلا قليلاً، ولكن وجدت، بشكل عام، نزعات قوية بدرجة أكبر مما في الأخيرة، وهو ما يتبين ليس فقط في خصوصية العلاقات المتبادلة بين الأشقاء من مختلف الأمهات، وإنما في الحجم الكبير جداً للأسرة.

أحمد عيسى عامر، مربي ماشية من المنطقة الشرقية، لديه ثلاث زوجات، له بنت من الزوجة الأولى، وثلاثة أولاد من الزوجة الثالثة. ويملك أربع بقرات وكثير من الشياه والضان والنخيل وثلاثة حمير. وهو كأخوته، انفصل عن الأسرة الأبوية عندما بلغ سن النضج.

ويحدث انفصال الأبناء البالغين، سواء المتزوجين أو العزاب، في الأسرة المتعددة الزوجات أكثر مما في الأسرة العادية المتوسطة.

ارتباطاً بمسالة الانفصال وتشكيل أسرة عادية ننظر في الظروف المصاحبة لهذه العملية.

يكون تقسيم الأسرة موافقاً في ثلاث حالات تفرضها الظروف الاقتصادية:

1 - عندما تتقلص ملكية الأسرة ولا تستطيع ضمانة إعالة جميع أفرادها.

2 - عندما يزداد عدد أفراد الأسرة إلى درجة إن الممتلكات لديها غير كافية.

3 - عندما يصبح حجم الأسرة أكثر بصورة أكبر من الأمثل لإدارة الاقتصاد المنزلي.

تحدث الحالة الأولى في مواسم الجفاف وانعدام الرعي والأمراض الوبائية التي تصيب المواشي..الخ، ولا يكون في وسع الأسرة أن تطعم نفسها، وفي هذه الحالة يضطر جزء من أفراد الأسرة إلى ترك الاقتصاد الأسري والبحث عن عمل في مجال آخر مقابل أجر أو الهجرة خارج الجزيرة للعمل. وهذا لا يؤدي بالضرورة إلى تقسيم الأسرة، لكنه يخل بوحدتها. وفي نفس الوقت يتجلى هنا بشكل خاص التكافل الأسري: فالعلاقة مع أسرة أولئك الذين هاجروا لا تنقطع أبداً، وفي معظم الأحوال (ارتباطاً بوضع الأسرة) فأن أفراد الأسرة الذين هاجروا يسعون لعدم الانفصال عنها اقتصاديا.

الحالة الثانية تتميز بها الأسرة ذات الممتلكات القليلة. فعندما تتضاعف مثل هذه الأسرة نتيجة لزواج الأبناء، وولادة الأطفال، وعودة النساء المطلقات مع الأطفال أو بدونهم، وانتقال المسنين من الأقرباء للعيش أو الأطفال الصغار المقربين المحتاجين للوصاية، فأن هذه الأسر تكون أيضاً غير قادرة على تلبية متطلبات كل أفرادها على حساب الاقتصاد المنزلي. والمخرج من هذه الوضعية هو ذاته كما في الحالة الأولى.

الحالة الثالثة يوجبها وجود الحدود الطبيعية لنمو الاقتصاد نفسه وعدد العاملين فيه وكذلك سعة المسكن السقطري التقليدي.

في ضوء ملاحظاتنا فأن الأسر التي يزيد عدد أفرادها على 30 شخصاً، تنقسم بغض النظر عن درجة قرابتهم وحجم الممتلكات، حتى الأسر الغنية التي تملك، على سبيل المثال، قطيعاً من عشرات الأبقار أو مئات الأغنام والمئات

من أشجار النخيل، تنقسم لأن حجمها في هذه الحالة يزيد عن الحجم الأمثل ويصعب القيام بالاقتصاد الموحد وإدارته.

عدا ذلك هناك أيضاً مدى نوعي لنمو الأسرة، حينما يتوجب انفصال المقربين من الدرجة البعيدة، على سبيل المثال، يستطيع أبناء العم العيش في منزل واحد، لكن أبنائهم، ما أن يبلغون سن النضوج حتى يأخذون حصتهم من الممتلكات وينفصلون.

وتعتبر الفترة الممتدة حتى زواجهم الحد الأقصى لبقائهم في الأسرة المركبة. بيد أنه في حالات استثنائية يمكن أن توحّد الأسرة حتى الأقرباء البعيدين.

إن النزعة نحو الانفصال لدى الأبناء هي صفة للصيادين بدرجة أكبر، خاصة في تلك المناطق، حيث نموذج الاقتصاد غير المختلط، وإنما "المحدد" نسبياً، مثلاً عدم امتلاك الأسرة لقطيع كبير. في هذه الحالة ينعدم الحافز لوحدة الأقرباء كما في اقتصاد مربي الماشية، أما صيد الأسماك فلا يعتبر حافزاً لذلك: فصيد الأسماك يتم عادة من قبل شخصين فقط على الزورق (الهوري) وللقيام بذلك يكفي الأب والابن.

الأسرة المركّبة

الأسرة المركبة، هي النموذج الغالب للتنظيم الأسري للسقطريين[1]. وهذا النموذج من الأسر يشكل 4,57٪ من الإجمالي العام الذي تمت دراسته سوية مع الأسر المنفصلة.

تتكون الأسرة المركبة في سقطرى من شكلين معروفين في المؤلفات -- ذات الخط الواحد، وذات الخطوط المتعددة، وكذلك مما حددناه كشكل منفصل.

يمثل الشكل ذو الخط الواحد جملة الأقرباء المباشرين لعدة أجيال، ولكن ليس لأكثر من زواج واحد في كل منها.

والشكل ذو الخط المتعدد هو عبارة عن الأسرة ذات قرابة الدم غير المباشرة وتضم عدداً من الأزواج، وهنا يمكننا تقسيم هذا الشكل إلى عدة أنواع، بما في

1- في هذه الدارسة سوف نستخدم المصطلحات المعتادة لدى الأثنوغرافيين الروس ولن نذهب للجدال عن أفضلية هذه المنظومة أو تلك من المصطلحات

ذلك النوع الذي يضم أشخاصاً من جيل واحد أو عدة أجيال. وفي هذا النوع يكون لا بد من الأسر المنفصلة عندما لا يملك جميع أفراد الأسرة مكان موحد للسكن، لكنهم يظلون محافظين على عمومية المطالب، وبشكل خاص وحدة الإنتاج. وانطلاقاً من ذلك فأن التساؤل طبيعي عن تلك المقاييس التي تحدد الأسرة، أو بالضبط، تجيز توحيد جماعة من الأقرباء أو عدة أسر عادية أو مجموعة أسر وأقرباء في أسر موحدة.

من بين هذه المقاييس، بمقتضى الحال في سقطرى، نذكر ما يلي:

1 - السكن المشترك (ولكن حتى هذا الترابط يمكن أن لا يُتَّبع كما رأينا).

2 - وحدة الإنتاج (الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج، المباني، الماشية..الخ، والقيام بالنشاط الإنتاجي بصورة مشتركة، وهو ما لا يعتبر أيضا شرطاً ملزماً).

3 - وحدة المتطلبات (الاستخدام الموحد للدخل الإجمالي للأسرة حتى التغذية المشتركة).

4 - وحدة الإدارة (في ظروف الأسر المركبة، على سبيل المثال، من حق رب الأسرة - الأب أو الشقيق الأكبر ..الخ، التصرف بميزانية الأسرة وحل كل المسائل المرتبطة بالإنتاج ومكانة أفراد الأسرة.

5 ـ علاقة التضامن والتكافل والمؤازرة المتبادلة بين أفراد الأسرة.

لننظر في الشكل المتفرع ذي الخط الواحد للأسرة المركبة. وإليه ينتمي 10,1٪ من الأسر السقطرية التي تم استفتاؤها. وهذا الشكل يمتلك بدوره صنفين - جيلين وثلاثة أجيال، وفي كل منهما تنقسم تفرعات منفردة :

أ - الزوجان الأقدم أو الأب لوحده والابن المتزوج.

ب - الزوجان الأقدم أو الأب لوحده والابن المتزوج والابن أو الأبناء غير المتزوجين. إلى جانب ذلك يمكن أن يقوم الصهر، زوج البنت، بدور الابن الذي انتقل للسكن لدى أسرة الزوجة، إذا لم يكن لأبويها ولداً.

ونورد عدة أمثلة، مع لفت الانتباه إلى تلك العوامل التي أثرت في تشكيل هذا النوع.

سعد سعيد مالك، 55 عاماً، من مواليد (دكْسَمْ) في المرتفعات على تخوم المنطقتين الوسطى والغربية، قبيلة بني مالك، يسكن قرية قاضب، في الساحل الشمالي، مربي ماشية سابق، ثم صياد وغواص لؤلؤ، وحالياً مراسل في الإدارة

المحلية. نزح من قبل من الجبل إلى الساحل بسبب الجفاف وغادر للعمل في المملكة العربية السعودية وبنى له منزلاً في قاضب. تزوج مرتين على قريبات من قبيلته وفسخ الزواج. لم يكن له منهما أطفال. استقر في الزواج الثالث ولديه أربعة أولاد، لم يبلغوا بعد سن الزواج.

في هذه الحالة فأن الجوع وانعدام العلف دفعا بالبدوي للنزوح إلى الساحل حيث بدأ هناك حياة مستقلة، مكوناً أسرة أحادية الزواج (مع المحاولة الثالثة). وفي قرية قاضب حيث يشتغل الناس أساساً في اصطياد الأسماك وكذلك مختلف الأعمال في العاصمة التي لا تبعد كثيراً عن القرية يسعى الأبناء للانفصال عن الآباء، وفي العادة، لا يشكل الأخوة أسرة موحدة، فلا يساعد على ذلك لا الاقتصاد ولا التقاليد ولا أسلوب الحياة بشكل عام.

صالح محمد أبو بكر، 35 عاماً، من السادة آل ابي بكر، مربي ماشية من قرية كدح (بالقرب من حديبو)، متزوج من نفس العشيرة، له ثلاثة أبناء (عزاب، لم يبلغوا سن الزواج) وأربع بنات، واحدة منهن متزوجة وتعيش مع أسرة الزوج. وكان هو قد أنفصل عن أبويه بعد زواجه ويملك عشر بقرات وبعير وكثير من الأغنام والنخيل.

حديد عبدالله محمد،40 عاماً، صياد ومربي ماشية من قرية ستيرا في الهضبة الساحلية الجنوبية، والداه متوفيان، لديه ستة أخوة، بما في ذلك ثلاثة أشقاء من الأب والأم وثلاثة من الأب (من الزواج الثاني للأب بعد وفاة الأم)، جميع الأشقاء متزوجون، عدا واحداً منهم بقي في منزل الأب، وقد تقاسم الأخوة الميراث ويعيشون في بيوتهم الخاصة بهم ولديهم أولاد. حديد متزوج من ابنة الخال ولديه ولدان (وثلاثة أطفال ماتوا من قبل). كان يملك أكثر من 200 رأس من الشياه والنعاج، لكن الكثير منها نفق بسبب انعدام الرعي والعلف في مواسم الجفاف.

في هذا المثال انقسمت الأسرة بغض النظر عن الحجم الكبير للملكية. وينتشر انقسام الأسر بصورة أكثر في منطقة الهضبة الساحلية الجنوبية بسبب سيادة حرفة صيد الأسماك وكذا سهولة تشيد المسكن من النخيل.

تكون الغالبية من الأسر التي ليس لديها كثير من الأولاد،بين الأسر التي يوجد فيها اثنان متزوجان من مختلف الأعمار، بيد أن المتزوج يعتبر أحدهما فقط، الأكبر عادة. وتنفصل الأسرة بشكل خاص عندما يسكن الزوج لدى أهل

الزوجة. وهذه الأمثلة من السهل إيضاحها، إذا لم يكن لدى الأبوين أولاد، ولكن توجد حالات أخرى.

عبدالله سالم (فدنهن)، 45 عاماً، مربي ماشية من بلدة (قريه) في الجزء الغربي من الساحل الجنوبي، توفي جميع أشقائه وشقيقاته، دون أن يخلفوا ورثة. وهو متزوج وله ثلاثة أبناء وثلاث بنات، إحداهن متزوجة وتعيش مع الزوج في بيت عبدالله (الزوج من قرية ستيره،الواقعة بالقرب من قريه). من غير الواضح سبب الزواج الأمومي المحلي. وهو يملك قطيعاً من الأغنام. الأب، هو رب الأسرة الأبوية، ويمتلك كامل الحقوق، وهو الذي يسمح للابن الذي قد يرغب في العيش لوحده ويخصص له حصته من الممتلكات. وتحدث حالات عندما لا يستطيع الابن الأتفاق مع الأب، ويدل على ذلك المثل التالي.

سالم أحمد محمد، 53 عاماً، مزارع نخيل من حديبو، لديه ثلاثة أولاد وخمس بنات، جميعهم متزوجين، عدا الابن الأصغر والبنت الصغرى. أنفصل الابن الأكبر منذ زمن ولديه سبعة أولاد وقد أشترى لنفسه النخيل ولم يستلم شيئاً من الأسرة (يمكنه الحصول على حصته فقط بعد وفاة الأب)، يعمل في التعاونية، يعيش معه في البيت الابن المتوسط مع أسرته وكذا الابن الأصغر. لدى الأسرة 400 نخلة تقريباً.

وهناك نموذج الأسرة المتعددة الخطوط، الذي يوجد بكثرة وهو يضم 30,8 ٪ من الأسر التي تمت دراستها. ويمكن الإشارة فيه إلى الأشكال التالية :

أ - الزوجان أو الأب مع الأبناء المتزوجين بدون أطفال.

ب - الزوجان أو الأب مع الأبناء المتزوجين وأطفالهم (كلا الشكلين يمثلان الأسرة الأبوية).

ج - الأخوة المتزوجون مع الأولاد أو بدونهم (أسرة أخوية).

د - الأسرة الأكثر تعقيداً في تركيبتها،وتضم أيضاً أبناء العشيرة، الأعمام، وأحياناً الأقرباء الأكثر بعداً، بما في ذلك من جهة الزوجات.

يمثل الشكلان الأولان (الأسرة الأبوية 14,3 ٪ من جميع الذين جرت دارستهم) مراحل التطور في انطلاق الأسرة العادية التي ستتكون نتيجة لانفصال الابن المتزوج أو الذين تزوجوا وانفصلوا، أو الزجال الذين يعيشون لوحدهم - الأرامل، المطلقون..الخ، مع الأخذ بعين الاعتبار حقيقة أن السقطريين لا يحددون الإنجاب، ويعتبر الشكل الأول فقط مرحلة فاصلة،

لكنه يحل محل الثاني غالباً نتيجة لموت الأولاد (سبق الحديث عن ارتفاع الوفيات بين الأطفال ارتباطاً مع الأسرة العادية). توجد أسر حيث انفصل بعض الأبناء المتزوجين وبقي البعض الآخر. وهذا تفرضه باستمرار الدواعي الاقتصادية، ويحدث عندما لا تكون ملكية الأسرة كافية لإعالة كافة الأشقاء. ومع انفصال الأسرة الموحدة، يبقى مع الأب، كقاعدة، واحد أو اثنان من الأبناء.

يروي فرج سالم عبيد، 22 عاماً، صياد في التعاونية من قرية (خال) في المنطقة الشرقية، أن لديه خمسة أشقاء وشقيقتان وجميعهم متزوجون، وقد تقاسموا حصصهم ويعيش كل منهم في بيته الخاص، عدا الأكبر، الشقيق من الأب (من الزواج الأول للأب، وقد ماتت زوجته الأولى فتزوج على أم فرج)، وفرج نفسه. وهو يعيش مع أخيه في منزل الأب. تزوج فرج من ابنة الخال، وتبقى له من الأم قطيع صغير من الشياه، والى جانب ذلك يملك النخيل.

على هذا النحو، انفصل الجميع عن الأسرة، التي أصبح ربها الشقيق الأكبر، باستثناء أحدهم وهو شقيق من الأب بالنسبة للأكبر. وهنا فأن الاقتصاد، الذي يضم الممتلكات الموروثة عن الأب والأم، قد فرض الحفاظ على الأسرة الأخوية في قوام أسرة شقيقين من الأب وأمهات مختلفة.

وفي الواقع فأن ترسيخ الاقتصاد وأهمية التدابير المنزلية الإنتاجية تحددان مستقبل تطور هذه الأسرة أو تلك بدرجة أكبر من علاقات القرابة.

عيسى محمد هلال، 48 عاماً، صياد ومربي ماشية من قرية (بِدْهُولَهْ) في الهضبة الساحلية الجنوبية، يعيش سوية مع ثلاثة أبناء متزوجين وأبنائهم. ويملك زورقاً.

شقيقه عبدالله، كذلك صياد ومربي ماشية، تقاسم معه بعد وفاة الأب، يعيش أيضاً مع أبنائه المتزوجين وأولادهم. وهو ميسور الحال أكثر من عيسى، ولديه زورق كبير مع الموتور. لم يكن ميراث الأب كبيراً وقد تقاسمه الشقيقان. وامتلاك القارب الكبير يعتبر حافزاً للحفاظ على أسرة عبدالله، ولذلك من المشكوك فيه أن ينفصل أبناؤه، والأقرب أنهم بعد وفاة الأب سيحافظون على الأسرة الأخوية. أما أبناؤهم فربما ينفصلون عن الأسر.

المثال التالي: أسرة تزوج فيها اثنان من الأبناء والبقية عزاب غير متزوجين بعد، مع الأخذ بعين الاعتبار أن البعض ليسوا أشقاء من الأب والأم، إذ يوجد

أخوة إما من الأب أو الأم، فضلاً عن خاصية اقتصادهم، فالعمل الرئيسي يتمثل بصيد الأسماك، وهنا يمكننا التوقع أن العائلة ستتجزأ بعد وفاة الأب.

سعيد أحمد عثمان، 19 سنة، موظف حكومي، من مواليد قرية (عَرِيْرهِنْ) على الساحل الشمالي، لديه ثلاثة أشقاء وثلاث شقيقات، بما في ذلك شقيق وشقيقتان من الأب (من الزواج الأول للأب) وشقيقان وشقيقة من الأم (من الزواج الأول للأم). سعيد هو الابن الوحيد من الأب والأم من زواجهما الذي يعتبر الثاني لكل منهما. وما زال الآباء أحياء. أحد الأشقاء متزوج، وكذلك تزوجت إحدى الشقيقات وهي تعيش في منزل زوجها. سعيد أيضا متزوج من ابنة عمه. ويعيش هو وكذا شقيقه المتزوج الآخر وجميع الأشقاء والشقيقات الآخرين غير المتزوجين في منزل الأب - الصياد. عدد أفراد الأسرة 10 أشخاص. ويمتلكون قطيعاً من الماشية وأشجار النخيل.

تعد الأسرة الأخوية، التي تؤلف بعد وفاة الأب أسرة مركّبة، نموذجاً منتشراً للغاية في سقطرى. وهي تمثل من 10,5 ٪ من جميع الأسر التي جرت دراستها، أما إذا أخذنا بعين الاعتبار الأسر المنفصلة، التي تعتبر أخوية في الواقع، فأنها تمثل 16,5 ٪، وتتميز الأسرة الأبوية الكبيرة بخاصية المستوى الرفيع من الوحدة القائمة على وحدة الاقتصاد وتقاليد التكافل والتعاون المتبادل والمساعدة والإغاثة والدفاع وروح الجماعة التي تظل حتى بعد وفاة الآباء. وتمثل الأسرة الأخوية بذاتها واحدة من أهم أشكال تنظيم الأسرة في سقطرى.

أحمد سعيد محمد،35 عاماً، مربي ماشية من حجهر، متزوج على ابنة عمه، شقيق والده، لديه ولدان وبنتان. بعد وفاة والده بقي يعيش مع شقيقه الوحيد وأسرته ويديرون أمورهم بصورة مشتركة.

يمكن الافتراض، أنه عندما يكبر أولاد أحمد وأولاد شقيقه ويتزوجون، وعندما تذهب البنات للعيش مع أزواجهن فأن الأولاد سينفصلون بعد موت الآباء مكونين إما أسر أخوية (بمعنى أن أولاد أحمد يمكن أن لا ينفصلوا عن بعضهم البعض، ولكن على الأرجح سينفصل عنهم أبناء العم) أو أسر صغيرة أحادية الزواج، تنفصل بعضها عن بعض.

يحيى مراد سعيد، 49 عاماً، مربي ماشية من قرية (شَلَلْيُهُنْ) بعد وفاة الأب بقي في بيته يعيش سوية مع شقيقه الأصغر، وما يزالان معاً حتى الآن، ويقومان سوية بالتدابير الاقتصادية. لدى شقيقه ولدان، أحدهما يعمل في

الخليج العربي بدون أسرته (الزوجة والطفل) والثاني ما زال عازياً. وكان يحيى قد تزوج مرتين، وطلق زوجتيه، وقد توفيت أحداهن. ولديه تسعة أولاد من الزوجتين السابقتين: أربعة أبناء وخمس بنات. ثلاث من البنات متزوجات ويعشن مع أزواجهن، واثنتان غير متزوجات تعيشان في البيت. أحد أبنائه ما زال عازياً ويخدم في الشرطة في حديبو، وثلاثة متزوجون ولديهم جميعاً ثمانية أطفال. يعيش الجميع سوية في منزل الأب، ويشتغلون جميعهم في الاقتصاد الأسري. وهم يملكون أكثر من ألف نخلة وبعير وحمار وكثير من الشياه والضان. في الأسرة إجمالاً 23 شخصاً. وفي حالة وفاة وأحد من الأخوة، فأن الآخر يأخذ على عاتقه مسؤولية رب الأسرة، كما أوضحوا ذلك بأنفسهم، وتبقى وحدة الأسرة من دون شك طالما أن الأحفاد لم يكبروا.

في بعض المناطق، على سبيل المثال في الساحل الجنوبي، حيث تشيد المساكن من النخيل والحجارة، فأن عدة أسر تعيش في أكواخ متجاورة، وتمثل في الواقع مسكناً واحداً، رغم أنها تبدو من الخارج بيوتاً مستقلة.

أحمد عبدالله سليمان، 30 عاماً، صياد من قرية (رِيْمَنْ) في السهل الساحلي الجنوبي. توفي والداه، لديه شقيقان من الأب والأم وشقيق وأحد وثلاث شقيقات من الأم من زواجها الثاني بعد وفاة الأب. ومن بينهم تزوج هو وأخيه من الأب والأم فقط. ويعيش الجميع في بيوتهم الخاصة المجاورة بعضها لبعض، ومع ذلك فأن الماشية تظل عامة، وهذه الأسرة في الواقع أخوية.

هنالك أمثلة وأشكال أكثر تعقيداً لهذا النموذج من الأسرة وتوجد أسر، حيث تضم العائلة الكبيرة الأب وأبناءه الكبار وغير المتزوجين وأبناء الأخ الكبار المتزوجين وغير المتزوجين.

وهذه الحالة طبيعية بالنسبة للأسرة الأخوية وتوجبها العوامل المؤثرة كما لدى الشعوب الأخرى. ومع ذلك لا ينبغي النقل الميكانيكي لمجمل العوامل التي تميز شعب على شعب أخر. ونبين ذلك من خلال دراسة نموذج الأسرة لدى أحد الشعوب الصغيرة في الشمال الروسي هم السلكوبيون:" من المعروف أنه في هذه الظروف يمكن أن يظل الأقرباء في مقام الأبناء للشخص الأكبر، رب الأسرة. (أبناء الأخ الأكبر الذي لم يعد على قيد الحياة). بمعنى أن الأبناء (حتى ابناء الأخ الأكبر في الأسرة) لا يحصلون على الميراث، وينبغي عليهم العيش مع عمومتهم، الذين يعتبرون ورثة، وهم يواصلون حيازة الملكية

التي آلت إليهم سوية من قبل مع شقيقهم المتوفي. وفي وقته فأن جيل الأبناء - أبناء الأخ يحلوا محل جيل الآباء - الأعمام (بسبب وفاة بعضهم أو وهن الآخرين). وبهذا تتضح الحالات الفريدة التي سبق الإشارة إليها للإدارة المشتركة للاقتصاد من قبل أبناء العمومة " [8 ص 29]، وهذا التفسير ينطبق جزئياً على الحالة السقطرية: فحق الميراث لدى السقطريين لا يفرض انتقال الملكية إلى أبناء المتوفي تحت "إدارة" الأخ. ولا ينحصر الأمر هنا في كون أبناء المتوفي "يجب أن يظلوا مع عمومتهم" وإنما في الملائمة الاقتصادية، التي تحددها العادات البدوية والتي يسترشد بها دائماً أفراد الأسرة المركبة.

في حالات نادرة فأن أواصر الإدارة المشتركة للاقتصاد المنزلي يمكن أن تربط والدي الزوج ووالدي الزوجة. بما في ذلك المنتمين إلى قبائل مختلفة. وفي النموذج التالي فان الحالة قد أوجبها وجود والد وشقيق المتحدث إلينا في المهجر، وهو يعتبر موظفاً ولا يستطيع أن يرعى ماشية الأب ولهذا السبب أعطاها لوالد زوجته.

محمد عبدالله حمودش، 23 عاماً، من مواليد (جِئْوُهْ) على تخوم المنطقتين الشرقية والوسطى، محاسب مدرسة في حديبو، قال إن والده كان يعمل في الماضي مؤذناً في مسجد (جئوه) ثم سافر إلى الأمارات العربية المتحدة حيث ما زال هناك حتى الآن. لدى محمد أخ وأخت. أخوه متزوج ويعيش مع والده في المهجر. وأخته التي لم تبلغ سن الرشد تعيش مع الأم ومحمد. وهو متزوج ولديه طفل. يملك الأب في (جئيو) 120 نخلة و50 رأساً من المعز والضان. ويقوم عامل أجير بالاعتناء بالنخيل ويستلم مقابل ذلك خمس المحصول. وبالنسبة للماشية فقد ضمها إلى قطيع عمه والد زوجته الذي يعيش في (روكب) في المنطقة الوسطى، ومع ذلك "تظل الملكية الخاصة منفصلة، لأن الماشية يمتلكها الأب".

الأسرة المجزأة

في الأعوام الأخيرة أصبح السقطريون يمارسون نمطاً أكثر "انفتاحاً" للحياة. وتزداد الهجرة الداخلية للسكان في الجزيرة ذاتها، وعلى الأغلب في اتجاهات المناطق الداخلية - حديبو، قلنسية والقرى الكبيرة في الساحل الشمالي. ويعمل عدد كبير من السقطريين في الإدارات الحكومية، الجيش،

الشرطة، الميليشيا الشعبية، ويذهبون للدراسة في اليمن. وجزء كبير من سكان الجزيرة يتجه للعمل في مختلف مناطق البلد خارج الجزيرة وكذلك في المهجر، وفي بلدان الخليج العربي. وأخذ دخل الأسر من العمل خارج البيت يلعب دورا متزايدا في ميزانية الأسرة، الأمر الذي يساعد على تطوير الجزيرة بشكل عام وتحسين التموين وظهور فرص جديدة للعمل والكسب. وقد نتج عن هذه الظاهرة زيادة حادة في نسبة العائلات المجزأة. (16,5 ٪ من إجمالي الأسر التي تمت دراستها). أي الأسر التي لا يجمعها مسكن مشترك لجميع أفرادها. وبغض النظر عن عدم وجود مسكن مشترك فأن هذه الأسر تحافظ على وحدة الاقتصاد المنزلي والميزانية الواحدة والملكية المشتركة بصورة عامة..الخ.

في الأمثلة التي سنوردها، استخدمت معطيات استفتاءات الرواة الذين ينتمون إلى مختلف فئات السكان، وعلى وجه الخصوص، المدرسين وموظفي مستشفى حديبو ممن ينحدرون في الأساس من المناطق الداخلية، وحصلوا على تأهيلهم التخصصي في مدارس عدن، ولديهم وظائف ثابتة، أي انفصلوا عن الأسر الكبيرة، لكنهم مع ذلك يحافظون على تكاملهم في منظومة العائلة والكيان الاقتصادي المحدد وبصورة مثالية. والأسر المجزأة على هذا النحو، تضم مختلف الأشكال الفرعية للأسرة المركبة. إذ يوجد بينها الأسر ذات الخط الواحد وذات الخطوط المتعددة مع جيلين أو ثلاثة أجيال.

محمد سالم محمد، 37 عاماً، مشرف المدارس في حديبو، من مواليد حديبو، متزوج من ابنة خاله، لديه ثلاثة أولاد، كان والده من قبل عامل بناء بالأجر اليومي وحالياً يتدبر الشئون المنزلية - يعتني بالنخيل ويرعى الماشية. ولمحمد شقيقان وكلاهما متزوجان ولدي كل واحد منهما بنتان، ويعيش الجميع في المنزل مع الأب والأم، يأكلون معاً ويديرون الشئون المنزلية بصورة مشتركة، أما شقيقات محمد الثلاث فيعشن في مساكن أزواجهن، ويبلغ الأجمالي العام لأفراد الأسرة 15 شخصاً.

يوجد أيضاً مثال آخر، عائلة مكونة من 14 شخصاً، محمد سعيد محمد، 58 عاماً، من قبيلة بني مالك على الحدود بين المنطقة الغربية والوسطى، مربي ماشية سابق، حاليا عامل بناء في حديبو، يقول إنه تزوج من ابنة خاله وكان له عشرة أولاد، بقي منهم على قيد الحياة ستة، أحدهم يعمل في الميليشيا وآخر يؤدي الخدمة العسكرية وثالث يعمل في الحامية العسكرية في

موري، ويعيش الثلاثة في منزله، ومن بين أولاده تزوج الأول والثاني فقط ولديهما أربعة أبناء، يملكون قطيعاً من سبع أبقار و50 من الشياه والضان و10 نخلات. يعمل الأولاد جميعهم ويعيشون في مسكن واحد ويتدبرون معاً الأمور الاقتصادية، وأولئك الذين يعملون خارج البيت يجمعون النقود ويرسلونها إلى الأسرة.

وهناك شكل آخر، يتمثل في الأسرة التي يكون معيلها أو رب الأسرة خارج الجزيرة للعمل في اليمن أو في المهجر. ومن الحالات النادرة جداً أن تسافر الزوجة إلى الخارج للعمل بعد وفاة الزوج.

علي ساني علي، 23 عاماً، ممرض في حديبو، كان والده مساعد طبيب وقد توفاه الله. لدى علي ثلاثة أشقاء وثلاث شقيقات، أحد الأشقاء يعمل مدرساً في المدرسة، متزوج، واثنان غير متزوجين. واحدة من الشقيقات متزوجة وتعيش في منزل زوجها، والأخرى كانت متزوجة ثم طلقت وعادة إلى منزل أهلها والثالثة ما تزال صغيرة. تزوج علي من ابنة خاله وليس لديه أطفال. في الأسرة يعمل اثنان هو وشقيقته المطلقة. وتعمل أمه في المهجر، في عجمان بالأمارات العربية المتحدة، بوظيفة حارسة مدرسة وترسل النقود إلى الأسرة باستمرار. تملك الأسرة أرضاً ونخيلاً وخمسة عشر شاه وبقرة. ويقوم بالاعتناء بالنخيل عامل بالأجرة، يُعطي له خمس الحصاد والباقي للأسرة.

يوجد أيضاً شكل متفرع آخر للأسرة.

جمعان سويوفي محمد، 20 عاماً، من مواليد بلدة (قريه) الساحلية في المنطقة الشرقية، يعمل مدرساً في حديبو، أمه متوفية، كما توفي والده الذي كان يعمل صياداً وخلّف ثمانية أولاد وثمان بنات. جميع شقيقات جمعان الثمان متزوجات ويعشن مع أزواجهن. ومن أشقائه أربعة متزوجون: لدى أحدهما ولدان ولدى الأخر طفل واحد وليس للآخرين أطفال بعد، هناك أيضاً اثنان من الأشقاء غادرا الجزيرة للعمل خارجها. يعيش جميع الأشقاء في منزل الأب ويملكون اقتصاداً موحداً ولديهم أعداد كبيرة من النخيل ومئات الأغنام. توفي ولدان لجمعان. وقد بدأ ببناء منزل خاص في حديبو، لكنه لا ينوي أن يأخذ حصته من الممتلكات الأسرية.

في هذه الحالة نشاهد أسرة أخوية، مؤلفة من أسرة مركبة متعددة الخطوط لجيلين، كنتيجة لموت الزوجين الأولين (آباء الأشقاء). تتكون الأسرة

من اثنين من الأشقاء الكبار مع زوجتيهما وأطفالهما واثنين من الأشقاء مع زوجتيهما وبدون أطفال، وواحد أعزب. فيما يعيش ثلاثة من الأشقاء غير المتزوجين باستقلالية، اثنان في المهجر وواحد في حديبو، ويعتبرون عملياً أعضاء في هذه الأسرة الأخوية التي يبلغ عدد أفرادها 15 شخصاً.

وعلى الرغم أن الراوي لم يوضح كيف تتكون ميزانية الأسرة وكيف تدبر الشؤون المنزلية، فمن الواضح أنه يتم في هذه الحالة الحفاظ على الوحدة. وقد أعطى متحدثون آخرون في هذا الصدد التوضيح المناسب لظروف مماثلة.

فحسب كلمات معاذ سالم حسن، 25 عاماً، من مواليد (عجئُو) على تخوم المنطقتين الوسطى والشرقية، من سلالة السادة، يعمل مدرساً في حديبو، ورغم أنه وأخوته تفرقوا في مناطق مختلفة ويعيشون باستقلالية، لكنهم في الواقع إن لم يكونوا يحافظون على الأسرة الواحدة، فعلى التعاون والتكافل المتبادل. لديه أربعة أشقاء وجميعهم متزوجون. أحدهم يعمل في الميلشيا، وآخر يعيش في البادية يعتني بالنخيل ويرعى الماشية التي انتقلت للأشقاء كإرث من الأب بعد وفاته. الشقيق الأكبر يعمل في الشرطة وقد أصبح بعد وفاة الأب المسئول عن تدبير الممتلكات العامة للأشقاء. غادر اثنان من الأشقاء للعمل في إحدى إمارات الخليج العربي، ولكن أسرتيهما بقيتا هنا. أثناء الاستفتاء كانت الأم في الأمارات العربية حيث سافرت لزيارة أبنيها. ويتم تقسيم المنتجات الحيوانية وثمار النخيل على الجميع بالتساوي.

كان قطيع الأبقار الكبير يدر دخلاً كثيراً في الماضي، لكن الكثير من الحيوانات نفقت في موسم الجفاف الأخير وبقيت فقط خمس بقرات. في موسم الحصاد وإعداد وتحضير المنتجات الحيوانية يعمل كافة أولاد الأشقاء (عددهم بالتناسب ستة، ثلاثة، خمسة واثنان) في البادية. وتقدم أسر الأشقاء الهدايا لبعضها البعض بانتظام، وتتحمل بصورة مشتركة نفقات الأعراس والأفراح المرتبطة بولادة الأطفال أو الختان..الخ. ويساعد الأشقاء بعضهم بعضاً كذلك في دفع المهر نقداً. ويبلغ عدد أفراد الأسرة 26 شخصاً.

بصدد المثال الوارد، لا بد من الإشارة إلى أن سلالة السادة تتميز عادة بتراص وتكاتف أكثر مما لدى الآخرين وتغلب نزعة الحفاظ على الوحدة حتى في حالة وجود الظروف لانقسام الأسرة الأخوية والتي تتكون على أساسها الأسرة العادية.

إن انفصال الأشقاء، كما يبدو، يمكن أن يتم في حالات معينة مثل انفصال السكن وانعدام وحدة الإنتاج. ومع ذلك فأن التقسيم الفريد للعمل في الواقع يلم شمل الأسر المكونة على قاعدة الأسرة ذات الخطوط المتعددة أو ذات الخط الواحد المتعدد الأجيال، ذلك لأن كل خلية في الأسرة تحصل من الأخرى على ما يعوزها. وتعد علاقة التبادل التي تتكون في مثل هذا الأمر وفي أطار التوزيع المتساوي والاستخدام الموحد بمثابة الأساس الصلب للأسرة.

يعتبر اقتصاد تربية الماشية باعثاً رئيسياً للحفاظ على وحدة الأسرة:

فهو يعطي المواد الغذائية التي لا غنى عنها، والتي لا يمكن الحصول عليها من السوق، لأن الاقتصاد في الأساس غير بضائعي. والاشتغال في تربية الماشية يعتبر تقليداً، يحظى بشهرة كبيرة لدى قبائل مربي الماشية. وهو ذو فائدة لأنه يضمن متطلبات الأسرة الكبيرة في ظل الإنفاق القليل والأعداد غير الكبيرة.

إن امتلاك الماشية ضرورة للجميع، طالما أن الماشية تقوم مقام القيمة التبادلية في كثير من الأمور، كمهر العروس وفي تشييد المنزل وفي الهدايا وغير ذلك.

وتؤمن تربية الماشية العمل لجزء من أفراد الأسرة، وربما للجميع، وتساعد على رسوخ الأسرة من جميع الاهتزازات التي قد تتعرض لها بسبب الأوضاع السياسية والحالة الاقتصادية في الجزيرة كالتوقف أو عدم الانتظام في إمداد الجزيرة بالمواد الغذائية والحاجيات الضرورية وصعوبة الحصول على العمل وآفاق الهجرة للعمل..الخ.

وتعد تربية الماشية رمز محافظة السقطري على مركز النسب، البيت الأبوي، الأرض، المراعي..الخ. وتساعد على بقاء النمط التقليدي للحياة، الذي يقتضي المحافظة على النماذج التقليدية للتنظيم الأسري والنظام العشائري. ولا نعرف إلاّ حالات نادرة جداً، حدث فيها أن تبيع الأسرة الماشية أو يخرج جميع أفرادها عن المقر التقليدي.

تقوم زارعة النخيل كذلك بدور مماثل، لكن بالتكامل مع تربية الماشية، ذلك لأنها لا تعتبر الشكل الرئيسي بالنسبة لغالبية الأسر، ويمكن أن تدوم حتى في حالة غياب أفراد الأسرة، وعلى أية حال، فأن الانتشار الواسع لعلاقات الإيجار واستخدام العمل المأجور في زراعة النخيل يشير إلى أنها بذاتها لا تؤمن

ثبات الأسرة في مواقع السكن التقليدي، والحفاظ على وحدتها، لاسيما وأن النخيل التي تدخل في أملاك السقطريين تقع على مسافة بعيدة من المنزل.

لقد قمنا بتسجيل ومقارنة مختلف الأعمال والمهن في الأسر الأخوية المجزأة، لكن تربية الماشية هي على الإطلاق جزءاً من مكونات الاقتصاد. وتظل وحدة مثل هذه الأسر في بعض الأحيان لفترة طويلة جداً، ويحصل أحفاد الأشقاء فقط على حصصهم.

مبارك سعيد مبارك، من مواليد قرية غيو في حجهر، من قبيلة سيفهو، كان في الماضي مربي ماشية، ثم غادر إلى الخليج حيث يعيش هناك أحد أبناء قبيلته، وبعد أن ادخر المال هناك، عاد وفتح دكاناً في حديبو. لديه أربعة أولاد وخمس بنات. جميعهم دون سن الزواج ويعيشون في منزل الأب. لدى مبارك الكثير من النخيل وقطيع كبير من الأغنام وهذه الأملاك تؤل له سوية مع شقيقه الذي يقوم بالاعتناء بالنخيل ويرعى الماشية. وشقيقه متزوج أيضا ولديه أولاد.

في المثال الوارد فأن الجديد نسبياً في سقطرى، هو امتزاج الأشغال: أحد الأشقاء مربي ماشية والأخر يعمل في التجارة.

تبدو اللوحة الفريدة للغاية في الأسر المركبة، التي يكون في أساسها رب الأسرة مع عدد من الزوجات وأبنائهن، بما في ذلك الأبناء وزوجاتهم وأبناؤهم. وكما يبدو فأن الأشقاء الذين لم تربطهم قرابة الدم (أشقاء من الأب ولكن من أمهات أخريات) والأخوة الأخياف (من الأم وآباء آخرين) وحتى الأخوة الكلالة (من زوج الأم، أو زوجة الأب) ليس فقط يعتنون جيدا بعضهم ببعض، بل ويحافظون غالباً على الأسرة الأخوية، حتى بعد وفاة الآباء، رغم أن نزعة انفصال الأبناء تظهر بشكل خاص في هذه الأسر بقوة، وأسرع مما في الأسر العادية الأخرى.

لدى السابق ذكره، سالم سعد أحمد، الذي غدت أمه بعد وفاة الزوج زوجة ثانية لشقيق عم سالم من جهة الأب، لديه شقيقتان من الأب والأم، وأخ وأخت أخياف (أبناء من زواج الأم على شقيق عمه) واثنان أخوة وأربع أخوات أبناء الزوجة الأولى لزوج الأم. وتشغل هاتان الخليتان للأسرة الكبيرة مسكنين متجاورين في موقعهما، وتملكان سوية أعداداً كبيرة من النخيل و 250 رأساً من الأغنام، فضلاً عن ذلك فأن كل فرد يعرف حصته من هذه الممتلكات

ولكنهم لا يقسمونها ويرعون الماشية بصورة مشتركة ويحفظونها في زريبة واحدة، ويستخدمون المراعي بصورة عامة، أي أنه لا وجود لتقسيم ملكية المراعي، لكنهم مع ذلك يحسبون النسل بصورة منفردة، ويعرفون بالضبط حصة كل فرد من الأسرة وفقاً لكثرة حصة البداية. ويشتغل زوج الأم والأخ الخيف في هذا الاقتصاد المشترك، فيما يعمل الأخ الكلالة في المستشفى وهو متزوج، والآخر ما زال في المدرسة. والتغذية في كلا المسكنين منفصلة ولكن رب الأسرة الواحد يعتبر زوج الأم، الذي يتصرف بكل الوسائل ويحدد حاجات الأسر كافة. إحدى الشقيقات من الأب والأم متزوجة على سائق وتعيش معه في مسكنها (أي في منزل الأب المتوفي). ويأتي الزوج براتبه الشهري إلى الأسرة. الشقيقة الأخرى من الأب والأم متزوجة كذلك وتعيش في البيت أيضاً، ريثما يكمل زوجها الخدمة العسكرية. والشقيقة من الأم تزوجت على شقيق الزوجة الأولى لزوج الأم وذهبت للعيش معه.

ومن الشقيقات الأربع من الأب واحدة متزوجة وتعيش في عدن، والأخرى تزوجت وتعيش في حديبو، والثالثة مطلقة وهي تعمل في المستشفى وتعيش مع الأسرة، والرابعة لم تبلغ بعد سن الزواج. تضم الأسرة 10 أشخاص.

ما يلفت الانتباه في هذه الأسرة هو البقاء للسكن لدى الأم في زواج إحدى شقيقات الراوي وبشكل عام ميل وشوق الشقيقات إلى البيت. ويفسر هذا ربما حالة الأسرة الميسورة وإمكانية استيعاب الأيادي العاملة والحاجة إليها.

والشكل الأكثر بساطة، هي الأسرة الأخوية، المؤلفة من أخوين من الأب مع زوجتيهما وأولادهما، يقوم أحدهما بتدبير الشئون الاقتصادية التي تؤول إليهما معاً، فيما يعمل الآخر في حديبو ويوفر النقود. ومثل هذه الأسرة لا يمكن أن توحِّد الأخوة الأخياف: إذ أنهم يحصلون على ميراث من آباء مختلفين. أما في هذه الحالة فأن الممتلكات الأبوية التي يرثها الأشقاء من الأب تضمن وحدة الأسرة.

سعيد جمعان حَبْوَه، 22 عاماً، مساعد فني مختبر في مستشفى حديبو. والده مربي ماشية من قرية حاصن في المنطقة الوسطى. كان متزوجاً ثم توفيت زوجته الأولى وبقي له منها ولد. تزوج الأب للمرة الثانية وخلف بنتين إلى جانب سعيد. وقد توفي الأب. ويعيش في منزل الأب في القرية شقيق سعيد من الأب مع زوجته وأولاده الأربعة. حصل سعيد من الأب كإرث على 30 نخلة

وحوالي 40 شاة، أما الزريبة والمرعى الواقعان على مسافة ساعة مشياً على الأقدام من البيت فتمتلكها الأسرة. وممتلكات سعيد وممتلكات شقيقه من الأب موحدة. وفي الواقع فأن ميزانيتهما واحدة " ويُقسَّم كل شيء على الأسرتين".

يجمع بعض أفراد الأسرة بين تربية الماشية مع الخدمة في الجيش، والشرطة، العمل كحمالين، بنّايين، سائقين، وكذلك معلمين وموظفين في الصحة وفي الإدارات الحكومية..الخ، وتعتبر الهجرة إلى دول الخليج العربي المصدر الرئيسي لدخل الأسرة، كما سبق أن أشرنا، وفي الأساس إلى الأمارات العربية المتحدة وعُمان حيث يعمل في الوقت الراهن الكثير من السقطريين.

ساني أحمد محمد، 20 عاماً، من مواليد المنطقة الشرقية، معلم في حديبو. يشير إلى أن أمه أنجبت من زواجها الأول بنتاً ثم توفي زوجها، ولذا تزوجت للمرة الثانية على والد ساني، وكان والده قبل ذلك متزوجاً، ثم طلق، وبقي له ولدان وبنت. والى جانب ساني أنجب الأبوان أيضاً ولداً وبنتاً. يعيش الشقيق الأكبر من الأب مع أسرته في الأمارات العربية المتحدة حيث سافر إلى هناك للعمل، أما الأصغر فيعيش في بيت الأب مع الأسرة، وهو كذلك مربي ماشية مثل والده. والشقيق من الأب والأم يدرس. وتعيش إحدى الأخوات في عدن مع زوجها. والأخرى كذلك لدى زوجها في قرية سوق، أما غير المتزوجة فتعيش مع الأم. أما ساني نفسه فما زال عازباً. تملك الأسرة بصورة مشتركة النخيل، التي يعتني بها الأب، وقطيع أغنام وحمارين. وتقوم الأم والأخت غير المتزوجة برعي الأغنام. البنت من الزوج الأول للأم تسمي زوج الأم (أي والد ساني) عماً (شقيق الأب). أوضح أن من ينفصل من البيت لأي سبب يحصل عادة على حصته من الممتلكات، وأن نصيب البنت نصف نصيب الولد. أما من تبقى منهم فأن ممتلكاتهم لا تقسم ويتدبرون سوية الشئون المنزلية. ساني نفسه لم يأخذ حصته رغم أنه يعيش مستقلا، ويعتبر راتبه الشهري جزءاً من مكونات ميزانية الأسرة، بيد أنه يترك لنفسه جزءاً من النقود لاحتياجاته الآنية.

في بعض الأحيان يلتم الشباب غير المتزوجين، ممن ينتمون إلى منطقة واحدة وانفصلوا عن بيوتهم بحكم عملهم المؤقت أو الدائم في حديبو أو في

غيرها من المراكز السكنية الكبيرة، ويعيشون جماعة ويؤازرون بعضهم بعضاً ويحافظون على أواصر الصلة القوية مع قراهم.

محمد سليمان سعد، 20 عاماً، فني مختبر في مستشفى حديبو، ينحدر من قلنسية، يسكن مع مجموعة من الشباب العُزاب سوية في منزل أحد الأقارب. كان متزوجاً في قلنسية ثم طلق. وكان والده قد ترك الأم مع الأولاد، ولم تتزوج ثانية. هناك شقيقتان، إحداهما متزوجة وما زال زوجها يؤدي الخدمة العسكرية ولذلك فهي تعيش عند الأم وستعود إلى زوجها فيما بعد. أما الصغرى فلم تتزوج بعد وتعيش مع الأم. تملك أسرة الأم عدداً من النخيل وحوالي 40 شاة، ويقوم أولاد أخت الأم برعي الماشية ومقابل تعاونهم ذلك يحصلون على اللبن، شقيق الأم غادر للعمل في الخارج وهو يساعدها بالنقود بانتظام. ويرسل محمد لها النقود أيضاً ويحصل على المواد الغذائية من البيت.

نموذج هذه الأسرة مهم أيضاً في كون الأواصر القوية تربط محدثنا مع أولاد خالته، شقيقة الأم، فيما يقدم شقيق الأم (الخال) المساعدة المادية للأسرة، في هذه الحالة يتضح أن الأم بعد الطلاق لم تتزوج ثانية وكانت بحاجة للمساعدة لأن إبنها الوحيد لم يقف على قدميه إلاّ مؤخراً.

عبد الرحيم إبراهيم خالد، 22 عاماً، طبيب في حديبو، أوضح في حديثه أن والده، نوبي، خدم قبل الثورة عند السلطان. وقد تزوج اثنتين: الأولى أنجبت له ثلاثة أولاد، فيما خلفت الثانية أثنى عشر، بما في ذلك عبد الرحيم. عاشت كل من الزوجتين في منزل مستقل، لكن المنزلين مرتبطان في مجموعة واحدة وتدابير منزلية واحدة. أحد المنزلين أصبح من نصيب الزوجة الأولى بعد وفاة الأب، لكن أولادها الثلاثة تنازلوا عنه لصالح عبد الرحيم بعد أن حصلوا منه على تعويض مقابل ذلك. وفيه يعيش عبد الرحيم الذي تزوج على ابنة الخال. المنزل الآخر (حيث عاشت الأم المتوفاة) حصل عليه بالميراث الشقيق الأكبر ويعيش فيه سوية مع السبعة الأشقاء المتبقين والأخت الصغرى، وهناك شقيقتان متزوجتان ذهبت كل منهما للعيش مع زوجها. ومع أن جميع ممتلكات الأب قد قسمت بين الأبناء، إلاّ أنهم يساعدون بعضهم بعضا، ويقومون سوية برعي الماشية، ويستفيدون من ثمار مزرعة النخيل التي تم تأجيرها مقابل دفع خمس المحصول.

أبن عم عبد الرحيم، خالد علي خالد، يعمل أيضاً مساعد طبيب، يبلغ 25 عاماً، ويعتبر والده تاجراً - سمساراً. عدا خالد هناك ثلاثة أولاد وأربع بنات. خالد متزوج ولديه ولدان. أما بقية الأبناء فغير متزوجين ويعيشون مع الأب. وإحدى البنات متزوجة وتعيش مع الزوج. تؤل إليهم إعداد كبيرة من النخيل. ويقوم بالاعتناء بها الشقيق الأصغر ذي الثلاثة عشر ربيعاً: فهو يقوم بري النخيل وتشذيبها..الخ، أما الثمار فيقومون بجمعها معاً. وكانت الأسرة تملك أبقاراً ولكن الماشية نفقت بسبب المرض، وهناك عدد غير كبير من الشياه. والاقتصاد المنزلي مشترك، ويتصرف الأب بالنقود ويسلمه خالد راتبه الشهري.

وهناك حالات نادرة، يحدث فيها أن يغادر الشباب منزل الأب وينتقلون إلى العاصمة أو القرى الكبيرة، فيأخذون حصتهم من الأملاك ويقطعون الصلات نهائياً مع الأسرة الكبيرة وأن كانوا غير متزوجين (عزاب).

أحمد سالم محمد، 22 عاماً، شرطي في حديبو، من مواليد قرية (قَدَامَهْ) في المنطقة الغربية، والده صياد. لأحمد شقيقان وشقيقة. تزوجت شقيقته وتعيش مع طفلها في بيت الأب، لأن زوجها غادر خارج الجزيرة للعمل في المهرة. أحد الأشقاء متزوج ويعيش مع الأب والآخر ما زال عازباً. أحمد أيضاً أعزب وقد أخذ حصته من الممتلكات من الأغنام والنخيل وهو يعيش في حديبو في منزله الخاص. لكن هذا المثال ليس اعتيادياً.

يمكن أن يشارك أزواج الأخوات الذين يدخلون في السكن ضمن دائرة أشقاء الزوجة، في تماسك الأسرة والمساعدة المتبادلة والتكافل وهو ما تتحدث عنه بعض نماذج الأسر الأخوية.

أحمد سالم حمود، سائق من نوجد، من مواليد قرية (نوجد)، لديه شقيقة واحدة من الأب والأم، وكذلك شقيقتان وأربعة أشقاء من الأب. كانت أمه أول زوجة للأب فأنفصل عنها بالطلاق ثم تزوج مرة ثانية، وقد أخذت الأم ممتلكاتها وتركت الأسرة ولم تتزوج بعد ذلك، ثم توفيت وأصبح ميراثها كاملاً من نصيب أحمد. وهو متزوج من بنت خاله ويعيش في منزل الأم مع أسرته وأخته الشقيقه من الأب والأم. شقيقتاه من الأب متزوجتان. يعمل بعل إحداهن في عدن فيما تعيش هي مع أولادها في منزل أهل زوجها، ويعمل زوج الأخرى في المهجر في الخليج العربي وتعيش أيضاً في منزل الزوج. جميع

الأشقاء الأربعة متزوجون ويعيشون معاً في منزل الأب. وكل ما في المنزل عام، واقتصاد الأسرة موحد ويتحمل الأخ الأكبر، الذي يعد رب الأسرة، مسئولية كل شيء، وهم يملكون النخيل والأغنام وعدداً من الجمال. أحمد أخذ حصته، لكنه مع أشقائه من الأب يساعدون بعضهم البعض ويتبادلون الهدايا والزيارات والعلاقات بينهم "ممتازة جداً" حسب قول محدثنا.

فيما يخص الصفات المميزة للأسرة السقطرية المركبة، والأسرة السقطرية بشكل عام، فقد سبق الإشارة إلى الجزء الأكبر منها، وهي التضامن والتكافل والتعاون المتبادل لأفرادها وروح الجماعة والاستهلاك المتساوي والدور الذي لا يستهان به للمرأة في الشئون المنزلية وحريتها النسبية ومشاركتها في حل مشاكل الأسرة. إلى هذا يمكن إضافة هيبة الانتماء الكبيرة إلى الأسرة الأبوية الكبيرة والشعور بالثقة والأفضلية أمام الأسر أحادية الزواج.

ما يميز الأسرة الكبيرة في سقطرى دائماً هو تحديد رب الأسرة، وهو أما أن يكون الأب (إذا لم يبلغ بعد سن الكهولة ولم ينقل وظيفة رب الأسرة إلى الابن الأكبر)، وإما الابن الأكبر أو الابن الذي يليه بالعمر. إذا ما انفصل الابن الأكبر عن الأسرة أو غاب مؤقتاً، في مثل هذه الحالة يمكن أن يكون رب الأسرة حتى الابن الأصغر.

ويمكن أن يكون رب الأسرة العم من جهة الأب في الحالة التي يكون فيها الأب قد توفي، وبقي الأولاد. أما إذا قام الخال من جهة الأم بتربية أطفال المتوفي أو الأسرة التي بقيت فأنه يعتبر في هذه الحالة رب الأسرة.

ما يلفت الانتباه أنه في حالة تقسيم ممتلكات الأسرة الأبوية الكبيرة بعد وفاة الأب، فأن الطفل الصغير غالباً يبقى مع الأم، ونورد الأمثلة:

عبدالله عيسى سالم، 40 عاماً، شرطي في حديبو، ابن لمربي ماشية من (روجَدْ) في جبال المنطقة الوسطى. كان الأب الزوج الثاني للأم، أما زوجها الأول فقد توفي وبقي منه ولد وبنت. ومن الزواج الثاني جاء عبدالله وإلى جانبه ولد آخر وبنت. عاش الجميع في كهف. وبعد وفاة الأب تقاسموا الممتلكات. بقي الولد الصغير يعيش مع الأم في المغارة، وانفصل الباقون. عبدالله متزوج من ابنة عمه، شقيق والده، وقد شيد في حديبو منزلاً وهو يملك ثلاث بقرات وعدداً كبيراً من الشياه.

لون عيسى علي، 55 عاماً، من قرية (كِزْمَعَهْ) في المنطقة الشرقية، تزوجت مرتين. بقي لها من الزواج الثاني بعد وفاة بعلها بنتان. الزوج الثاني كان كذلك قد تزوج قبلها ثم طلق وله من طليقته ولد واحد. من الزواج الجديد أنجبت لون ولدين وبنتين. البنتان تركتا البيت بعد زواجهما، والأولاد تزوجوا جميعهم: ابن زوجها من قرانه الأول حصل على حصته ويعيش مستقلا. وأكبر أبنائها التحق في العمل بالشرطة في حديبو، وبقي معها ابنها الأصغر.

من الصعوبة الحكم، هل ظهرت هذه النماذج المماثلة مصادفة، أم أن هناك قانوناً ما تسبب في ظهورها. وفي كل الأحوال فأن المادة التي بين أيدينا غير مكتملة لإعطاء استنتاجات عامة.

وكخلاصة، تجيز لنا المواد التي جمعناها القول أن التنظيم الأسري السقطري تغلب عليه تقليدياً الأسرة الأبوية والأخوية الكبيرة، وخلال الأعوام الأخيرة حصلت الأسرة المنفصلة على انتشار واسع. وبالنسبة للتنظيم الأسري للسقطريين، فأنه يتميز بالدور الهام للمرأة وببقايا تأثير الأسر الأمومية، على الرغم من طابعه الأبوي (الباترياركي). وتشتمل دورة حياة السقطريين على ظهور الأسرة أحادية الزواج كنتيجة لانفصال الأبناء المتزوجين أو الأزواج الذين قد انفصلوا، وكذلك الزواج للمرة الثانية ومن ثم نمو هذه الأسرة وتتكوّن على أساسها أسرة أبوية كبيرة ومن ثم تحولها إلى أخوية، تنشأ مع انحلالها في الجيل اللاحق أسر أحادية الزواج من جديد.



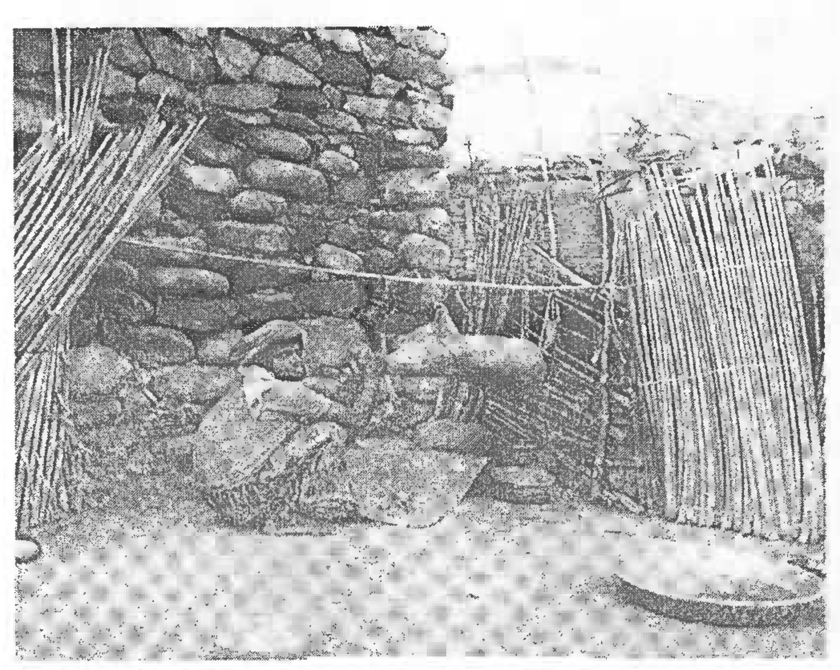
مدخل مسكن



في الوادي



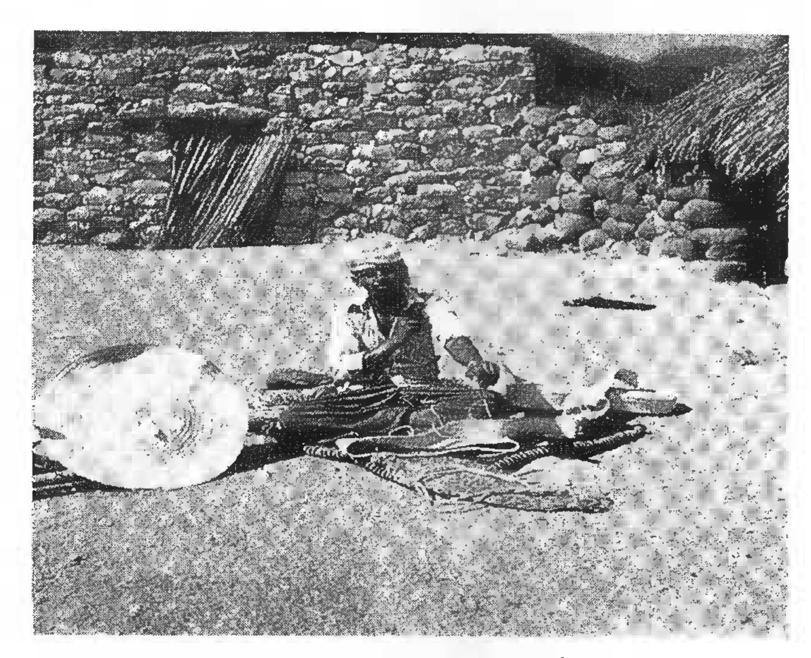
الفستان السقطري



استخراج السمن



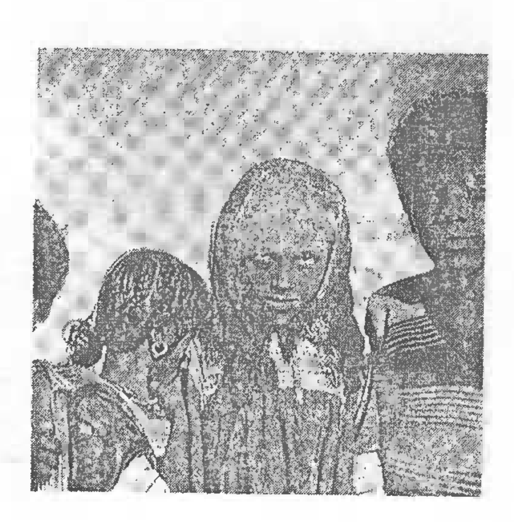
الحياكة



أثاث منزلي



حَدّاد



سقطريو المستقبل

الفصل التاسع

الثقافة الروحية للسقطريين

الفصل التاسع

الثقافة الروحية للسقطريين

في الزمن القديم وفي العصور الوسطى، اشتهرت سقطرى، كما هو معروف باسم جزيرة الأرواح أو الأشباح، وسكانها، حسب روايات البحارة، كانوا سحرة ولهم صلات بالقوى المريبة.

في القرن الثالث عشر كتب ماركو بولو :

"المسيحيون المحليون أكثر مهارة وحذقاً في عالم السحر، والحق يقال إن رئيس الأساقفة غير راغب في ممارستهم للسحر، وهو يتوسل ويعاقب، ولكن كل ذلك لا يفيد.. كل شي يعملونه بالسحر، يعملون الكثير، كل شي يرغبون به تقريباً، إذا ما خرجت السفينة في الرياح المواتية وأبحرت بعيداً فأنهم يرسلون الرياح المعاكسة والعواصف ويعيدونها إلى الوراء. أية رياح يريدون يرسلونها هنا. وإذا ما رغبوا هدأ البحر أو عصف بشدة، يطلقون العنان لأية رياح في البحر. إنهم يجيدون أسحاراً عجيبة ومدهشة. يتحدثون عنهم بصورة غير مرضية، ويندهش حقاً كل من يسمع عنهم... " [19، ص 201].

في زمن ماركو بولو، كانوا في سقطرى يقيدون الشخص المتهم بالسحر، ويتركونه ثلاثة أيام بلياليها على تل مرتفع، وإذا هطل المطر خلال هذه الفترة على ذلك الموضع، فإنهم يقذفونه بالحجارة.

ليس مصادفة أن ارتبطت مختلف صنوف الممارسات السحرية بالمطر، الذي ارتبطت به حياة السقطريين، فالجفاف كان يهدد الناس بالفناء وكانوا يعتبرونه عقوبة من الله أما المطر فرحمة منه.

في عصر ما قبل الإسلام وما قبل المسيحية وجدت هنا طقوس سحرية لاستسقاء المطر، وقد انتشرت في سقطرى كما في كل مكان من الجزيرة العربية، عبادة القمر، وكان السقطريون يتجهون بصلواتهم ودعائهم إلى القمر كي يغدق عليهم بالمطر، وصحب ذلك نحر القرابين وإحراق البخور. وفي العصر المسيحي هنا، ربما حدث امتزاج العادات والرموز الوثنية والمسيحية وبقي من الأخيرة الصليب، الذي حملوه من حين لآخر أثناء إجراء الطقوس.

في حصيلة البحث والتجميع الذي قمنا به لأغاني الطقوس والمراسيم المتنوعة، قيض لنا الكشف عن الآثار الباقية من ثقافة الأسلاف، وآلهة القبائل، وتوقير واحترام أرواح الموتى وكذلك عبادة الحيوانات [27 انظر ص 31-50]. وفي هذا الصدد، وكما سبقت الإشارة في مؤلفات سابقة، تمتلك أهمية خاصة الكلمة القديمة (قنينهن) التي بقيت في اللغة السقطرية، للإشارة إلى رب المسلمين، ولا نجد نظيراً لها لدى أي من الشعوب الإسلامية، باستثناء المهريين والظفاريين (المتحدثون بالشحرية).

حتى اليوم ما زال الإيمان بوجود الكائنات الخارقة للطبيعة التي تعادي في القسم الأكبر منها الإنسان، تمثل جزءًا من الثقافة السقطرية. وتشغل المخلوقات المؤنثة مكانة خاصة بين الأشباح والجن وما يشابه ذلك.

ونتيجة لدراسة نماذج عديدة من الفلكلور، والدراسات الميدانية لاعتقادات السقطريين تثبت بصورة أكيدة الإقرار بأهلية المرأة في حيازة القوة السحرية الخارقة للعادة. وبهدف إيضاح هذه الحقيقة، لا بد من البحث في خصوصيات نمط حياة السقطريين في المراحل القديمة من تاريخهم. وبالطبع فأنه من غير الممكن إعادة الإنشاء بالكامل، وكنا قد أوضحنا في فصول سابقة أهمية دور المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجزيرة. وهنا نتساءل ألم تنعكس في هذه الاعتقادات وفي نتاج الفلكلور تلك المرحلة من تطور المجتمع السقطري، حين استكمل الانتقال إلى نظام الأبوة، وكأنما أكد الرجل ذاته، وربط بالمرأة كل ما هو سيء. ويمكن أن يكون نموذج الجنية تصويراً مقنعاً، والتذكير بذلك لوحده يثير رعباً خرافياً لدى أي سقطري لاسيما في ساعات المساء والليل.

يعتقد السقطريون أن الجنِّية تستطيع أن تجلب الموت والمرض للإنسان وتلحق الضرر بالصحة وما إلى ذلك. حكى لنا يحيى من قرية (عجمنو) أنه حينما كان في سن الفتوة قابل جنِّيَة كانت بثياب بيضاء (هكذا كما يحدث عادة) وبوجه أبيض خرجت إليه حينما كان يسير في الجبال، من إحدى الأشجار ثم اختفت وراءها، ولقد تمكن يحيى من الهرب والنجاة لكن الجنية أفلحت في الإمساك بيده. حينها عاد الفتى راكضاً إلى البيت وشعر بألم في أسنانه، وبعد فترة قصيرة تساقطت جميع أسنانه دفعة واحدة.

حقيقة لا يوجد لدى يحيى ولا ضرساً واحداً، وكما يبدو أنه أصيب بمرض فقد بسببه أسنانه، أما الصدمة التي أثارها اللقاء مع الكائن الغريب ذي اللباس الأبيض فساعد على ذلك، ولا يستبعد أن يحيى وجد فيما بعد " وبأثر رجعي " تفسيراً لضياع أسنانه، فتذكر اللقاء الذي لم يكن قد أثار لديه في ذلك اليوم مثل هذا التأثير الشديد.

على أية حال فأن الأيمان بوجود الجن لم يتلاشَ بعد من اعتقادات السقطريين، ولقد حدث أن شاهدت بأم عيني كيف أن بعض الشباب المعاصرين تماماً، حين جلسوا حول شعلة نار، قد امتقعت وجوههم واصفر لونها لمجرد التذكير فقط بإمكانية ظهور جنية ما على مقربة من المكان.

عيسى عامر احمد من دعرهو، روى لنا كذلك عن كائن مماثل:" توجد جنية، تدعى "ذات الأرجل الحديدية" وهي تبدو من بعيد كالمرأة العادية، وحتى إذا ما رأيتها لا تفكر بأي سوء، ولكن ما أن تقترب منها حتى تعرف حقيقتها، وعندما تشاهد رجلها الوحيدة فقط والشبيهة بمسمار حديدي كبير يغمرك الرعب والفزع، وتأخذ هي بالجري وراءك برجلها الحديدية، وإذا لجأت إلى مكان ما فقد تسبقك إلى هناك، ثم تركض إلى مكان آخر فإذا بها هناك، وهكذا في كل مكان، لا تسمح لك بالخلاص منها، ومن المستحسن أن لا تقابلها أبداً".

وعن مصادفة الجنية، تحدث أيضاً علي يوسف أحمد، من قرية (عدونه) وهو صاحب الجمال التي استأجرناها للذهاب إلى الجبال، يقول:" عندما كنت صغيراً بحثت ذات مرة عن شاة كانت قد تاهت في مكان ما، إذ أرسلني والدي للبحث عنها، تسكعت طوال اليوم، بَحْلَقت في كل مكان، في كل مرتفع ووراء كل صخرة ومع ذلك لم أجد لها أثراً، وفجأة أطلّت علي من أحد الكهوف امرأة غير معروفة وسألتني:" إلى أين أنت ذاهب ؟ ". قلت لها:" أبحث عن شاة ضائعة"، قالت المرأة:" إنك تبحث في الوقت غير المناسب، وهذا لن يؤدي إلى نتيجة". قالت ذلك لي وأضافت مرة أخرى:"هل يستطيع الإنسان أن يجد شيئاً في مثل هذا الوقت من اليوم ؟ إن لا أحد يخرج من البيت في مثل هذا الوقت، ولذلك فمن الأفضل لك أن تعود. شاتك في (بيتبلهن) اذهب إلى هناك وستجد الشاة". نزلت من الجبل وعدت أدراجي إلى البيت ورويت لأبي عن هذا اللقاء، وقلت له أن المرأة قالت لي إنني سأجد الشاة هناك. وإلى هنالك بالذات

اتجه الوالد وفي الحقيقة وجد الشاة هناك في نفس المكان، أما أنا فلم أذهب إلى ذلك الموقع، لقد تخوفت من الجنية".

في عبد الكوري يسمون المرأة، ذات الروح الشريرة (حليلة) أما في سقطرى فيطلقون ذلك على الخالة من ناحية الأم (في عبد الكوري يستخدمون في هذا المعنى الكلمة ذات الجذر الواحد "حَلّي" وهذا يقابل المعنى السقطري للجني، من الجنس المذكر (دِدْهَا) الذي يرتبط بـ(ديدوه) أي العم من ناحية الأب،حمو، وارتباطا بذلك من الملائم التذكير هنا بسؤال طرحه ي.م.دياكونوف:" ألا ينظرون هنا إلى الجن بشكل عام بطريقة المصاهرة، على غرار النسب والمصاهرة بالنسبة للجنس البشري ؟" [12 ص 209]. عند ذلك فأن الجنية المؤنثة تكون حماة؟.

في الفلكلور السقطري توجد شخصيات نسائية مشئومة تنذر بالسوء، على سبيل المثال العجوز (أتلهمتان) التي تلتهم الأحياء، وقد كتبنا عنها في دراسة سابقة. لكن إلى جانب ذلك توجد أيضا نماذج نسائية طيبة. والسقطريون يقدرون في المرأة عقلها وفطنتها ودهائها ووفائها وشجاعتها، وكل هذه المناقب، على سبيل المثال، هي صفات لبطلة إحدى الحكايات السقطرية التي قمنا بتسجيلها.

تصف الأساطير السقطرية العجوز (إتلهمتان) كمخلوق ذي قامة طائلة وهيئة بشعة وأنياب طويلة، وروى الجبليون المعمرون أنهم يعرفون الموقع الذي دفنت فيه، ويزعمون أن قبرها بطول قامتين بشريتين، وحسب الأسطورة فأن لحم الحيوان الذي قتلته (إتلهمتان) غير صالح للأكل، وقد تم نسيانها في الأعوام الأخيرة ومع ذلك بقي لحن أو حجة التهام الناس من قبل المرأة - الروح الشريرة، وأية شخصية يطلقون عليها الآن "جنية".

تنتشر أساطير عن حيّات كبيرة تأكل البشر، والغريب أن الأسطورة التي قمنا بتدوينها تكرر في كثير من التفاصيل الخرافة الشرقية عن الحية. وتظهر في الجزيرة من حين لآخر، حتى الآن، حكاية تزعم أن أحد الأشخاص رأى في مكان ما حية ضخمة تأكل الماعز والضان. وقد سمعنا مثل هذه الحكاية في أثناء زيارتنا الميدانية عام 1987م، من أحد المواطنين من رأس مومي، أقسم أنه رأى الحية بنفسه، مع أنه من المعروف انعدام الأفاعي في الجزيرة بشكل عام.

توجد أيضاً روايات عن الأرواح الطيبة، ولقد نشرنا في دراسة سابقة أسطورة عن (ديحكي) الذي كما يصفه محدثنا "كان سقطريا بسيطاً"، وهو على غرار "البطل الأدبي" الخالد الذي توفي، رغم أن بعض الرواة يسمونه ملاكا (من الملائكة) ويقولون أنه عندما كان يسير قد ضرب الجبل بالعصا فتكون الكهف هناك، وأنه هو أيضاً الذي أوجد المراتع الخصبة والينابيع الغزيرة للجبليين. ومن الجلي أن هذا الاعتقاد بالقدرة الخارقة والمطلقة يناقض بطبيعته الإسلام، ويتعارض مع الإيمان بالقدرة الكلية لله العلي القدير.

ويخصوص القدرات السحرية للمرأة فأمر مألوف تماماً، وهي لا تختلف عن الآخرين في شيء، ويعتقد السقطريون أنها أيضاً تمتلك موهبة تحويل الكائن الحي إلى آخر، وإرسال الموت والأمراض للماشية، بل وحتى للناس. وأمثال هؤلاء النساء يعتبرن (زَخْرَهْ) أي ساحرات خبيثات، وقد نُكِّل بهن بقسوة وفظاظة. وحتى عشية الاستقلال 1967م أُجريت المحاكمات للساحرات، وهي شبيهة جدا بمحاكم القرون الوسطى.

العقيد الإنجليزي ا.سنيل، وصف المحاكمة الأخيرة للساحرات في سقطرى، الذي اتفق له أن كان شاهداً عليها عام 1955م:

" كالعادة في مثل هذه الأماكن، حيث تعتبر الساحرات جزءًا متعارفا عليه من السكان، وفي سقطرى يمكن أن يتهم الإنسان بالسحر بكل بساطة، اما بدافع الحنق أو الانتقام والثأر أو الكراهية والبغض، على هذا الأساس يقدم كل عام للمحاكمة من 15- 20 شخصاً، ويعتقدون هنا أن الرجل يمكنه أن يمارس السحر أسوة بالنساء، لكنني لم أسمع أبداً أن رجلاً واحداً قد اتهم بالسحر وقدم للمحاكمة. وفي العادة يُعرض الاتِّهَام أمام زعماء القبائل وكبار القوم وأعيانهم أو أمام السلطان نفسه، وتجري المحاكمات في حديبو عاصمة الجزيرة.

بعد وضع المتهمة تحت الحراسة في حديبو، يدرس السلطان أو من ينوب عنه في الحكم أثناء غيابه، ويكل اهتمام أسباب الاتهام ومصداقية الإثباتات والبراهين، والتحقق بقدر الإمكان من أخلاقية المدعي والمدعى عليه، وإذا رأى بعد ذلك أن المسألة جادة بما فيه الكفاية يكلف شخصاً يتم اختياره خصيصاً للقيام بالمحاكمة أو التحقيق في التهمة.

يقع الاختيار على هذا "المحقق" (لا ادري كيف يمكن تسميته أفضل؟) من بين نصف درزينة ممن يحظون بالشهرة والاحترام، وعلى قدر ما استطعت التحقق منه، ليس ضروريا أن يكون هؤلاء أصحاب شهرة "بالوراثة " ومع أنهم يمكن أن يكونوا كذلك، لكن ينبغي أن تكون لهم موهبة "طرد الأرواح الشريرة أو الشياطين من المعتوهين" وهؤلاء الناس يعتبرون في ذات الوقت أطباء شعبيين (حكماء) ويحصل الشخص الذي يقوم بالتحقيق على مبلغ أربعين روبية مقابل عمله. وفي البدء يتم استدعاؤه للمثول أمام السلطان وعليه أن يؤدي القسم على القرآن في:

1) إنه مسلم مؤمن.
2) إنه بنفسه ليس ساحراً.
3) أن لا يقوم إثناء التحقيق بأي عمل يعرض مهمته للشك.
4) أن يجري التحقيق بكل عدالة ودقة.

وهذا القسم في الواقع يخالف التعاليم الإسلامية، ويعطي دليلاً آخر على تذبذب عقيدة سكان الجزيرة.

بعد ذلك يستدعون المتهمة، ويسألونها عمّا إذا كانت تقر باتهامها بالسحر أم أنها لا تعترف بذلك. وعلى العموم فبإمكانها الاعتراف في أي وقت خلال المحكمة، ومن هذا المنطق تكون قد "أدانت نفسها بنفسها" ومن ثم تعفى من التحقيق. أما إذا لم تعترف بجريرتها فإنهم يكلفون شخصاً معيناً، مهمته تهيئتها للتحقيق الذي سيُجرى صبيحة اليوم التالي، بحضور كل سكان البلده ومن يرغب في التواجد.

وفي إثناء الليل يقوم المحقق والمكلفين معه بتقييد يدي المتهمة وقدميها بحبال قوية، ثم يثبتون كيسين في كل منها خمسة أرطال من الحجارة، يوضع الأول على صدر المتهمه والآخر على الخصر، وأخيرا يربط حبل طويل حول خصرها وبذلك تستكمل عملية التهيئة.

ومع بزوغ الفجر توضع المتهمة في لوح خشبي وينتقل إلى المكان المحدد على الشاطئ، على بعد ميل إلى الشرق من حديبو، وهناك تُوضع في قارب، يتجه به صاحب الاختيار ومساعده في لجة البحر حتى بلوغ المكان المحدد، حيث يصل عمق المياه إلى ثلاثة أبواع، بحدود خمسة عشر قدماً، ولأن قعر البحر

في هذا الموقع ينحدر ببطء وبصورة تدريجية فإنهم يبقون على بعد نصف ميل تقريباً من الساحل.

وهنا يبدأ التحقيق الفعلي بانتشال المتهمة من الزورق ورميها في البحر، حيث يتم إرخاء الحبل الطويل الملتف حول خصرها وإذا غاصت مباشرة ناحية القاع يقومون بجرها إلى ناحيتهم، إلى جهة القارب ويقومون بالتأكد فيما إذا التصقت بها حبيبات الرمل من قاع البحر، وإذا وجدت أية آثار للرمل، فإنهم يكررون تغطيسها مرتين، وإذا ما اتجهت المتهمة إلى القاع فان ذلك يعني أنها قد اجتازت مرحلة التحقيق ويتم الإعلان عن براءتها. أما إذا طفت على سطح البحر في وضع مستقيم بطريقة يظل فيها رأسها وكتفاها فوق سطح البحر وتتحرك ببطء صوب الساحل إلى أن تصل إلى المكان الضحل حيث يقل العمق، فأنها تعتبر بنظر المحقق ساحرة.

وإذا تم إقرار التهمة، في نتيجة اختبار المرآة، فأنها تقف أمام السلطان مرة أخرى ليحكم عليها. في الأزمنة القديمة نفذ حكم الإعدام دائماً بحق الساحرات، أما في الوقت الراهن فينتظر المذنبة النفي من الجزيرة، وعلى الفور ترسل تحت الحراسة إلى مدينة قلنسية (ميناء غرب الجزيرة تمر فيه القوارب غالباً) ويركبونها على زورق عابر، بغض النظر عن وجهته، ومقابل إبعادها يدفع أقرباء المحكوم عليها أو من أموالها، ويسمح لها فقط بأخذ الأموال المنقولة، أما أبناء هذه المرأة فيبقون في الجزيرة.

في نوفمبر 1955 م جرت محاكمة ثلاث نساء، إحداهن عجوز في السبعينات من عمرها، اعترفت أنها "ساحرة" قبيل دقيقة من بدء الاختبار على الشاطئ. ولأنها قد "حكمت على نفسها" فقد تم إعفاؤها من "التغطيس". أما المرأتان الأخريان فقد سبحن ناحية الشاطئ، وتم الإقرار بتهمتهن.

وبحدود معرفتي لم تتخذ أية إجراءات ضد المدعيين، الذين يدحض الاختبار دعواهم، ويكمن السبب في أنهم حقيقة ليسوا مدعين، وإنما فقط " مبلغين عن الإعمال المشبوهة".

وفيما يتعلق بالاختبار الفعلي، وبما أن كل التحضيرات له تتم سريا يصعب الحكم فيما إذا كان صاحب الاختبار يخفي تحت الثياب الرثة

للمتهمة عوامة ما، ومن الجائز جداً انه يستخدم أية عوامة، إذا كان مقتنعاً بإدانة المتهمة.

وفي كل الأحوال، فأن هذه الممارسات لا تزال سائدة في الجزيرة وأنا على يقين، أن النساء المنحوسات الحظ، اللاتي تمت إدانتهن لا يأسفن لهذا الحظ لقناعتهن الذاتية أنهن ساحرات، ولذا ينبغي أن تكون العقوبة عادلة.



(الصورة 68):ماكولي من قبيلة دعرهو.

في بعض الأحيان تظهر أوضاع صعبة، حينما يقوم أحد ما من الموظفين الدبلوماسيين ذو الضمير الحي بإعادة السقطرية المبعدة إلى السلطان الغاضب جداً، الذي لا يملك أية سلطة دولية، ولذلك فأنه لا يستطيع أن يمنع ذلك.

أخطأ سنيل في تفاصيل معينة، لأنه لم يعرف جيداً نظام "السحرة" السقطري، ونضيف أن حكايته بشكل عام تتطابق مع معلوماتنا في بعض التفاصيل.

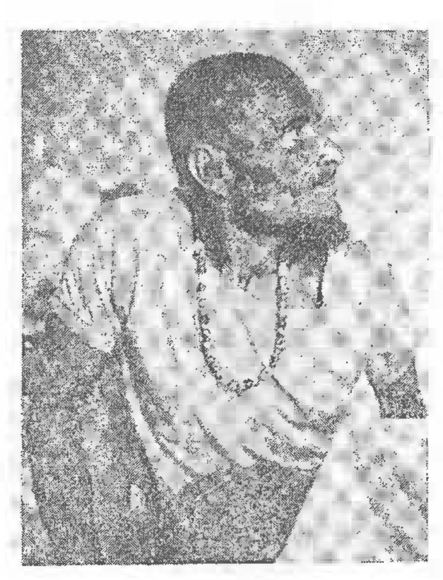
في قلنسية تسنى لنا الحديث مع السكان المحليين الذين قاموا في زمن ما بدور " المبلغ" بأنفسهم في حالات مماثلة. تحدث محمد مشيراً أن أغنامه في زمن ما نفقت الواحدة بعد الأخرى ولهذا اتجه في طلب المساعدة إلى (ماكولي) وهو الطبيب الشعبي (الحكيم) الذي كان بمقدوره طرد الجنية التي تسكن الإنسان، ومعالجة الأمراض بالكي أو بالتعويذ والرقي، وإزالة السحر من السحرة والعثور على الشخص المفقود أو الحيوان وهكذا دواليك.

قال ماكولي لمحمد إن جارته هي سبب المصيبة التي حلت به وهي التي أرسلت المرض إلى قطيع الماشية. في البداية قرر محمد التخلص من الساحرة بنفسه بالأسلوب الذي كان متعارفاً عليه لدى السقطريين، وهو أن يترقبها

ويقذفها بحجرة في فودها لكنه تخوف من إخفاقه في ذلك، وأنه إذا لم يقتلها فسوف تتخلص منه، وعندها فضل أن يتقدم بشكوى إلى السلطان. وكالعادة حكّم السلطان محكمة في موضع يسمى (مقعد) يقع في مضيق جبلي في (حيبق) بين حديبو وقاضب. وهناك اجتمع ممثلو القبائل وصدر الحكم بحضورهم. لقد أدينت الجارة بالسحر (شِطْيِرهْ) وتم نقلها إلى قرية سرهن، إلى الشرق من حديبو (وهذا هو المكان الذي يصفه سنيل على وجه التحديد) وهناك تعرضت للاختبار. وقبل تغطيسها في الماء (رحُوظَة) شُدت إلى كتفيها ورجليها حجارة (نوجرهس، أنجيرو) تزن ستة أرطال تقريباً، أي بحدود 5,5 كغم. لكن المتهمة كانت على ما يبدو امرأة بدينة، ولذلك ما أن بدأت العوم حتى ابتلعت الماء، وكان هذا وحده كافياً للإقرار بإدانتها وإبعادها من الجزيرة.

أثنى محمد طويلاً على ماكولي، الذي ما زال يعيش إلى اليوم، ووبخ السلطة التي منعته من ممارسة عمله، ونتيجة لذلك- حسب زعمه - تظل الساحرات بدون عقاب.

ماكولي أيضاً يداوي الأمراض بطرق سحرية، وللأسف لم يتسن لنا تتبع مراسيم العلاج بالسحر، وهذه المهنة ممنوعة الآن بالكامل ولقد روى المرضى السابقون، الذين قصدوا الحكيم أنه كان يقوم بحركات تحكم صعبة على المريض، على سبيل المثال، تغطيس رأسه في الماء، والغمغمة والهمهمة بالتعاويذ والرقي، وكان يجري العلاج في بعض الأحيان غيابياً، ويكفي أن توصف له حالة المريض، والأفضل تسليم الأشياء التي تعود له إلى ماكولي، وغالباً كان ماكولي يسأل عن اسم أم المريض، والسقطريون لا يوافقون على الإفضاء به للغرباء، ولهذا فقد خرق محدثونا الحظر بلا رغبة حين قمنا بأجراء الاستفتاء. ولقد استخدم ماكولي في العلاج أيضاً الأدوية النباتية والبخور.


(الصورة 69) جبلي مع الخرز.

لا يقل حيوية لدى السقطريين الاعتقاد بالذبابة (دي عسر)، ويصاب الجبليون بذعر شديد من هذه الذبابة ذات اللون الضارب إلى البياض، وهي تظهر فقط في موسم الأمطار، ويعتقدون أنها قاتلة: ما أن يلتهمها الشخص حتى يموت (تسمى الذبابة عادة بكلمة أخرى- إِدْيبُو)، ويؤكد السقطروين أن دي عسر ذبابة ولودة، تلد أجنة حية على شكل يرقات وليس بيضات، وهذه حسب زعمهم هي التي تسبب موت الإنسان، فيرقات هذه الذبابة يمكن أن تقع في عين الإنسان (وعندها تصاب بالالتهاب) أو في المسالك التنفسية وحينها تكون مخاطر المرض أكثر، ولذلك فأن الجبليين في موسم ظهور الذبابة، يغطون الفم بقطعة قماش مستطيلة مشدودة إلى القذال حتى لا تتمكن الذبابة النفاذ منها. وفي بعض الأحيان يجمعون اللحية في الفم ويجعلونها أشبه بالكمامة. وبعض الشيوخ المسنين لا يربطون الفم، مبدين شجاعتهم، ويؤكدون أن التجربة الحياتية الطويلة قد علمتهم أن يسمعوا طنين الذبابة من بعيد، وفي الوقت المناسب يغلقون فمهم. ويعتقد آخرون أنه للوقاية من الذبابة ينبغي الاتكاء على جذع شجرة محددة النوع وعندها فأن الذبابة لا تطير إلى داخل الفم.

ومع كل ذلك فإذا دخلت الذبابة إلى الفم فان الجبليين يتغرغرون في الفم والحلق بمنقوع التبغ أو بمادة لاذعة أخرى لكي يتم القضاء على"اليرقات. ويعتقد الجبليون أن الوسيلة الأكثر فعالية للوقاية من الذبابة هو الخرز الأجنبي (حَنْطِبْ) وهو يستورد من بلدان الخليج، وهم لهذا السبب يحملونه،

وكأنما هذا الخرز يخيف الذبابة، وعند الخطر فأنهم يأخذون الخرز في الفم ويعضون عليه لبعض الوقت حتى يزول الخطر.

في دراستنا السابقة عن سقطرى تعرضنا بالتفصيل عن صلة الاعتقادات المتعلقة بالذبابة بالسحر القديم الذي له جذور في الاعتقادات السامية، ولا يوجد هناك مطلقاً أي شاهد على وفاة إنسان بسبب هذه الذبابة، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن ننفي أن ذبابة (ذي عسر) تستطيع بالفعل أن تنقل الأمراض.

الطقوس الأسرية

تصاحب الزواج عند السقطريين مراسيم وطقوس، تعود بدايات بعضها إلى الأزمنة الغابرة، فيما يستند بعضها الآخر إلى ما جاء به الإسلام. وفي نتيجة هذا الامتزاج والاختلاط وجدت سبيكة عادات ومراسيم الزواج التي تضفي على الحياة الأسرية للسقطريين ومعيشتهم لوناً خاصاً يميزهم عن المجموعات السكانية الأخرى في اليمن.

بعد اختيار الخطيبة، يبعث العريس وأسرته إليها وسطاء الزواج، ويقوم بدور الوسطاء عادة والد العريس وفي حالة غيابه الأخ الأكبر أو العم، شقيق الأب، مع مرافقة اثنين أو ثلاثة من الأقرباء.

يدخل هؤلاء بيت الخطيبة مساء، بعد العشاء، وإذا كان البيت بعيداً فإنهم يبيتون ليلتهم هناك، حتى في حال فشل الخطوبة، وعادة بعد الحديث عن الصحة والأحوال وتبادل كلمات المجاملة يطلب والد الفتاة من الوسطاء (في حالة غيابه يقوم بذلك شقيقها الأكبر أو عمها شقيق الأب)، أن يفصحون عن مهمتهم، ومن جانبهم يوضحون له أنهم جاءوا لطلب يد الفتاة للزواج على الشاب المعين، ولا ينتظر الوسطاء تبريراً للاعتراض لأنه كما جرت العادة لا وجودَ له أساساً. وهم يقولون فقط، اذا كانت الفتاة جاهزة للزواج فلنتفق على المهر والزفاف واذا لم تكن كذلك فالمعذرة ومع السلامة.

بعد الموافقة على الخطوبة تبدأ المساومة على المهر، ومع أن القانون قد حدد رسمياً الحد الأقصى لمهر الخطيبة بمبلغ 100 دينار، إلا أنه من النادر اتباع هذه القاعدة في الممارسة العملية، ويتعلق الأمر بمجمله بمناقب وجدارة العروسين والظروف الملموسة، وقد يستطيع والدا العروسين المساومة، لنقل على 120 – 200 ديناراً، عدا ذلك فإنهم يتفقون على المواد الغذائية والمؤن التي

ستقوم بتجهيزها أسرة العريس لحفلة الزواج، ويمكن أن تكون، على سبيل المثال، غرارة من الرز، كيس من السكر، صفيحة من السمن البقري، لبن، كرتون من معلبات معجون الطماطم، وكذا بقرة أو بقرتان، أو سبعة رؤوس من الماعز والضان، ويسمى كل هذا مع مهر العروسة والمؤن (خسارة) وهو كل ما تنفقه أسرة العريس، وكقاعدة عامة، يدفعون النقود مباشرة، إذا أنهم قد استعدوا لذلك. ثم بعد ذلك يتفق أهل العروسين على موعد الزفاف، ويمكن أن يكون مباشرة بعد استكمال التجهيزات الضرورية، أو خلال أسبوع أو عشرة أو خمسة عشر يوماً أو عشرين يوماً ولكن ليس أكثر من ذلك.

في ذلك اليوم، عندما تبدأ الاحتفالات، في الصباح الباكر يرسلون الخطيبة أو يذهبون بها إلى مكان ما، دون أن تفطن أو ترتاب بشيء، (وفي معظم الحالات لا يخبرونها بشيء، وحتى إذا أدركت نوايا العريس الذي تقدم لخطبتها، فأنها لا تعرف أن موعد الزفاف قد حان) ولا تعود إلى البيت قبل الساعة السابعة مساء. وتكون أمّ الفتاة قد دعت جميع جاراتها، اللاتي يقمن بمساعدتها في ترتيب البيت والحوش (الفناء) ويكنسن وينظفن ويغسلن ويقمن بأعداد "المائدة" (تستخدم لذلك الحصائر والطراحات بعد فرشها على الأرض) ويسحقن في الجرن التوابل والبُن التي ستقدم على المائدة المسائية. وتأتي كل واحدة منهن معها بشيء ما من المؤن الغذائية، فتأتي واحدة بالدقيق وأخرى بعلبة سمن وثالثة بكمية من الرز ورابعة بعلبتي طماط وما إلى ذلك، أي كل واحدة حسب قدراتها، وهكذا تقدم المساعدة من قبل كل نساء القرية.

في الوقت ذاته تجري في منزل العريس أيضاً الترتيبات والاستعدادات للاحتفال. ويقومون هنا بأعداد مأكولات كثيرة، إذ أنه سيجتمع في البيت كافة الأقرباء من الرجال والجيران وأبناء القبيلة. وتبدأ بعد الظهر، في حدود الثالثة والنصف أو الرابعة عصراً، الاحتفالات التي تسمى (ضَايفهْ)، ويحضر حفل العشاء الكبير الكثيرُ من الرجال ويُقدم كل منهم هديته للعريس، وهي عبارة عن مبالغ محددة من المال، ما بين دينار واحد وعشرة دنانير، ويتوقف الأمر على قدرة كل منهم ودرجة القرابة من الأسرة، فيما يعيد البعض منهم الدَّين فقط (يسري هنا مبدأ "بقدر ما دفعوا لي أدفع لهم كذلك") ولا يتم تسجيل ذلك. أمّا الهدايا التي يقدمها من يرتبطون بمثل هذه العلاقة لأول مرة مع رب الأسرة فيتم تسجيلها حتى يقوم العريس فيما بعد بإعادة هذا

الدَّين في مناسبة مماثلة. وفي العادة يتم الانتهاء من تناول وجبة العشاء في الساعة السادسة، يبدأ بعد ذلك "المولد" في منزل العريس الذي يستمر حتى مطلع الفجر، وتحيي المولد فرقة من الموسيقيين والمنشدين، يسمون (معامله) وهم متخصصون بهذا النشاط، وضليعون في حفظ القرآن الكريم والنصوص الدينية التي ينشدونها في الإعراس، وينشدون ويغنون باللغة العربية، لكننا سمعنا في تلك الأمسية الغنائية أنهم يضيفون إلى النصوص كلمات سقطرية وعلى أية حال فان النصوص العربية تقترب إلى درجة كبيرة من النص المحلي.

وفي بيت الخطيبة تُجرى الاستعدادات أيضاً، ففي ذات الوقت الذي يبدأ فيه المولد عند العريس، تكون كل نساء المنطقة قد اجتمعن في منزل الخطيبة (العروس). وفي حدود الساعة السادسة والنصف مساءاً، ينبغي أن تعود الفتاة إلى بيتها، وهناك تنتظرها مفاجأة، إذ يترقبها بجانب البيت بعض الفتيان الشباب من الأهل المقربين، وفي العادة يكون أحدهم شقيقها، وهو الذي ينقض عليها بغتة من الركن فيمسكها ويحملها بين يديه إلى البيت، وهكذا تبدأ (طَيْرَجْ) أي مراسيم "تجهيز العروس". وفي البيت يكون قد تم إعداد (مَحْضَرَهْ) وذلك بعزل جزء من الغرفة حيث يقع المضجع أو فراش النوم بعازل من أغطية السرير أو من قماش الستارة وعلى وجه السرعة، وتوضع العروس على ذلك الفراش، وإليها تهرع النسوة جميعهن ويخبرن العروس المذعورة بنبأ زواجها على فلان الفلاني، ويبدأن جميعاً، العروس والنسوة الضيوف، بالنحيب بصوت واحد، وبعد البكاء الكثير، يمرحن ويفرحن، يساعدهن في ذلك موسيقيون دعيوا خصيصاً، يسمون (تليُود) ويتميزون عن (المعاملة) في كونهم لا ينشدون التراتيل والأناشيد الدينية، وإنما الاغاني الشعبية السقطرية الاعتيادية (تُعِدْهِنْ) بمصاحبة الدفوف والطبول، وتروي النساء للعروس عن الحياة الزوجية القادمة ويتحدثن عن تجاربهن، وبعد فترة قصيرة يتناول الموسيقيون وجبة العشاء، ثم يتواصل الفرح والطرب، ويأتي الشباب الفتيان الذين كلفوا بـ"تجهيز العروس"، فقد حان دورهم لتناول العشاء والأكل حتى الشبع، وفيما بعد يتم إطعام النائحات.

تختار العروس شاهدين من جانبها ليذهبوا سوية مع شاهدي العريس إلى القاضي لتأكيد قناعتها الطوعية في الزواج، ويعقد القاضي قران الزوجين

الحديثين، وتعاود النساء بعد تناول العشاء تأدية الأغاني السقطرية، الذي يبدأ كل مقطع شعري فيها بترنيمة هتافية (يا واوا) وتتواصل الأفراح تقريباً حتى الرابعة فجرا.

مع بزوغ الفجر تجري كذلك أحد المراسيم الهامة (الزفة) وهي "دخول العريس إلى بيت العروس" وفحوى هذه المراسيم، أن العريس بمصاحبة الموسيقيين وجمع غير كبير من الأهل، يتحركون إلى بيت العروس بصورة احتفالية، يرقصون أثناء سيرهم بفرحة وطرب. ولأن العريس يظهر لأول مرة في بيت الفتاة، من اجل القيام بمراسيم " المسح " فأنه يدخل عليها في الحجرة ويضع على رأسها ورقة نقدية كبيرة، كأنما يمسح بها رأسها، وهذا الإجراء يرمز إلى رفاهية ويسر الأسرة الجديدة الناشئة، وإلى استعداد العريس ليأخذ على عاتقه كل أعباء الحياة الأسرية، بعد ذلك مباشرة يخرج من بيت الفتاة عائداً إلى بيته، حيث يُستأنف الطرب والفرح اللذان لا يهدأن سوى عند بزوغ أشعة الشمس صباحاً. وعند ذلك تغادر فرقة (المعاملة) إذ تنتهي مهمتهم بعد القيام بـ(المسح) فيما يتجه أصدقاء العريس للنزهة (عادة يتنزهون في حديبو أثناء "المسح" على ساحل البحر) وبعد تناول الإفطار يتفرق الجميع وينتهي بهذا الجزء الأول من مراسيم العرس.

في اليوم الثاني، بعد الظهر يبدأ العيد لدى العروس، وتجتمع عندها من جديد كل نساء المنطقة، القريبات والجارات ونساء القبيلة وكافة نساء القرية، ويرددن الأغاني الشعبية ويرقصن على أنغام موسيقى (التلُود) حتى يحين موعد العشاء، وبعد أن يتناول جميع الضيوف مأدبة الطعام المشبعة، تبدأ مراسيم مماثلة لتلك التي جرت في بيت العريس تسمى (قُصْبَه) وتضع كل واحدة من النساء الضيوف مبلغاً محدوداً في وعاء، وهناك كاتب استدعي خصيصاً ليدون في سجل أسماء النساء والمبالغ التي دفعنها، وتذهب هذه النقود لأهل العروس. وعلى هذا النحو فأن كل النساء الحاضرات من القرية، ممن لديهن بنات، يعِدْنَ لأُمِّ العروس النقود التي كانت هي أو أمها قد دفعتها إليهن يوم زفافهن، ويضفن كذلك مبلغاً أكثر من ذلك، وحينما يأتي موعد زواج بناتهن فأن العروس الحالية، إذا كان لديها في ذلك الوقت ابنة، سترجع "الدَّين" ولا بد أن تضيف إليه من جانبها ما تقدر عليه. وهذه الإضافة مع "نسبة" جديدة سوف تعود إليها حين يأتي دور ابنتها. أما إذا لم تُرزق بنات،

فينبغي على أمها أن تعيد الدَّين، وعلى هذا النحو فأن النساء اللاتي لا بنات لهن، لا يشتركن في دفع القسط. ويسجل الكاتب كل هذه الحسابات، رغم أن النساء حتى بدون ذلك يحفظنها في الذاكرة لأعوام طويلة.

ولدى الجبليين، حيث لم يعرفوا النقود من قبل تقريباً، تقدم المساعدة حتى الآن بشكلها العيني، من الأغنام والسمن.

وباستكمال عملية "جمع الهبات والتبرعات" يعود الجميع لممارسة الغناء والرقص، وبُعيد غروب الشمس يتفرق الضيوف. ومن جديد يأتي العريس إلى بيت العروس بمصاحبة أقربائه، وفي هذه المرة يقدم لها (السَّبْحَةْ) أي الهدايا. وإذا كان أقرباء العريس بحاجة للأكل يقدمون لهم الطعام، ومن كل بد لا بد من الضيافة وتقديم الشاي. والآن فقط يستطيع العريس البقاء على انفراد مع العروس (أو الزوجة !) ويتناولان العشاء لوحدهما بدون شهود، ويبقى للمبيت عندها، وتبدأ (ليلة الدخلة) وهي الليلة التي تسمى هنا نسبياً "زوجية" ويكمن الأمر في كون العريس لا يملك الحق بعد في القيام بوظيفته الزوجية، رغم أنه يضطجع للنوم مع العروس على فراش واحد.

في الصباح تأتي إليها قريباتها وجاراتها ويقمن بتجهيزها وتزيينها ودهن جسمها بالزيت وتطييبه بالعطور وتكحيل عينيها وصبغ وجهها بالحناء ويلبسنها ثوباً جديداً مزركشاً بخيوط فضية. وتجيء النساء من كل حدب وصوب للتمتع بمشاهدة الهدايا التي قدمها لها العريس، الخواتم الذهبية، الأساور، الأقراط، الحلق، الساعات..الخ، ومن يظفر يمكن أن يقتصر على الملابس الجديدة، والثياب الساطعة الألوان، والعباءات، ومناديل الرأس. أما أولئك الذين لا طاقة لديهم لاقتناء الهدايا، فأنهم يلجأون إلى استئجار أدوات الزينة، التي يسمونها مجازاً (صَبْحَه دْيَفِنَهْ) أي الهدايا للوجه (بمعنى للعرض) وبعد أن يستمتع برؤيتها الجيران، يتم إعادة الهدايا إلى أصحابها.

يحل اليوم الثالث، ومن الآن فأن العريس يمارس كامل حقوقه كزوج. أحد محدثينا، كنا في ضيافته في العرس، قال لنا:" أنا لم أقم في الليلة الثانية سوى بتقبيل العروس، وليس أكثر من ذلك" وهكذا فان الليلة الثانية تعتبر بمثابة اختبار بالنسبة للرجل.

يقرر الزوجان الحديثان، متى يتم انتقال الزوجة إلى بيت الزوج، وقد يتم ذلك مباشرة في اليوم الثاني الذي يلي ليلة الزفاف، وإذا كان هناك مانع ما فأنها تنتقل خلال يومين أو خلال أسبوع، وكحد أقصى خلال شهر.

يرافق الزوجة الصغيرة إلى بيت الفتى موكب - زفة أيضاً، ويتم الآن هنا فقط "دخول الزوجة إلى بيت زوجها" وتفرح القريبات والصديقات ويزغردن ويرقصن على أنغام الدف ويتحركن ببطء إلى البيت، وفي ذلك الوقت يتوارى أحد الأخوة، أو من الأصدقاء، وراء الباب مع خروف صغير بين يديه، ومع اقتراب الزوجة الصغيرة، ينحر الخروف مباشرة بين قدميها وينثر الدم تحتها على عتبة البيت، فمن خلال الدم يذهب كل سوء من الزوجين.

تتخطى الزوجة العتبة من خلال دم الضحية الذي ما زال يسيل وتدخل البيت، الذي يعتبر من الآن منزلها إلى الأبد. وتبدأ من جديد مأدبة عشاء احتفالية تحضرها النساء اللاتي تفضّلن بإجهاد أنفسهن في الرقص والضرب بالدف، وكذلك الرجال الذين لا يقلون تعباً عن النساء، ولقد تم إعداد الطعام في بيت الرجل، وتجيء نساء الجيران للتفرج على الزوجة الصغيرة، ويقدم الشراب المحلي، مياه باردة بالعصير، ولن يتأخر الضيوف طويلاً، وقد تبقى أمها للمبيت لدى صهرها إذا كان بيتها بعيداً، بينما يغادر الآخرون، وفي حالة أن تكون ألام متوفاة، فأن الأخت الكبرى ترأس الموكب أو الخالة أخت ألام. وفي كل الأحوال لا بد أن تكون امرأة من سلالة الأم، أما إذا كان البيت قريباً كما هو الحال غالباً فأن الأم تعود إلى بيتها وتسهر مع الأهل إلى منتصف الليل في نقاش حول مصير البنت في المستقبل.

في الحالة التي لا تسمح الظروف بانتقال الزوجة لبعض الوقت إلى بيت الزوجية، فأن بعلها يستطيع زيارتها في منزل والدها والبقاء للمبيت هناك، لكنه لا ينتقل للاستقرار هناك.

ينفق أهل العروس مهرها حسب هواهم، في العادة يشترون بجزء من النقود هدايا للبنت، وفي بعض الأحيان يكون هذا شرط مسبق، وقد يحدث أيضاً أن يقبض أهل العروس جزءاً معيناً فقط من المبلغ المقرر كمهر ويشترطون على العريس أن يشتري بالجزء المتبقي من المهر ما يراه هو ضرورياً، ولقد سبق لنا الإشارة، إلى العادة التي كانت شائعة في سقطرى في الماضي والمتمثلة بحصول الزوج عند الطلاق على كل المهر الذي دفعه أو جزء منه، لكنه كان مبلغاً

ضئيلاً جداً آنذاك، أما الجزء العيني من المهر فانه يتركه في الواقع. ولقد كانت الكفالة (ذمّة) بمثابة عزاء للهجر والفراق، وهي نقود مدفوعة تحصل عليها المرأة من الزوج عند الطلاق، أو من أهله في حالة وفاته، وفي الوقت الراهن فان الكفالة تشترط في المحكمة ويحدد مقدارها بخمسة دنانير. وفي حالة مماطلة أقربائه في دفع الكفالة فأن الزوجة تهددهم برفض دفنه طالما أنها لم تستلم النقود، أو أنهم لن يقيموا وليمة التأبين.

إن مراسيم الزفاف التي وصفناها هي ما يتميز به القران الذي يتم بين سكان قرية واحدة أو القرى المجاورة.أما في حالات أخرى فان طقوس الأعراس تختلف بعض الشيء من حيث المظهر لكنها واحدة من حيث الجوهر.

ولا بد أن ينام الزوجان الحديثان سوية، وإذا ما حاول الزوج أن يهجع بمفرده، فأن الزوجة تعتبر ذلك إهانة لها، وحسب قول أحد محدثينا، إن ذلك يعني أنه غير راغب في التقارب الجسدي معها.

وحتى سن العاشرة تقريباً ينام الأطفال في حجرة واحدة مع الآباء وفيما بعد يتم فصلهم. وينامون في غرفة أخرى أو في حوش البيت (الفناء).

والشائع لدى السقطريين، أن الرجل ملزوم في كل خميس أن يقوم بوظيفته الزوجية، وتستعد الزوجة من جانبها لذلك اليوم إذ تستحم وتسرح شعرها وتدهن نفسها وتتعطر بالروائح وتلبس أفضل الثياب وإذا لم يثر كل هذا لدى الزوج التأثير المطلوب فانه يدفع "فدية" قدرها خمسة دنانير.

الأعياد الإسلامية ومراسم الطقوس

امتزجت الخرافات والوساوس التي تعود إلى عصر ما قبل الإسلام وبقايا العبادات والاعتقادات القديمة لدى السقطريين بشكل غريب مع الإسلام ويتجلى هذا بوضوح في حياة السكان المحليين وفي أعيادهم ومراسيمهم وطقوسهم.

اتبع الجبليون الصيام في رمضان حتى في الماضي، ولكن ليس بالدقة والصرامة، إذ كيف يمكن حشدهم من الأودية والمناطق الساحلية وحتى في الوقت الحاضر حين أصبحوا أكثر تديناً، فأن علاقتهم بالصوم أكثر هدوءاً مما لدى سكان الجزيرة الآخرين، الذين يعد رمضان بالنسبة لهم عيداً، كما لكل المسلمين.

وتوجد في اللغة السقطرية كلمات خاصة، تعني أول وآخر أيام رمضان (مِرْحِضْ، جبّانة)،وفي الماضي كان الجبليون يحددون بداية الشهر عن طريق رؤية الهلال، أما الآن فيعلن بالمذياع عن بداية الصوم.

رغم أن رمضان عيد أيضاً، إلا أنه من غير الشائع لدى السقطريين إقامة السهرات الصاخبة إلى ما بعد منتصف الليل، كما هو الحال لدى الغالبية العظمى من العرب، حيث تبدأ يومياً مع حلول المساء الجلسات الرمضانية البهيجة وتبادل الزيارات، بين بعضهم البعض بصورة نشطه، وهذا الأمر مرتبط بإمكانياتهم المتواضعة جداً، خاصة في الماضي، مقارنة على سبيل المثال، مع سكان اليابسة. أما ألاغاني الليلية لدى سكان المناطق الساحلية (الرمسة) فتنتظم أيضاً حتى في الأشهر الأخرى بصورة لا تقل عما هو الحال في رمضان.

ومع ذلك فان العيد الحقيقي يحل مع انتهاء الصيام، وهو عيد الفطر المبارك الذي يحتفل به الجميع. وكالعادة يحتفل الجميع في اليوم الأول من عيد الفطر في بيوتهم، ينحرون الخرفان ويأكلون حتى الشبع، ويهنئون الأطفال، ويضعون الحلويات التي تم إعدادها من قبل على السفرة، وتلبس النساء ثياب العيد ويتعطرن بالعطور الشذية ويخرجن الحلي و أداوت الزينة من الصناديق. وفي اليوم الثاني، كما جرت العادة، تزور الأسر أقارب الزوجة (لأن تلك الأسر تعيش مع أهل الزوج) وإذا لم يقم الزوج بزيارة الآباء فهذا يعني أنه مستاء منهما، وفي ذلك اليوم يذهبون إلى أصدقائهم وجيرانهم وأبناء قبيلتهم، وحين تذهب في الضيافة، جرى العرف أن تأخذ معك طعاماً. يأخذ الرجال مجلسهم لوحدهم والنساء لوحدهن، ويتواصل الحديث طويلاً، وليس هناك وقت محدد لوصول الضيوف، وجميع البيوت مفتوحة على مصراعيها لأي ضيف، وحتى في حديبو، العاصمة، فمن حق كل شخص الدخول إلى أي بيت وتقدم له الضيافة: يطعمونه ويقدمون له الشاي ويرشونه بالعطور أو يحرقون له البخور.

و السقطريون يحتفلون بولادة الطفل بصورة بهيجة، وعادة تضع المرأة مولودها بنفسها بدون مساعدة القابلة، إذ تجلس القرفصاء في كوخ أعد خصيصاً للعائلات، من طراز (سِتْرهْ) وتمسك بيدها حبلاً غليظاً متدلياً من السقف. وبعد أسبوع من ولادة الطفل فإنهم يعتقدون أنه (شِرْقَحْ مِنْ شِيَاطْ)

ومعناها أنه خرج من النار، وتجرى له مراسيم حلاقة الشعر من رأسه، وهم يعتبرون ذلك بمثابة طهارة من الأوساخ.

وبمناسبة ولادة الطفل يقيم والداه (ضيافه) ومن جانبهم يقدم الضيوف مبالغ صغيرة كهدايا، تخصص لشراء كل ما يحتاج إليه الطفل المولود، رغم أنه في ظروف الجزيرة لا يحتاج لشيء تقريبا، ولذا يعوضون بعض ما انفق في الضيافة. وفي هذه المناسبة، يتم كما في حالة الزفاف، الإقراض المتبادل بين السقطريين،

ولا يقل يوم ختان الطفل فرحة عن العيد لدى السقطريين، وحتى إلى وقت قريب كان من الشائع لدى الجبليين توحيد هذا العيد مع العرس، بهدف الاقتصاد بالمؤن والمواد الغذائية، لأن الأنفاق كان يهدد ميزانية الأسرة بالإفلاس. وهكذا ففي هذه الحالة يجمعون الأولاد الذين ستجرى لهم الطقوس، كرمز لتحولهم إلى رجال أي انتقالهم إلى مرحلة الرجولة، (يتم ذلك في سن 14- 15 سنة) ويكون أقرباؤهم قد اختاروا لهم العرائس، وأعدوا عدتهم لعيد كبير واحد يتواصل عدة أيام.

في الوقت الحاضر، أخذت تتلاشي العادات الجبلية القديمة بالتدريج، ولم يعد الختان يتم كما كان عليه الحال في الماضي، بل في سن مبكرة، في السابعة تقريبا، وفي البيوت وليس أمام مرأى الجميع. ومع ذلك فقد بقيت عناصر العادات القديمة. وفي ذلك اليوم يستدعى الضيوف، ويأتي المقربون بهداياهم - تيس، خروف. وفي بعض الأحيان يتم معا إجراء الختان لمجموعة من الصبيان من الأسر المتقاربة أو من الأسر التي تعيش بالقرب من بعضها البعض. وعند ذلك يتخذ الاحتفال مدى أكبر، ويمكن أن يستدعون إليه الموسيقيين، كما في الزفاف.

بقى من العادة القديمة، أن يظهر الأولاد من كل بد رجولتهم، وقدرة التحمل والثبات ورباطة الجأش في تحمل الألم - في تلك اللحظة يراقبهم أقرباؤهم. كما بقيت أيضا الأدوات التقليدية التي تجري بواسطتها العملية، والشخص الذي يقوم بها نفسه، والأدوية التي تخفف بعد ذلك من معاناة "المريض": هي عبارة عن مساحيق من قشور أشجار "أكشا"، وتركيبة ذفرة (خلطة) في كيس يعلق تحت الخياشيم وفي الرقبة ويتم استنشاقه خلال خمسة عشر يوما.

وإذا توفى الطفل في سن مبكرة، فإنهم يختنونه قبل مواراته الثرى "على انه مات مسلماً".

أما عادات ختان البنات هنا، فقد غاصت في أعماق الماضي، رغم أنهم يتحدثون عنها مباشرة في النصوص الفلكورية القديمة، لكن التذكير به، اتخذ كقاعدة عامة: إذا رغبت الفتاة أو المرأة الذهاب إلى الأماكن المقدسة في مكة للحج فينبغي عليها قبل ذلك التوقف لفترة في حضرموت، حيث ما زالت تلك العادة باقية، ويتم ختانها وفي هذه الحالة كأنما ترمز بذاتها إلى الطهارة الكاملة.

أثناء القيام بمراسيم الختان تردد دائماً الصيغة التقليدية المتوارثة عن الأسلاف (البعًاريشوي شبيب هيش ثيبهو) وفحوى هذه الصيغة عبارة عن تعويذة دون شك (ربما قديمة) وهي غير واضحة للسقطريين بأنفسهم، وترجمتها التقريبية تحتمل كذلك تأويلات مختلفة، وتترجم التعويذة حرفياً هكذا:" صباح الخير لك، أيتها العجوز، ليذهب عنك الفجر". "العجوز" هي رمز الشر دون شك، ويتجسد كما سبق القول، في نموذج امرأة، طالما اقترنت بالنساء فقط ممارسة السحر ولذلك فهن فقط يسببن الأذى.

يتم الختان مع انفلاق الفجر،حينما تقل بصورة عامة أمكانية ظهور الجنية "ذات الرجل الحديدية" وغيرها من الكائنات الشريرة (التي تنشط بحيوية في المساء والليل) حسب اعتقادات السقطريين، ويردد من يقوم بالختان التعاويذ، حتى تذهب العجوز بعيداً عند انبلاج الفجر، أي أثناء المراسيم. ويمكن تصور التأويل الأكثر احتمالا لهذه الصيغة، كتعويذة من إصابة عين السوء:" ليكن صباحاً طيباً ولتذهب العجوز (الشيطان، الساحرة) إلى البعيد حتى لا تعيق الختان أو تأتي بالشر".

إن طقوس الختان السقطرية، كما نرى، ما زالت تحافظ على مزايا الابتكارات القديمة، التي تولدت عنها، وقد برز هذا التشابه بشكل خاص قبل عدة أعوام مضت، حينما كان الختان لدى حملة الثقافة القديمة من الجبليين يتم مع بلوغ النضج الجنسي. وفي الماضي كان يجرى ختان الأولاد والبنات، على الأرجح في وقت واحد وفي أعمار متقاربة، وكان ذلك يعني انتقالهم إلى فئة أعضاء المجتمع الكبار واستعدادهم للإقدام على الزواج. وحتى اليوم فان الولد غير المختون لا يمكنه الإقدام على الزواج.

الجدير بالذكر أن ختان الأولاد، لدى جبلي سقطرى، وحتى إلى وقت قريب كان يتوافق مع موعد الزواج، ولا يكمن الأمر في كون الجبليين يقتصدون في نفقات ذلك العيد (مع أن هذه الفكرة كانت موضع عنايتهم، لاسيما إذا ما تم حساب النفقات المهلكة بغرض الضيافة) وإنما، كما يبدو في الصلة المباشرة لهذه العادة أيضاً مع بلوغ سن الزواج. ولقد تسنى للمؤلف أن لاحظ "مزج" حفل ختان الشباب مع الإقدام على الزواج، خلال زيارته الأولى للجزيرة في عام 1974م، وعن مثل هذا العيد يتحدث أحد النصوص(انظر حكاية ماكن).

إن احتفالات وطقوس السقطريين مصحوبة دائماً بالغناء والطرب وفي كل قبيلة أو عشيرة، بل وفي كل أسرة يوجد تقريباً شخص يمكنه أن يقرض النصوص الشعرية، التي تردد ليس فقط في الأعياد، وإنما أيضاً وببساطة في أوقات الفراغ.

وتنقسم الأغاني أو الأهازيج السقطرية إلى ثلاثة أنواع: صَمْهَر وقصيدة وتَعُدْهِنْ، ويغني صمهر الرجال والنساء بصورة مشتركة ولها صور إيقاعية محدودة وتكرار (وا يا وا)، أما القصيدة فهي للرجال فقط، ولها ترجيع (هيدون هيدون) و يستخدم هذا النوع عند القيام بالمراسيم الطقوسية المختلفة (الختان، الزواج..الخ) وتحمل القصائد بكاملها طابع التسلية، وفيما يخص (تَعُدْهِنْ) فهي أغاني عيدية يرددها الرجال والنساء أيضاً.

وهناك أيضاً نوع خاص من الإبداعات الشعرية يسمى طَلْبَهْ أو مُوحِرْ، وهو دعاء يستخدم عند ذبح الحيوان، يطلبون فيه من الله الصحة والعافية والكثير من الماشية وشفاء المريض وإنزال الغيث..الخ. ويجلس من يردد هذا الدعاء القرفصاء، ممسكاً بإحدى يديه قرن الماشية فيما يمسد بالأخرى على جنبها مع إيقاع من الشعر.

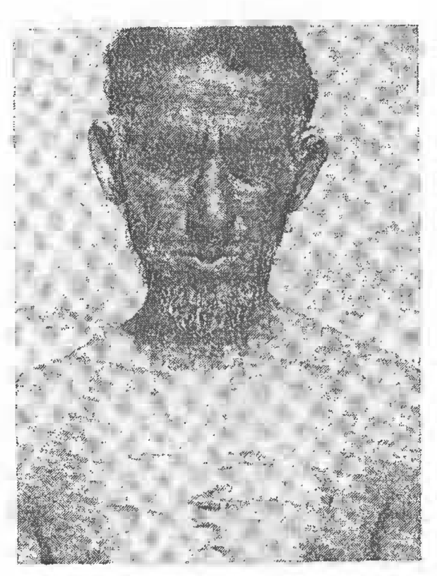
في قبيلة بني مالك قيض لنا أن نستمع إلى صيغة أكثر قدماً. فقد ردد جميع الحاضرين بعد كل عبارة من الدعاء وبصوت واحد (آمين)، ومن الواضح أن هذا تقليد وثني قديم له تأثير سطحي في المسيحية وفي الإسلام، وليس غريباً أن أحد مرافقينا، ممن يملك معرفة عميقة بالإسلام، أسمى هذه العملية بازدراء شركاً، أي الإيمان بأكثر من آله، وهو ما يعارضه الإسلام.

ومن بين النماذج التي دونها المؤلف في قبيلة بني مالك، هناك نموذجان فريدان لـ(الطَلْبَهْ) في مسألة واحدة: ففيهما يتجلى تمجيد الشمس، ألا تعتبر هذه التوسلات والتعاويذ ذكريات مبهمة عن عبادة الشمس التي وجدت في غابر الزمن في الجزيرة ؟

وإذا ما قورن هذا الافتراض مع غيره من الأدلة، على قلتها، وبشكل خاص الدور المتميز للشروق والغروب في كثير من العادات والطقوس.

الطب الشعبي و التحية

تعود الأساليب الشعبية التقليدية لعلاج الأمراض إلى الزمن القديم، والكي بالنار هو الأسلوب الرئيسي المتبع لعلاج جميع الأمراض، ويقوم شخص متخصص بالكي يسمونه (ماكولي)، ومثل هؤلاء يوجدون في معظم القبائل، وكأداة للكي يستخدم سيخ معدني محمى (في الوقت الحاضر تستخدم عادة الإبرة)، وهم في العادة يكوون ذلك الموضع الذي فيه الألم: عند وجع الرأس يتم كي الراس، وعند الالتهاب الرئوي يكوون الصدر، وهكذا دواليك.



(الصورة 70) آثار العلاج بالكي.

ليس لدى الطبيب الشعبي أية إلمام بمواضع أو أماكن التأثير، ومعارفه عن تشريح الإنسان منخفضة جدا للغاية، ورغم أن مربيي الماشية يلمون جيدا بتشريح الحيوانات، كان من الأجدر بهم النظر في تشريح الإنسان، ومع ذلك فأن كثيرين منهم يعتقدون مثلا أن القلب يقع في وسط الصدر، وفي بعض الأحيان يثير نبض القلب، الطبيعي تماما، القلق لدى الحكيم الذي يعتقد أن العروق هي التي تدق، ولذلك يعمل المكوى على شكل خطين متوازين مع بقعة صغيرة بينهما.

وفي الجزيرة، عملياً، لا يمكن أن تصادف شخصاً واحداً لم يتعرض للكي (بما في ذلك الأطفال الصغار)، بل إن أجسام البعض مغطاة بالندوب، ولقد أحصينا على جسم أحد محدثينا سبعة وخمسين مكوى (الصورة رقم 70)، ومن نافل القول أن آثار هذا العلاج "تكون تراجيدية للغاية".

ولا يقل سخافة عن ذلك استئصال اللهاة (الغَلْصَمة) بواسطة عروة من حبل، تستخدم في حالة الزكام والتهاب اللوزتين..الخ.



(الصورة 71): التحية بالطريقة السقطرية.

في ذات الوقت توجد جوانب ايجابية للطب الشعبي في الجزيرة، إذ يستخدم السقطريون بفعالية الأدوية النباتية لعلاج جملة من الأمراض، وقد سبق لنا

الحديث مثلاً عن استعمال قطران شجرة دم الأخوين لأغراض العلاج، وبواسطة الطين البُنّي (جدَيْرِهْ) الذي يحدث فيه النمل الطائر مسارب، (يطير هذا النمل في موسم الأمطار) ويسمونه (دُوْدَاهِنْ) تعالج القروح والتقيحات، أما لعلاج مرض (اللوامسه) وهو شبيه بمرض الدمامل، فحسب اعتقاد الأطباء الشعبيون، لا ينفع سوى الكي. ويصاب الجبليون غالباً بالطفح التقيحي على الجلد والذي يظهر باستمرار كل عدة أشهر، وهذا المرض (أو ما يشابهه بعض الشيء) يسمى (عَرضَهَيو) ويميز الجبليون عنه صنف آخر من المرض شبيه به يسمى (تسعّو) وهو الطفح أو البثور الذي تظهر على الجلد بسبب ملامسة الشخص للقبر، حسب اعتقادات السقطريين ولهذا السبب لم نتمكن من العثور على عمال لحفر الأضرحة إلاّ بصعوبة بالغة.

توجد مجموعة متكاملة من الأعمال السحرية، تدخل في قوام العلاج السحري، وبهذه الطريقة فأنهم يربطون بطن الطفل المولود، كما هو متبع، بخيط من الصوف، أما في السن الأكبر فبحبل، ويوثقون في عضد الطفل غالباً حرزاً يحتوي على خلطة مكيسة.

وفي حالة وفاة الطفل فأنهم يخرمون منتصف الأذن اليمنى للطفل اللاحق حتى تكتب له الحياة (هناك عادة مشابهة لذلك رأيناها في حضرموت).

تمكن ف.س.شنكارينكو على مدى موسمين من العمل الميداني في سقطرى، ليس فقط القيام بجمع الكثير من الأبحاث، وإنما أيضاً قدم مساعدة طبية حيوية لمئات من المرضى، وكان في وسعه، خلال مواعيد استقبال المرضى، التي صحبناه أثنائها، أن يقدر بأم عينيه المحترفتين النتائج الوحشية للكي وغيره من وسائل العلاج الأخرى.

ذات مرة وصلت إلينا امرأة حسنة الجمال، على أذنيها أقراط ذهبية كبيرة الحجم، وجاءت معها بطفلها ذي الربيع الخامس من عمره، وكانت قد ظهرت لديه قرحة كبيرة في إبطه سببت له الآلام والمعاناة. ولكن يا للدهشة، فان طلبها لم يكن له أية صلة تذكر بذلك المرض "أعطوا طفلي فيتامينات ليزداد سمنة" هكذا كان طلب الأم "المتنورة"، وفي ذات الوقت ألمحت لنا أنها على دراية بوجود ذلك النوع الحديث من العلاج كالفيتامينات. وعندما أوضح لها ف.س. شنكارينكو أن قرحة طفلها على تلك الحالة، تعتبر خطراً على حياته، تعجبت جدا، وبالمناسبة، كان الطفل مكتنزا تماماً، ومثل هذه العلاقة الغريبة

وغير المألوفة إزاء المرض لاحظناها أكثر من مرة في سقطرى. إن السهولة الظاهرة لشفاء الطفل بعد العملية الجراحية التي أجراها له شينكارينكو، قد أضلت المرأة، ولم تفطن على ما يبدو أن تدخلنا قد أنقذ طفلها.

سلمى إحدى زائرات الطبيب كان لدى ابنتها الصغيرة فاطمة مرض في عينيها، وقد استخدمت أمها لعلاجها الطب الشعبي، إذ كان جبين الطفلة مدهوناً بشيء ما أخضر اللون، وخلفية الرأس الحليقة بالأسود البني، وتسمى المادة الخضراء (هيل) ولا تعرف سلمى من أين جاءت بها الجدة.



(الصورة 72) قط الزباد.

وعند الحديث عن عادات السقطريين، لا بد أن نذكر طريقة التحية التقليدية، المتمثلة بملامسة الأنوف. فالرجال المتساوون بالعمر والوضع الاجتماعي يتلامسون بأنوفهم، أما الصغير فيلامس بأنفه ركبة أو يد من هو

أكبر منه، بيد أن الرجال أصبحوا الآن غالباً يلامسون الأنوف إلى يد بعضهم البعض.

النساء تصافحن في الماضي بملامسة أنوف بعضهن البعض أربع أو خمس مرات بالتناوب، مرة بناحية الأنف ومرة بالأخرى، أما المرأة الصغيرة فكانت تتصافح مع الأكبر منها بملامسة الأنف بالأنف أولاً، ثم تلامس بأنفها ركبة الكبيرة. وفي الوقت الحاضر وتحت تأثير الاتجاهات العصرية التي تنتشر أكثر فأكثر والدعاية حول أضرار هذه الطريقة التقليدية للتحية أو المصافحة، فأن النساء أصبحن يتصافحن كالرجال: يلامسن أنوفهن وتُسند يد بعضهن بعضا بالقرب من الوجه، أما عند تبادل السلام مع الغرباء فأن المرأة وبكل احترام تضم اليد إلى الصدر أو البطن.

بالطبع إن التطور المعاصر لسقطرى يعجل أكثر من فعالية تعرف سكانها على العالم الخارجي، لكنه في ذات الوقت يلحق ضربة بالعادات والطقوس القديمة التي سيكون مآل الكثير منها التلاشي والاضمحلال، رغم أن الخصوصية التقليدية للحياة الثقافية لسكان الجزيرة، على الأخص، ستحافظ على الثبات المعهود.

الفصل العاشر

جزيرة عبد الكوري

الفصل العاشر

جزيرة عبد الكوري

في فترة البحث الميداني عام 1985م، قيض لنا القيام برحلة إلى جزيرة عبد الكوري، وكنا قد انجذبنا منذ فترة طويلة إلى هذه الجزيرة، التي ربما كانت في عزلة وانغلاق أكثر مما هو حال سقطرى، ومرد اهتمامنا بدرجة رئيسية، يرجع إلى أن سكان عبد الكوري، رغم تعدادهم القليل (في الوقت الحاضر 224نسمة[1]، وفي عام 1967م عاش هنا 151 نسمة، حسب معطيات سلطان سقطرى) يتحدثون بلهجة خاصة من اللغة السقطرية، تختلف بدرجة كبيرة إلى حد ما عن اللهجات التي يتحدث بها السقطريون.

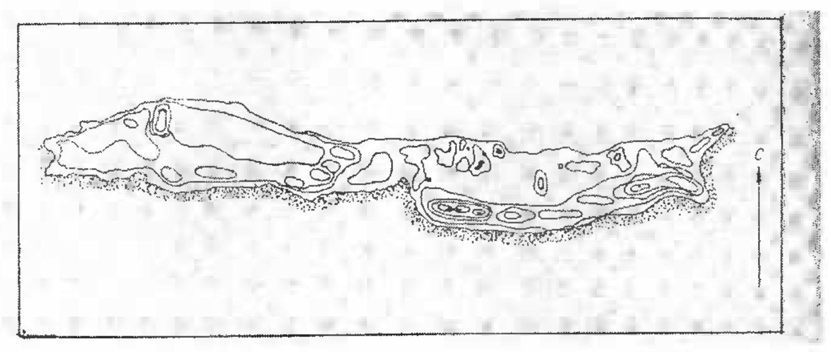
إن طبيعة الجزيرة فقيرة بصورة غير عادية، والبساط النباتي شحيح، وما يجعل حياة السكان أكثر صعوبة، انه لا يوجد احتياط تقريبا من المياه العذبة. والمياه التي يستخدمها السكان من الآبار مالحة جدا، ولعدم تعودنا، كان من الصعب علينا شربها، وبدت وكأنها لا تطفئ عطشنا، وحتى الشاي مع السكر كان له هنا مذاقٌ مالح.

ومع كل ذلك فان الناس والبهائم، مع قلتهم في الجزيرة، قد تعودوا على هذه المياه، ويعيشون هنا على ما يبدو منذ زمن قديم، وما يؤكد هذا بشكل خاص وجود اللهجة الخاصة بسكان عبد الكوري، المشتقة من اللغة السقطرية، وهذه اللهجة لا تنتمي إلى أي من اللهجات الفرعية المنتشرة في سقطرى، ولم يكن هناك نزوح جماعي إلى الجزيرة لأي من القبائل السقطرية، والسكان غير متجانسين في صلاتهم السلالية، التي تكونت على أساس اندماج مختلف العناصر بما في ذلك الحضرمية.

ويشتغل جميع سكان عبد الكوري بصيد الأسماك، ولذلك يتركز وجودهم في الشريط الساحلي الشمالي والجنوبي، في ثماني قرى هي: بير العجوز، بيت عيسى، خيمة، عالية، خيسة صالح، التواهي، سرهن ومنظبيتن.

1- حسب إحصاءات عام 1984م (وقت وجودنا في الجزيرة) فأن السكان كانوا أكثر ب20-30 شخصا بفضل الزيادة الطبيعية.

ومما يلفت الاهتمام حقيقة أن بعض المراكز السكانية تحمل أسماء عربية، ويشتهرون بها أكثر خارج حدود الجزيرة، ولكن مع ذلك توجد لهم أسماء محليه، مثلا بير العجوز (تشخال) وبيت عيسى (جورد) وعالية (كسر) وخيسة صالح (تشيكر) والتواهي (حامر عفيرو).



(الرسم 73): خارطة عبدالكوري، المشار فيها إلى القرى والآبار.

يعمل الرجال بصورة خاصة في صيد الأسماك بكميات كافية، تضمن المعيشة لأسرهم وبيعها في حضرموت، فعلى متن الزوارق الكبيرة من نوع (ورة) ينقلون إلى حضرموت في الأساس سمك القرش المجفف (اللخم) وسمك الأسقمري المقدد. وبعائدات النقود يشترون كل المحتاجات الضرورية: الرز، الدقيق، الشاي، الملح الأدوات المنزلية والثياب وغير ذلك.

وفي الأعوام الأخيرة ومع تطور منظومة التموين في سقطرى، فأن سكان عبد الكوري يشترون البضائع في الأساس من هناك.

وأهم أدوات الإنتاج لدى الصيادين هي، الزوارق، والمحركات والأدوات التي تعود ملكيتها لأسرة أو مجموعة أسر، وأهم أنواع الأدوات: شباك المصاريع (الدرفة) وشباك "الرمي" (شبكة) وعدة الصيد (شكه) والخطم (مصيدة مجدولة) تسمى كركور.

وسكان عبد الكوري خلافا لسكان اليابسة وللسقطريين يستخدمون في طعامهم لحوم السلاحف البحرية، وعلى ما يبدو فأن هذا يعوض إلى حد ما نقص البروتينات في غذائهم. قال محدثنا، أحمد سعيد: إن السلحفاة تقع في

بعض الأحيان في المصيدة المجدولة، وهذا يعتبر نجاحا كبيرا، وتسمى السلحفاة عند ذلك " هدية مفاجئة " ويقسمون لحمها على جميع أفراد الأسرة، ويمكن لكل واحد منهم أن يأكل حتى الشبع.

ويمكن اصطياد السلحفاة في شص الصيد (المخطاف) أما في موسم الربيع، فعندما تقترب السلحفاة من الشاطئ كي تضع البيض وتقوم بدفنه في التراب، فأن الصيادين يتربصون بها، كما ينبشون البيض ويستخدمونه في الغذاء، ويعتبر البيض المستخرج من السلحفاة الذبيحة، أشهى الأطعمة.

أما المصدر الإضافي لحياة السكان المحليين فهو تربية الماشية، حيث يربون الماعز والضان القليلة، وأعداد الأغنام ضئيلة بسبب شح مصادر الأعلاف، وفي المتوسط يعود لكل أسرة حوالي 15رأساً، وخلافا لما هو الحال في سقطرى فأن المراعي هنا تعتبر ملكية مشتركة لكل سكان الجزيرة، وكل شخص يستطيع إن يرعى حيواناته أينما يخطر على باله وحيث يشاء. وتعتني النساء بالحيوانات، كما يجلبن الماء والحطب، ويحضرن الطعام، ويقمن بتربية الأطفال.

وبفضل الصلات القوية مع حضرموت، ففي بيوت عبد الكوري أثاث ومعدات منزلية أكثر مما لدى الأسر السقطرية التقليدية (وهذا ليس مرتبطا بالهجرة أو الأعمال ذات الفائدة، كالتجارة والبناء والمواصلات). وتوجد لدى غالبية الأسر أجهزة راديو "ترانزسيتر" أو أجهزة تسجيل.

وفي موسم الصيف، حينما لا تستطيع الزوارق الدخول إلى البحر، بسبب الرياح الشديدة، فأن سكان الجزيرة يحتاطون باختزان كل ما هو ضروري.

خلال عملنا في عبد الكوري، وضعنا أمامنا مهمة الكشف عن أصل سكان الجزيرة المعاصرين العشائري - القبلي، والتركيب العُمري والجنسي، ونظام علاقات الزواج الأسرية، وخصوصية لغتهم العامية، وجمع نماذج من الفلكلور.

وكما تبين مواد الدارسة الميدانية التي نوردها لاحقا، فأن الزواج في الجزيرة بحكم الإمكانيات المحدودة يتم بسهولة، ولكن مع مراعاة المصالح الاقتصادية للأسرة والعشائر.

وعلى الرغم من أن ظروف الحياة هنا قاسية وقليلة الجاذبية فأنه يتواصل توافد المنحدرين من اليابسة، وان كان هذا نادرا.

والزواج في عبد الكوري أكثر استقراراً مما هو عليه في سقطرى، ونسبة الطلاق هنا أقل (بالنظر إلى قلة السكان فأنه لا معنى من القيام بالإحصاء، ويكفي التعرف على نتائج البحث الميداني الذي أجريناه على الأسر).

بوصولنا إلى عبد الكوري، نزلنا في الشاطئ الشمالي، ومكثنا بضعة أيام في قرى: بير العجوز، سرهن، خيسة صالح، عالية، ومن ثم زرنا قرية بيت عيسى.

جرى البحث على 150 شخصا (أكثر من نصف سكان الجزيرة) وأجريت أحاديث مع 30- 40 من السكان، وقمنا بتدوين الفلكلور المحلي، وقد بينت نماذج اللهجة اليومية والإلقاء الشعري، الاختلاف الملحوظ بين لهجة عبد الكوري واللغة السقطرية وبين صيغ الموضوعات التي قمنا بتدوينها إثناء البحث الميداني في سقطرى.

في عبد الكوري يتحد السكان في عشائر، تعيش في القرى المناسبة، بيد أن هذه العشائر ليست متجانسة من حيث التزاوج بين أهالي العشيرة أو القبيلة، ولا مثيل هنا لما هو الحال في سقطرى.

يعتبر سكان قرية بير العجوز، أو "تشخال" باسم الأودية أن أول من وضع البداية لعشريتهم هو صالح، الجد الأقدم لشيخ العشيرة الحالي، وينتمي إلى القبيلة الحضرمية "الجمحي" وقد نزح إلى الجزيرة،فوصل إلى هنا مع زوجته وابنته وأسس هنا القرية، وشيد الكوخ، ويقولون أن سبب وصوله إلى الجزيرة يكمن في أن حضرموت قد اجتاحتها آنذاك مجاعة، وتعذر على الصيادين في ظروف الطقس المعقدة اصطياد الأسماك، وهكذا قرر صالح أن يجرب حظه في الجزيرة البعيدة، حيث يروى أن الأسماك توجد فيها بكميات وافرة، ومن المحتمل أن همة الحضرميين المشهورة ورغبتهم " الدائمة في تغيير الأماكن " قد كان لها دورا في ذلك.

ويؤكد أحفاد صالح الحاليون أنه قبل وصول جد الأب لم يكن هناك تواجد لسكان أصليين، كما أن السقطريين لم ينزحوا بعد إلى هنا[1]. ولكن في مثل

1 يقول السكان المحليون، أن الجزيرة كانت في الماضي تمتلك ارتباطات وثيقة مع الصومال، وأن الصيادين الصوماليين كانوا يأتون إلى هنا، وقد ذكر براون عن الوباء القوي الذي أصاب سكان عبد الكوري، والذي بنتيجته ماتت الغالبية العظمى من السكان. وإذا كان قد حدث مثل هذا الوباء في الماضي فمن غير المستبعد إن غالبية الجزء الأقدم من سكان الجزيرة تكون قد انقرضت.

هذه الحالة يظهر السؤال، متى ظهرت إذاً لهجة عبد الكوري السقطرية ؟ وبالمناسبة فقد كانت موجودة في القرن التاسع عشر، وأن بشكل جزئي، فقد وصفتها بعثة لاندبيرغ - ميولير، وحتى تاريخ القرى الأخرى في الجزيرة يدحض اعتقاد سكان بير العجوز.

وكيف ما كان الأمر، فقد كان علينا دراسة تركيبة السكان المعاصرين، وخصائص تنظيماتهم العشائرية - القبلية، وهو ما يمكن إن يساعد، بشكل خاص، في الإجابة على السؤال عن أصل عبد الكوريين.

قرية بير العجوز:

تتألف قرية بير العجوز من سبعة بيوت،هي:

بيت رقم (1):

صاحب البيت سالم صالح علي صالح (ابن حفيد مؤسس العشيرة) وزوجته فاطمة، بنت شقيق الأم. لديه خمسة أبناء (ولدان وثلاث بنات). إحدى البنات كانت قد تزوجت على ابن الأخ (انظر بيت رقم 2) ثم طلقها وترك لها ثلاث بنات، أما أبناء سالم فسافروا إلى حضرموت، وسالم رجل كهل يبلغ من العمر عتيا، ويصعب عليه إدارة الأمور الحياتية وإعالة الأسرة، ولكن يساعده الأقرباء (انظر بيت رقم 2). إجمالي عدد أفراد الأسرة 8 أشخاص.

بيت رقم (2):

رب البيت سالم حسن صالح بعد موت والده حسن، شقيق سالم صالح (انظر بيت رقم 1) تزوجت الأم مرة ثانية، وانتقلت إلى بيت الزوج الجديد، وتربى سالم في كنف عمه سالم صالح، وتزوج ثم طلق، ثم تزوج مرة ثانية على فتاة من قرية بيت عيسى، ولديه من الزواج الثاني ولدان. جميع إفراد الأسرة 4 أشخاص.

بيت رقم (3):

رب البيت سالم عبد الله صوري، وينحدر أسلافه من صور "عُمان" وينتمي إلى قبيلة الصوري (بعض العمانيين من هذه القبيلة نزحوا إلى الجزيرة) ولديه ثلاث شقيقات، وهو متزوج وعنده ثلاثة أبناء (ولدان وبنت). وعدد أفراد الأسرة 8 أشخاص.

بيت رقم (4):

رب البيت عوض سالم با موسى، وينتمي أسلافه إلى القبيلة الحضرمية با موسى "منطقة قصيعر"، تزوج في المرة الأولى على فتاة من قرية بيت عيسى (حيث يعيش المنحدرون من قبيلتي المهري والصوري) ثم حدث الطلاق، وأولاده من هذا الزواج (ولد وبنتان) نشأوا عند الأم، ثم تزوج الابن سالم وأنتقل إلى سرهن (انظر سرهن بيت 7) وفي المرة الثانية تزوج عوض على امرأة من قبيلة الصوري، هي شقيقة سالم عبدالله (أنظر بيت 3) ولديه منها ولد وبنت. عدد إفراد أسرته 4 أشخاص.

بيت رقم (5):

صاحب البيت جمعان سعيد با موسى، ابن شقيق عوض سالم (انظر بيت 4) وقد تزوج على ابنته من الزواج الأول، وله منها ولد وبنت، عدد أفراد الأسرة 4 أشخاص.

بيت رقم (6):

رب الأسرة نصيب عبيد، وقد جاء إلى الجزيرة من حضرموت بحثا عن السعادة، تزوج على شقيقة سالم عبد الله (انظر بيت 3) واستقر هنا، ولديه من الأبناء أربعة (ثلاثة أولاد وبنت واحدة) مجموع أفراد الأسرة 6 أشخاص.

بيت رقم (7):

رب العائلة سعيد سالم با موسى، متزوج من شيقة سالم عبد الله (انظر بيت 3) ولديه أربعة أولاد (ثلاثة أولاد وبنت)، أحد الأولاد متزوج على حفيدة سالم صالح (انظر بيت 1) ولديهما ولد وبنت، ويعيش الجميع معا. عدد أفراد العائلة 9 أشخاص.

وعلى هذا الأساس يعتبر 43 شخصاً من سكان قرية بير العجوز أسرة كبيرة، ترتبط بعلاقات قرابة قوية بين أفرادها، هذا من جانب، ومن جانب آخر فان هذه العشائر تأسست فقط منذ وقت قريب، زد على ذلك أنها تكونت على أساس عناصر مختلفة (قبيلة الجمحي، الصوري، با موسى). وسكان القرية مثلهم مثل كل سكان الجزيرة، يجيدون اللغة العربية جيدا، ويتحدثونها باللهجة الحضرمية، ولكنهم ينتقلون بسهولة إلى السقطرية، التي يفضلونها في المعاشرة فيما بينهم.

قرية سرهن:

قرية سرهن تجاور قرية بير العجوز، التي لا تبعد عنها كثيراً، وهي تتألف من عائلة كبيرة واحدة، مرتبطة بأوثق الوشائج مع إحدى عائلات بير العجوز. وقد قمنا بتقسيم سكان هذه القرية إلى سبع عائلات لملائمة البحث، ونتحفظ عن تسمية مسئولي الأسر برب البيت، رغم أنهم يعيشون في أكواخ منفصلة، تتكون منها خلايا العائلة الكبيرة.

بيت رقم (1):

الشخص الرئيس، أو رأس النظام البطريركي لأسرة سرهن، هو سالم عيسى جبران، سقطري الأصل، من جزيرة سمحة، حيث تعيش في هذه الجزيرة جماعة صيادين، ينحدرون في أصلهم من القبائل السقطرية الغربية، ويتحدثون بلهجة غرب سقطرى.

انتقل جد سالم من جزيرة سمحة إلى عبد الكوري مع زوجته، وتزوج نجله عيسى على امرأة من قبيلة الجمحي من قرية بير العجوز، كانت قد تزوجت من قبل علي منصور، ابن عمه من ناحية الأب، وقد توفي علي، وترك الزوجة وسبعة أولاد: الابن الأصغر صالح "لم يبلغ سن الرشد بعد" وست بنات. ومن سالم أنجبت بنتا، تزوجت إلى حضرموت (زوجها من قبيلة زيد) ولديها ولدان، طفل وطفلة، وجميع البنات الست متزوجات، الأولى في سرهن وتزوجت من العبد عوض (انظر بيت 6) والثانية تزوجت سعيد محمد عوض يافعي (انظر بيت 5) والثالثة زوجة احمد عبد الله ابن شقيق سالم (انظر بيت 2) والرابعة قرينة محمد عبد الله ابن شقيق سالم، والخامسة زوجة صالح سعيد صالح من قرية بيت عيسى، قبيلة الصوري، والسادسة زوجة صالح سالم عيسى من قرية بيت عيسى قبيلة المهري.

في السابق عاش سالم عيسى مع شقيقه عبد الله عيسى معا وبعد وفاة الأخير، أخذ سالم على عاتقه مسئولية الاعتناء بزوجته وأولاده والأنفاق عليهم (أربعة أولاد وثلاث بنات) وقد كبر ثلاثة من الأولاد وتزوجوا ويعيشون الآن في بيوت مستقلة، ولكنهم عمليا لم ينفصلوا (انظر بيت 2 - 4) أما حديد عبد الله فلم يتزوج بعد ويعيش مع الأب. وفيما يخص البنات فقد تزوجن جميعا ويعشن مع الأزواج. الأولى اقترنت بسالم ابن عوض من قرية بير العجوز (انظر قرية بير العجوز بيت 4)، والثانية تزوجت سالم صالح عيسى من قرية بيت عيسى، قبيلة

المهري، وأنجبت ثلاثة أولاد (ولد وبنتان)، وتزوجت الثالثة بصياد سمك وغادرت الجزيرة مع زوجها إلى حضرموت وهما يعيشان هناك ولم يحتفظا بأية روابط بالجزيرة. مجموع أفراد هذه الأسرة 5 أشخاص.

بيت رقم (2):

أحمد عبد الله عيسى، نجل شقيق سالم (انظر بيت 1) متزوج على ابنة عمه، وليس لديه أطفال، عدد أفراد أسرته 2 أشخاص.

بيت رقم (3):

عيسى عبد الله عيسى، ابن شقيق سالم (انظر بيت 1) متزوج من ابنة عوض من بير العجوز (انظر بير العجوز بيت - 4) ويمتلك ثلاثة أولاد (ولدان وبنت)، إجمالي أفراد الأسرة 5 أشخاص.

بيت رقم (4):

محمد عبد الله ابن شقيق سالم، (انظر بيت 1) متزوج بابنة العم ولديه من الأبناء أربعة (ثلاثة أولاد وبنت). إجمالي عدد الأسرة 6 أشخاص.

بيت رقم (5):

سعيد محمد يافعي، جاء من حضرموت، قبيلة اليافعي، متزوج على ابنة شقيق سالم (انظر بيت 1) وعنده ثمانية أولاد (خمسة أبناء وثلاث بنات)، جملة أفراد الأسرة 10 أشخاص.

بيت رقم (6):

العبد عوض، ينحدر من حضرموت، واسمه (العبد) يشير إلى انتمائه إلى طبقة العبيد الأفارقة، وهو متزوج على ابنة شقيق سالم (انظر بيت 1) ولديه طفلان (ولد وبنت) مجموع الأسرة 4 أشخاص.

بيت رقم (7):

سالم عوض با موسى، ابن عوض من قرية بير العجوز (انظر بيت 4) متزوج على ابنة شقيق سالم (انظر بيت 1) وله ثلاثة أبناء (ولد وبنتان) الأجمالي 5 أشخاص.

ويكون المجموع العام لسكان القرية 37شخصا. وتقدم هذه القرية نموذجا حسنا جداً لخصوصية العلاقات البطريركية في عبد الكوري، فمن بين الأسر المذكورة، فأن البيوت 1- 4 يشكلون أسرة واحدة، عائلة بطريركية كبيرة، ورغم أن جميع أبناء شقيق سالم الثلاثة يملكون أكواخا مستقلة فأن جميع

النقود التي يحصلون عليها وكذلك المنتوجات (الأسماك المصطادة، المنتجات الحيوانية) تسلم جميعها لسالم، وهو بدوره يتصرف بها، كما يتخذ جميع القرارات، ويعطي الموافقة على الزواج، ويخصص المبلغ الضروري لمهر العروسة وللزواج، ويقرر الأنفاق ويشرف على عملية الإنتاج. ويعطي سالم ابن عوض من بير العجوز (انظر سرهن بيت 7) النقود والمحاصيل لوالده (انظر بير العجوز بيت 4) رغم انه يعيش هنا، وعلى هذا النحو فكأنما يدخل ضمن الأسرة الكبيرة لعوض الذي يعتبر شيخا بالضبط مثل سالم عيسى في سرهن ويقوم أيضا بالوظائف المماثلة. سالم يعتبر في آن واحد وكأنه عضوا في تلك المجموعة العشائرية التي تعيش في سرهن، على اعتبار أن العيش مع والدي الزوجة يعتبر رمزا لدخول سالم في هذه المجموعة.

وهذه الثنائية، نادرة الوجود في عبد الكوري، وفي سقطرى حيث تسود صيغة الزواج الأبوية التي تفرض على الزوجين العيش في قبيلة الزوج، وتمتلك كل أسرة، بما في ذلك تلك التي تُعد خلايا للأسرة الكبيرة، تمتلك كميات قليلة من الأغنام (10- 15رأسا) وملكية الأغنام موزعة، وهي لا تنتقل بالوراثة فقط، وإنما غالبا ما يخصصها الآباء للأبناء عند الإقدام على الزواج، وعادة فأنهم يرعون الأغنام كقطيع عام، وإذا كانت الأسرة تقتات بصورة مشتركة، فأن كل شي مشترك اللبن والصوف، أما إذا كانت منفصلة فأن كل خلية من الأسرة تستطيع أن تستخدم اللبن ومشتقاته من حصتها في القطيع، ولكن مع ذلك فأن هذا يرجع تقديره لرب الأسرة الكبيرة.

ويعتبر الرجال في آن واحد فريق صيد الأسماك، وملكية الزوارق والمحركات وعتاد الصيد - كما هي العادة - جماعية مشتركة. ويعد الأقرباء إما ملاك مشتركين أو - في بعض الحالات - "تعاونيين" إذا كان القسط بدون تناسب. وعلى هذا النحو فقد خصصوا لأحمد نقودا لغرض شراء حصة في زورق كبير من نوع "ورة" (زوارق من نوع الهوري[1]، وتستخدم لصيد الأسماك وللرحلات البعيدة، إلى حضرموت وسقطرى، ولدى الأسرة عدة قطع منها) بالشراكة مع أولاد عوض من بير العجوز (سالم الذي يعيش في سرهن والابن الآخر الذي

---

1 يركب اثنان معا على متنه ويدخلان البحر.

يعيش مع والده). لقد جرى هنا تعاون أسرتين كبيرتين، ولذلك لا بد من إحصاء دقيق لمردود حصة العمل يتناسب والتوزيع.

ليس بعيدا عن سرهن يوجد مكان يسمى (منظبيتن)، حيث يوجد بيت منفرد يعيش فيه الصياد العجوز عبد الله عامر وهو سقطري الأصل، ينحدر من جزيرة سمحة، وهو فقير، وزوجته من قبيلة الصوري (كفيفة البصر) وتعيش معها أيضا شقيقته المطلقة مع طفلة صغيرة، وهذه الأسرة التي لا تملك إلا أربعة رؤوس من الماعز وخروفين تحصل على مساعدة من الجيش[1]: تُقدم لها المواد الغذائية من معسكر الجيش.

قرية خيسة صالح:

في قرية خيسة صالح، وتسمى بالمحلية "تشيكر" (وهو المكان الذي توجد فيه دروع
السلاحف)، وتقع في القسم الأوسط للجزيرة وفيها أربعة بيوت، لكنها من أكبر القرى من حيث عدد سكانها.

بيت رقم (1):

رب الأسرة، أحمد سعيد أحمد سعيد بن عامر بن صالح الجمحي، وهو ينتمي إلى قبيلة الجمحي الحضرمية وحفيد النازحين إلى الجزيرة، وقد سميت القرية تيمنا باسم الجد الأول، الذي يعتبر مؤسسها (قبل حوالي 130- 150 عاما مضت)، ويشغل أحمد سعيد وظيفة مساعد مأمور في جزيرة عبد الكوري (مديرية سقطرى) ويعتبر شيخ عبد الكوريين، وزوجته من مواليد الجزيرة، ولديهما ثمانية أبناء (ستة أولاد وبنتان) ولدى كل الأولاد، ما عدا الأصغر، أسرهم الخاصة، ويعيش أربعة أولاد مع أسرهم في بيت واحد مع الأب، ويتدبرون الأمور المنزلية والحياتية بصورة مشتركة، أما أحد الأبناء فقد انتقل إلى بيت أم الزوجة.

محمود متزوج من ابنة فاطمة، شقيقة احمد، ولا أطفال لديه بعد.

---

1 توجد في الجزيرة حامية عسكرية صغيرة.

سعيد اقترن بفتاة من قرية بيت عيسى، وهي شقيقة لزوجة أخيه سالم، ولديه ولد وثلاث بنات.

سالم، متزوج من شقيقة زوجة أخيه سعيد، ولديه منها أربعة أبناء (ولدان وبنتان).

مسلم تزوج بفتاة من حضرموت سكنت الجزيرة ولدية ثلاثة أولاد (ولدان وبنت).

عامر، مثل محمود متزوج من أبنت فاطمة وعنده ثلاثة أبناء (ولدان وبنتان)، لكنه يعيش في منزل أم الزوجة.

غالب، عمره خمسة عشر عاما وما زال عازبا.

وعلى هذا النحو فأن العائلة الكبيرة لأحمد سعيد تتألف من 22 شخصا. ويشتغل جميع الرجال في صيد الأسماك إذ يركبون البحر، كل اثنين منهم على متن "هوري" ويوجد لدى احدهم زورق كبير "ورة" يستطيع أن يبحر به إلى حضرموت وسقطرى.

ومن خلال استفتاء سكان عبد الكوري تبين لنا أن عادة الزواج هنا توجب دائما على الزوجين العيش في منزل الزوج. لكن في ذات الوقت لماذا يعيش عامر في بيت حماته – العمة ؟.

توضح لنا الأسرة أن ذلك للضرورة التي تقتضي مساعدة فاطمة لقلة الرجال في بيتها. بيد أن عامر مع أهل بيته يعتبرون مع ذلك أعضاء الأسرة البطريركية الكبيرة التي يرأسها الأب، ولذلك فأن كل النقود والمواد التي يحصل عليها يسلمها لهذه الأسرة، ويترك لنفسه جزءا محددا للأكل والأنفاق على أسرته، حيث يعيش مع الحماه. ومثل هذا الإسهام يقدر في كل حاله بصورة مختلفة، وهو مرتبط بمستوى الدخل، ولذلك فأن كل من سألناهم لم يستطيعوا الإجابة عن حجم هذا الإسهام. ولكننا عرفنا أن كل شي يقرره الأب، فأحمد سعيد يجمع كل النقود والمحاصيل، ويحدد ميزانية الأسرة، والإنفاق الضروري والمشتروات ويشرف على الشئون المنزلية العامة.

بيت رقم (2):

رب الأسرة، سيدة بنت سعيد وهي شقيقة أحمد سعيد من الأم، فأمها بعد وفاة الأب الذي أنجبت منه أحمد سعيد، تزوجت مرة ثانية (في الجزيرة) على أحد المنحدرين من قبيلة غراب الحضرمية، وقد توفي الزوج وبقي خمسة أبناء

(ثلاثة أولاد وبنتان) اثنان من الأولاد تزوجا، أحدهما على ابنة أحمد سعيد (يعيشان عند سيده) والثاني تزوج على حضرميه ويعيش معها هناك في حضرموت، يمارس صيد السمك ولديه هوري كبير، وفي بعض الأحيان يزور الأم. أما البنات فتزوجت إحداهن من سالم علي سمحان من قبيلة بني عكوش المهرية، وليس لهما أطفال، والثانية تزوجت بعلي أحمد عامر، (والده سقطري الأصل من جزيرة سمحة) ولديهما بنتان ويعيش الجميع عند سيده.

وعلى هذا الأساس فأن أسرة سيدة تتألف من 10 أشخاص،

بيت رقم (3):

رب الأسرة، فاطمة بنت سعيد شقيقة أحمد سعيد أيضا، في الزواج الأول اقترنت بعبد الله باروك من قبيلة الجمحي ثم ترملت، ومن الزواج بقي ابن عبد الله باروك، ويعيش الآن عندها في البيت، وقد تزوج من بنت احمد سعيد ولديه خمس بنات.

في المرة الثانية تزوجت فاطمة من أحمد عامر سعيد من جزيرة سمحة، وأنجبت من زواجها الثاني ولدين، الأول علي وقد تزوج من ابنة سيدة (انظر بيت 2) ولديه بنتان، وتعيش الأسرة في بيت سيدة، والثاني صالح، وهو شاب يافع، ما زال عازباً ويعيش مع الأم.

ومن جديد ترملت فاطمة، ثم تزوجت للمرة الثالثة من سالم مبارك سعيد، المنحدر من المهرة، وأنجبت له طفلين، ثم طلقها سالم ورحل للعيش في حضرموت. إحدى البنتين متزوجة من ابن أحمد سعيد، محمد وتعيش في بيته وليس لديهما أطفال والثانية من ولده عامر ولديهما ثلاثة أطفال ويعيش الجميع في بيت فاطمة.

إجمالي عدد الأسرة في بيت فاطمة 14شخصا، ويشتغل جميع الرجال (من بينهم ثلاثة كبار) بصيد الأسماك، وهم يملكون "هواري" ويعمل كل اثنين في زورق.

بيت رقم (4):

رب البيت سالم علي مهري (سمحان) كان والده مهري الأصل، وأمه من قرية عالية في عبد الكوري، وهو متزوج على ابنة سيدة (انظر بيت 2)، وليس لديه أطفال. ومع أسرة سالم يعيش في هذا البيت شقيقة صالح علي مع

زوجته (أصلها من قرية بيت عيسى) ولديهما طفلتان، عدا ذلك تعيش هنا أيضا شقيقات سالم الثلاث مع أسرهن.

شيخة وزوجها من قرية التواهي، ولها أربعة أبناء (ثلاثة أولاد وبنت).

مهرية وزوجها كذلك من التواهي، ولها خمسة أبناء (أربعة أولاد وبنت)، وزوجا شيخة ومهرية شقيقان وهما ينتميان إلى القبيلة الحضرمية "طعين".

بشارة، وهي متزوجة من رجل من بيت عيسى وعندها ثلاثة أبناء (ولدان وبنت).

وعلى هذا النحو ففي الأسرة 24شخصا.

ويأكل جميع أفراد هذه الأسرة الكبيرة معا، غير أن الوسائل المالية لكل خلية أسرية يتصرف بها مسئولوها الأزواج الذين يدفعون فقط حصتهم في الميزانية العامة مقابل الغذاء، وإدارة الشئون المنزلية.

ويكمن اختلاف نموذج هذه الأسرة الكبيرة التي يرأسها احمد سعيد (بيت 1) في انه لا وجود هنا للشيخ، الذي هو بمثابة الأب في العلاقة مع الأبناء أو - نادرا - الأخ الأكبر في العلاقة بالأصغر (سالم علي أصغر الشقيقات) عدا ذلك تنعدم هنا الملكية الجماعية المشتركة، التي يمكن أن يحصل عليها الوريث من والده بعد وفاته، وكأنما تنتقل وظائف رب الأسرة من الأب إلى أحد الأبناء (إلى الأكبر).

في هذه الحالة توجد مكانة للملكية المشتركة للأخوة والأخوات وأزواجهن. وفي النتيجة لا توجد هنا ميزانية مشتركة للأسرة للتلخيص الإلزامي للدخل والتوزيع الذي يتم التصرف بهما من جانب شيخ الأسرة (كما هو الحال في بيت 1). غير أن مثل هذا النظام يوجد في "فروع الأسرة" التي يشكلها الشقيقان صالح وسالم حيث كل الأشياء عامة ويتخذ الأخ الأكبر القرارات ويتحمل مسئولية كل شي. وعادة فأن الشقيقات يسكن مع أسرهن لمدة شهر أو شهرين في العام عند أزواجهن، ويقمن بإيضاح رغبتهن للأزواج في الانتقال إلى خيسة صالح، معللات السبب في كون المياه في آبار التواهي أكثر ملوحة مما هو في مسقط رأسهن، وفضلا عن ذلك فان ظروف اصطياد الأسماك أفضل بكثير في خيسة صالح.

وهكذا فإجمالي السكان في هذه القرية 70شخصا، ويشكل المنحدرون من قبيلة الجمحي العنصر الرئيسي لتأسيس هذا التجمع، أما السقطريون

الأصليون فهم قليلون هنا، كما هو حالهم أيضا في بير العجوز، والأغلبية هم ممثلو القبائل الحضرمية والمهرية. والسكان هنا كما في بقية القرى مرتبطون فيما بينهم بأوثق روابط القرابة العائلية.

على مقربة من خيسة صالح يقع مكان يسمي "خيمة" حيث تعيش في عزلة وحيدة العجوزة حليمة (مثلها مثل عبد الله عامر في شرق الجزيرة)، لقد تأرملت وبقيت وحيدة، وهي تملك 20- 30 رأسا من الأغنام، ويساعدها الجيش أيضا، كما يجلب لها سكان خيسة صالح السمك ويعاونونها في حلابة الأغنام.

قرية عالية:

في قرية عالية وتسمى بالمحلية (كسرر) والتي تقع في الناحية الغربية للجزيرة، إجمالي البيوت ثلاثة فقط، وأصحابها هم رشيد أحمد صالح "من قبيلة الصوري العمانية" وشقيقه إبراهيم أحمد صالح وسعيدة صالح صوملي "الذي يشير اسمها إلى أصلها".

وهناك أيضا قرية صغيرة هي التواهي (بالمحلية حامر عفيرو).

قرية بيت عيسى:

تعتبر قرية بيت عيسى (تسمى بالمحلية تشيكر) الأكبر من حيث تعداد الأسر، إذ تبلغ تسع عائلات وينحدر سكانها من أصلين أثنين، المهريين وقبيلة الصوري العمانية، وينتسب إلى المهريين بشكل خاص، أحفاد عيسى: أحمد سالم وصالح سالم وسالم صالح، ولدى كل منهم بيته الخاص. وإلى قبيلة الصوري ينتسب أحفاد صالح وهم: صالح سعيد ومحمد سعيد وسالم سعيد وجميعهم أصحاب عائلات.

ونسبيا فأن التعرف الكامل على قرى الجزيرة، يقنعنا بصورة قاطعة في أن العنصر السقطري بالذات لا يعد بينا في أصلهم السلالي. وسكان الجزيرة المعاصرون هم سبيكة من عدة مصادر، ومن خلال التعرف على عاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم تبين التأثير الحضرمي الملموس بوضوح هنا.

ويكفي النظر إلى سكان الجزيرة، فالنساء يلبسن الثياب مثل الحضرميات (مع الذيل) وليس كالسقطريات ويغطين وجوههن كاملا بحجاب شفاف

من القماش، كما يكحل الرجال عيونهم (وهي عادة منتشرة في كل مكان من اليمن ولا يعرفها السقطريون).

والعرس في عبد الكوري يشابه العرس الحضرمي، إذ توجد عادة القيام بالربط "ربط الخطيبة" كما في حضرموت ولكن بدون أمتعة العروسة.

بيد أننا لن ننسى أن سكان عبد الكوري "متحدثون بالسقطرية".. فما هي إذن التقاليد الثقافية لسكان الجزيرة، وفلكلورهم الشفهي ؟.

في قرية خيسة صالح تعرفنا على الشاعر الشعبي صالح أحمد عامر (ابن فاطمة، غير متزوج، انظر بيت 3) وهذا الشاب اللطيف يبلغ من العمر 27 عاما، وعلى وجهه ثلاثة ندوب عمودية تحت كل واحدة من عينيه (في الجزء الأعلى من الخد)[1] أمتعنا كثيرا وهو يغني لنا أغاني عبد الكوري القديمة وكذلك أغاني حديثة من نظمه هو نفسه.

الأغنية الأولى انشدها صالح بصوت مطول وممدود، وبألحان مختلفة، وتبدّى لنا وكأن النص طويلا، ولكن حينما أخذ يوضحه لنا، اتضح أنه يتكون من عدة كلمات ليس إلا، كرر إنشادها مرات كثيرة. وها هو النص السقطري للأغنية :

نهارين لدي بكر
دي ناثيش بعديبي
زايدر ديريجأ في الشيش
هوبن زيدرا الإنكراميش

في الحقيقة أن طبيعة تفكير السقطريين وسكان عبد الكوري مدهشة، وهو ما يتجلى في اللغة الشعرية الفريدة جدا، وهذه صفه لهؤلاء وللآخرين. وكأنما سكان عبد الكوري لا يماثلون الحضارمة، الذين اختلطت دماؤهم، وكأن لا روابط متينة تربط الجزيرة باليابسة لأن ثقافة عبد الكوري، ثقافة سقطرية بحتة، وتقتنع بهذا حين تتعرف على فلكلورهم.

وكما أن اللحن الذي غنى به صالح هذا الشعر المسمى (قصيدة) يختلف بشدة عن الشعر السقطري، بيد إن طبيعة هذا الفن دون أدنى شك سقطرية

1 قال لنا سكان الجزيرة، أنه في حالة مرض الأطفال بالتراخوما (الرمد الحبيبي) فأنهم يعملون مثل تلك الخرز في الخدين، والتي يزعمون أنها تساعد في علاج هذا المرض.

صرفة من حيث الإنشاد المطول لنص غير كبير الحجم، وهو مع ذلك يحمل شحنة ذات معانٍ كبيرة ولها تأثير انفعالي قوي على المستمعين المحليين (رغم وجود بعض التشابه مع حضرموت).

وما يميز القصيدة السقطرية (بما في ذلك قصائد عبد الكوري) هو الدقة والإيجاز المدهش، فكأنما يقتصدون بالكلمات، وكثيرا ما يكتمون المعاني، ولا بد من تخمين الفكرة، ويخضع الشعر من كل بد لفك رموزه.

وتلقائيا تتبادر إلى الذهن وبصورة عفوية، المقارنة مع الأشعار الأخرى من نتاج شعوب الشرق القديم، وميفولوجيا الشرق العربي القديمة، إذ يبدو في الحقيقة أنه يمكن إسباغ فكرة أخرى متناقضة جزئيا على ذات البيت الشعري. وكما يتضح ففي تعدد المعنى والمدلول يكمن جوهر النتاجات المماثلة للفلكور.

نذكر أن كثيراً من الشعر السقطري الذي يتم إنشاده كأغانٍ، ليس مفهوما للجميع، إذ يتطلب توضيح المؤلف ذاته، أو المنشد المجرب الذي يعرف جيدا العادات، أما ما يخص أغاني عبد الكوري فأن مرافقي السقطري إلى عبد الكوري لم يفهم حتى كلمات منفردة لذات اللغة أيضا، لأن خصوصية النطق في عبد الكوري أعاقت السقطري عن تمييزها من بين تيار الكلام، ويزيد ذلك تعقيدا الاختلافات الصوتية بين اللهجات.

إذاً ماذا يعني حرفيا ذلك الشعر المسرود ؟

هذه هي بالدقة الترجمة التقريبية:

الأنف[1]، ذلك الذي وضعتِ للمرة الأولى

ونسيت أنت الآلام

بشجيرة غطيته أنت

حجارة وشجيرة حتى لا يتحرك.

لنتفق أن لغو الكلام أو شقشقة اللسان كما يتبين الشعر للوهلة الأولى، يضع باحث الفلكلور السقطري الذي لم يعرف من محدثه الإيضاح المناسب (حتى إذا كانت المفردات اللفظية موضحة إيضاحا صحيحا ومفهوما) في مأزق. وها هو النص كما نحلله في التأويل المرسل.

---

1 كلمة (نهارين) تستخدم فقط في النتاجات الشعري ومثل هذه المفردات الخاصة كثيرة في اللغة السقطرية، والكلمة العادية (نهرير).

في الشعر يوبخ الزوج زوجته الصغيرة التي تهيأت للذهاب إلى حفلة الرقص التقليدية "الرمس" لكي ترقص حتى الشبع، وهو يذكرها بالمولود البكر الذي أنجبته منذ وقت قريب (الطفل يعز عليك مثل انفك) وهذا ما تم وضعه في الكلمات الأولى للشعر..ولكم تبدو غريبة بالنسبة لنا هذه المقارنة، أما بالنسبة للسقطري فهي ليست فقط معقولة (بحكم علاقة التبجيل والاحترام لهذا الجزء من الوجه) ولكنها أيضا نموذجية وشاعرية.

بعد ذلك يقول لها الزوج: لقد نسيت كل الآلام التي أنجبتِ في ظلها طفلك!! لا ينبغي على المرأة أن تنسى آلام مخاض حمل وولادة الطفل وتستعجل الذهاب إلى حفلة الرقص.

لقد أخجلها الزوج بصورة صحيحة: أنتِ تضعين الطفل تحت الشجر وتلفيه مضغوطا عليه تحت الشجرة وبين الأحجار، كي لا يتحرك من هذا المكان.

إن مثل هذا التعامل مع الطفل غير مجد بالطبع، ومن الجائز أن الأم المستخفة، وقليلة العقل، لن تذهب بعد الآن لترقص.

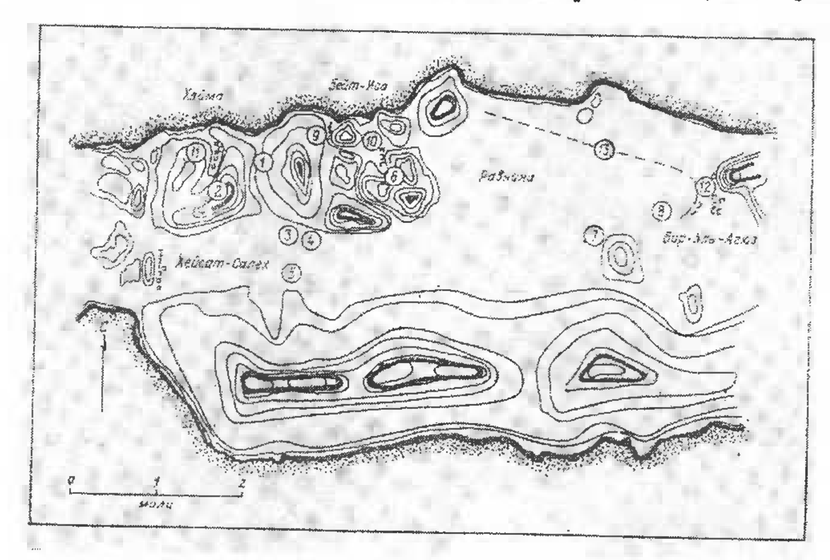
والشعر ذاته الذي يردده الرجال كعبرة وموعظة يسعى لإرشاد كل الأمهات الأخريات المماثلات إلى الطريق الصحيح.

وهناك أغنية مماثلة من الشعر الفلكلوري، وهي معروفة أيضا، حسب تأكيد محدثنا، منذ زمن الجد الأول (وهي نوع من الأغاني العاطفية أو الهزلية) :

ميزيدا لدي عاكبش
كيتاه سليط بلوكا
وعاد كيتا عاصدين فيني
ولعاد ميكن ليريمو
وهذه ترجمة تقريبية لها:
زيت (الشعر) الذي وضعتيه
أو الدهان في الآنية
آه لو أنك تخضبين الوجه
وأنا مع ذلك أسير قبلك

إن هذا غزل بالفتاة التي يحبها الشاعر. وهو يريد أن يزينها :" أريد أن تدهني شعرك بالدهن، لكي يتلألأ ساطعا مبهرا، أو بزيت عطر من القارورة كي تنبعث منه الرائحة الشذية، وأن تطلي وجهك بالخضاب الأصفر".

وتذكرنا بُنية هذا الشعر الغنائي العاطفي، وفي ذات الوقت التهكمي الساخر، تذكرنا جدا بالشعر الذي سمعناه في سقطرى.



(الرسم 74): مناطق عبدالكوري التي درستها البعثة الانجليزية عام 1967م: 1- بقايا بناء. 2-3 أهرامات من الحجارة. 4- خط من الأهرامات الحجرية. 5- مجموعة مباني مختلفة. 6- دائرتان. 7-أهرامات. 8- حدود. 9-قرية داصني. 10-قرية غيوريد. 11-قرية حييمه. 12-قرية بئر العجوز. 13- مجموعة مباني عند حائط حجري.

أنشد صالح أغنية من شعره، غناها بصوت مطول، متقطع، وردد الغناء، ولكن يا لدهشتنا فقد تبين أن كل ما فيها لا يتعدى مقطعين هي كل النص:

هيدو ولعا ليلينو
نيفوغ وال نيفوغ دي جاهم
تلبدت "السماء بالغيوم" ولم يظهر "المطر"
"ليس عند" الكوكب - ولا النجمة التي كانت في الصباح

في هذه الأغنية يريد صالح إن يعبر عن مزاج الإنسان الذي ينتظر المطر بفارغ الصبر، فبهطوله تحصل الحيوانات على العلف والإنسان على الماء. عبست السماء، لكن لم يأت المطر.. ينتظره الجميع الليل بكامله، طالما لم تظهر نجمة الصباح في السماء بعد، حينها يكون الانتظار عبثا.

في عام 1967م جاء إلى عبد الكوري علماء الآثار الإنجليز برئاسة د.دو، وقاموا بدراسة حفرية للمساحة إلى الجنوب وشرق الوسط المفترض للشاطئ الشمالي، الذي يقع بالقرب من قرية خيمة، وفي هذه المساحة يوجد خام الجرانيت وأحجار الجير (الكلس) الذي يؤلف قمة جبلية.

أثارت أول لقية اهتمام علماء الآثار، كانت هناك مجموعة غير كبيرة من الأحجار، قطر كل واحد منها مترا واحدا، على ارض صخرية تقع على مسافة 800 متراً تقريبا. إلى الجنوب من خيمة (داخل الجزيرة).

وعلى بعد 450 مترا من خط الساحل، الشاطئ الشرقي يمتد واد صغير إلى الشرق من "خيمة"، وقد وجدوا هناك خرائب ثمانية بيوت، شيدت من الشعب المرجانية، بدون محاليل مثبتة، وبالقرب من هذه البيوت وجد دو كميات كبيرة من الصدف ذات فتحات في الجزء العلوي.

إلى الجنوب من هذا المكان، وراء الصخور التي تشكل مدخلا إلى الجزء الضيق للوادي الأوسط، والمطلة مباشرة على أرفع قمة لجبل "حصل"، تم اكتشاف عدة مواضع منها صفين من الصخور، يمتدان على ضفة القناة المهدمة المؤدية إلى شمال الوادي. ويمكن أن يكونا قد استخدما في زمن ما كحدود تفصل بين الممتلكات. وكما أوضح مرافق علماء الآثار، اسمه عبد الله من السكان المحليين، أنه ربما بناها "الناس" الذين عاشوا في الزمن القديم.

وهناك عدة مجموعات من الأطلال تم العثور عليها في منتصف الطريق عبر الوادي إلى أسفل الجبال حيث يمكن أن تكون قد وجدت في الماضي قرية غير كبيرة. وفي أحد الأماكن بقي جزء من حائط، ولا وجود هناك لأية تشكيلات غير طبيعية.

وإلى الطرف من موقع الجرانيت، تم العثور على تخوم من الصخور تنتصب عموديا على مسافة 180 مترا بين بعضها البعض.

أثناء صعود "دو" إلى الاتجاه الشمالي على الصخور التي تتبين منها بوضوح قرية بيت عيسى (جورد) وجد مجموعتين على شكل نصف دائري، مؤلفتان من

أحجار غير كبيرة، وهاتان المجموعتان تقعان على جلاميد صخرية منفصلة وتبعد الواحدة عن الأخرى بمسافة27متراً.

المجموعة الغربية، وتؤلف بذاتها نصف دائرة من 14كومة حجرية، ترتفع تقريبا 30سم وقطرها 45سم، وتبعد عن بعضها البعض من 2,4 - 3,6م، وتمتد على سطح الجبل 120درجة بزاوية السمت من الطرف إلى الطرف. وكما قال عبد الله فقد بناها "الناس القدماء".

الثانية، المجموعة الشرقية من الأحجار، وتطل على الوادي العريض، وهي تتكون كذلك من 14كومة من 8 أحجار، بارتفاع 38- 60سم وقطرها أيضا 45سم، وعرض الدائرة التي تكونها هذه الكومات 18م، وتنفرج نهاياتها 210 درجة بزاوية السَّمْت.

على مسافة 235مترا إلى الشرق من هذه الأحجار تقع بقايا حائط طويل، شيد من أحجار صغيرة، ويطل على الوادي بخطوط تنفرج 205درجة.

لقد عاينت البعثة أيضا الوادي العريض المؤدي إلى قرية بير العجوز، وعلى مقربة من الصخور الناتئة على تربة صخرية، على مسافة 1,2 كم من القرية، تقع بقايا خمس منشآت مخططة دائريا من الصخور.

وفي الاتجاه المقابل على ارتفاع قليل من الشاطئ وبمسافة 800 مترا من البحر، تقع خرائب قنوات مياه شيدت من الأحجار وقطع الشُعَب المرجانية، وكانت هنا أيضا بضعة بيوت في زمن غير معروف. رغم أن "دو" وجد في هذا المكان جزءاً من قدح خشبي، وقطعة فخارية لازوردية غير مطلية بأية مادة وتبين أن هذا التشكيل،عبارة عن شظايا قنينة مياه (بيضاوية الشكل)، صُنعت وفي وقت متأخر وتعود إلى القرن التاسع عشر.

وحسب رأي علماء الآثار فأن البيوت في بعض القرى المهجورة، رغم أنها غير مسكونة، تبدو أفضل من المساكن المعاصرة (مثل بعض الحالات في سقطرى).

في بير العجوز فحصت البعثة بئر المياه التي تعد الأفضل في الجزيرة. وحسب روايات السكان فهي قديمة جدا. قطر البئر 90سم. وبنيت بالأحجار كاملا إلى الأسفل، ويقع الماء على عمق 3,45 أمتار. وأشار علما الآثار إلى الطابع غير العادي للبناء في الجزء العلوي للبئر. كما ضُيقت فوهة البئر بتغطيتها بصفائح حجرية (قطر كل منها 45سم) وتم تغطيتها من الأعلى حتى لا تتسخ بأصداف السلاحف البحرية. وبالقرب من البئر بقيت على الأرض بقع

حجرية مبلطة مستديرة الشكل (نصف أقطارها 1,2- 3,6- 6م) تشهد على وجوده قنطرة في هذا المكان في الماضي.

البقعة الأخيرة عبارة عن جدار منخفض من أحجار الجرانيت تم اقتلاعها من الصخور المجاورة، والمياه في البئر عذبة حسب تأكيد "دو".

وفي بير العجوز فأن بئر المياه ما تزال تستعمل إلى اليوم ولكنها لم تتغير، وعُمق خط طبقة المياه غير ثابت، ولكن من غير الجائز أن نسمي المياه عذبة. وحسب رأي سكان الجزيرة ففي مراحل متفرقة في الماضي كانت المياه أفضل، وعموما فعلى مدى ذاكرتهم فأنها مالحة دائما.

كما عاينت البعثة القرية ذاتها، الواقعة إلى الجنوب من البئر، والتي بنيت فيها بعض المساكن من مواد جُمعت من حطام الباخرة "إرشير" ولكنها من حيث الشكل مثل بقية الأكواخ في القرى الأخرى في الجزيرة، فيما شيدت المساكن الأخرى من خامات الشعب المرجانية وكانت تتألف من غرفتين وفناء أمامي. وهذه المباني تشابه طراز المساكن في جزيرة حلانية (كوريا موريا) وهي تقع في الوادي الذي يخترق مجراه المنطقة الغربية للشاطئ المرتفع. وقد استخدمت المغارات والكهوف والشقوق كملاجئ للناس وكذلك كمخازن، ومخابئ للأغنام.

وعلى رابية الشاطئ المرتفع، على مسافة 180مترا تقريبا إلى الغرب من هذه القرية، شاهد الإنجليز، كما شاهدنا نحن، خطا مستقيما طوله 90مترا (زاوية السمت 108 درجة) وقد شيد على ما يبدو هرميا أو مثلثا من الشظايا الصغيرة للشعب المرجانية (كما في صحراء الربع الخالي في الوسط إلى الشرق من واحة البريمي، حسب معاينة دو) وقبل 18 مترا من نهاية هذا الخط، كانت هناك دائرة من الصخور الملساء، قطرها بحدود 4,5 مترا.

إن رحلات البعثة الإنجليزية في الأجزاء الأخرى من عبد الكوري، وعلى وجه الخصوص في قرية خيسة صالح التي تقع على الشاطئ الرملي الجنوبي والتي تمتلك بئر مياه جيدة (مغطاة بألواح خشب سفينة محطمة) وكذلك المقبرة القديمة، لم تعط حسب استنتاجات العلماء أية شهادات جديدة عن الاستيطان الأكثر قدما للجزيرة.

الخاتمة

إن دراسة النشاط الاقتصادي التقليدي والتنظيم الاجتماعي والعادات والتقاليد وفلكلور السقطريين الذين يمثلون جماعة عرقية من سكان اليمن، تقنعنا في صحة الاستنتاجات التي توصلنا إليها سابقاً حول الصفة الضارية في القدم لثقافتهم التي حافظت على مزايا كثيرة للعصور التاريخية القديمة. وهذا ما يفسر انغلاق الجزيرة لقرون كثيرة، حيث عاش السقطريون وبشكل خاص سكان المناطق الجبلية من الجزيرة، واتصلوا بالحدود الدنيا بالعالم الخارجي.

كان أسلاف السقطريين (حاملو اللغة والثقافة) جزءاً لا يتجزأ من السكان الأصليين للجنوب العربي، الذين تفرع عنهم، عدا ذلك، أسلاف المهريين والظفاريين المعاصرين. ولكي نحدد على وجه التقريب زمن انفصال اللغة السقطرية عن حالتها اللغوية السابقة، حينما كان حاملوها يتحدثون مع المهريين والظفاريين بواحدة من لغات اليمن القديمة، نعود إلى الحساب اللغوي للترتيب الزمني لانقسام اللغات السامية، مع الأخذ بعين الاعتبار المواد السقطرية التي قمنا بجمعها.

وفقاً لفرضية أ.ي. ميلتارين فأن اللغة السامية الأم، أصل كل اللغات السامية، قد انقسمت إلى لهجات في القرن الرابع قبل الميلاد. وكانت هذه اللهجات ثلاث:

(1)سَلَفُ اللغة الآشورية البابلية، أو الأكادية.

(2)سلف غالبية اللغات السامية المعروفة: العمورية والكنعانية (العبرانية، الفينيقية وغيرها) والآرامية والعربية والسبأية واللغات السامية لإثيوبيا.

(3)سلف بعض اللغات المعاصرة في الجنوب العربي وسقطرى: المهرية، الجبالية - الشحرية والسقطرية. والتي تؤلف على هذا النحو (السامية الجنوبية) الخاصة، حسب مصطلح واضع فرضية شعبة الأسرة السامية للغات، وتقابلها شعبتا (السامية الشمالية) (الأكادية) و (السامية الوسطى)، إن انتقاء شعبة السامية الجنوبية بالذات ورفع سلف اللغات السامية الجنوبية المعاصرة إلى مستوى السامية الأم (بدون حدود فاصلة لصلة القرابة مع اللغات السامية الأخرى) يمثل حداثة الفرضية، المدّعمة بمواد لغوية مقنعة لدرجة

كافية. وتبين هذه الفرضية القدم المدهش للغة السقطرية وما يقرب إليها كما يظهر في النطق وفي القواعد ومن المهم بوجه خاص في مفردات اللغة.

في ضوء هذه الفرضية فان اللغة السقطرية قد انفصلت عن فروع السامية الجنوبية العامية في زمن ما من النصف الأول للألف الأولى قبل الميلاد، وبمقتضى ذلك تكون حدود الزمن المبكر لانتقال الناطقين باللغة السقطرية من الجنوب العربي إلى سقطرى، أما انقسام شعبة اللغات اليمنية القديمة فيما بينها (أي المهرية والأقرب إليها الحرسوسية مع الجبالية - الشحرية) فيرجع إلى مرحلة أكثر تأخرا.

على هذا النحو فأن توافق انفصال اللغة السقطرية عن شعبة اللغات السامية الجنوبية مع انفصال جماعة القبائل الناطقين بها في مجموعة مستقلة منعزلة يعود إلى زمن كان بالنسبة لهذه المنطقة عصر التبدلات. وعند ذلك تقريباً حدث التكوين النهائي لدولة الجنوب العربي (المملكة السبأية)، وربما ظهرت الكتابة وتأقلم المهاجرون من الجنوب العربي في إثيوبيا. وفي هذا الوقت كان سكان الجنوب العربي قد عرفوا الملاحة واستطاع الناطقون باللغة السقطرية الانتقال إلى الجزيرة.

بيد أننا لا نستطيع التأكيد على أن قَدَمَ إنسانٍ لم تطأ سقطرى قبل أولئك الناس. فمن المحتمل أنه وجد في سقطرى سكانٌ غير ساميين في زمن أكثر قِدماً. وبعد اللقايا التي عثر عليها فريقنا لا يمكننا الافتراض بعد دو أنه في سقطرى:" لم يتم العثور على أية شواهد على استيطان الجزيرة في أزمنة ما قبل التاريخ كالأحجار والأدوات الصوانية والصناعات الزجاجية واليدوية" [66 ص 151].

وحقيقة أن الأدوات الصوانية التي عثرنا عليها في الجزيرة ربما تعود إلى العصر التاريخي، وعلى أية حال فأنها موجودة !!. وتبين هذه الأبحاث الأنثربولوجية، بشكل خاص، التشابه الكبير إلى حد ما لجملة من المميزات لدى السقطريين وكذا بعض شعوب الهند، وفي الغالب الدرافيديين، بيد أنه حسب الأبحاث الاجتماعية عن العربية الجنوبية التي قام بها غ.ل.هت فأن نقطة الانطلاق بالنسبة للسقطريين تعتبر المجموعة العرقية الغرب آسيوية الأوربية والتي تنعكس خصائصها لدى الجبليين على الأكثر، أما سكان المناطق الساحلية فخليط أكثر من المجموعة الهندو أسترالية، ونصيب

العناصر الهندو- استرالية لدى اليمنيين (وعلى الأخص لدى الحضارم والعدنيين) أكثر إلى حد ما مما لدى السقطريين، وهذا المجموعة العرقية انتشرت على ما يبدو في المناطق الساحلية. وما زالت مسألة صلات العرب الجنوبيين القدماء مع الهندو- استراليين قيد المعالجة.

ارتباطاً بذلك، لا باس من التنويه إلى النتائج التي توصل إليها تورخييردال الذي انبرى بهمةٍ ولأعوام طويلة ضد الأرض المعزولة، وبرهن أن سكان وثقافة جزر المحيطين الهندي والهادي قد تشكلت عن طريق هجرة الشعوب المختلفة في حوض المحيطين. وفي أحاديثه معنا اطّلع خييردال على النتائج الأولية لدراستنا وتحدث بحماس عن السمات العامة لثقافة جزر المالديف وسقطرى ومدغشقر. وفي هذا الصدد يخطر على البال خط متواز بين عبادة الشمس في سقطرى وثقافة تقديس الشمس في جزر المالديف التي كشفت عنها بعثة خييردال.

ومهما يكن الشعب الذي أستوطن سقطرى أولاً، فأن الناطقين باللغة السقطرية قد انحدروا من اليمن واستوطنوا سقطرى أما في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد (وفي هذه الحالة فأن انفصالهم الذي لا بد أنه كان واسعاً قد تسبب في تفرع لغتهم) أو في وقت متأخر مع زمن ازدهار الدولة الحضرمية التي سيطرت على الجزيرة، على الرغم أن هذه السيطرة على الأرجح كانت شكلية وهو ما يتأكد من عدم وجود الكتابة في الجزيرة وانعدام أية آثار للتأثير اللغوي.

يعتبر دو:" أن تفَقُّد أجزاء من سقطرى والجزر في المخطط الأثري قد أتاح تعويضاً للباحثين طالما أنه لم يتم العثور على المنشآت التي يمكن أن تمثل قيمة فنية أو معمارية كبيرة وتسمح المعطيات والمعلومات في الوقت الراهن في مجال البناء والتشييد الافتراض أن الجزيرة كانت في غابر الزمان على قدر كبير من الأهمية للاقتصاد الحضرمي" [66 ص 151].

وعلى أساس المعطيات التاريخية وما تم العثور عليه في الجزيرة من أشجار الطيوب وآثار المزارع فأن دو قد افترض - مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية البخور لاقتصاد ذلك العصر - أن أوائل المستوطنين في الجزيرة الذين جاءوا من اليابسة اليمن قد كانوا "أناس عملوا في زراعة أشجار الطيوب".

بالطبع لا يمكن اعتبار هذه الفريضة مؤكدة في كون جامعي البخور قد كانوا أوائل المستوطنين. عدا ذلك لا يمكن التأكيد على أن التوسع الاقتصادي (على غرار الأسطورة المعروفة التي تتحدث عن الإغريق الذين اغتروا بالصبر السقطري) كان باعثاً للاستيطان. وفي اعتقادنا أن أسبابا أخرى على الأرجح، قد استدعت ذلك، وحينها وفي ظل تلك الأوضاع بدأت هنا زراعة أشجار البخور.

هل كان السقطريون الأصليون فقط القوة العاملة التي استخدمها التجار الحضارمة، أم أنهم شكلوا هنا منظومتهم الإنتاجية الخاصة ؟ ها كم ما يقوله دو في هذا الصدد:

"إن الأميال الكثيرة لأسوار قطع الأراضي والمزارع المترامية في أنحاء الجزيرة والظروف المناخية المواتية تشهد لصالح هذه الحيوية الاقتصادية.فالسكان المزارعون من اليابسة عملوا في ظروف مشابهة لظروف الاقتصاد التعاوني، وكانت البضاعة التي تحتكر من قبل الكهنة وأرباب الأرض تقتنى من قبلهم باسم آلهة القمر (سين). وهذا ما يمكن أن توضحه أطلال الإنشاءات ذات الشأن والآثار الفنية التي ينتظر الكشف عنها لمعرفة ما إذا كانت الجزيرة تحتفظ لنفسها بمكسب من إنتاجها الخاص. وكان ملك بلاد البخور حضرموت، الذي أمتد نفوذه في ذلك الوقت من قنا إلى ظفار، يتحمل مسئولية حماية سقطرى واحتفظ هناك بحامية عسكرية. ويمكن الافتراض أن غالبية السكان الذين كانوا يعتنون بالأشجار ويجمعون الطيوب، عندما ازدهرت التجارة بين حضرموت والبحر الأبيض المتوسط قد كانوا عمالاً موسميين، وبصورة رئيسية، من المهرة وجبال قارة في ظفار" [66 ص 151- 152].

لندع جانبا المسالة غير العملية عن "الاقتصاد التعاوني" و "العمال الموسميين" ونختار الافتراض المهم من وجهة نظرنا عن اقتصاد الكهنة أو المعابد الذي تتحدث عن وجوده في اليمن لقايا علماء الآثار في بعثتنا في أطلال مدينة ريبون في حضرموت (القرن السابع قبل الميلاد - القرن الأول للميلاد). والى ذلك العصر، على الأرجح، تعود أيضاً مقابر النموذج الدلموني التي عثرنا عليها لأول مرة في سقطرى. ونأمل أن تساعد التنقيبات الأثرية في المستقبل في وضع تأريخ أكثر تحديداً لهذه الحضارة.

يمكننا أن نتحدث في الوقت الراهن وبثقة عن وحدة وتجانس ثقافة سكان الجزيرة في ذلك العصر. وتكشف الأبحاث التي قمنا بها أن مساحتها تنتشر بشكل خاص في الجزء الشرقي للجزيرة. ويدل التعاقب في مراسيم الدفن المرتبطة بعصر ما قبل المسيحية مع العصر المسيحي (في الحقيقة لا نعرف بالضبط إلى أي حد تجذّرت المسيحية هنا) ومع الإسلام في القرون الوسطى على رسوخ قاعدة هذه الثقافة. ومن المحتمل أن هجرة العناصر العرقية المختلفة إلى الجزيرة قد تمت في ذلك العصر.

مرة أخرى نستشهد بما أورده دو: " كان في الجزيرة أيضاً استيطان للهنود والأفارقة، الذين اشتغلوا على الأرجح بتجارة قطران "دم التنين" (دم الأخوين) والصبر وأصداف السلاحف. لكن هذه التجارة مع الجزيرة كانت تتم موسمياً بسبب البحر الهائج. وكان سكان الجزيرة عندما يقل الطلب على البخور يضطرون إلى التحول إلى مواردهم الخاصة - صيد الأسماك وتربية الماشية والزراعة. وربما حدث ذلك في القرن الرابع الميلادي عندما توقفت تجارة البخور في الجنوب العربي. وعلى الأرجح فان أخلاف أولئك المزارعين هم اليوم البدو السقطريون في الجبال والهضاب، حيث تقهقروا من الساحل أثناء تتابع السيطرة على الجزيرة من قبل المهريين"[66 ص 152].

تسمح مجموعة الأبحاث الميدانية التي أجريت في الجزيرة بالاستنتاج عن وجود ثقافة أصلية واحدة هنا ترتكز على قاعدة أصلية قوية. وهذا يخص بدرجة متساوية الجوانب المادية والروحية وهو ما تؤكده الأبحاث التفصيلية للنموذجين الاقتصاديين السائدين في سقطرى- تربية الماشية وصيد الأسماك. وتربية الماشية الرعوية التقليدية هي النموذج الأكثر قدماً التي ستساعد دراستها في إعادة انتشار بعض مميزات النموذج الاقتصادي لأسلاف السقطريين والشعوب الشقيقة لهم في الجنوب العربي. إن رسوخ نمط الاقتصاد هذا يدحض الاستنتاج (الذي توصل إليه بعض الباحثين، وبشكل خاص دو) ومفاده أن سكان الجزيرة الأصليين كأنما أزاحهم المهريون الغرباء إلى الجبال، وحينها اضطر المزارعون السابقون الذين زرعوا أشجار البخور في غابر الزمان للاشتغال بتربية الماشية. ويقترن تخلف اقتصاد تربية الماشية هنا بالأساليب المختلفة المستخدمة فيه وقابلية التكيف العالية مع الظروف الطبيعية الصعبة التي تكونت على مدى القرون.

إن ظروف الحياة الجديدة التي تتغير باستمرار تؤثر كثيراً على حياة مربي الماشية. فانجذابهم الجزئي في مدار العلاقات السلعية النقدية وعملية التباين الطبقي التي ستسير ولو ببطء وتزايد الضغوط على محيط السكان بسبب النمو السكاني وظهور الوسائل الحديثة للإنتاج، وارتفاع المستوى الثقافي لمربيي الماشية، كل هذا يقوض ويحطم منظومة العلاقات السائدة. وفي ذات الوقت فأن الأسر والعشائر السقطرية تتكيف مع الظروف الجديدة، وتحافظ على تقاليد التضامن والتعاون العشائري التي تترك مواقعها هنا وهناك لقيم أخرى. ومن المستبعد في المستقبل المنظور أن يستبدل الاقتصاد الرعوي التقليدي بالاقتصاد المعاصر بتقنية حديثة: إذ لا توجد المقدمات الطبيعية والاقتصادية الملائمة لذلك. وإذا تمت إصلاحات غير مدروسة لاقتصاد تربية الماشية فيمكن أن تكون لها نتائج سلبية جداً.

إن موقف العناية بتقاليد قبائل مربي الماشية من قبل السلطات يؤكد أن التحولات المدمرة من الأعلى لا تفسد هنا. ومع ذلك تظل مخاطر استنفاد المراعي والنباتات والاحتياطات المائية بسبب انعدام الرقابة على توسيع شبكة الآبار. أما فيما يتعلق بقطاع صيد الأسماك فهو مهيأ بمستوى أكبر للانتقال إلى استخدام التكنولوجيا الحديثة وأدوات العمل.

ونتحدث الآن عن التنظيم الاجتماعي للسقطريين. وكما تبين الأبحاث التي تمت فان القبائل السقطرية تمثل بحد ذاتها جماعات قبلية مناطقية، تتألف كقاعدة من عشيرتين إلى ثلاث، وسكن الجماعات العشائرية القبلية متجانس تقليدياً، ولكن يلاحظ تشتت السكان خلال السنوات العشر الأخيرة. وتتميز قبائل منفردة بأسطورة سلسلة النسب سواء أصلية أو معلنة للأسلاف. وهناك جماعات أخرى تكونت لاحقاً من عناصر مشتتة، على أساس الأرض المشتركة، وليس لها سلسلة أنساب (على سبيل المثال قبيلة حسنهو). وعند دراسة علاقات العمل الأسرية تستدعي الانتباه الخاص رواسب دور الأم وحقوقها في المنظومة القبلية والتي تدل على أن المرأة لعبت دورا معينا في تاريخ السقطريين.

تراكمت الثقافة الروحية للسقطريين في تلك العصور القديمة، التي تعود إليها المقابر المكتشفة، ولم تتمكن المسيحية أو الإسلام من تقويض دعائمها. وما زالت باقية في الفلكلور السقطري رواسب تقديس الآلهة القبلية وعبادة

القمر وتقديس الحيوانات المنزلية. وانتشرت حتى وقت قريب مراسيم ختان الأولاد حتى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر، والاعتقادات القوية في القوى الخارقة من الجن والعفاريت والأرواح وكذا التغييرات الشكلية لبعض الطقوس الإسلامية، وجميع هذا يمثل جانباً واحداً لأصالة الثقافة الروحية التقليدية للسقطريين، أما جانبها الآخر فيتجلى في دور المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية وفي حريتها الشخصية وفي العلاقات إزاءها من جانب الجماعة القبلية.

في عبد الكوري أتاحت الأعمال الميدانية العثور على مجتمع خليط من عناصر ثقافة الجزيرة وثقافة القارة، وهو يمثل حلقة وصل بين سقطرى وحضرموت.

في اليمن الديمقراطي، الذي يسير في طرق التقدم، ينتظر السقطريون المستقبل الجديد الذي يخلصهم من التخلف الموروث. ويطوي الزمن الكثير من الخصائص الحضارية في القدم لثقافتهم المادية والروحية التي تتلاشى وتنقرض. ومهمة العلماء هي أن يحفظوا للعلم ما يمكن العثور عليه اليوم في "جزيرة البخور" الفريدة.

ملحق

من التراث السقطري

(النص الأول)

رحَبْهِنْ من قشن

في قديم الزمان عاش رجل شجاع وغني اسمه (رحبهن) في "قشن" في أحد الكهوف غرب سقطرى، وعاش معه كذلك ابنه والخادم.وفي ذلك الزمن بالضبط هجم "الفرنج" على الجزيرة ونزل جزءٍ منهم في سقطرى.

أراد رحبهن أن يطرد "الفرنج"، ففكّر ملياً بما ينبغي فعله، وتدبر أخيراً حيلة تبادرت إلى ذهنه. إذ أخذ يتربص برجل وامرأة من الفرنجيين كانا يسيران لوحدهما، وأمر ابنه والخادم أن يهجما عليهما.

تم القبض على الفرنجيين، ثم أقتاد رحبهن المرأة، وغطاها بفوطة من الثياب، ثم أخفاها دون أن يلمح الرجل الفرنجي ذلك، وكان قد أعد ماعزا ليذبحه تحت تلك الفوطة بحيث يوهم الفرنجي إنما يذبح المرأة، وقام على الفور بنحر الماعز، وأخذ الدم ينساب من تحت الفوطة، وظن الفرنجي أن المرأة قد ذبحت. فيما خلع رحبهن جلد الماعز ثم أخفاه.

وفي ذات الوقت جلب رحبهن الحطب، وأضرم النار ووضع عليها لحم الماعز لطهيه مشوياً، وكأنما هو لحم المرأة المذبوحة. وهمس في أذن خادمه، أن يخلي سبيل الأسير، على أن يتم ذلك خفية عن رحبهن.

أطلق الخادم سراح الأسير الفرنجي، ومن جانبه تظاهر رحبهن بانشغاله في طهي الطعام وكأنه لم يرِ شيئاً. هرب الفرنجي مذعورا يلفه الخوف والفزع وأسرع إلى أصحابه لاهثا. أخذ يروي لهم أن السكان المحليين قد ذبحوا المرأة، ثم شووها على ألسنة اللهب وأكلوها، وأنهم أرادوا أن يأكلوه هو أيضاً، لولا أن أحد الأشخاص قد أشفق عليه وأطلق سراحه.. وهكذا تسنى له الهرب والنفاذ بجلده. ثم قال لرفاقه:

والآن اعملوا ما بدا لكم.

تشاوروا فيما بينهم لتدارس الأمر وأخيراً قرروا العودة إلى بلادهم، فركبوا على متن سفينتهم وأبحروا بعيداً عن سقطرى وإلى الأبد.

أما المرأة الفرنجية فقد اتخذها رحبهن زوجة له، وأنجبت له الكثير من الأولاد والبنات، ومنهم جاءت قبيلة قشن السقطرية.

(النص الثاني)

حكاية (ماكن)

في قديم الزمان، شُيدت على قمم جبال حَجْهَر قلعة (ماكن). وقد حكم قلعة (ماكن) عدة أشخاص، كان من بينهم رجل سواحلي فظ وقاسٍ. شرع هذا السواحلي القاعدة التالية: كل فتى غير مختون يمكن أن يصل إلى (ماكن)، لا بد أن يتحدث ويتنبأ بشيء ما. من جهته يعطيه السواحلي مهلة عام كامل، وعلى الطفل أن يأتي بعدها إليه. فإذا تحقق كل ما توقعه في حديثه فأن نهاية السواحلي قد أزفت وبنهايته ستتهدَّم القلعة.

لم يحدث أن نجح أ حد على السواحلي من أولئك الفتيان العديدين سيئي الحظ. وجميع من لم تتحقق توقعاتهم أعدموا، وهكذا كان الموت مصير كل الفتيان الذين قادهم حظهم السيئ إلى قلعة (ماكن).

في ذلك الزمن عاش شخص من قبيلة (ريغْدهُوْ) وكان لديه حفيد صغير غير مختون بعد. وفي ذات يوم ترجى ذلك الرجل حفيده أن لا يذهب إلى (ماكن).

يمكن أن تذهب إلى "حَجْهَر" وترعى أبقارنا في الأسفل، لكن أرجوك لا تدخل قلعة (ماكن).

خرج الولد باتجاه (ماكن). وفي طريقه إليها أخذ يفكر:

لماذا لا أذهب بنفسي لرؤية هذه القلعة؟ سأعرج وأسلم عليهم، إن شاء الله لن يحدث مكروه.

دخل الولد إلى القلعة فسأله حُكّام (ماكن):

هل أنت مختون أم غير مختون؟

أنا لم أختن بعد.

عندها سألوه:

من أين أنت؟

أجاب الولد:

أنا ريجدهي.

حسناً- قال حُكّام القلعة- والآن قل كلمتك، طالما أنك جئت إلينا في هذه القلعة وأنت غير مختون.

وهل من الضروري أن أتحدث؟

نعم، لا بد أن تتوقع شيئاً.

لم يكن أمام الولد إلاّ أن تحدث فقال:

سيأتون إليكم بقربة مليئة بالتمر، ولن تحرزون من أي صنف من النخيل هذا التمر.

فكر أصحاب (ماكنٍ) وقالوا:

لا زال الطفل صغيرا وغير مختون، ليس بمقدوره فعل هذا.

ومرة أخرى قال لهم الولد:

سيجلبون لكم آنية مليئة بالسمن، وحالما تفتحونها ستعطشون جميعكم.

فكروا من جانبهم وقالوا:

لا زال الطفل صغيراً وغير مختون، ليس بمقدوره فعل هذا.

ومن جديد قال الولد:

وسيقودون إلى هنا عنزةً ستقلع أضراس صاحبكم السواحلي.

فكروا من جانبهمِ وقالوا:

أنه ما زال صغيراً وغير مختون، ليس بمقدوره أن يفعل هذا.

ثم قال له أولئك الأشخاص:

هل لديك ما تريد قوله أكثر، أم أنك أكملت حديثك؟

كفى، ليس لدي ما أقوله أكثر.

إذاً اسمع- قال أصحاب القلعة والفرحة على وجوههم- لديك فترة عام كامل، عش بسلامٍ كما تريد.

اتجه الولد نزولاً عائداً أدراجه إلى جده في "ريجدهي".

هل دخلت، يا حفيدي، إلى (ماكن)؟

نعم، دخلت.

وماذا فعلت؟

قلت لهم كلاماً، ربما إنني لم أَصْدِق في القولِ - أجاب الحفيد على جده.

غضب الجد من حفيده. وأخذ الآن يفكر جيداً ملياً بعمل ما، من أجل إنقاذ حياة الطفل. وبعد إمعان في التفكير وجد مخرجاً من الورطة.

حلب عنزاته إلى الجرة ووضع اللبن على جذوة النار المتقدة ثم أخرج القشدة وجمعها وغلاها بعد أن وضع معها أزهار شجرة (صوب خير) ثم ملأ آنية بالسمن الذي حضّره للتو، ثم طمرها في الأرض.

ومن بداية موسم الحر أخذ يرش النخيل. كان يرش على ستة وسبعة عساليج منها. وعندما اقترب نضوج التمر قطع جميع الأغصان مع الأوراق وأبقى فقط التمور في العناقيد. وفي موسم جمع التمور فصل بيده كل تمرة عن العنقود ثم فرشها في ساحة لتجف بتعريضها لأشعة الشمس. بعد ذلك نظف التمور من قشرتها ونزع منها النوى ثم ملأ هذه التمور في قربة كبيرة.

وكان لدى الجد عنزتان على وشك وضع حملهما، واحدة في "دي شهص" والأخرى في "ريدجهي" ووضعت كل منهما جديا (أنثى) فذبح أحدهما وأبقى الآخر حياً ترضعه العنزتان معاً لكي ينمو قوياً وكبيراً.

اقترب الموعد المحدد، فطلب أرباب القلعة الفتى لمقابلته والنظر في أمره. قال الجد لحفيده:

خُذ الآنية والقِربة واذهب إلى (ماكن). أخذهما الفتى وذهب. أوقفه الجد وقال له:

انتظر.. عليك أن تخفي ما معك تحت ثيابك، ولا تنظر بأي حال من الأحوال إلى حواليك، طالما أنك لم تصل إلى داخل القلعة، وحتى تتيقن أن العنزة وأنت في وسطها بالضبط. وعندما يظهر لك أن راعيها في نفس مستوى قوائم الباب حينها انطق:

تُحطم هي القلعة الحصينة
دخل هو، لكي يجد تلك التي أرضعتها عنزتان
في "ديشهص" ربتها تلك التي لم تترحل
أمطرت السماء وغدا الجو أبرد من النجوم
وبعد ذك فقط يمكنك أن تلتفت إلى العنزة.

سار الغلام في طريقه، وحين بلغ منتصفها أخذ يفكر ويسأل نفسه:

لماذا لا ألتفت لأعرف هل تسير العنزة ورائي أم لا ؟!.

وبمجرد ما التفت إليها حتى أخذت ألعنزة تجري إلى الخلف وعادت أدراجها إلى البيت. فاضطر الصبي أن يعود إلى جده. كان العجوز بفطنته قد أدرك ما حدث، فقال للطفل:

لا شك إنك التفت إليها قبل أن تصل إلى نفس المكان.

أجاب الطفل:

نعم نظرت إليها.

وفي اليوم التالي أرسل معه عنزته وأنذره مجدداً قائلاً:

الآن، حذار أن تعاود الالتفات قبل أن تصل إلى المكان.

ومن جديد سار الصبي في طريقه، متبعاً تعليمات جدّه، حتى بلغ قلعة (ماكن). وحين بلغ المكان أخذ يردد بصوته تلك الكلمات التي أملاها عليه جده:

تحطم هي القلعة الحصينة

دخل هو، لكي يجد تلك التي أرضعتها عنزتان

في "ديشهص" ربتها تلك التي لم تترحل

أمطرت السماء وغدا الجو أبرد من النجوم

وعلى الفور التفت وتطلع في العنزة. ففزّت العنزة مندفعة بشكل جعلها تحطم الدعائم التي تسند سقف ماكن. فأسرع أرباب القلعة للقبض عليها، ثم قطعوا رأسها. أخذ السواحلي يلعق شفتيه من اللذة ولم يسعه صبراً لأكل لحمها طازجاً. خلعوا جلد العنزة، ثم فصلوا الرقبة وأعطوها للسواحلي القوي. أخذ الرقبة ووضعها في جانب فمه وغرز فيها أسنانه فتساقطت من فمه على الأرض فوراً. وما أن تساقط أسنانه من جانب فمه حتى أعاد الرقبة إلى الجانب الآخر وأنشب فيها مرة أخرى أسنانه المتبقية، لكنها لم تبق في مكانها إذ سرعان ما تساقطت هي الأخرى من فمه على الأرض.

وفي ذات الوقت قطع أرباب ماكن القرية وتطلعوا إلى ما فيها من تمور، فلم يستطع أحد منهم أن يعرف أي من أي صنف من النخيل جاءت تلك التمور الغريبة.

ثم أحضروا الآنية ونزعوا عنها الغطاء. وما أن فتحوها حتى صدمت أنوفهم الرائحة المنبعثة منها فعطسوا جميعاً على الفور.

وهكذا فإن غلام "ريغدهي" أوفى بما وعد به. ثم نفّذ أرباب القلعة الحكم الذي كانوا قد أصدروه بأنفسهم، وقطعوا رأس السواحلي. وفي ذلك اليوم كانت نهاية ماكن. وكانت فرحة الغلام كبيرة جداً لا تُضاهى.

(النص الثالث)

الزوجة الوفية والكذابون الثلاثة

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان، تزوج رجل وعاش مع زوجته في رغد ورفاهية وسعادة، قبل أن تحل بهما الكارثة. إذ ابتُلي الناس بالقحط والمجاعة، وأضحى ذلك الرجل فقيراً. وذات مرة قال لزوجته:

لتبقي أنتِ في البيت، وسأسافر لأجرب حظي في المهجر.

أجابته زوجته:

سافر، وليوفقك الله.

غادر الرجل في طريق بعيدة، أبحر طويلاً في البحر، فوجهه الله إلى تلك البلاد التي وصل إليها، وهناك استقر بعد أن وجد عملاً وفق فيه ونجح.

في يوم من أيام الله، تناهى إلى مسامع ثلاثة رجال من سكان تلك القرية، التي تعيش فيها زوجة ذلك الرجل، أنه قد أصبح غنياً، فحسدوه على ذلك. تناقشوا فيما بينهم وفكروا فيما ينبغي أن يعملوه، ثم قرروا: لنسيء إلى زوجته. حسناً، ليذهب إليها أحدنا.

اختاروا أكثرهم وسامة وكياسة ولباقة، فذهب إلى تلك المرأة، فاستقبلته كما ينبغي، وقدمت له القهوة، ثم بدأ بمراودتها عن نفسها، فقالت له:

لست مستعدة الآن، لا بد من ترتيب البيت وإعداد نفسي: أَغتسل وأَتطيَّب، تعال في الغد إلى هنا في مثل هذا الوقت.

فرح الرجل كثيراً، ولم يهدأ له بال، في انتظار مساء اليوم التالي، ليذهب إلى المرأة، كما تم الاتفاق معها.

من جانبها سارعت المرأة مباشرة إلى طبيب شعبي وطلبت منه مسحوقاً يفقد الإنسان الوعي ويغمي عليه، وكانت قد عرفت أيضاً كيف يمكن أن تخصي الرجل.

عادت إلى البيت وأعدت العقاقير ومزجت ذلك المسحوق بالشراب، وكانت قد رتبت البيت، ولبست الثياب وتدهنت بزيت عطري، وتعطرت. وفي الوقت المحدد جاء الرجل فرحاً، ورأى أن كل شيء في البيت يتلألأ، وتعبق المرأة بالعطر والبخور. فبدأ بإغرائها، وأحضرت له كأساً بالعقاقير وناولته قائلة:

اشرب الكأس، لكي تكون لك القوة الرجولية.

وما أن شرب الكأس حتى خر صريعاً مغمياً عليه، فأخذت المرأة السكينة وأخصته، ثم دهنته بعقاقير طبية.

استيقظ الرجل في الصباح، وحين شاهد نفسه أصيب بفزع شديد، وأدرك أنه فقد رجولته، إذ لم يبق لديه شيءٌ في ذلك المكان. بل أنه متورماً. خرج من البيت، وفي الطريق قابل واحداً من أصحابه فأخذ يسأله عن ما تم له مع تلك المرأة، فأضَلّه الرجل بالقول:

كل شيء جرى على ما يرام، فما أن وصلت حتى عملت كل شيء كما أردت.

حسناً سأذهب إليها في الغد. قال الثاني فرحاً.

من الأفضل أن تذهب الآن- قال له الأول- لتحدد لك موعداً في الغد بعد غروب الشمس.

ذهب الثاني إلى المرأة الوفية، فضيفته بالقهوة، وتكرر بينها وبينه ذلك الحديث مثلما جرى مع الأول. وحددت له موعداً في نفس التوقيت من مساء اليوم التالي، ومثلما قالت للأول كررت قولها بأنها ستستعد لاستقباله كما ينبغي.

جاء الثاني في الموعد المحدد، فرأى أنها قد نظمت البيت، وتزينت، وتعطرت، فارتاح لذلك، وأعطته الكأس بالعقاقير فشربه بسرور، وسقط فاقداً شعوره، ثم قامت هي بخصيه، كما فعلت بالأول، ثم وضعت ما اقتطعته من الاثنين في آنية خاصة ورشت ذلك بعقاقير طبية تسمى "كفر الأحياء"، ولم يستيقظ الرجل إلاّ في الصباح، وحينما رأى ما حل به ارتَعَب، وخرج عائداً إلى بيته.

صادف صاحبه الأول وغدا واضحاً لكل منهما أن ما حدث قد شملهما معاً.

فسار الاثنان إلى الثالث، وحين سأل عن كيف جرت الأمور مع المرأة، أجاباه:

لا تسأل، كل شيء سار على أحسن ما يكون، اذهب حتى لا تفوتك الفرصة.

ذهب الثالث إلى المرأة، وتكررت معه نفس تفاصيل القصة التي حدثت للاثنين. وهكذا أخصت المرأة جميع الرجال الأشرار الثلاثة.

اجتمع الثلاثة معاً، وفي نهاية الأمر أفصح الأول والثاني عن ما جرى لكل منهما واعترف الثالث بأنه قد حل به نفس المصير أيضاً.

حزنوا كثيراً، ولم يكتفوا بما حدث لهم، بل قرروا أن يثأروا لأنفسهم من تلك المرأة بأية طريقة. فكروا وتناقشوا وفي النهاية قال أحدهم:

لنذهب إلى زوجها، وليرفع أحدنا دعوى ضده في كل أمواله وجميع ممتلكاته، ويكون الاثنان الآخران شاهدين، يحلفان أنهما يقولان الحقيقة.

فرح الثلاثة، وعزموا على فعلتهم السوداء، وانطلقوا في طريقهم. من جانبها أدركت المرأة بفطنتها أنهم ينوون عمل شيء ضد زوجها. فلجأت إلى حيلة، إذ قصت شعرها ولبست ثياباً رجالية، بحيث تبدو في هيئتها وكأنها رجل، وسافرت على ظهر مركب فوصلت إلى ذلك البلد حيث يعيش زوجها قبل وصولهم.

ذهبت مباشرة إلى منزل الحاكم، فسألها، وكأنه يخاطب رجل:

من أنت؟ ومن أين جئت؟

أنا سيد من الأتقياء- أجابت هي بصوت رجولي متصنع.

أبقى الحاكم على ضيف الشرف هذا عنده في البيت، وقدم له كل ضروب الضيافة. وفي يوم من أيام الله، وصل أولئك الثلاثة إلى هناك، فذهبوا مباشرة إلى القاضي، وسلموه بلاغاً ضد زوج المرأة الذكية. كانت هي في ذلك الوقت في بيت الحاكم في هيئة سيد تقي. استدعى القاضي الزوج وأخذ يبت في قضيتهم. أقسم الشاهدان أن الأموال والممتلكات جميعها تعود للمدعي.

هنا خرج السيد على الفور من البيت متجهاً إلى القاضي. قال السيد المتصنع:

أنا سيد، وكل شيء واضح لي. تأكدوا من هؤلاء لثلاثة " أليسوا مخصيين" حتى يمكن الاعتماد على شهادتهم وفقاً للقانون.

وبالفعل تبين للكل أن هؤلاء الثلاثة جميعهم مخصيين، فأمر القاضي بإيداعهم السجن وإطلاق سراح الزوج وبطلان دعواهم. وهنا قال الرجل لزوجته وهو يعتقد أن يخاطب سيداً:

الحمد لله. لقد أنقذتني أيها السيد.. والآن قل لي ماذا تريد مني، سأعطيك ما تطلبه؟.

إذا كنت ستفي بوعدك، اقترب لأهمس لك بطلبي.. تنازل لي عن زوجتك أريد أن أتزوج عليها- قالت زوجته ذلك وهي في هيئة السيد.

اغتاظ الرجل لهذا الطلب غير المتوقع وهم أن يرفع يده ليلطم بها وجه السيد.. لكنه تمالك وقال له:

خذ أغلى ما أملك، وحتى اقلع عيني، أما زوجتي فلن أعطيها لأحد.

فرد السيد المزعوم بقوله:

حسناً. اهدني إذاً خاتم الزواج.

خلع الزوج الخاتم عن أصبعه وأعطاه السيد، ثم سافرا سوية على سفينة واحدة باتجاه سقطرى. وعند الاقتراب من الشاطئ قالت الزوجة لزوجها وكأنها السيد الذي يعتقده:

سأمر لزيارتك في البيت وأريد أن أرى زوجتك.

وفور وصولهما إلى الجزيرة تقدَّمت المرأة زوجها في الطريق وكأنها تحث الخطى مسرعة إلى المسجد لأداء الصلاة، وفي الواقع فأنها استعجلت إلى البيت وتمكنت أن تصل إليه قبل زوجها. فوجدت ابنتها الوحيدة التي أبقتها في البيت وطلبت منها أن تنظف البيت بسرعة وترتب نفسها كما ينبغي، فيما أخذت هي في تلك الأثناء تغير ثيابها وتستعيد هيئتها السابقة.

وصل الرجل إلى البيت، وقابل زوجته وكأن شيئاً لم يكن. وبعد أن سلم عليها قال لها:

لقد جاء معي أحد السادة، وهو الذي أنقذني من الإفلاس. حضرِّي عشاءً طيباً فسوف يصل إلينا بعد قليل.

انتظروا السيد.. وطال الانتظار..ولم يصل أحد. تناولوا عشاءهم بدون الضيف المنتظر، ثم استلقوا على الفراش، وأخذ الرجل يقص لزوجته كل ما حدث. وعند ذلك أخرجت الزوجة الخاتم وأحضرت الآنية التي حفظت فيها ما اقتطعته من الرجال الثلاثة وحكت له عن كل شيء من أمرها معهم.

اندهش الزوج، فقال لها:

قولي لي، كيف يمكنني أن أكافئك على كل هذا؟

لقد كافأتني عندما رفضت أن تتنازل عن زوجتك لشخص آخر.. وهذا يكفيني.

(النص الرابع)

حكاية علي بُوطيري با نواس

عاش في إحدى البلدان "علي بوطيري " الذي اشتهر بحكمته وحكاياته.

عاشت هناك أيضاً إحدى النساء، وكان لديها ولد. وذات مرة جاء إلى هناك تاجران غير شريفين من بلاد أخرى. وأرادا الضحك على الولد. فقالا له:

إذا تدخل البحر وتظل واقفاً في الماء من المساء حتى الصباح، فأنك تستطيع أن تأخذ كل ما نملكه.

أراد ابن المرأة المسكينة أن يغتني، فصدَّق التجار، رغم تخوفه من الماء البارد. وطلب منهما أن يسجلا ما وعداه به على ورقة ويوقعان عليها. وسلّماه الورقة مع توقيعهما.

وما أن آلت الشمس إلى المغيب، حتى مضى الولد إلى البحر وولج في الماء حتى بلغ رقبته. أما أمه العجوز فبقيت على الساحل تراقب ابنها وأوقدت شعلة النار وجلست تدخن النارجيلة (المداعة).

ظل الفتى واقفاً حتى الصباح في الماء البارد للبحر العاصف، فبرد حتى العظم، وكاد أن يتجمد، بيد أنه مع ظهور أشعة الشمس في الصباح أخذ يدفأ، ثم سار إلى التاجرين، وقال:

هاتوا نقودكما التي وعدتماني بها.

رد عليه الغشاشان:

لكنك لم تنفذ الشروط، لأن أمك جلست طول الليل توقد اللهب على الساحل فأدفأتك.

اعترض الفتى، قائلا:

كيف يمكن أن تدفئني اللهب، إذا كنت أنا في الماء البارد داخل البحر والنار بعيداً على الشاطئ؟!

أجاب المخادعان بلغة تهديد:

إذهب من هنا سالماً، فأنك لن تستلم شيئاً.

تكدر الولد وحزن، لأنه ظل طوال الليل في الماء البارد، فذهب إلى "علي بوطيري" يشكو ما جرى له من الخداعين. فوجد الشيخ على الشاطئ، وقال له مخاطبا:

ساعدني في مشكلتي أيها الشيخ.

وما هي مشكلتك أيها الولد؟.. هات حدثني.

أخذ الفتى يروي ما جرى له:

جاء إليَّ رجلان، ووعداني أن يعطياني كل ثروتهما، إذا استطعت أن أظل واقفاً في مياه البحر حتى مستوى رقبتي طوال الليل، من المساء إلى الصباح. فوقفت في المياه الباردة حتى الصباح. أما أمي فقد أوقدت النار على الشاطئ وأخذت تدخن المداعة. وفي الصباح ذهبت إلى هذين الرجلين، وطالبتهما بنقودي فرفضا. بل ادَّعيا أن أمي كأنما كانت تدفئني بنار اللهب الذي أشعلته في الساحل.

تساءل "علي بوطيري":

وهل أخذت منهما توقيعاً كتابياً بالوعد؟

نعم أخذت. أجاب الفتى، وأخذ الورقة من جيبه وسلمها للشيخ، فأخذها "علي بوطيري" وقال:

طيب.. إذهب الآن.

سار "علي بوطيري" ووجه الدعوة لجميع سلاطين ووزراء وقضاة تلك البلاد يدعوهم للتفضل في اليوم التالي لتناول الغداء في بيته. وفي ذلك اليوم نُحرت عشرات الأغنام وأحضر الحطب وعدد من قدور الطهي.

أمر أن يضعوا اللحم في قدور ويتركونها في مكان واحد، وأن يضرموا النار في مكان آخر، بعيداً عن القدور بعشرين خطوة.

جاء الضيوف موعد الغداء، وانتظروا متى سيقدم لهم الطعام.. وها قد مرت ساعة.. ثم ساعتان.. ثم ثلاث ساعات بعد الظهر، واشتد بهم الجوع، ولا أثر للطعام.

ألقوا نظرة، فرأوا أن النار تُوقد في مكان، بينما قدور اللحم في مكان آخر. فسألوا رب البيت:

كيف بالله يا شيخ علي يمكن أن يُطهى طعامك إذا كانت النار بعيدة عنه هكذا ؟!.

أجابهم "علي بوطيري":

ماذا؟ هل يعني أن اللحم لم ينضج؟

كلا لم ينضج، أجابوا جميعهم. وهنا كرر الشيخ الحكيم تساؤله:

هل أنتم واثقون من أنه لم ينضج؟

تعجب الضيوف، فردوا:

بالطبع واثقون أنه لم ينضج، ولن ينضج أبداً بهذه الطريقة.

عند ذلك قال لهم الشيخ الحكيم "علي بوطيري":

وكيف يمكن إذاً أن تدفئ الولدَ الواقف بعيداً في لج البحر شعلةُ النار المتوهجة بعيداً عنه في الساحل؟، ثم عرض عليهم توقيع أولئك التاجرين. وما أن رأوا ذلك التوقيع حتى أمروا بأخذ كل ما لديهما من النقود وتسليمها للولد.

(النص الخامس)

الترجمة الحرفية:

سيكهي:
صَبع لي هُوز جبل
نار بيْدُو الإلوف
يَد ولشَان اشتعلك
يجو بازانك قهرا
صُبع:
قَهرا بيد الله
وبرأس الحكمة
وهات السلطان الروم
عن تسيكي أصالاك

الترجمة الحرفية:

سيكهي:
الاصبع لا تزعزع الجبال
النار في يده لا تصمد
باليد واللسان تشتعل
أنا سأخضعك بالقوة
صُبُع:
القوة بيد الله
وفي رأس الحكمة
أما أنت سلطان روما
فمن سيكهي سُلالتك

هذا النموذج الشعري ينتشر بشكل واسع في الجزيرة، حيث يكثر الشعراء الشعبيين. حصلنا على النص من الشاعر علي عبدالله ريدجهي. هنا يتناظر شاعران شعبيان، أحدهما لقبه (سيكهي) أي من عشيرة سيكهو وهو مسمى

قرية في ذات الوقت. والآخر بلقب صُبع. يسخر سيكهي من خصمه المنافس محاولاً أن يثنيه عن المواجهة كما ينبغي في الظروف المماثلة: الخصم غير قادر أن يهزِ الجبال (أما هُو فكأنما بإمكانه ذلك)، ولا يمكنه إيقاد النار(تقليديا يتم الحصول على النارى بطريقة احتكاك العصي وتتطلب قوة وعقل) ويستطيع فقط الثرثرة بالكلام والتلويح بالأيدي (وهذا ما يعلمونه عند تأدية الأشعار) وتلتهب هكذا من الحركة السريعة.

ويفخر سيكهي أنه يستطيع بقوته أن يقهر من يعارضه بالكامل.

في هذا الوضع الساخر حيث التفوق على الخصم يمكن بلوغه ليس فقط بمدى الشتم والنكتة التهكمية ووقاحة التباهي، ولكن بالأسلوب الجدلي غير المألوف والحذاقة التي تكذب الخصم بسرعة، وبالهزل والفكاهه.

في هذه الحالة فإن صَبع، ببدورره، لم يتفاخر بالقوة أو بالمقدرة على زعزعة الجبال، لكنه قالإن الله هو من بيمتلك القوة الحقيقية، أما الإنسان فإن قوته الحقيقية تنحصر في عقله، ويسعى لاخماد إطراء الخصم. ويضيف أنه ليس سلطان روما، أي بيزنطة (رمو العظمة)، وإنما هو بدوي فقط من عشيرة سيكهي.

الملاحظ هنا، كما يبدو بشكل عام، تستخدم في الحديث الشعري (باستثناء بعض الأنواع) كثير من الكلمات المقتبسة من اللغة العربية.

(النص السادس)

النص بالصيغة السقطرية:

تنتهـوين برهــاتن
طي عن طي قنهياتن
وشـخار انتهوين داهن
دوعت عن طايتدشن

ترجمة النص:

تختلف الأمهات
الواحدة عن الأخرى كمربيات
أما المسلحون فيختلفون بالعقل
وبالتفكير الواحد عن الآخر

هذا الشعر الوعظي القصير، الذي وصفه محدثنا علي عبدالله ريجدهي بالقديم جداً، كتب بالطابع الشعري السقطري التقليدي. وينقسم بوضوح إلى جزئين، ومثل هذا التركيب يوجد غالباً في النتاج الفلكلوري لهذا الفن.

في الجزء الأول يتحدث عن أن النساء يختلفن في تربية أولادهن، ولهذا، وكما أوضح محدثنا "فلدى إحداهن ينشأ الأولاد تنشئة طيبة، ولدى أخرى تنشئة سيئة". وهنا يسترعي النظر ليس المعنى المجرد للمقدمات: الأطفال يولدون متشابهين، لكن التربية تجعل منهم إما جيدين أو سيئين.وهكذا فإن ما يميِّز النساء الواحدة عن الأخرى هو كيفية قيامهن بتربية وتنشئة أولادهن.

وفيما يخص الرجال "حملة السلاح" الذين ورد الحديث عنهم في الجزء الثاني من الشعر، فأنهم أيضاً يتميزون عن بعضهم البعض. ولا غرابة أن يأتي الحديث عن الرجال في المرتبة الثانية، ومن كل بد فإن الاختلاف بينهم تحتمه التنشئة، وكأنما هم نتاج لاختلاف النساء المربيات. ولكن الرجال يختلفون بعضهم عن بعض بطبعهم وعقلهم وصفاتهم الخلقية، وكل هذا، كما أوضح محدثنا، تحدده سلوكياتهم.

(النص السابع)

الختان "مقطع حوار"

مبارك:

- حان موعد ختان ولدي، قريباً سيغدو كبيراً، ونريد أن نجتمع. لا بد أن نبعث إلى أقربائنا ممن لديهم أبناء. إلى عيسى وعلي وعثمان لكي نتفق على اللقاء يوم الأربعاء. الماشية سنذبحها في يوم الجمعة، وفي يوم السبت سننهي العيد. نلتقي لنتفق كم سيقدم كل واحد من أجل العيد. أنت ستقدم عشرة رؤوس وعشرة أوعية من السمن وأربع قَرَب من التمور. وأنت عشرة رؤوس وأربعة أوعية سمن وأربع قِرَب تمر. نجتمع في الساحة في وقت صلاة الظهر. أرجو أن لا تتأخروا، احضروا في الوقت المحدد، بل اسرعوا. وسنذهب إلى عشيرة دعرهو وعشيرة شعبهو لدعوتهم، فمن الأفضل أن يحضروا عيد ولدي ويرون كيف سيتزوج على ابنة أخي، لا بد أن يكون عيداً كبيراً. وأنتم أيضا اطلبوا من الجمييع أن يجعلوا كل شيء على ما يرام.

سالم:

- حالما ستعمل له العيد سنُعَيّد نحن أيضا.

محمد:

- نريد أن يقدم كل شخص بقرتين وعشرة رؤوس أغنام (ماعز وضان).

سالم:

- ومن كل واحد ستة أوعية من السمن وست قِرَب من التمر.

مبارك:

- لا، لا، هكذا لا يمكن أن يحصل، لأنه سيكون عيداً كبيراً جداً. ليس من الضروري أن يحضر الكل لأن عدد الناس سيكون كثيرا جداً.

علي:

- لا، وهل أبقيت لنا شيئاً نحن أقربائك، فمن غير الجيد أن نبقى بدون عيد.

مبارك:

- بالتأكيد. ولكن أنتم، وكذا آخرين أيضاًستشاركون في أعياد كثيرة، فالبنات لدينا كثيرات اللاتي سيتم تزويجهن.

علي:

- ولكننا أقرب الناس إليك.

مبارك:

- يمكن لعيسى فقط أن يحضر بقرة وعشرة رؤوس من الماعز.

سالم:

- بقرة وخمسة عشر راساً من الماعز.

مبارك:

- لا، لا. لا تجلبون أكثر، حسناً يمكن أن يجلب كل واحد بقرة وعشرة رؤوس من الأغنام، وهذا يكفي. حان الآن التأهب والاستعداد. هيا، هيا، لنتشاور مع العُقّال. وجميع من يأتي من جهتي سنشبعهم على الغداء.

علي:

- نعم، ومن سيحضر معنا فسوف يتناولون غداءهم معنا، ومن غير الضروري إطعامهم على حده.

مبارك:

- بالنسبة لأولئك الذين سيحضرون مساءً فسوف نتقاسمهم. أما الذين من عشيرة قمهر فسيُعطون عشرة من جلود الماعز ورجل من لحم بقرة وجنوب خمسة من المعز. وكذا عشيرة البيض من قبيلة حرافيهن تُعطى بنفس المقدار. وبالمثل عشائر كاليهو وشعبهو. وبقي كم من عشيرة بيت مالك؟ أثنين أو ثلاثة؟.

محمد:

- ثلاثة فكم سيُعطى لهم؟

مبارك:

- على هكذا يُعطى لهم قِربة ونصف من التمر وبالمثل من السمن.

سالم:

- يكفي بالنسبة لهم قِربة واحدة.

مبارك:

- لا، لا . قرية ونصف.

سالم:

- يكفي قِرية واحدة، يوجد أيضاً الكثير من السقطريين. تمهلوا . .تمهلوا .

علي:

- بقيت أيضاً عشيرة لي- مين- عَدهَا و جيسفو، سيذهب للي- مين- عَدها سفرة (رز ولحم) لأنهم غرباء، أما جيفسو فلا شيء.

مبارك:

- حسناً، يُعطى لهم قِريتين وآنيتين من السمن وعشرة رؤوس كبيرة من الماعز.

علي:

- وماذا عن لي- مين- عَدها ؟

مبارك:

- لي- مين- عَدها سيحصلون على خمس سُفر. والآن اذهبوا، وسنلتقي فيما بعد. لنتاول الآن الغداء، اطعموا أولادكم ونساءكم، وبعد ذلك خذوا الطعام واحملوه إلى الساحة، فبعض الضيوف سيحضرون ليلا

سالم:

- ساعدنا يا الله، كي يسمع أكبر عدد عن عيدنا .

مبارك:

- كذلك سيحضر الجنود والموظفين وكل المدعوين.

سالم:

- يجب أن يقدم لهم لحم بقري.

مبارك:

- لا سنضيفهم بلحم الماعز، لأن لحوم البقر قاسية. وليكن فلنضع لهم لحم بقري مع لحوم الماعز الصغيرة مع بعض. والآن إلى الساحة..إلى الساحة. وهناك لننظف ونلاحظ ما يجلبون من الحطب. أما الأطفال فحان أن يلبسوا ثياباً جميلة.

محمد:

- ليحلقوا شعرهم من اصداغهم، وليعلمونهم كيف يتصرفون ويتجهون إلى الصخرة.

مبارك:

- هكذا علموهم كيف يتصرفون ويثبتون، ولينظر إليهم ميزيدخير.

محمد:

- وهل رايت ميزيدخير؟

مبارك:

- نعم، رأيته.

محمد:

- وهل سيكون الختان في الساحة أو في البيت؟

مبارك:

- طبعاً، في الساحة! ولماذا إذا يقام العيدو غدا لم يتم الختان في الساحة وامام الجميع. هيا لنغني سبوتيكا هيدون إيدون.

سالم:

- هل سمعت قصيدة الناس من قبيلة قمهر؟ وماذا يغنون فيها؟

مبارك:

- نعم، سمعت قصيدة رائعة، أقسم بالله.

سالم:

- أنت تثني عليهم.

مبارك:

- اعطوهم طعاماً بزيادة، أظهروا لهم حسن الضيافة، وهم سيقدرون ذلك في الغناء.

محمد:

- لي- مين- عَدها غاضبون.

مبارك:

- غير ممكن، وماذا يريدون؟

سالم:

- وهل سمعت قصيدتهم؟ وماذا يقولون فيها؟

مبارك:

- ضاعفوا لهم اللحم.

سالم:

- وقصيدتهم هل سمعتها؟

مبارك:

- لا، لم اسمعها.

سالم:

- هم يغنون إن أحداً لم يقف عندهم، ولم يسأل عليهم احد.

مبارك:

- يه.. ليرد عليهم عبدالله ماسفيات بقصيدة، هيا يا ابن أخي.. اسكرهم بسرعة.

محمد:

- لتبحثوا عن عبدالله ماسفيات.

مبارك:

- ردوا عليهم بقصيدة، ولتعطوهم ماءاً من المصل والشاي.

محمد:

- هيا، فها هو الفجر ينبلج، توقفوا، توقفوا. صباحك خير أيها العجوز.الآن يجب إجراء الختان.

مبارك:

- أين الأولاد، احصروا كل من سيتم ختنهم.الفجر ينبلج ليساعدكم الله. كم ستظل تماطل؟ صباحك طيب أيها العجوز، اصرف عنك الفجر. أين ميزيدخير؟ صلوا على النبي.

ميزيدخير:

- ليكن الله معك.

مبارك:

- ومعكِ أيضا، ميزيدخير. انتبه، كُن حذراً، لا تجرحهم، وكن لطيفاً ويقظاً مع الأولاد.

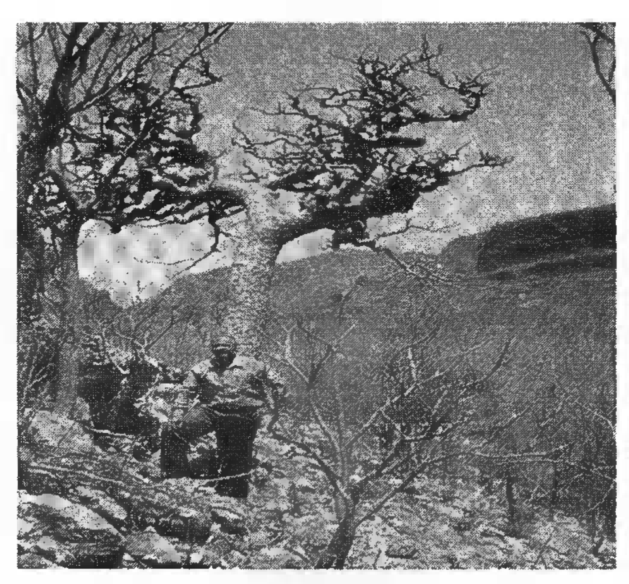
ميزيدخير:

- ليقفزون إلى الصخرة، الجلوس لا يرغب به الطفال بأي حال من الأحوال.

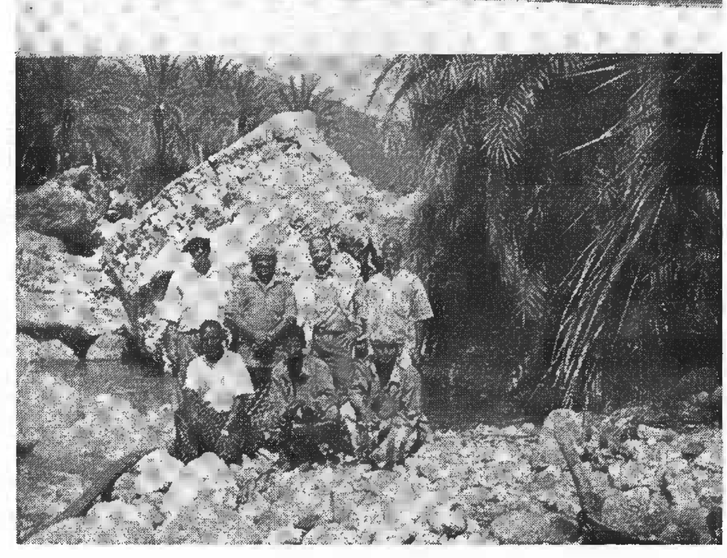
مبارك:

- حقا، حينما يتم ختن الأولاد فأنهم سيقفون بثبات ويكبرون.

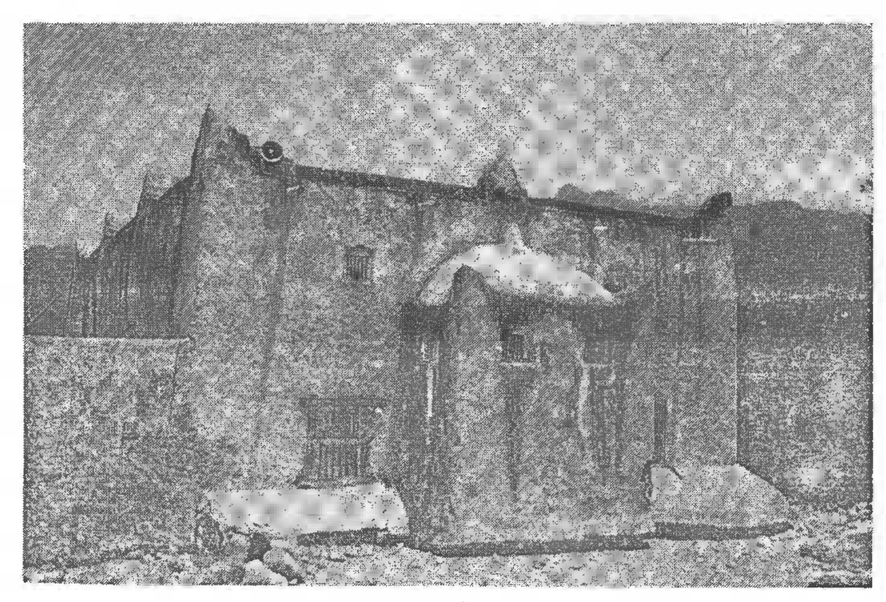
ألبوم صور رحلة المترجم



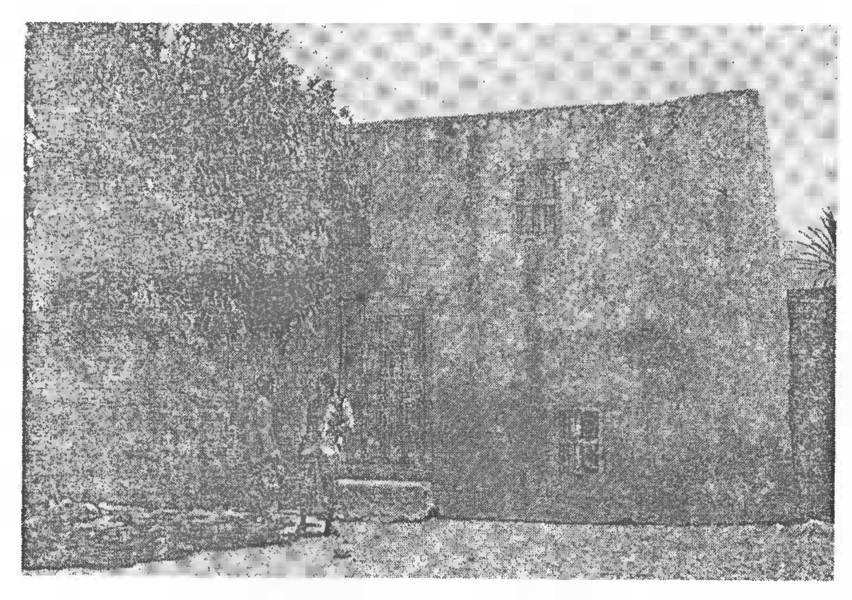
طبيعة سقطرى



مع السقطريين في إحدى الفجاج الجبلية



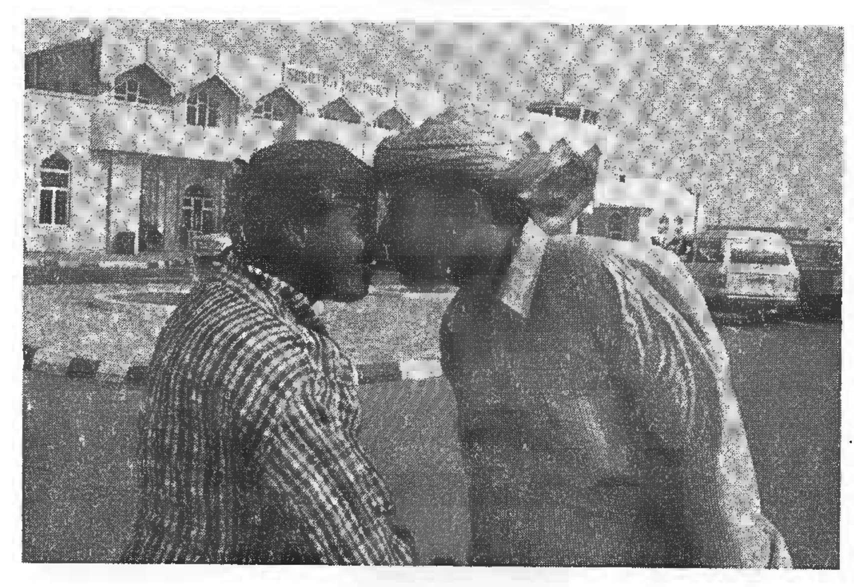
المسجد



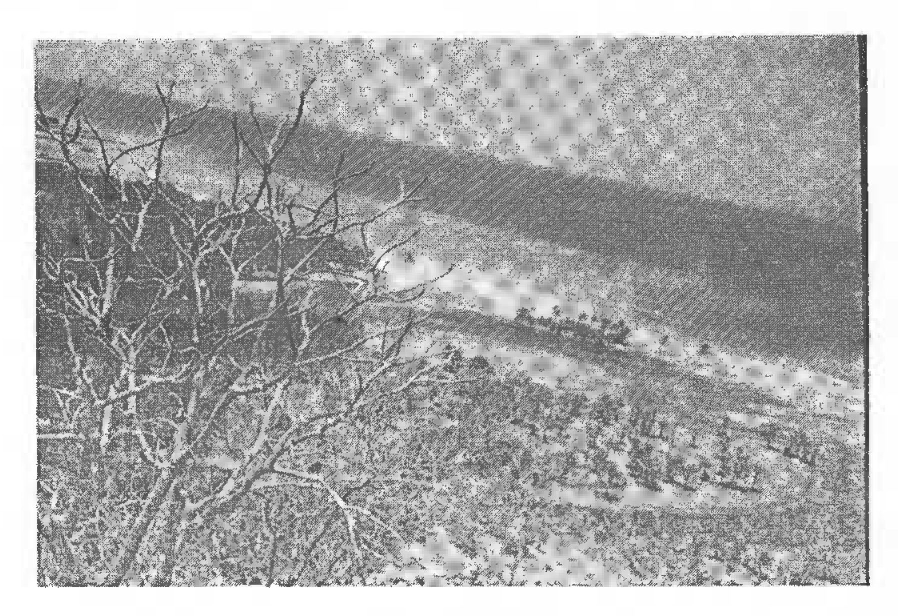
بيت السلطان



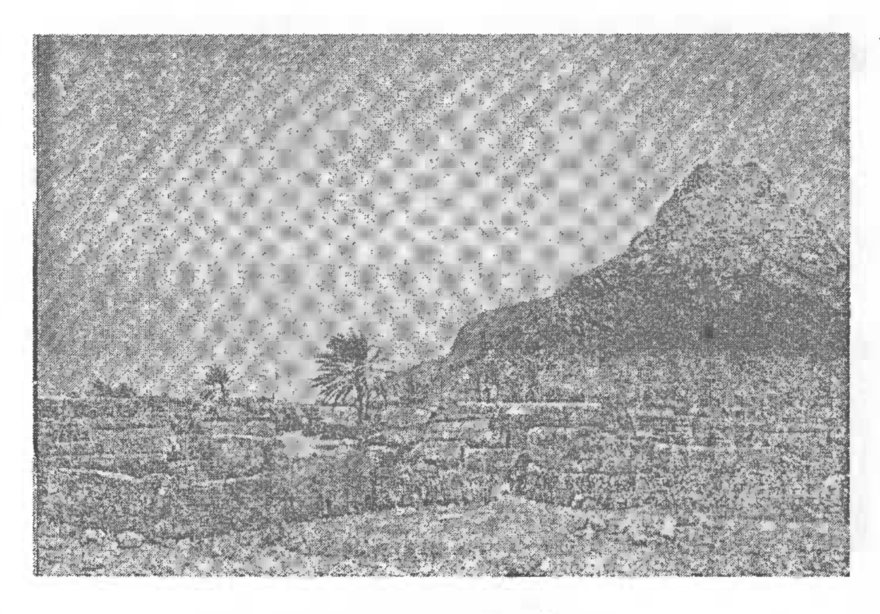
مطار سقطرى



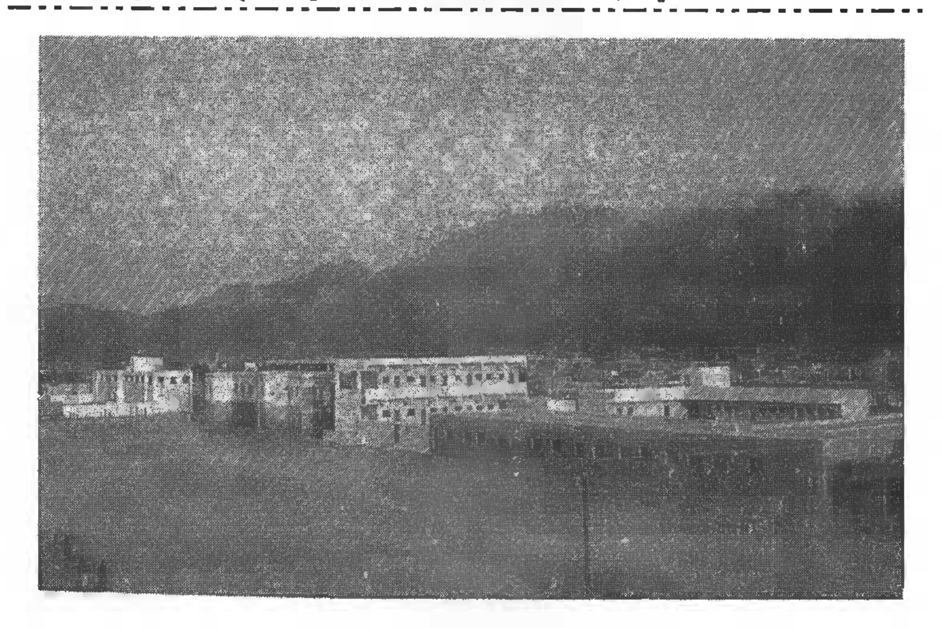
تحية السقطريين



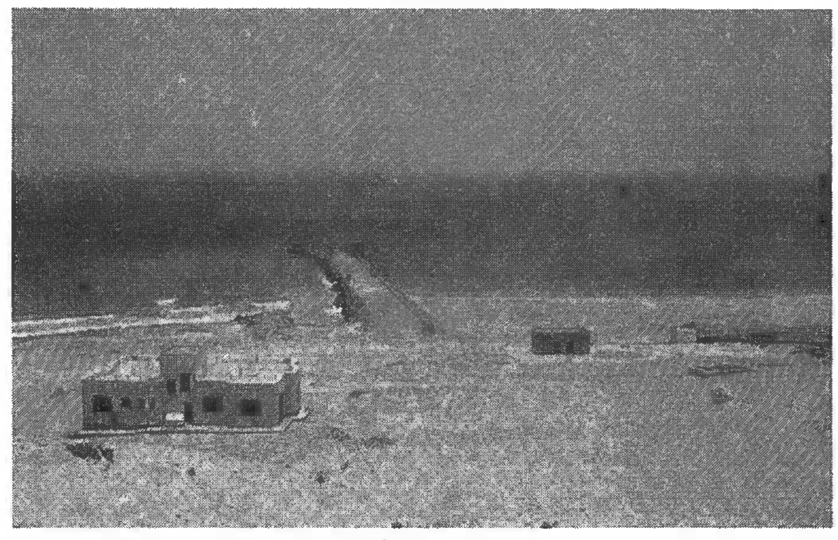
منظر من ساحل حديبو



قرية من ضواحي حديبو



منظر من حديبو وتبدو جبال حجهر في الخلف



اللسان البحري في أطراف حديبو

قائمة المراجع

1- أندريانوف. ب.ف: السكان الرُّحّل في العالم، موسكو، 1985م.

2- أحمد بن ماجد: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، موسكو،1985م

3- بورسوك. أ.أ: تأثير عوامل التعرية في الجزر الجزر على تطور الشواطئ- الشاطئ البحري، موسكو، 1982م (قضايا الجغرافيا، العدد 119).

4- بروملي. ي. ف: دراسات في نظرية الأثنوس. موسكو، 1983م.

5- بروملي. ي.ف: قضايا أثنوغرافية معاصرة- دراسات نظرية وتاريخية، موسكو،1981م.

6- بروملي. ي. ف، كاشوبا. م.س: الزواج والأسرة لدى شعوب يوغوسلافيا. موسكو، 1981م.

7- فولغين. ف.ب: أسلاف الاشتراكية المعاصرة. مجلد 1، موسكو 1928م.

8- غيمويف. إ.ن: الأسرة في سيلكوبيا(القرن 19- مطلع القرن 20)، نوفاسيبيرسك، 1984م.

9- غيرودو. التاريخ. لينينجراد، 1972،

10- غلازوفسكايا.م.أ: التربة في البلدان الأجنبية.موسكو 1983م.

11- ديبتس.غ.ف: إسكان جنوب آسيا حسب المعطيات الأنثروبولوجية. موسكو 1952م

12- دياكونوف.إ.م، ناؤمكين.ف.ف، بروخومفسكي.ف.ي: لغة واثنوغرافيا سقطرى. موسكو،1081م.

13- زلوتاريف.أ.م: التركيب القبلي في الأساطير البدائية. موسكو، 1964م.

14- زوبوف. أ.أ: علم الأسنان: مناهج الدراسات الأنثروبولوجية. موسكو 1968م.

15- زوبوف. أ.أ:علم أسنان الأثنوس. موسكو، 1973م.

16- زوبوف. أ.أ:معطيات علم الأسنان. موسكو 1977م.

17- زوبوف. أ.أ، زولوتاريفا.إ.م: منغوليا في المنظومة العالمية لنماذج علم الأسنان (قضايا أنثروبولوجية، 1980، العدد 63).

18- كييتا.ب: أنثروبولوجيا سكان جمهورية مالي. موسكو 1977م.

19- كتاب ماركو بولو. موسكو، 1955م.
20- كريوكوف.م.ب: منظومة قبائل الصينيين. موسكو،1972م.
21- ليونتيف.أ.ك: بعض الخصائص الجيومرفولوجية لممالك شواطئ الجزر في المحيط الهندي.موسكو،1971م.
22- لوبوفا.إ.ف، خاباروف.أ.ف: التربة. موسكو، موسكو1983م.
23- ميساتسيسلوف: المرجع الخدمي المقدس. موسكو، 1978م.
24- الأطلس البحري.المجلد2، موسكو، 1953م.
25- ناؤمكين.ف.ف: جزيرة السعادة.(حول العالم، 1985م، العدد 3).
26- ناؤمكين.ف.ف: هناك حيث بُعثت العنقاء، موسكو، 1977م.
27- ناؤمكين.ف.ف، بروموخوفسكي.ف.ي: دراسات اثنو- لغوية عن سقطرى.موسكو، 1981م.
28- نيكيفيروف.ل.ت، كروتايف.ف.ن:جيومورفولوجيا شاطئ جزيرة سقطرى(ج.ي.د.ش)- الشاطئ البحري. موسكو 1982م (قضايا الجغرفيا، العدد 119).
29- أولديروغي.د.أ. إبيغوميا. موسكو 1983م.
30- جزر القسم الغربي للمحيط الهندي. موسكو 1982م.
31- بيرشيتس.أ.إ. الطلقات(الخراطيش) عند العرب. 1951م.
32- بيرشيتس.أ.إ. من تاريخ النظام البطراركي للزواج. 1955م.
33- بيرشيتس.أ.إ. رواسب التنظيمات الثنوية في المنظومة العشائرية عند العرب- الأثنوغرافيا السوفيتية، 1958، العدد 3.
34- بيرشيتس.أ.إ.الاقتصاد والمنظومة السياسية الاجتماعية في شمال الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر. موسكو، 1961م.
35- بيوتروفسكي.م.ب: الجنوب العربي في العصور الوسطى المبكرة. موسكو، 1986م.
36- بريغوروفسكي.غ.م: تاريخ ظهور يوتوبيا إفغيمر. موسكو، 1926م.
37- بسيفداريان: الرحلة حول البحر الارتيري- تاريخ الشرق القديم، 1940م، العدد(2).
38- روغينسكي.ي.ي، ليفين.م.غ: الأنثروبولوجيا. موسكو، 1978م.
39- روديونوف.م.أ: الموازنة. موسكو، 1982م.

40- الأطلس الفيزيائي- الجغرافي للعالم. موسكو، 1964م.
41- خيت.غ.ل: علامات الجلد لدى شعوب الاتحاد السوفييتي. موسكو، 1983م.
42- خيت.غ.ل، دولينوفا.ن.أ: علامات الجلد لشعوب العالم. موسكو، 1985.
43- خيت.غ.ل، دولينوفا.ن.أ: .علامات الجلد للتركمانيين- انثروبولوجيا وواثنوغ رافيا التركمان في أوزباكستان وطاجيكستان. عشق أباد، 1986م.
44- خيت.غ.ل: الانفراج الجلدي للسلالات العرقية الرئيسية للبشرية. الأعراق والشعوب.موسكو، 1981م، ص25- 39.
45- شينكارينكو.ف.س، ناؤمكين.ف.ف، خيت.غ.ل، زوبوف.أ.أ: دراسات انثروبولوجية عن جزيرة سقطرى الأثنوغرافيا السوفيتية،1984م، العدد(4).
46- شرول. ك.د: صباح – النجمة الصباحية(مذكرات طبيب في جنوب اليمن).موسكو، 1986م.
47- شوموفسكي.ت.أ: العرب والبحر. (مقدمة الكتاب [2]).
48- Albuquerque Alfonso. L., 1875.
49- An account of the Arab Tribes in the Vicinity of Aden. Bombay, 1908.
50- A nalti E. The Rock Engravings of Danthami Wells in Central Arabian Bolletine del Centro Connune di Studi Preistorici. 1970, t. 5.
51- *Balfour I. B.* The Botany of Socotra. – Transactions of the Royal Sociaty of Edinburgh. 1888, XXXI.
52- *[Barbosa Duarte]*. The Book of Duarte Barbosa, an Account of the Countries Bordering on the Indian Ocean and their Inhabitants. L., 1921.
53- *Barnes D.S.* Tooth Morphology and Other Aspects of the Teso Rentition. Amer. Journ. Phys. Anthropol. 1969. 30. N2.
54- *Bent Mrs. Therodore J.* Southern Arabia. L., 1900.
55- *Beydoun Z. R., Bichan H. R.* Geoglogy of Socotra Island, Gulf of Aden. Quot. K. Geol. Society. L., 1970, vol. 125 (3), N499.

56- *Bittner M.* Vorstudien zur Grammatik und zum Wörterbuche der Soqtora Sprache. I. Wien, 1913; II, 1918; III, 1918.

57- *Bittner M.* Characteristik der Sprache der Insel Soqtora. Wien, 1981.

58- *Bonney J. G.* On a Collection of Rock Specimens from the Island of Soqcotra.- Philos. Transactions of the Royal Society.L.., 1883, 184, c.273.

59- *Botting D.* Island of the Dragon's Blood. L., 1958.

60- *Botting D.* The Oxford University expedition to Socotra. – The Geographical. Journ. 1958a, vol. 124, pt 2, c. 200 – 209.

60a. *Boxhall P.*G. Socotra, Island of Bliss. – The Geographical Journ. 1966, 132.

61- *Brown* G. H. H. Social and Economic Conditions and Possible Developments in Socotra. Aden, 1966 (Ротапринт).

62- *Chagula, W. K.* The Cusps on the Mandibular Molars of East Africans, Amer. Journ. Phys. Anthropol. 1960, 18, N2.

63- *Coon C.*S. The Races of Europe. L.,1939.

64- *Cummins H., Midlo Ch.* Finger Prints, palms and soles. N.Y., 1961.

65- *De l'Afri*que, Contenant la description de ces pays et navigation des anciens capitaines portugais. – Temporal. P., 1830, 4.

66- *Doe D.B.* Socora: An Archeological Reconnaissance in 1967.

67- *Hanihara K.* Statistical and Comparative Studies of the Australian riginal Pentition. University of Tokyo, 1976.

68- *[Forbes].* The Natural History of Socotra and Abd-el-Kuri: A monograph of the Islands. Ed, by Henry O. Forbes, Liverpool, 1903.

69- *Gregory J. W.* Geological of Socotra and Abd-el-Kuri.- Geological Magazine. 1899, vol. 6. N 426.

69a-Johnstone T. M. The Harsuri – English Lexicon. L., 1977.

70- *Landberg C.*Glossaire datinois. Vol. 1. Leiden, 1920; vol. 2.

71- *Leslau W.* Lexique soqotri. P., 1938.

72- *Lister R.W., Orr N. W., Botting D., Ikin E. W., Mourant A. E., Lehmann H.,* The Blood Groups and Haemoglobin of the Bedouin of Socotra., Man. The Journ. Of the Royal Anthropol. Inst. 1966, vol. 1, N 1, c. 82 – 86.

73- *Lüttig H. C.* The Religions System and Social Organisation of the Herro. Utrecht. 1933.

74- *McCrindle.* The Christtian Topo graphy of Cosmas, an Egyptian monk. 1897.

75- *Mülter D.H.* Die Mehri und Soqotri-Sprache. I, 1902; II, 1905; III, 1907, Südarabiche Expedition der Kauserlichen Academie der Wissnschaiten in Wien, IV, VI, VII.

75a- *Nöldeke Th.*Neue Beiträge zur semitischen SprachWissenschaft Strashourg, 1910.

76- *C. Plinius Secundus.* Historia Naturalis. Ed. Mayhoof. B., 1909.

77- *[Purchas S.]*Hakluytus Posthumus or Purchas his Pilgrims. Vol. 1625.

78- Recueil des Voyages . .. de la Compagnie des Indes Orientales. Amsterdam, 1754.

78a- *Rhodokanakis N.* Der vulgärarabische Dialekt im Dafr (Zfar). 1754.

79- *Le Routierde Dom Joao de Castro*: L' exploration de la Mer Ruge par les Portugais en 1541, trad. Du portugais. .. par A. Kammerer. P., 1936.

80- *Rychmas J.* A Three Generations Matriineal Geneaologoy in a Hasaean Inscription: Matrilineal Ancestry in Pre-Islamic Arabian. Bahrain, 1983 (Ротапринт).

81- *Serjeant R.* B. The Portuguese of the South Arabian Coast. Oxf., 1963.

82- *Schoii W.* H. The Periplus of Erythraen Sea. N. Y., 1912.

83- *Schueinfurth G.* Das Volk von Socotra., Unser Zeit. 1983; Ein Besuch auf Socotra, Freiburg, 1884; Einnerungen von einex Fahrt nach Socotra. – Westerman's Monatshefte. 1891,34, c. 603 и сл.

84- *Shakti Gupta M.* Plant Myths and Tradtions in India. Leiden, 1971.

84a- Sharma A. Comparative Methodology in Dermatoglyphics. Delhi 1964.

85- *ShinnieP.L.* Socotra.- Antiquity. L., 1960, 24, c. 100 – 110.

86- *Snell I. E.* Witch Trials in Socotra: American Documentation c/o Photo Duplication Service. The Library of Congress,. , № 5623, c. 47 – 53

87- *Sprenger A.* Die Alte Geographie Arabiens. Bern, 1875.

88- *Stripling G. W. E.* The Ottoman Turks and the Arabs. Urbana, 1942.

89- *Thomas B.* Arabia Felix: Across the Empty Quarter of Arabia. N. Y., 1932.

90- *Wellsted J.R.* Report on the Island of Socotra. – JASB. 1835, 4, c. 136.

91- *Wellsted J.R* Memories on the Island of Socotra -. Journal of the Royal Geographical Society. L., 1835, c. 129.

92- رحلة ابن بطوطة. بيروت، 1968م.

93- الحسن بن أحمد الهمداني: كتاب الأكليل. المجلد الأول، بغداد، 1963م.

94- الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب.صنعاء، 1983م.

95- شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي: معجم البلدان. القاهرة، 1906م.

د.علي صالح الخلاقي

البريد الإلكتروني: alikalaqi@hotmail.com
الهاتف الجوال 777343934

- من مواليد عام 1956م.
- حاصل على شهادة الماجستير في الصحافة الدولية، 1992م.
- حاصل على شهادة الدكتوراة في التاريخ، 1996م.
- عمل في الصحافة والإعلام منذ الثمانينات، وتقلد عدة مناصب، وساهم في عدد من الصحف والمجلات المحلية، وفي تقديم برامج إذاعية وتلفزيونية.
- أستاذ التاريخ الإسلامي، جامعة عدن ويشغل وظيفة نائب عميد كلية التربية – يافع، للشئون الأكاديمية.
- كاتب وباحث ومترجم، نشرت له عدد من الدراسات والأبحاث في الصحف والمجلات والندوات العلمية.

صدر له:

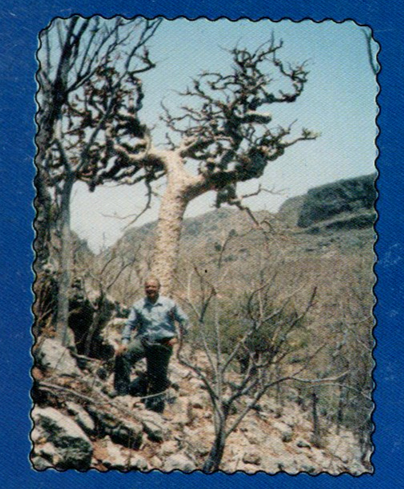
1- سقطرى.. هناك حيث بُعثت العنقاء. ترجمة عن اللغة الروسية، 1999م.
2- عادات وتقاليد حضرموت الغربية. ترجمة عن الروسية، 2002م.
3- الشائع من أمثال يافع. الطبعة الأولى 2002م، طبعة ثانية ، 2006م. طبعة ثالثة 2012م.
4- عادات وتقاليد الزواج وأغانيه في يافع، 2006م.
5- "شل العجب.. شل الدّان" ديوان يحيى عمر اليافعي وسيرة حياته(ط1) 2006م. (ط2) 2012م.
6- شاعر الحكمة صالح سند "خير من نشد،2006م.
7- فراسة شاعر ساجل نفسه - حقيقة ما دار بين الخالدي والقيفي من أشعار ، 2006م.
8- الشيخ أحمد أبوبكر النقيب.. حياته واستشهاده في وثائق وأشعار،2007م.
9- أحمد محمد حاجب - مناضل من صفوف الشعب،2008م.

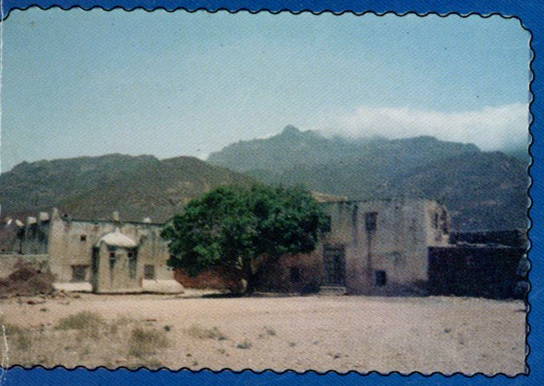
10- "أعلام الشعر الشعبي في يافع، 2009م.
11- الحكيم الفلاح الحميد بن منصور- شخصيته وأقواله.(ط1) 2009م. (ط2) 2011م
12- مُعجم لهجة سرو حِمْيَر – يافع وشذرات من تراثها، 2012م.
13- "السقطريون: دراسات أثنوغرافية- تاريخية" ترجمة عن اللغة الروسية، 2013م.

جمع وقدم الأعمال الشعرية التالية:

1- "محاصيل القدر" للشاعر الشعبي يحيى الفردي 2003م
2- "مساجلات الصنبحي والخالدي" 2005م
3- "المزن الماطر" للشاعر عبدالله عمر المطري 2006م
4- "دستور الهوى والفن" غزليات شائف محمد الخالدي 2007م
5- "سالم علي قال" للشاعر سالم علي المحبوش 2007م
6- "يقول بن ناصر مجمل" للشاعر محمد ناصر بن مجمل2007م
7- "مساجلات الكهالي والخالدي" 2008م
8- "النبع المتفجر" للشاعر يحيى الفردي2008م
9- "الصراحة راحة" للشاعر محمد سالم الكهالي 2008م
10- "زوامل شعبية" للشاعر شائف الخالدي 2008م
11- "السير المتعرج" للشاعر محمد أحمد الدهبوش
12- "شاعر يواجه أكثر من مائة شاعر"، 2009م
13- "غزير المعاني" للشاعر أمين الكلدي2009م
14- "المرفأ المهجور" للشاعر محمد عبدالله بن شيهون2010م
15- "وصية مضيَّع" للشاعر حسين عبدالرب بن دينيش القعيطي 2011م
16- "مواجهات ساخنة مع عشرات الشعراء" للشاعر محمد سالم الكهالي، 2011م.
17- ديوان"شاعر الحماسة والفخر" للشيخ راجح هيثم بن سبعة،2012م.
18- خالديات الشاعر شائف محمد الخالدي (قصائد وزوامل)، 2013م.
19- أروع المساجلات القبلية بين الشاعرين عبدالقوي السعدي وعلي محمد بن شيخان، 2013م.







الصور بعدسة المترجم أثناء رحلته إلى سقطرى

هذا الكتاب لمؤلفه فيتالي ناؤمكين صدر باللغة الروسية في موسكو عام ١٩٨٨م بعنوان «السقطريون- دراسات إثنوغرافية-تاريخية». ويتميز في كونه حصيلة بحث علمي ميداني للبعثة اليمنية الروسية المشتركة خلال الأعوام ١٩٨٣-١٩٨٧م. وهذه البعثة كانت أول بعثة مشتركة للأبحاث الإنسانية في تاريخ العلاقات العلمية والثقافية بين الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية. وقد صدرت ترجمته الإنجليزية في لندن عام ١٩٩٣م باسم (Island of the phoenix)، أي «جزيرة الفينيكس( )». وهذا ما حفزني أكثر لترجمته. فقد عزّ عليّ أن يُترجم إلى لغات أخرى ولا يستطيع القارئ العربي أن يحصل عليه بلغته الأم. فرأيت من الواجب أن أترجمه وأقدمه بصيغته العربية للقراء والمهتمين والمعنيين بهذه الجزيرة المدهشة.

د. علي صالح الخلاقي

